غَاية المقصود

بالرحلة مع سيدي محمود

تأليف العلامة العارف بالله سيدي

الحاج أحمد سكيرج



تحقيق ذ. محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني

رقم الإيداع القانوني

ردمك

مطبعة

المؤلف ... محمد الراضي كنون

الهاتف ... 0661683399

الموقع الإلكتروني: **www.cheikh-skiredj.Com**

مقـــــــدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

أود في صدر هذه المقدمة أن أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا التقييد المبارك. المنسوب لعالم فاضل. صاحب فكر ومنهج وصدق وإخلاص. وسلوك قائم على أسس الإسلام و قواعده الصحيحة. ومقومات الشخصية المغربية الفذة. كيف لا وقد أعطى لوطنه أجزل العطاء. وكانت حياته سجلا ناصعا لمرحلة هامة من حياة المغرب العلمية والثقافية.

وبدون إطالة فالعلامة سيدي أحمد سكيرج هو واحد من أبرز الشخصيات التي جمعت بين فضائل العلم والأدب والأخلاق. والتصوف والأصالة والوطنية الصادقة. أضف إلى ذلك اعتزازه العظيم بالعقيدة الإسلامية السمحة. وهي صفة بارزة من خلال مواقفه وقيمه وسلوكه. فقد كان عالما فذا. يجسد شخصية الفقيه المغربي المدافع عن حوزة الدين. المتصدي بسالة لكل من خولت له نفسه الإساءة لشيء من أركانه أو واجباته ومكوناته.

كما كان محبا لوطنه. دائم التغني بخصائصه ومميزاته. وفيا لملكه. صادق الولاء لعرشه. مؤمنا بدوره العظيم في حماية المقدسات الدينية والوطنية.

ترجمة المؤلف

ولادتـه

هو من مواليد مدينة فاس خلال منتصف شهر ربيع الثاني عام 1295 هـ - أبريل 1878 م. وبها نشأ داخل أسرة فاضلة. ذات مآثر جليلة ومزايا جمة. وقد أنجبت هذه الأسرة نخبة من علية العلماء والأدباء والمؤرخين الكبار. إذ يكفينا أن نذكر منهم الأديب الشاعر الكاتب محمد بن الطيب سكيرج.. والمؤرخ الفقيه عبد السلام بن أحمد سكيرج. مؤلف كتاب: نزهة الإخوان وسلوة الأحزان. في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان. والعلامة المهندس الزبير بن عبد الوهاب سكيرج.

نشأته وتحصيله

وبمسقط رأسه المذكور تلقى مختلف مراحل تعليمه. تحت عناية دقيقة من والده الحاج العياشي بن عبد الرحمان سكيرج. الذي أولاه اهتماما خاصا. نظرا لما لاحظه فيه منذ البداية من شفوف ونبل وتطلع إلى المعالي والكمالات. وذكاء وفطنة عجيبة.

وعموما فقد أدرك مراده في الدراسة والتحصيل. وبلغ منيته في التربية والسلوك. فحصل معظم ما كانت تعج به جامعة القرويين من علوم وفنون مختلفة. حيث برع في الفقه والنحو واللغة. والسيرة والحديث والتصوف.والأدب والحساب والشعر.

وقد أسهمت في تكوينه نخبة من خيرة علماء الجامعة المذكورة. كعبد الله البدراوي. وعبد المالك العلوي الضرير. والحبيب الداودي. وابراهيم اليزيدي. وعبد الله بن خضراء وغيرهم.

مؤلفـاته

للعلامة سكيرج مؤلفاته كثيرة. تزيد على مائة وستين تصنيفا. مما يدل على غزارة علمه ورصيده المعرفي الواسع. وتعود كثرة تآليفه إلى حبه الكبير للكتب. وتعلقه بها. وإقباله على مطالعتها. فقد كان يمضي جل أوقاته منشغلا بها. ولوعا بمحتوياتها. يقرأ ويكتب. ويعلق ويشرح ويؤلف.

وللإشارة فقد تعرضنا لذكر عناوين مؤلفاته بتدقيق في كتابنا: رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج. فلينظرها من أراد التوسع في هذا الباب.

وظائفـه

تنقل العلامة سكيرج بين عدة وظائف. نجملها في ما يلي:

ناظر لأحباس فاس الجديد ما بين عامي 1332 هـ - 1336هـ موافق 1914م- 1918م.

قاضي لمدينة وجدة ونواحيها ما بين عامي 1337هـ - 1340هـ موافق 1919م – 1922م.

عضو ثاني بالمحكمة العليا بالأعتاب الشريفة بالرباط ما بين عامي 1340هـ - 1342هـ موافق 1922م – 1924م.

قاضي لمدينة الجديدة ونواحيها ما بين عامي 1342هـ - 1347هـ موافق 1924م-1928م.

قاضي لمدينة سطات ونواحيها ما بين عامي 1347هـ - 1363هـ موافق 1928م-1944م أي إلى حين وفاته رحمه الله.

سلـوكه

كان رحمه الله مضرب المثل بفاس وبغيرها من المدن التي استوطنها. وذلك بجده وتدينه وعلمه. وورعه وشكره وقناعته. فقد كان متواضعا. بعيدا عن الكبر والإدعاء. غير ميال للتفاخر ولا محب للظهور. على درجة عالية من الورع والتقوى والثبات على الحق. يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وكثيرا ما كان يغير المنكر بيده. لطيف الروح. عذب الحديث. رائع النكتة. يخفي الألم. ويبدي الإبتسام. لم يقعده مرضه (داء السكري) عن خدمة دينه وجيله وأبناء وطنه.

انخراطه في الطريقة التجانية

أتيح للمؤلف التدرج بين يدي كبار مشايخ عصره. لاسيما بمدينة فاس مسقط رأسه. وناهيك في هذا الشأن بالعلامة سيدي محمد (فتحا) كنون. وأحمد العبدلاوي. وعبد المالك العلوي الضرير. وحميد بناني. وعبد الله البدراوي. وعبد الكريم بنيس. وغيرهم من جلة علماء الطريقة المذكورة.

وعلى هؤلاء تمسك بهذه الطريقة. وانضوى في سلك رجالها الأبرار. ولم يقتصر على مجرد الأخذ والإنضواء فقط. بل عمق معارفه بكثرة المطالعة لكتبها. والإعتكاف على ذكر أورادها الساعات الطوال. كما سعى إلى لقاء العديد من مشاهير رجال هذه الطريقة. خصوصا منهم العارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي. فقد كان يقضي الكثير من وقته في مذاكرته. لا يمل من ذلك ولو جلس إليه النهار بأتمه.

وخلاصة القول فقد انخرط في الطريقة التجانية عام 1316هـ - 1898م. وكان عمره إذذاك لا يتجاوز الإحدى وعشرين خريفا.

اهتمامه العريض بالشعر

يعتبر الشعر واحدا من أهم المجالات التي تجلت فيها شخصية صاحبنا المذكور. فقد قرضه منذ حداثة سنه. وظل على ذلك إلى حين وفاته رحمه الله. حيث ترك ثروة شعرية مهمة. توزعت بين كافة الأغراض السائدة إذ ذاك. من مدح ووصف وغزل ورثاء ومولديات ومساجلات وإخوانيات. وما إلى ذلك من موضوعات مختلفة.

ويتميز شعره بالقوة والجزالة. وحسن الصياغة. ودقة المعاني. مما ينم على اطلاعه الواسع بقواعده وأدواته. ذلك الإطلاع الذي جعله أحد جلة شعراء جيله. فكان محط إعجاب كثير من القراء والدارسين. وذوي الاهتمام بالقريض وشؤونه.

ويمكننا تلخيص ثروته الشعرية فيما يلي:

مدح النبي صلى الله عليه وسلم: 15 ديوانا

مدح شيخه أبي العباس سيدي أحمد التجاني: 3 دواوين

إلى غير ذلك من مئات القصائد المتنوعة الأغراض. لاسيما في المجال التربوي. مع ميادين السلوك والنصح والمواعظ.

تلامذتـه

تخرجت بصاحبنا المذكور طائفة من الفقهاء والأدباء الكبار. ممن استفادوا من خبرته واقتبسوا من أنواره. نذكر منهم السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ العلوي. ومحمد الحافظ المصري. وأحمد بن الحسين الدويراني. ومحمد امغارة. ومعاوية التميمي التونسي. والشيخ ابراهيم انياس الكولخي. وأخويه محمد الخليفة ومحمد زينب.

وفاتـه ومدفنـه

كان رحمه الله مصابا بداء السكري. يعاني من شديد مضاعفاته. لاسيما في آخر حياته. حيث استفحل عليه المرض. مما اضطره للخضوع لعملية جراحية بإحدى مستشفيات مدينة مراكش. وقد توفي إثر هذه العملية بقليل. وذلك يوم السبت23 شعبان عام 1363هـ- 12غشت 1944م.

وشيعت جنازته في اليوم الموالي إلى ضريح القاضي أبي الفضل عياض. فدفن فيه بعد أن عاش ثمانية وستين سنة. كانت كلها رحلة حياة مليئة بالمواقف العلمية الموفقة والتضحيات الجسام.

وقد تألمت لوفاته جل الأوساط العلمية والثقافية. سواء بوطنه المغرب. أو بغيره من الدول المجاورة كالجزائر وتونس ومصر وسنغال والسودان.

دراسة الكتاب

الحياة السياسية بالمغرب إبان هذه الرحلة

زامنت هذه الرحلة [1329هـ ـ 1911م] فترة عصيبة اتسمت بالعنف وعدم الأمن وضعف الإستقرار السياسي، كما تميزت بظهور معطيات ومتغيرات تاريخية كان لها من دون شك الأثر الفعال على كثير من مجريات الأحداث فيما بعد، ولعل من أبرز هذه الأحداث عقد الحماية الفرنسية التي تم فرضه على المغرب بعد هذه الرحلة بسنة واحدة لا غير.

البعد الجغرافي لهذه الرحلة

لعبت هذه الرحلة دورا طلائعيا في رسم معالم الطرق التي كانت انتهجتها بين مدينتي فاس والرباط، ولا داعي إلى التذكير بما أتحفتنا به من وصف المسالك والقبائل والمدن والقرى والآثار المختلفة والأودية والعيون والبحيرات وغيرها، فهذا موضوع آخر، يستحق بمفرده بحثا ودراسة عميقة، ولا يسعنا في هذه العجالة إلا أن نشير إليها باعتبارها إحدى مضامين هذه الرحلة.

وعموما فإن المؤلف كان يولي عناية كبيرة بالمدن والقرى والجهات التي يحل بها، وأيضا بالمعالم والأضرحة والحدائق والآثار التي يشاهدها، فيصفها وصفا دقيقا في كثير من الأحيان، ولا يغفل الإشارة إلى مختلف المواضيع ذات الصلة بجانب الموارد الإقتصادية والأسعار والصناعات، وكذلك ما يتعلق بشؤون الطبيعة من سيول وأمطار وغابات وتربة ومياه وآبار.

وخلاصة القول فقد سلطت هذه الرحلة الضوء عن مناطق شاسعة ، نذكر منها جهات سايس وزرهون والشراردة والغرب، ولا ننسى أنها أفادت في هذا الصدد كثيراً من الأساتذة الباحثين، ممن لهم اهتمام بدراسة الجانب الجغرافي لهذه المناطق، خصوصا وأنها زامنت فترة تاريخية هامة، وهي مطلع العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي [الرابع عشر الهجري]

البعد الإجتماعي

لم يهمل العلامة سكيرج في هذه الرحلة الحديث عن الجانب الإجتماعي، بل خصص له صورة مفصلة، ذات سمات جلية، تظهر للقارئ بعضا من معالم المجتمع المغربي آنذاك، انطلاقا من مدينة فاس، حيث تحدث في مستهل الكتاب عن زواج الشريف سيدي محمود التجاني من امرأة فاسية، وهي أخت رفيقه في هذه الرحلة السيد محمد دادي.

وتحدث المؤلف في هذا الإطار عن عقد النكاح وما صاحبه من أفراح وولائم، تماشيا مع عادات وأعراف مدينة فاس، وذكر أنه كان أحد العدلين الذين باشروا هذا العقد، وأن العدل الثاني كان هو العلامة المحدث سيدي حسن مزور.

وتحدث أيضا عن كثير من أخبار المدن والقرى التي مَرَّ بها في هذه الرحلة، وعن عاداتهم وتقاليدهم وأزياءهم القديمة التي ورثوها عن أجدادهم، كما تحدث عن أخلاقهم وأساليبهم في ترتيب الحياة وتدبيرها.

ولا ننسى أن المغرب إبان هذه الرحلة كان مقبلا على عقد الحماية، ولم تكن تفصله عنها سوى سنة واحدة لا غير، وبناء عليه لم يخفي العلامة سكيرج امتعاضه من بعض المغاربة المتزينين بأزياء النصارى، المنتهجين لطراز حياتهم العامة في الأكل والشرب والنوم واللباس والمعاملات والقعود والنهوض، فما دخل الفرنسيون جحرا إلا ودخلوه معهم، يتبعون سننهم، ويقتفون أثرهم، حتى نهلوا من سموم أفكارهم، وساروا على دربهم في الفسق والفجور والمجون والخلاعة وغيرها.

ولم يغفل المؤلف الحديث عن الظروف الأمنية الصعبة التي كانت تعيشها الطرق والمسالك وقتئذ، وكان لزاما على موكب رحلته المرور بمنطقة سايس وبني مطير، مع العلم أن المرور بهذه المنطقة كان مغامرة، إذ السفر بها محفوف بالأهوال والأخطار، نظرا لانعدام الأمن وانتشار اللصوص وقطاع الطرق وظهور الفوضى والإضطراب، وكثيرا ما كانت القوافل المارة بهذه المنطقة تتعرض للسلب والنهب، خصوصا في ظل تلك الظروف والأحوال الأمنية التي كان يعيشها المغرب آنذاك، وأقل ما توصف به هذه الأوضاع أنها كانت سيئة للغاية، مملوءة بالفتن والأحداث المستعصية.

لكن إقدام الفرنسيين وقتئذ على بعض الإصلاحات، منها مَدُّ السكة الحديدية بين مدينتي فاس ومكناس ساعد على نزول وثيرة العنف والقضاء على كثير من اللصوص والمتمردين وقطاع الطرق، وحول هذا الموضوع يقول المؤلف :

ثم إننا بتنا هذه الليلة مطمئنين، لا نخشى من طوارئ الليالي حادثاً، من الأمن الواقع في هذه الطريق التي كان يمر عليها المارون، وقلوبهم ترتعد من الفرق عند المسير، مما يحصل من الفساد من الساكنين بسائس من البربر وبني مطير، وما ذاك إلا لما ضربوا به من عصر الذل والهون، بعدما كانوا في تعصبهم وجهالتهم يهرعون، حتى جلبوا لنفسهم ما جلبوه، وجلبوا لغيرهم ما كانوا قد ارتقبوه.

قيمة هذه الرحلة

تعتبر هذه الرحلة وبدون منازع واحدة من أبرز الرحلات الداخلية بالمغرب، ولما لا وقد رسمت صورة جلية للحياة العلمية والثقافية والصوفية والإجتماعية بهذا البلد الكريم، وذلك ضمن فترة حرجة من تاريخه، طغت فيها على سطح الأحداث كثير من الأهوال والفتن والخلافات السياسية الحادة.

ومهما يكن من أمر فقد جمعت هذه الرحلة أصنافا كثيرة من الفوائد والفرائد، سواء منها العلمية والأدبية والتاريخية، فكم تضم بين طياتها من الأخبار الحسان والأشعار والشواهد والمقطعات، وقد أثنى على فوائدها المذكورة كل من تعرض لها أو نقل عنها، الشيء الذي أهلها لتصبح مصدرا هاما ومرجعا معتمدا لمختلف الباحثين في عهدنا الحالي.

الوضعية الإجتماعية للعلامة سكيرج خلال هذه الرحلة

كان عمر العلامة سكيرج خلال هذه الرحلة 34 سنة، كما كان أبا لطفلين اثنين، وهما سيدي عبد الكريم الذي كان حينها في سن الثامنة، بينما ولده الثاني سيدي محمد كان لا يزيد عمره إذ ذاك على السنة الواحدة، ولا ننسى أن العلامة سكيرج كان حينئذ متصدرا للتدريس بجامع القرويين بفاس، ضمن أساتذة الطبقة الثانية، حيث كان مدرسا لعلم الفرائض، بل من أبرز مدريسيها على الإطلاق بفاس آنذاك.

ومما هو جدير بالملاحظة أن والد العلامة سكيرج [الحاج العياشي] كان قد توفي قبل هذه الرحلة بسنة لا غير، وهي ذات السنة التي توفي فيها شيخه سيدي أحمد العبدلاوي، أحد أبرز أعلام الطريقة التجانية إذ ذاك.

النزعة الصوفية في هذه الرحلة

يعد جانب التصوف من أهم الجوانب البارزة في هذه الرحلة، اعتبارا لكونها كانت تهدف بالأساس إلى زيارة مختلف الزوايا التجانية بالمغرب آنذاك، ولقاء مقدميها وأعلامها، والإطلاع على شؤونها وأحوالها. مع زيارة بعض أضرحة كبار هؤلاء الأعلام كسيدي محمد بن قاسم بصري المكناسي، وسيدي محمد العربي بن السائح، وآخرين.

وبناء عليه كان الجانب الصوفي غالبا على الرحلة من ألف إلى ياء، فهو الذي كان يرسم مخططها، وقد بدت معالم هذا الأثر جلية في منهجية الكتاب، خصوصا في ذلك العهد الذي كانت فيه

للتصوف كلمة قوية ومسموعة، كما مال إليه الكثيرون على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم، لما فيه من سلوك تربوي هادف، وترويض للنفس، وإقبال على الحق.

البعد العلمي لهذه الرحلة

أهم ما يمكن أن يلاحظه الباحث في هذه الرحلة أنها اتسمت أكثر من غيرها بالطابع العلمي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص المؤلف على لقاء الأعلام والرواية عنهم، ومناظرتهم والإستفادة منهم والتدبيج معهم، والبحث عن الفوائد والمعارف والإجازات والتقاييد والكتب.

ولقد أفاض العلامة سكيرج القول في التحدث عن العلماء وذكر مجالسهم ومسامراتهم العلمية، مما يعكس الجو الفكري والثقافي الذي كان سائدا بالمغرب آنذاك، وأكثر من ذلك أنه كان يعقد يوميا موازاة مع هذه الرحلة مجلسا علميا متنقلا، يلتف حوله فيه كافة من كان معه من أهل هذه الرحلة، فيستفيدون من معارفه وعلومه، وينهلون من خالص فهومه.وقد أفصح المؤلف عن ذلك في الصفحات الأولى من هذه الرحلة حيث قال :

وكان في رفقتنا هذه الفقيه النزيه، الأريب النبيه، كاتب سيدنا محمود، القادم صحبته من عين ماضي، بعد قدومه من تونس، أبو حفص سيدي عمر بن سعد الريعي الواسطي، وقد أحسن إليه سيدنا محمود رضي اله عنه، ولم يقصر معه، من الإنعام المناسب لحاله، فكان لإحسانه شاكرا، وهذا الفقيه له توجه تام لتلقي العلم والأدب، وقريحة وقادة تبلغه غاية الأرب، ومن شدة حزمه في طلب العلم والحرص على أخذه وتلقيه، حتى لا يفوته وقت لا يستفيد فيه فائدة، طلب مني أن أجعل درساً خصوصيا في هذه الرحلة، فاتفقنا على أن نسرد الألفية بتقييد عليها، ومتن الكافي، في علم العروض والقوافي، فشرعت في ذلك تطييبا لخاطره، واغتناما لدعاءه الصالح، طالبا من المولى أن يصلح أعيالنا، ويوفقنا لما فيه رضاه.إهـ..

والخلاصة فإن هذه الرحلة العجيبة تعتبر مرجعا مهما للتعرف على الأعلام الذين التقى بهم المؤلف في المدن والقرى والقبائل التي مر بها في طريقه، وكانت اتصالاته هذه متنوعة ومع أشخاص من مستويات مختلفة، الشيء الذي دفعه لتضمين هذه الرحلة بحشد لا يستهان به من العلماء والأدباء والشعراء والقواد وذوي الصلاح وغيرهم، مما أكسب الرحلة [غاية المقصود] مكانة رفيعة بين المصادر التي لا يستغنى عنها لدراسة الثقافة والفكر في تلك الفترة.

البعد الأدبي لهذه الرحلة

بالإضافة للجوانب العلمية والجغرافية والتاريخية والإجتماعية لهذه الرحلة فإن لها أيضا طابع أدبي خالص، بل إنها مصدر هام للإنتاج الأدبي في تلك الفترة، اعتبارا لما تضمنته من نصوص شعرية عالية المستوى، تصل في حجمها إلى نسبة السبعين في المائة من محتويات الكتاب. فقد حرص المؤلف على نقل قصائد وأشعار الأعلام الذين التقى بهم في هذه الرحلة، كما سجل لنفسه أيضا قدراً لا يستهان به من الأشعار والمقطعات والمساجلات اللطيفة. وبالتالي كانت هذا الكتاب [غاية المقصود، في الرحلة مع سيدي محمود] بمثابة دواوين لأصحابها، لاسيما إذا علمنا أن بعضهم لا تعرف لهم أشعار سوى من خلال ما أثبته العلامة سكيرج في رحلته هذه.

نظرة في قصائد هذه الرحلة

إذا ألقينا نظرة متفحصة بين أشعار هذه الرحلة فإننا سنقف على أنواع مختلفة من الأغراض الشعرية، كالمدح والرثاء والوصف والغزل والإخوانيات والإستجازات وغيرها.

وإذا أردنا أن نتحدث عن المدح فالرحلة تشتمل على قصائد كثيرة من هذا القبيل، باعتباره الأكثر شيوعا لدى الشعراء المغربة وقتئذ، وقد ساق المؤلف في هذا الصدد قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وأخرى في مدح الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، وأخرى في مدح حفيده الذي ألفت حوله هذه الرحلة الشريف البركة سيدي محمود، فقد تسابق كثير من الشعراء في مدح هذا الأخير والترحيب بوفوده، وذلك بقصائد جد رائعة، تنافسوا في التفنن والإجادة فيها أيما تنافس، ذكروا خلالها ما كان لهذا الشريف من خصال حميدة، وصفات طيبة، ونسب طاهر.

ولا يفوتنا التنبيه على أن المؤلف افتتح رحلته المذكورة بقصيدتين في حق هذا الشريف الفاضل، قال في مطلع الأولى منهما :

أَخِـلَّايَ هَـذَا الـيَوْمُ يَـوْمٌ سَعِيدُ * يَـحِـقُّ لَـنَا فِـيـهِ الـهَـنَاءُ الـمَزِيـدُ
وَلِـمْ لَا وَفِـيـهِ قَـدْ أَتَـى لِبِلَادِنَا * حَـمِيدُ فـعَـالٍ مِـنْ عُـلَاهُ يَـزِيـدُ
سَلِيلُ التِّجَانِي الخَتْمِ حَامِي مُرِيدِهِ * وَمَانِحُـهُ بَـيْنَ الـوَرَى مَـا يُـرِيـدُ

أما الثانية فقد افتتحها بقوله :

أَتَــى الـسُّرُورُ الَّـذِي كُـنَّا نُـرَاقِبُـهُ * أَهْـلًا بِـمَـنْ هُـوَ بَيْـنَ النَّـاسِ جَـالِبُـهُ
فَـأَذْهَبَ الـغُـمَّةَ الَّـتِي بِـهَـا ذَهِلَـتْ * عُـقُـولُنَـا وَالـحَـبِـيبُ زَالَ حَـاجِـبُـهُ
فَـلَا تَـرَى الـيَـوْمَ إِلَّا فَـارِحًا جَذِلًا * مِــنْ كُـلِّ وِرْدٍ لَـهُ صَـفَـتْ مَـشَـارِبُهُ

كما مدح الشريف ذاته أيضا العلامة النقيب عبد الرحمان بن زيدان بقصيدة جميلة قال في مطلعها :

نَزِّهِ الطَّرْفَ فِـي رِيَاضِ الـمَعَانِي * وَتَـمَـتَّـعْ بِـنُـورِ تِـلْـكَ الـمَغَـانِي
وَأَدر لاسْـتِـمَـاعِ صَـــبٍّ مُـعَـنَّى * ذِكْـر مَـنْ فِـيـهِمْ جَمِيعُ الأَمَـانِـي

ولم يغفل المؤلف عن قصائد الرثاء بل أورد بعضها في هذه الرحلة، ولعل من أبرزها قصيدته الفائية التي قالها في رثاء الخليفة الشريف البركة سيدي محمد البشير بن سيدي محمد الحبيب بن الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، وتقع هذه القصيدة في 44 بيتا، افتتحها بقوله :

عَـــلَامَ دُمُـــوعُ الـعَـيْـنِ تَـذْرِفُـهَا ذَرْفَــا * وَلَـمْ تَـكُ مُـعْـتَـادًا عَـلَى جَـزَعٍ رَجْـفَـا
وَفِي اليَوْمِ قَدْ أَصْبَحْتَ مُضْطَرِبَ الحَشَا * وَمَزَّقْتَ ثَـوْبَ الصَّبْرِ مِنْ حَيْثُ لَا يَرْفَى

وكغيرها من سائر الأغراض الشعرية كان للغزل نصيبه هو الآخر من هذه الرحلة، فهي تضم نماذج كثيرة لهذا النوع، ومن ذلك قول المؤلف مباسطا لزميله في الرحلة التاجر السيد محمد دادي، وكان هذا الأخير مغرماً بِأَمَةٍ له بارعة الحسن، تدعى زهوة :

زَهَوْتُ لَـمَّا رَأَيْـتُ وَجْهَكِ الحَسَنِ * زُهُـوَّ مَـنْ زَهْـوَةٌ سَبَتْهُ فِي عَـلَنِ
هَـوَيْتُهَا وَهْـيَ فِـي حِجَابِهَا فَغَدَتْ * هُـمُومُ نَـفْسِي بِـهَا تَـزْدَادُ بِالشَّجَنِ
وَلَا شَـفِـيقَ عَـلَـيَّ مِـنْ هَـوَايَ بِـهَا * وَلَا أَرَاهَا وَلَـوْ فِـي النَّوْمِ تَرْحَمُنِي
هِلَاكُ نَفْسِي بِهَا مِنْ وَقْتِ نَظْرَتِهَا * تَـبَّـتْ يَـــدَا عَــاذِلٍ فِـيـهَا يُـعَـنِّفُنِي

وقال أيضا مخاطبا للسيد نفسه لما مرضت أمته المذكورة، وكان شديد الألم لمرضها :

يَا حَبِيبِي فِي خَلْوَتِي وَبِجَلْوَهْ * زَادَكَ الـلَّـهُ بَـهْـجَـةً وَفُـتُـوَّهْ
نَـسْأَلُ اللَّـهَ أَنْ يَـزِيـدَكَ عِـزًّا * وَيُدَاوِي عَزِيزَةَ النَّفْسِ زَهْوَهْ

وللمؤلف أيضا قصيدة رائية جميلة في هذه الأَمَةِ، قالها حين أظهرها له مَالِكُهَا التاجر سيدي محمد دادي، وذلك بالمهدومة قرب مدينة مكناس، فقال :

خَلِيلِيَ إِنِّـي قَـدْ تَـرَكْـتُ الـهَـوَى دَهْـرَا * وَأَعْـرَضْـتُ عَـنْ أَهْـلِ الـهَـوَى زَمَـنًا مُـرَّا
وَأَصْـبَـحْـتُ خَـالِـي الـبَـالِ لَا يَـسْـتَـفِـزُّنِي * إِلَـى صَـبْـوَةٍ شَـوْقٌ لِـبِـكْـرٍ وَلَا عَـذْرَا
فَـمَـا لِـيَ هَـذَا الـيَـوْمَ قَـدْ هَـزَّنِي الـهَـوَى * أَمِـنْ زَهْـوَةٍ هَـذَا الـجَـوَى جَـاءَنِـي قَـهْـرَا
نَـعَـمْ إِنَّـهَـا وَالـلَّـهِ شَـمْـسُ زَمَـانِـهَـا * بِـهَـا فِـتْـنَـةُ الـعُـشَّـاقِ حَـيْـثُ بَـدَتْ حَـوْرَا
تُـرِيـكَ إِذَا أَبْـصَـرْتَـهَـا الـشَّـمْـسَ فِـي الـدُّجَى * تَـبَـدَّتْ وَلَـكِـنْ أَسْـبَـلَـتْ عِـفَّـةً سِـتْـرَا
فَـلَـسْـتَ تَـرَى مِـنْـهَـا مِـنْ أَجْـلِ جَـلَالِـهَـا * بِـسَـيِّـدِهَـا دَادِي مُـحَـيًّـا بَـدَا بَـدْرَا
عَـلَـيْـهَـا جَـلَالٌ مِـنْـهُ قَـدْ حَـفَّـهَـا بِـهِ * فَـأَضْـحَـتْ بِـهِ فِـي رُتْـبَـةٍ فَـاقَـتِ الـبَـدْرَا
يُـبَـاهِـي بِـهَـا مِـمَّـا حَـوَتْـهُ مِـنَ الـبَـهَـا * وَأَضْـحَـتْ بِـهِ أَيْـضًـا تُـبَـاهِـي الـوَرَى شُـكْـرَا
وَأَضْـحَـى بِـهَـا بَـيْـنَ الـرِّجَـالِ مُـتَـيَّـمًـا * وَكَـانَ لَـهَـا مَـوْلَـى بِـهَـا لَـمْ يَـجِـدْ صَـبْـرَا
فَـعُـذْرًا لَـهُ مِـمَّـا رَآهُ لِأَنَّـهَـا * فَـرِيـدَةُ حُـسْـنٍ لَا تَـزَالُ لَـهُ أَسْـرَا
بَـلَانِـي بِـهَـا لَـمَّـا أَمَـاطَ خِـمَـارَهَـا * وَقَـالَ لَـهَـا أَعْـطِـيـهِ مِـنْ خَـمْـرِكِ الـسُّـكْـرَا
فَـقَـامَـتْ إِلَـيَّ كَـيْ تُـسَـلِّـمَ وَهْـيَ فِـي * تَـدَلُّـلِـهَـا وَالـجَـفْـنُ مِـنْـهَـا قَـدِ افْـتَـرَّا
فَـكِـدْتُ بِـهَـا عَـنِّـي أَغِـيـبُ بِـنَـظْـرَةٍ * عَلَى النَّفْسِ مِنِّي صِرْتُ أُشْفِقُ مِنْ أُخْرَى
فَـقُـلْـتُ لَـهُ وَالـقَـلْـبُ يَـخْـفِـقُ بِـالـجَـوَى * جَـلَـبْـتَ الـرَّدَى لِـي مِـنْ حَـبِـيـبَـتِـكَ الـغَـرَّا
فَـمَـالَـكَ قَـدْ عَـذَّبْـتَـنِـي فِـي الـوَرَى بِـهَـا * وَمِـنْ قَـبْـلِـهَـا قَـدْ كُـنْـتُ فِـي رَاحَـةٍ كُـبْـرَى
تَـمَـتَّـعْ بِـهَـا وَالـلَّـهُ يَـرْعَـاكَ فِـي الـعُـلَا * وَيَـحْـفَـظُـهَـا حَـتَّـى تُـسَـرَّ بِـهَـا دَهْـرَا

وإذا انتقلنا إلى نوع آخر من أغراض الشعر وهو الوصف، نجد أيضا بين طيات هذه الرحلة نماذج كثيرة منه، وكذلك الأمر إن تحدثنا عن جانب الإخوانيات، فقد تبادل المؤلف في هذا النطاق قصائد

كثيرة مع جملة من أصدقائه وفي مناسبات مختلفة كالترحيب والتوديع والتهنئة، وما إلى ذلك من عوامل المحبة والمودة، وتأجيج المشاعر، وصدق الأحاسيس.

انطلاق الرحلة ومدة استغراقها

انطلقت هذه الرحلة كما ذكر المؤلف في منتصف شهر ذي القعدة الحرام عام 1329هـ ـ نونبر 1911م، واستغرقت أطوارها ما يقارب الأربعين يوما، حيث كان الوصول إلى العاصمة الإدارية [الرباط] في حدود 20 ذي الحجة الحرام 1329هـ ـ 11 دجنبر 1911م

النسخة المعتمدة في التحقيق

اعتمدنا في تحقيق هذه الرحلة على النص الأصلي للمؤلف العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، وهي مخطوطة تامة، تقع في 202 صفحات، كُتِبَ معظمُهَا بخط المؤلف الجميل، باستثناء صفحات قليلة كتبت بخط آخر.

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة غاية المقصود، بالرحلة مع سيدي محمود

بخط العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج رحمه الله ورضي عنه

غَاية المقصود

بالرحلة مع سيدي محمود

تأليف العلامة العارف بالله سيدي

الحاج أحمد سكيرج



تحقيق ذ. محمد الراضي كنون

الإدريسي الحسني

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

نحمدك يا من لا جميل إلا جميله، ولا منة لأحد سواه، فكان هو المتفضل على عبده، وهو وكيله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصلاة والسلام على من جعله الله واسطة في كل نعمة، فكان بين الخلائق عين الرحمة.

لَوْلاَهُ مَا خَلَقَ المَوْلَى خَلاَئِقَهُ * وَلاَ أَتَتْهُ بِحَالٍ مِنْهُ نعْمَاهُ

وعلى آله أهل الكمال، وأصحابه أولي الجمال والجلال، وَعَلَى التابعين لهم بإحسان، ما تعاقب الملوان، مدى الأزمان، ورضي الله عنه شيخنا معدن الفضل والجود، وبحر السر الساري في الوجود، القطب الرباني، خاتم الأولياء، خليفة ختم الأنبياء، سيدنا ومولانا أحمد التجاني[1].

مِنْ نُورِهِ عَمَّ الوُجُودَ فَأَشْرَقَتْ * بِسَنَاهُ كُلُّ دَجِنَّةٍ وَظَلَامِ
وَغَدَا بِإِرْثِ الهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ * فَرْدًا تَسَامَى فَوْقَ كُلِّ مَقَامِ

---

(1) الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني الحسني، صاحب الطريقة التجانية، أحد أشهر الطرق الصوفية وأكثرها انتشارًا في العالم، خصوصا في القارة الإفريقية السمراء، هو من مواليد قرية عين ماضي بالصحراء الشرقية عام 1150 هـ ـ1737م، كان أجداده يقطنون سابقا بمنطقة عبدة من إقليم مدينة آسفي بالمغرب، ثم انتقل جده الرابع إلى الصحراء، واستوطن قرية عين ماضي، وبها بقيت نسبة كبيرة من أبنائه إلى الآن.

أما الشيخ سيدي أحمد التجاني فقد استوطن بمدينة فاس خلال العقدين الأخيرين من عمره، ووجد بها ترحابا كبيرًا من طرف سلطان المغرب وقتئذ المولى سليمان، الذي صار فيما بعد من جملة تلامذته وأتباعه، كما أهدى له دارًا فخمة بمدينة فاس كانت تسمى إذ ذاك بدار المراية.

توفي رضي الله عنه بمنزله المذكور بمدينة فاس يوم الخميس 17 شوال عام 1230 هـ ـ 2 أكتوبر 1814م، ودفن بزاويته الكبرى بحي البليدة بفاس، وقد أُلِّفَتْ في حقه عشرات الكتب إن لم نقل المآت، منها كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني، من فيض الشيخ أبي العباس التجاني، لتلميذه العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة، والجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، لتلميذه العارف بالله سيدي محمد بن المشري، والإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لتلميذه الشريف سيدي الطيب السفياني وغيرها.

ورضي الله عن أصحابه وأحبابه، وكل من تعلق بأذياله، أو تمرغ بأعتابه، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا في زمرته، ويمنحنا بكامل عطفته، وأن يقبل علينا، على أي حال كنا، وأن يسبل علينا ستره الجميل، ويمدنا بسر من أسراره، فنكون من الذين ظفروا بربح الدنيا والأخرى، ونالوا أجرا لم يرى مثله من العمل الصالح ذخرا، طالبين من المولى جل اسمه وجلت قدرته، أن يحف برداء الحفظ والسلامة، ويمد بموائد الإكرام والكرامة،

حضرة من أسمى الله مقامه، ونشر في أفق السعادة أعلامه، حفيد سيدنا، وارث سره، مجمع شتات الفضل والجود، من بين الوجود، برزخ بحري العلم والولاية، من فاق سواه في البداية، من فضله بين الورى مشهود، سيدنا ومولانا محمود[1]، بن سيدنا ومولانا البشير بن سيدنا ومولانا الحبيب بن

---

(1) البركة الشريف سيدي محمود بن سيدي محمد البشير بن سيدي محمد الحبيب بن الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، ولد بعين ماضي عام 1297هـ، وتوفي بالأغواط في 14 محرم الحرام عام 1353هـ، وكان عمره عند وفاته 56 سنة، ونقل من الغد إلى عين ماضي حيث دفن داخل ضريح جده سيدي محمد الحبيب رضي الله عنه.

كان ضمن الوفد المغربي الذي استدعي لحضور تدشين مسجد العاصمة الفرنسية باريس عام 1344هـ ـ 1926م، وذلك ضمن أهالي مدينة فاس وممثليها الذين كانوا يتكونون وقتئذ من السادة : محمد التازي خليفة باشا المدينة المذكورة، ومحمد المرنيسي، والحسن بن ثابت، وعبد السلام المراكشي، وأحمد مكوار، والحاج محمد الحصادي، وأحمد الرامي، ومحمد بن جلون، ومحمد بن الطيب البدراوي، والعباس بن جلون، وعبد الكريم التازي، والطاهر المعاوي ، وباشا صفرو محمد المعموري، والقائد محمد بن حمادي اليازغي، والقائد الحسين ولد محمد الشرفي، ومحمد بن العربي العلوي قاضي فاس

وعموما فقد شاركه العلامة سيدي أحمد سكيرج رحلتين اثنين، إحداهما رحلة تدشين مسجد باريس، غير أنه لم يذكره كثيرا في نص هذه الرحلة، واكتفى بالإشارة إليه، والغالب على ظني أن ذلك راجع للصبغة الرسمية التي كانت تطغى على الرحلة المذكورة، وثانيهما هذه الرحلة المباركة المسماة بغاية المقصود، في الرحلة مع سيدي محمود، وقد تقدمت هذه الأخيرة على الرحلة الفرنسية التي سبقت الإشارة إليها بما يناهز 15 سنة

أنظر ترجمته أيضا في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 56. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). الزرابي المبثوثة، للمؤلف نفسه 87 (مخطوط خاص). النفحات الربانية في الأمداح التجانية، للمؤلف نفسه 54_57. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3: 262_264. أسنى المطالب فيما يعتني به الطالب، للمؤلف نفسه 12 (مخطوط خاص). نيل المراد في معرفة رجال الإسناد، للعلامة الحجوجي 1: 90. إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية للمؤلف نفسه 1: 80 (مخطوط). التعريف بالبلدة التنانية ذات المواهب الربانية، لأحمد بن علي الكشطي التناني (مخطوط).

سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقانا الله وجميع المحبين منهم بأعظم الأواني، وهو على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، وبعد : فيقول العبد الذي لا زال على فضل ربه يعرج، أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، غفر الله ذنبه، وستر عيبه، مع أحبابه وإخوانه، ورفقائه وأعوانه.

فإن من نعم الله علينا، وجميل فضله الذي أسداه إلينا، أن تفضل علينا بالتمتع بالنظر في وجه هذا الولي الكامل، سيدنا ومولانا محمود رضي الله عنه وأرضاه وعنا به، وقد شرف الله قطرنا المغربي بحلوله، والفضل لله الذي تفضل بقدومه لهذا القطر الذي أمنه الله بوصوله[1]، فقد ساقته النفحات القدسية، إلى حضرتنا الفاسية، ففاز بزيارة ضريح جده قطب الأقطاب، وفاز آخرون بمشاهدة طلعته التي سبت ذوي الألباب، فأصبحوا مأسورين في قيود محبته، والكل منا يفديه بمهجته، شاكرين لرفيقه الأسعد، الراقي للمقام الأصعد، خديم سيدنا وخديم أولاده، من فضله بين الخلائق ظاهر وبادي، حبيبنا وصفينا، ورفيع المكانة من قلوبنا، سيدنا الحاج محمد دادي، فقد أتانا بهذه الذخيرة التي لم يأتنا بها غيره، من حيث أنه عمنا بسببها خيره.

وَلَـوْ أَنَّنَا قُـمْنَا بِـشُـكْرِ جَنَـابِهِ * عَلَى مَا لَنَا أَسْدَاهُ لَمْ نُوفِهِ شُكْرَا
أَتَـانَا بِـمَـحْمُودِ الـمَسَاعِي وَإِنَّـهُ * حَـمِيدُ خِـصَالٍ دَامَ فِـي أُفْقِهِ بَدْرَا

---

(1) مما ينبغي الإشارة إليه أن أبناء وحفدة الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه لم يعودوا للمغرب منذ خروجهم من مدينة فاس صوب الصحراء الشرقية في شهر صفر عام 1231هـ - يناير 1816م، ويعتبر الشريف سيدي محمود أول قادم منهم للمغرب، وذلك بعد مغيبهم عنه فترة طويلة تناهز القرن، ورغم مغيبهم المذكور كانت هناك جسور من التواصل بينهم وبين الزوايا التجانية الموجودة بهذا البلد الكريم، لاسيما منها الزاوية التجانية الأم بفاس، المشتملة على ضريح جدهم الأنور رضي الله تعالى عنه

ويتجلى هذا التواصل في الرسائل الكثيرة التي بعثها الشرفاء المذكورون لبعض كبار أعلام هذه الطريقة، سواء بفاس و مكناس ومراكش والرباط، كما كانوا يبعثون للغرض نفسه بعض الأشخاص ممن يثقون بهم، وأخص بالذكر من هؤلاء الأشخاص العلامة الأديب التجاني ابن بابا العلوي، والفقيه العارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي

ذكر قدوم سيدنا محمود للحضرة الفاسية[1]

وكان قدومه لهذه الحضرة الفاسية في يوم السبت 17 شعبان عام 1329هـ، فازدهت فاس بقدومه ووصوله، وبلغ كل واحد من أهل الفضل من سكانها بطلبه وسوله، فكانت هذه الأيام التي قضاها في هذه الحضرة مواسم خيرات، لم تمضي مثلها منذ حياة جده سيدنا قطب الأقطاب إلى هذه الأوقات، فكانت الناس ترد لزيارته أفواجا أفواجا، وسلكوا منها سبلا فجابا، فيعود كل واحد منهم قرير العين، ظافرا بالمقصود من غير مين، وقد كنت استعملت صباح يوم قدومه بزاوية سيدنا رضي الله عنه حين كنا ننتظر دخوله بها، واستحضرته داخلا للضريح الشريف، فقلت مخاطبا سيدنا رضي الله عنه هذين البيتين :

أَتَـيْت بِـسِبْطِكَ مُـسْتَشْفِعًا * وَهَـا هُـوَ قَـدَّمْتُهُ لِـلـشَّفَاعَةْ
لِـتَـشْفَعَ لِـي عِـنْدَ رَبِّـيَ فِـي * بُلُوغِ الأَمَانِي وَنَيْلِ الشَّفَاعَةْ

وقلت هذين البيتين أيضا في تلك الساعة :

يَـا رَبِّ بِـالقُطْبِ التِّجَانِي الرِّضَى * وَبِـأَصْـلِـهِ وَبِـنَـسْـلِـهِ الأَطْـهَـارِ
كُنْ لِي وَلِلأَحْبَابِ فِي الدُّنْيَا وَفِي * الأُخْـرَى مُـنِـيلًا سَـائِرَ الأَوْطَـارِ

---

(1) يوافق التاريخ الهجري المذكور لقدوم سيدنا محمود لمدينة فاس شهر أكتوبر 1911م، وكان المغرب يعيش في تلك الفترة ظروفا قاسية على الكثير من الأصعدة، خصوصا الصعيد الأمني، حيث كثرت الفتن والإنشقاقات بين القبائل المجاورة لفاس، وحما وطيس النزاع بين المغرب وفرنسا التي كانت أطماعها الإستعمارية تزداد يوما عن آخر رغبة في بسط سيطرتها على ربوع المملكة، وعرفت هذه السنة أهوالا كبيرة، ووقائع دامية شهيرة، كأحداث الدار البيضاء ووجدة والعرائش، أضف إلى ذلك تفاقم مشاكل آخرى، سواء من الناحية السياسية الإقتصادية والأمنية ، وقد دامت هذه الأزمة زهاء سنوات، كانت كافية لنشر ثقافة الخوف والقلق وتفشي النهب والنصب والسرقة، إلى غير ذلك من النتائج السلبية التي نجمت عليها، حيث خلقت جوا من عدم الإستقرار المادي والمعنوي والنفسي، وتفاقمت خلالها التوترات العصبية، واسْتُنْزِفَتِ الموارد المادية والبشرية، وانتشرت الأعمال العدوانية، من ظلم واستبداد وفساد وطغيان

ذكر قصيدتين في الترحيب بقدوم سيدنا محمود

وقد كنت هيأت قصيدتين قبل دخوله بيومين، أنشدهما عشية اليوم الثاني من الدخول صاحب السماع المطرب، والصوت اللذيذ المعجب، الشريف سيدي علال المنصوري[1]، أحد مسمعي الزاوية، نذكرهما هنا بمناسبة الموضوع، نص الأولى :

أَخِـلَّايَ هَـذَا الـيَوْمُ يَـوْمٌ سَعِيدُ * يَـحِـقُّ لَـنَا فِـيهِ الـهَنَاءُ الـمَزِيدُ
وَلِـمْ لَا وَفِـيهِ قَـدْ أَتَـى لِبِلَادِنَا * حَـمِيدُ فـعَـالٍ مِــنْ عُـلَاهُ يَـزِيدُ
سَلِيلُ التِّجَانِي الخَتْمِ حَامِي مُرِيدِهِ * وَمَـانِحُـهُ بَـيْـنَ الــوَرَى مَـا يُـرِيـدُ
تَـتَـوَّجَ مِــنْ تِيجَانِهِ تَاجُهُ الَّـذِي * تَـنَـظَّـمَ فِـيـهِ دُرُّ سِــرٍّ نَـضِـيـدُ
فَأَصْبَحَ فِي أُولِي المَرَاتِبِ سَيِّدًا * لَـهُ طَأْطَأَتْ أَهْـلُ الـعُلَا وَالعَـبِيدُ
فَأَعْظِمْ بِـمَحْـمُودٍ سَـمِيِّ مَقَامِهِ * بِـأَوْجِ الـعُلَا بَـيْنَ الأَنَـامِ مَـجِيدُ
يَكَادُ لَهُ القُطْبُ التِّجَانِي يَقُومُ مِنْ * ضَـرِيـحٍ لَـهُ لَـمَّا أَتَـى يَسْتَعِيدُ
أَتَـى يَسْتَفِيدُ بِالزِّيَارَةِ مِـنْهُ مَـا * بِـهِ حِصْنُهُ فِـي الأَوْلِيَاءِ مَشِيدُ
وَلَـوْلَا فَـإِنَّ الـنَّاسَ يَفْتَتِنُونَ مِـنْ * خَــوَارِقِ عَــادَاتٍ لَـقَامَ يُـفِـيدُ
يَـمِيدُ[2] دَلَالًا فِـي بِسَاطِ احْتِفَالِهِ * لَــهُ بِـالَّـذِي مِـنْـهُ عِــدَاهُ تَـبِـيدُ[3]
وَلَا عَـجَبٌ إِنْ قَـامَ مِـنْ قَبْرِهِ لَـهُ * فَـفِي قَـبْرِهِ لَا شَـكَّ حَـيٌّ شَـهِيدُ
وَهَــذَا ابْـنُـهُ قَـدْ جَـاءَهُ لِـيَزُورَهُ * وَمِــنْـهُ لَــهُ نُــورٌ عَـلَـيْهِ مَـدِيـدُ
يَـمُدُّ لَــهُ مِـنْ سِـرِّهِ مَـدَدًا سَـرَى * لِـمَنْ عَـنْهُ فِـي الإِمْـدَادِ لَيْسَ يَحِيدُ
وَعُــمَّ بِــأَسْـرَارٍ تَـسُـرُّ مُـحِـبَّهُ * وَخُــصَّ بِـسِرِّ الـحَقِّ عَـنْهُ الـمُرِيدُ
فَـيُصْبِحَ مَـيْمُونَ الـطَّلِيعَةِ عِـنْدَهُ * يُــلَـقَّـنُ وِرْدًا لَــمْ يَـحُـزْهُ طَـرِيـدُ
وَلَـكِـنَّهُ مَـا حَـازَهُ غَـيْرُ مُـجْتَبِي * وَمَـــا نَــالَـهُ إِلَّا مُــرِيـدٌ رَشِـيـدُ

---

(1) علال المنصوري التلمساني : من جلة أهل السماع بمدينة فاس وقتئذ، كان صاحب صوت شجي جميل، يهز المشاعر، ويحرك الأحاسيس، ويمس بنبراته القلب، وهو من عداد مسمعي الزاوية التجانية الكبرى، كان كثير الإقبال عليها، يذكر بها الوظيفة مع ساداتنا الفقراء بانتظام، كما أن سكنه كان مجاورا للزاوية المذكورة، توفي عام 1357هـ ـ 1938م.

(2) يميد : بمعنى يتمايل فخرا واعتزازا

(3) تبيد : بمعنى تنقرض

فَطُوبَى لِمَنْ أَضْحَى بِهِ مُتَمَسِّكًا * فَيَغْدُو بِحِفْظِ اللَّهِ وَهْوَ سَعِيدُ
فَيَا ابْنَ إِمَامِ الأَوْلِيَاءِ وَخَتْمِهِمْ * وَمَنْ سِرُّهُ فِي العَالَمِينَ وَحِيدُ
لِيُهْنِكَ يَا مَوْلَايَ مِنْهُ زِيَارَةٌ * بِهَا يَوْمُنَا المَشْهُودُ فِي النَّاسِ عِيدُ
وَيُهْنِكَ طُولَ الدَّهْرِ مِنْهُ وِرَاثَةٌ * بِهَا أَنْتَ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ حَمِيدُ
فَلَا زِلْتَ يَا مَوْلَايَ مَلْحُوظَ جَانِبٍ * وَأَنْتَ لَنَا مَوْلًى وَنَحْنُ عَبِيدُ
وَتَمْنَحُنَا مِنْكَ الدُّعَاءَ بِعَطْفَةٍ * بِهَا نُورُكَ المَقْصُودُ مِنَّا نُرِيدُ
فَنَحْظَى بِمَا فِيهِ رِضَا اللَّهِ دَائِمًا * وَنُحْرِزَ فِي الدَّارَيْنِ خَيْرًا يَزِيدُ

ونص الثانية :

أَتَى السُّرُورُ الَّذِي كُنَّا نُرَاقِبُهُ * أَهْلًا بِمَنْ هُوَ بَيْنَ النَّاسِ جَالِبُهُ
فَأَذْهَبَ الغُمَّةَ[1] الَّتِي بِهَا ذَهِلَتْ * عُقُولُنَا وَالحَبِيبُ زَالَ حَاجِبُهُ
فَلَا تَرَى اليَوْمَ إِلَّا فَارِحًا جَذِلًا[2] * مِنْ كُلِّ وِرْدٍ لَهُ صَفَتْ مَشَارِبُهُ
وَقَدْ أَقَامَتْ لَهُ الأَفْرَاحُ نَوْبَتَهَا * وَالدِّينُ بَيْنَ الوَرَى ضَاءَتْ مَذَاهِبُهُ
وَاسْتَبْشَرَ الكُلُّ بِالنَّجَاحِ حِينَ أَتَى * لِغَرْبِنَا ابْنُ بَشِيرٍ عَزَّ جَانِبُهُ
نَجْلُ التِّجَانِي الَّذِي تُجَاهَ رَوْضَتِهِ * اتِّجَاهُهُ فَأَتَتْ لَهُ مَوَاهِبُهُ
فَكَانَ مَحْمُودَ سَعْيٍ وَالرَّبَاحُ لَهُ * فِي قَصْدِهِ وَبِهِ تُقْضَى مَطَالِبُهُ
يَكَادُ لَمَّا أَتَاهُ أَنْ يَقُومَ لَهُ * مِنْ أَجْلِ إِجْلَالِهِ لِمَا يُقَارِبُهُ
أَعْظِمْ بِهِ سَيِّدًا تَعْنُو الرُّؤُوسُ لَهُ * مَهَابَةً وَبِهِ يُجَلُّ صَاحِبُهُ
يَرْقَى مَرَاقِيَ عِزٍّ مَنْ يَبُرُّ بِهِ * وَمَنْ يُعَانِدُهُ المَوْلَى يُعَاقِبُهُ
وَمَنْ لَهُ قَدْ عَنَا[3] يَحْظَى بِكُلِّ هَنَا * وَمَنْ يُحَارِبُهُ المَوْلَى يُحَارِبُهُ
فَإِنَّهُ الجَامِعُ لِكُلِّ مَفْخَرَةٍ * وَكُلُّ حَمْدٍ وَمَدْحٍ فَهْوَ كَاسِبُهُ

---

(1) الغمة : الحزن والكرب
(2) جذلا : فرح فرحا كثيرا
(3) عنا : خضع

فَمُنْذُ شَبَّ كَبَدْرٍ وَهْوَ فِي شَرَفٍ * تُـزَاحِـمُ الـرُّتْـبَـةَ الـعُـلْيَا مَنَـاكِبُـهُ[1]
حَتَّى تَجَلَّى عَلَى كُرْسِي جَلَالَتِهِ * بَـيْـنَ الـوَرَى وَعَـلَـتْ فِـيهِمْ مَرَاتِبُهُ
لَـــوْلَا تَـنَـزُّلُـهُ[2] مِـــنْ بَـيْـنِـهِمْ أَدَبًـا * مَـا كَـانَ يـقْـدِرُ أَنْ يُـرَادَ طَالِبُهُ
أَلْـقَى الـجَمَالَ عَلَيْهِ وَالبَهَا حُلَلًا * وَبِـالـجَلَالَـةِ قَـدْ حُـفَّـتْ مَـرَاكِبُهُ
بَـدَا بِـأَوْجِ الـعُـلَا بَـدْرًا تَـضِـيءُ بِـهِ * فِـي الدِّيـنِ مِـنْ كُلِّ مِنْهَاجٍ غَيَاهِبُهُ[3]
يَـا ابْـنَ الَّـذِي لِعُلَاهُ الأَوْلِيَاءُ عَنَتْ[4] * وَلَا تَـــرَى رُتْـبَـةً مِـنْـهُـمْ تُـقَـارِبُـهُ
فَـكَانَ مُنْفَرِدًا فِـي رُتْبَةٍ صَعِدَتْ * فِـــي أَوْجِ مَـجْـدٍ وَلَا يَـنْـهَدُّ[5] جَانِبُهُ
لَـــهُ كَـمَـالُ ظُـهُـورٍ فِـــي وِلَايَـتِـهِ * وَالـفَـوْزُ أَضْـحَـى يُرَى لِـمَنْ يُصَاحِبُهُ
مِـنْ نُـورِهِ غَـدَتِ الأَنْـوَارُ مُشْرِقَةً * وَقَــدْ أَحَـاطَـتْ بِـأَسْـرَارٍ مَـنَـاقِـبُـهُ
فَـلَا تُـعَـدُّ لِـمَـنْ يُـرِيدُ يُـحْـصِـرُهَا * وَكَيْفَ تُحْصَرُ فِـي الدُّنْيَا عَجَائِبُهُ
أَنْــتَ ابْـنُـهُ وَحَـبَـاكَ مِـنْـهُ نَظْرَتَهُ * فَـــأَنْـتَ وَارِثُـــهُ حَـقًّـا وَنَـائِـبُـهُ
لَا شَـــكَّ أَنَّ الـمُـحِـبَّ أَنْـتَ مَانِحُهُ * سِـــرًّا وَكُـــلُّ حَـسُـودٍ أَنْـتَ سَالِبُهُ
وَرِثْــتَ لَـمَّـا أَتَـيْـتَ مِـنْـهُ سِـرَّ هُـدَى * مَـــا نَـالَـهُ قَـبْـلَـكَ امْـــرُؤٌ يُـرَاقِـبُـهُ
فَـأَنْـتَ كَـهْـفُ أَمَــانٍ جِـئْـتَ تُـأْمِـنُنَا * مِــنَ الزَّمَانِ الَّـذِي عَـمَّتْ مَصَائِبُهُ
لَـوْ لَـمْ تَكُنْ أَنْتَ مَحْمُودًا لَمَا سَعِدَتْ * فَـــاسُ بِـفَـتْـحٍ قَـرِيـبٍ أَنْـتَ جَالِبُهُ
قَدُمْ وَقَدْرُكَ مَحْفُوظٌ وَفِعْلُكَ مَحْمُودٌ * وَوِرْدُكَ قَـــدْ لَـــذَّتْ مَـشَـارِبُـهُ
وَالـدَّهْرُ يَـخْدُمُكُمْ وَالـسَّعْدُ يَلْحَظُكُمْ * وَكُـــلُّ مَـــنْ جَـاءَكُمْ تُنْفَى مَعَايِبُهُ[6]
وَنَـــسْـأَلُ اللَّهَ أَنْ يُـحَـفَّ[7] مَـجْـمَـعُـنَا * بِـجَـاهِـكُمْ بِـقَـبُـولٍ عَـــزَّ جَـانِـبُـهُ
وَأَنْ يُـــدِيـمَ عَـلَـيْـنَا سِـتْـرَكُمْ فَـنَـرَى * كَـمَـالَ فَـضْـلِـكُمْ تَـعْـلُو مَـرَاتِـبُـهُ

---

(1) مناكبه : مجمتع رأس الكتف
(2) تنزله : بمعنى تواضعه
(3) غياهبه : جمع غيهب وهو الظلام الشديد السواد
(4) عنت : أذعنت وخضعت
(5) ينهد : ينكسر وينحط
(6) معايبه : بمعنى مساوئه
(7) يحف : يحدق

قصيدة الأديب السيد الحسن بنونة

في تهنئة سيدنا محمود بالقدوم

وقد استعمل الأديب الأريب، السيد الحسن بنونة[1] قصيدة تائية في تهنئة سيدنا محمود رضي الله عنه بالقدوم، وتهنئة الإخوان بالنظر لوجهه الشريف، نذكر منها بعض ما اتزن لمناسبة الموضوع، يقول في مطلعها :

إِلَى بَابِكُمْ يَأْوِي الفَقِيرُ أَسَادَتِي * وَمِنْكُمْ يَنَالُ المَرْءُ كُلَّ سَعَادَةِ
فَأَنْتُمْ كِرَامٌ لَا يَخِيبُ نَزِيلُكُمْ * وَأَنْتُمْ ذَوُو الإِحْسَانِ أَهْلُ سِيَادَةِ
وَأَنْتُمْ شُمُوسُ الكَوْنِ أَنْجُمُ الإِهْتِدَا * بِنُورِ هُدَاكُمْ يُهْتَدَى مِنْ جَهَالَةِ
أَيَا آلَ بَيْتِ المُصْطَفَى جَلَّ ذِكْرُكُمْ * مُنِحْتُمْ مِنَ المَنَّانِ كُلَّ كَرَامَةِ

ثُمَّ قَالَ :

عَلَى وُدِّكُمْ حَضَّتْ[2] أَحَادِيثُ جَدِّكُمْ * وَفِي حُبِّكُمْ فَوْزٌ بِكُلِّ سَعَادَةِ
مَحَبَّتُكُمْ آلَ النَّبِيِّ غَنِيمَةٌ[3] * وَخِدْمَتُكُمْ آلَ النَّبِيِّ خَيْرُ طَاعَةِ

---

(1) الحسن بن محمد بن عبد السلام بن عبد الله بنونة، فقيه مشارك، من شعراء الملحون بمدينة فاس، له نظم لرجال كتاب سلوة الأنفاس، للعلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني، ونظم لمتن الأجرومية، وكانت له محبة كبيرة في الطريقة التجانية، له قصائد عديدة تتميز بمجموعة من مظاهر الإبداع، كما يتجلى فيها بوضوح طابع الطموح الصوفي، الذي تتلوّن مواضيعه بألوان التوسلات الإلهية، والمدائح النبوية، والربيعيّات، والعشق، والهجاء، والرثاء.

وقد وقفت له على قصيدة من فن الملحون، تقع في ثلاث صفحات، قالها في وصف وادي الجواهر بفاس، وما يحيط به من طبيعة ضاحكة، مزدهية بأزهارها المتفتحة الذكية، وأطيارها المغنية الشادية، وجداولها المترقرقة المنسابة تحت الأشجار الباسقة،

توفي بمسقط رأسه بفاس يوم الخميس 19 ربيع الثاني عام 1347هـ ـ 3 أكتوبر 1928م، أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 2 : 450، موسوعة أعلام المغرب 8 : 2978

(2) حضت : حثت

(3) الغنيمة : ما يؤخذ من المحاربين في الحرب قهرا

مُـوَالَاتُـكُـمْ آلَ الـنَّـبِـيِّ كَـرَامَــةٌ * مِـنَ الخِزْيِّ وَالخُسْرَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ
فَيَا سَعْدَ مَنْ أَضْحَى خَدِيمَ جَنَابِكُمْ * يَـحُوزُ بِـفَضْلِ اللَّهِ أَعْلَـى مَـكَانَةِ
وَلَا سِيَمَا مَـنْ رَامَ خِدْمَةَ مَـنْ عَـلَا * عَـلَى كُـلِّ ذِي قَدْرٍ بِـمَحْضِ عِـنَايَةِ
مُـمِدِّ جَـمِيعِ الـعَارِفِينَ وَمَـنْ رَقَـى * مَـقَامًا رَفِـيعًا لَا يُـحَـدُّ بِـغَايَـةِ
وَخَـاتِمِ رُتْــبِ الأَوْلِـيَا فَـهْـوَ خَاتِـمٌ * لِأَعْـلَـى مَـقَامٍ لَا لِـخَتْمِ الـوِلَايَـةِ
وَذَلِـكَ فَـضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَـنْ يَـشَا * بِـرَغْمٍ عَـلَى أَنْـفٍ لِأَهْـلِ الغِـوَايَةِ
مَلَاذِي وَأُسْتَاذِي التِّجَانِي ابْنِ سَالِمٍ * فَـذَاكَ أَبُـو الـعَبَّاسِ كَهْفُ السَّمَاحَةِ

إلى أن تخلص لمدح سيدنا محمود وقال :

بِـهِ الـكَوْنُ يَـسْمُو وَالـعَوَالِمُ تَزْدَهِي * بِــهِ تَـفْـخَرُ الأَيَّــامُ فِـي كُـلِّ سَاعَـةِ
تَـلَقَّى لَـهُ الأَصْـحَابُ يَـوْمَ قُـدُومِهِ * فَـمَا مِـثْلُـهُ عِـيدٌ لِأَهْــلِ الـعِـنَايَةِ
تَـرَاءَى لَـنَـا يَــوْمَ الـلِّـقَاءِ كَـأَنَّـهُ * هِــلَالٌ لَــهُ نُــورٌ عَـظِيمُ الإِضَــاءَةِ
لَـــهُ طَـلْـعَـةٌ غُـــرٌّ تَــلَأْلَأَ نُــورُهَا * تَفُوقُ عَلَى شَمْسِ الضُّحَى بِوَضَاءَةِ[1]

إلى أن قال :

أَسَيِّدَنَا الـمَحْمُود حَـقَّ لَـكَ الـهَـنَا * تَـوَالَتْ لَـكَ الأَفْـرَاحُ يَا نَـجْلَ سَـادَةِ
جَمَعْتَ صِفَاتِ الحُسْنِ خُلْقًا وَخِلْقَةً * بِـحِلْمٍ وَإِحْــسَانٍ وَحُــسْنِ بَـشَاشَـةِ

إلى آخرها وهي طويلة، وقد انتقيت بعض ما هو موزون منها، ولصاحبها الباع العريض في عمل القصائد الملحونة، وفيه نجابة تامة، غير أنه لو أتم ذلك بقراءة علم العروض لكان جامعا لفن الموزون والملحون، ونسأل الله لنا وله بجاه هذا السيد العظيم المقدار، أن يفتح لنا باب الفتح الموصل لذخائر الأسرار.

(1) الوضاءة : الحسن والجمال والنظافة

تزوج سيدنا محمود بأخت رفيقه الحاج محمد دادي

ثم إن سيدنا محمودا رضي الله عنه بعد استراحته استعمل العرس بالوردة المكنونة، الياقوتة المصونة، سليلة العلم والأدب، الحسيبة الأصل والنسب، الفاضلة المجيدة، مليكة أقرانها كالدرة الفريدة، أخت المحب الصادق، والرفيق الموافق، التاجر الأبر، سيدي الحاج محمد دادي، وقد عقدنا الصداق عليها مع الفقيه الوجيه السيد الحسن مزور[1]، الذاهب للحج في هذه السنة المباركة.

وقد أنعم الله على المحب الصادق سيدي الحاج محمد دادي، بأن كمل الله مقصوده بالمصاهرة مع سيدنا محمود، وذلك سعي محمود، وهذا السيد له أدب فائق، وخلق رائق، يعاشر الناس كلا بما يليق به، وما خالط أحدا إلا وأحبه، وكفاك في مزيته التي اختص بها عن غيره، وهي إكرام أهل القطر

---

(1) العلامة الفقيه المقدم سيدي الحسن بن عمر بن الحاج إدريس مزور، ولد بمدينة فاس في شهر جمادى الثانية عام 1286هـ، وبعد حفظه للقرآن الكريم دخل لجامعة القرويين عام 1302هـ، فأخذ بها عن مجموعة من أكابر العلماء، في مقدمتهم العلامة الشريف سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، والعلامة سيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، والفقيه سيدي محمد بن التهامي الوزاني، والعلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي، والعلامة سيدي التهامي كنون وغيرهم.

وتلقد رحمه الله بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد الفقيه سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، وهو الذي أجازه فيها أولا، ثم أجازه فيها بعد ذلك العلامة الولي الصالح سيدي العربي بن إدريس العلمي اللحياني الموساوي.

وله رحمه الله مواقف وطنية كبيرة، منها أنه كان من جملة الموقعين على عريضة طلب الإستقلال عام 1944م، وعند حصول المغرب على استقلاله عين رئيسا للمجلس العلمي لجامعة القرويين، لكنه توفي بعد ذلك بقليل ليلة الخميس فاتح شوال عام 1376هـ، وصلي عليه بعد صلاة العصر من يوم الخميس بالمدرسة العنانية الشهيرة بالمتوكلية، ودفن بزاوية سيدي المكتفي العلوي بدرب مولاي عبد المالك بالطالعة الكبرى بفاس.

ومن مصنفاته رحمه الله : السيوف المهندة السنان لمستعمل التبغ من الإخوان، فقها وطبا، والحلل الزنجفورية على البردة البوصيرية، في جزءين، وحاشية على تأليف الشيخ الطيب بن كيران في حرف لو، وشرح منظومة الشيخ الطيب بن كيران في المجاز والإستعارة، وتقييد في النهي عن إغلاق المتاجر يوم الجمعة إلا وقت النداء، وفهرسة جامعة لشيوخه سماها : إتحاف الأعيان بأسانيد العرفان، وشفاء السقيم بمولد النبي الكريم، وغير ذلك من الختمات والتقاييد الكثيرة، انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 130، وفي دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة المري ص 192 رقم الترجمة 1149، وفي إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين لابن الحاج ص 100، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 209.

المغربي عموما، والإخوان التجانيين خصوصا، بإتيانه بسيدنا ومولانا محمود، سبط سيدنا قطب الوجود، وهو أول قادم من أولاد سيدنا رضي الله عنهم لهذا القطر، منذ سفرهم منه بعد وفاة سيدنا رضي الله عنه.

ولا شك أنه من خاصة أحباء سيدنا رضي الله عنه، وأحباء أولاده، حتى اختاره سيدنا محمود رضي الله عنه رفيقا له دون غيره من سائر الإخوان، لما انطوى فيه من صادق الحب والمودة التامة لهذا الجناب، طبق ما هو معروف لدى العموم، من إخوان الوطن وغيرهم،

وقد اختاره لرفقته معه والده المقدس، صاحب المقام الأنفس، خليفة جده التجاني في إرشاد العباد، والوارث سره من بين أهل الرشاد، العارف الكبير، سيدنا ومولانا محمد البشير، حسبما وصفه بذلك في الكتاب الموجه لفقراء زاوية فاس، المؤرخ قبل وفاته بنحو تسعة أيام، معلما فيه بقدومه لهذا القطر، وموصيا على البرور بابنه المذكور، ومودعا لهم، كأنه يخبرهم بانتقاله لدار البقاء، ولم يصل هذا الكتاب حتى ورد الخبر بوفاته رضي الله عنه وأرضاه. ونصه :

نص الكتاب الذي وجهه سيدنا محمد البشير للفقراء التجانيين بفاس

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، من العبد الفقير الفاني، البشير[1] بن محمد الحبيب بن أحمد التجاني، الراجي من ربه بلوغ الأماني، في الدنيا ودار التهاني، إلى كافة الفقراء والإخوان من

---

(1) سيدي محمد البشير بن سيدي محمد الحبيب بن الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، أمه السيدة فريحة، من مواليد سنة 1266هـ ـ 1850م، كان مقيما بعين ماضي مقر أسلافه الكرام، وقفت له على رسائل عديدة وجهها لبعض أعلام الطريقة التجانية بالمغرب والجزائر، وقد تولى الخلافة في هذه الطريقة عقب وفاة أخيه الشريف سيدي أحمد عمار في 18 ذي القعدة الحرام عام 1314هـ ـ 21 أبريل 1897م، وبقي متصدرا بعده لشؤون الزاوية ومصالحها الداخلية والخارجية إلى أن توفي ليلة السبت 3 جمادى الثانية عام 1329هـ ـ 1يونيه 1911م، بكردان، ونقل لعين ماضي حيث دفن بها بجانب قبر والده سيدي محمد الحبيب.

قال العلامة سيدي محمد الحجوجي في كتابه إتحاف أهل المراتب العرفانية : وتولى غسله والصلاة عليه إمام الزاوية أبو الحسن سيدي علي بن سيدي الأخضر. من أولاد سيدي الحاج علي التماسني، وحضرت لوفاته والصلاة عليه الشريفة الجليلة الصالحة أخته مولاتنا عائشة،

أهل فاس، الحاملين لواء طريقتنا الأحمدية، كل واحد باسمه وعينه، خصوصا منهم المقدم البركة سيدي الطيب السفياني[1]، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وخيراته وإحسانه.

أما بعد : فالذي ننبه شريف علمكم أني أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون[2] يفعل في ملكه ما يشاء، هذا والذي أوصيكم به هو تقوى الله في السر والعلانية، وتصفية قلوبكم من مخالفة أمره، والتعويل عليه بقلبكم، والرضا بحكمه، والصبر لمجاري الأقدار في جميع أحوالكم، وأوصيكم بما أوصى الله به، قال جل من قائل : "ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم

---

(1) الطيب بن أحمد بن الطيب الودغيري السفياني، أحد كبار مقدمي الطريقة التجانية بالزاوية الكبرى بمدينة فاس، و هو حفيد الفقيه البركة سيدي الطيب السفياني مؤلف كتاب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، و المعروف عن جده المذكور أنه كان من خاصة أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه.

أما المترجم فهو من مواليد مدينة فاس عام 1262هـ، و بها نشأ في بيئة دينية فاضلة، فما إن أتم الثامنة عشر من عمره حتى تمسك بورد الطريقة التجانية إسوة بوالده و جده، اللذان يعدان من خيرة أعلام الطريقة المذكورة، و كان والده أحمد السفياني هو أول من لقنه أوراد هذه الطريقة، و ذلك في خضم سنة 1280هـ، ثم أجازه فيها بعد ذلك جماعة من الأفاضل، في مقدمتهم الشريف البركة سيدي محمد البشير التجاني، و أحمد العبدلاوي، و علال بن عبد الله الفاسي، و الحسين الإفراني و آخرون.

توفي بعد زوال يوم الأربعاء 26 ذي القعدة الحرام عام 1357هـ_17 يناير 1939م، و صلي عليه بعد صلاة العصر بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، و دفن خارج باب عجيسة بجانب قبري والده و جده، و قد رثاه تلميذه العلامة سكيرج بقصيدة افتتحها بقوله:

أأحباب قلبي هل تعيرون لي صبرا * على حمل ما في اليوم ضقت به صدرا
فقد فقدت نفسي اصطبارا عهدته * لديها إذا ما غيرها وجد الصبرا

إلى أن قال:

هو الطيب الأرضى المقدم في العلا * لنفع مريدي الخير بالذكر و الذكرى
على فقده فليبك من كان باكيا * و لم يعتذر في حقه من بطن الدهرا

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 52. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). نيل المراد في معرفة رجال الإسناد، للعلامة الحجوي 2: 63_65. رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 42.

(2) سورة يس، الآية 82.

أن اتقوا[1] الله" وقال تعالى : "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"[2] وقال سبحانه : "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا"[3] وقد أنزل الله في كتابه العزيز نيفا وسبعين آية من آيات الصبر، ولو لم ينزل سوى قوله عز وجل : "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"[4]، لكفى.

واعلموا أن هذا الزمن كثرت فيه المصائب والمحن، نسأل الله اللطف فيما جرت به المقادير، وذلك لما طبعت عليه النفوس من الإدبار عن الله وعن أمره ونهيه، وبسبب ذلك هاج بحر الأهوال والفتن، وطما بحر المصائب والمحن، وغرق الناس فيه كل الغرق، نسأل الله تعالى أن يصحبنا وإياكم باللطف الخاص[5]، المخصوص به أهل هذه الطريقة الأحمدية، وأن يقبل سبحانه علينا وعليكم بمحـض فضله ورضاه، وأن يمنحنا وإياكم وقفـة بين يديه تضاهي وقفة أكابر الصديقين، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

وقد سمعنا ما كدركم من المزعجات التي تراكمت على ربوعكم، بسبب ما تسعرت به نيران الثائرين، فساءنا ما أزعجكم، وما وسعنا إلا التضرع لله عز وجل أن يرفع عنكم جميع الشرور، وأن يهدن روعكم، فترانا مشفقين عليكم، داعين الله لكم أن يؤيدكم بنصره المبين، وأن يحول بينكم وبين من يروم إذايتكم، وقد قال عليه الصلاة والسلام : لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية،

---

(1) سورة النساء، الآية 130.

(2) سورة آل عمران، الآية 103

(3) سورة الأنفال الآية 47.

(4) سورة الزمر، الآية 11.

(5) إشارة لقول الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه : « اللطف لطفان : لطف عام و لطف خاص . و هذا المراد بقوله تعالى : إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ، أنظر الإفادة الأحمدية، لسيدي الطيب السفياني[باب حرف اللام]

وحول هذا اللطف أيضا جاء في كتاب بغية المستفيد للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح :

وقد حدثني بها بعض العلماء من أصحابه رضي الله عنه . قال لي رحمه الله تعالى : سمعته رضي الله عنه يقول « اللطف لطفان : اللطف الممتزج بالمشيئة الإلهية و هو الذي أشارت إليه الآية الكريمة { إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ } و هو المشار إليه في قول صاحب الحكم : من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره . و لطف خاص يختص الله تعالى به أهل الخصوصية من عباده ، و هو لازم بفضل الله تعالى لأصحابي لا ينفك عنهم في سائر تقلباتهم ، و لا ينفك اللطف العام عن المشيئة الربانية. أنظر بغية المستفيد، لشرح منية المريد ص

فإذا لقيتموهم فاصبروا[1] الحديث. أما قوله (ﷺ) لا تتمنوا لقاء العدو، فقد ورد في ميادين الجهاد في قتال الكفار، ففي هذه الأزمنة تقلب في الصفح عن شرور الناس، وعلى العبد أن يسأل الله العافية من تحريك شر الناس وفتنتهم، فإن تحرك عليه من غير سبب فالوجه الأعلى الذي تقتضيه رسوم العلم مقابلتهم بالإحسان عن إساءتهم، فإن لم يقدر فبالصفح والعفو عنهم إطفاء لنيران الفتنة، فإن لم يقدر فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار.

ونسأل الله لكافتكم وخاصتكم أن يفيض عليكم بحور العناية، والرضا منه سبحانه على طبق ما منح به أكابر العارفين من عباده، من أهل الخصوصية، حتى تكون عنده جميع مساويكم ممحوة غير مؤاخذين بها، وجميع ذنوبكم وآثار سهوكم مقابلة بالصفح والتجاوز غير مؤاخذين بها.

ونسأله جلت عظمته أن يكتبكم جميعا في ديوان أهل السعادة الذي ما كتب فيه إلا أكابر أوليائه، وأهل خصوصيته، بوجه لا يمكن فيه لا المحو ولا التبديل، وأن يكحل بصائركم بنوره الذي رشه على الأرواح في الأزل، وأن ينظر فيكم بعين رحمته التي من نظر إليه بها صرف عنه مكاره الدنيا والآخرة.

هذا وقد اقتضت الحكمة القديمة الأزلية أن يقدم عليكم ولدنا محمود، إن قدر الله، ليزور ضريح جدنا القطب المكتوم، ويزور بلادكم المطهرة، التي هي بالعلوم والأسرار والمعارف منورة، فنوصيكم بما يعود عليكم نفعه العميم، اقبلوه ضيف إكرام، أخذ الله بيدكم، فما تنظرون فيه، إلا أن الله هو الذي سخره لكم، كي يجعل على يديه فرجكم، فأكرموا مثواه، واعتقدوا أن إحسانكم له في الحقيقة هو إحسانكم لنا، وإحسانكم لنا هو إحسانكم لشيخكم، لأنه عزيز علينا.

وما سمحت نفسنا به إلا لحكمة اقتضاها علام الغيوب، ترانا أمرناه أن ينظر فيكم بعين الوالد لولده، وبيده كتاب بمجرد وصوله يدفعه للمقدم، وعليه فإنه يصحبه حبيبنا وصديقنا وصفينا. المحسوب والمنسوب علينا، السيد الحاج محمد دادي، وأمرناه أن يراقبه في سفره، ولا يفارقه حتى يرجع معه بالسلامة، فامتثل لأمرنا جزاه الله عنا خيرا.

ولا شك أنه داخل في الضمان بسبب إحسانه السابق، وجميله الفائق، جزاه الله عنا خيرا، وأن يعطيه على قدر كرمه مع اللطف والسلامة، وأمرناه هو المتصرف والناظر عليه، لما نعلم من صدق محبته في جانبنا، ولا شك أنه سبقت له العناية الربانية، فعليكم بتعظيمه واحترامه، لأن منزلته عندنا لا يدركها أحد في هذا الزمان، وهو بذلك جدير، لأننا رأينا منه لا شيء له معنا، ولو نفسه، فقد جاد

(1) انظر صحيح الإمام البخاري [كتاب الجهاد والسير] رقم الحديث 2744.

بها، فالله يقبل عليه بمحض فضله ورضاه، ولا زال الدعاء لكم نصب العين، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، من الداعي لكم بخير الدارين، سيدنا المذكور حوله، بتاريخ فاتح جمادى الثانية 1329هـ.

قصيدة للمؤلف رحمه الله يرثي بها سيدنا البشير

وقد كنت رثيته بهذه القصيدة وأنا وقتئذ بثغر طنجة ونصها :

عَـلَامَ دُمُـوعُ الـعَيْنِ تَذْرِفُهَا ذَرْفَـا * وَلَـمْ تَـكُ مُعْتَادًا عَـلَى جَـزَعٍ رَجْفَا
وَفِي اليَوْمِ قَدْ أَصْبَحْتَ مُضْطَرِبَ الحَشَا * وَمَزَّقْتَ ثَوْبَ الصَّبْرِ مِنْ حَيْثُ لَا يَرْفَى[1]
أَمِـنْ سُـوءِ أَحْـوَالِ الـزَّمَانِ وَفَتْكِهِ * بِأَهْلِ الهُدَى وَالدِّينِ إِنْ سَلَكُوا العُرْفَا
وَصَـارَ يُـرَى لِلمُهْتَدِينَ مُعَانِدًا * وَلِلمُعْتَدِينَ المُسْرِفِينَ غَـدَا إِلْـفَا
فَسَادَ بِـهِ أَهْـلَ الفَسَادِ عَـلَى ذَوِي * صَـلَاحٍ وَمِـنْهُ وَاحِـدٌ يَـزِنُ الأَلْـفَا
وَضَـاقَتْ بِأَهْلِ الخَيْرِ فِيهِ صُدُورُهُمْ * بِـمَا شَاهَدُوهُ مِـنْ بَـلَاءٍ بِـهِمْ حَـفَّا
زَمَـانٌ يَـسُوءُ الـمُهْتَدِي وَيَـسُوقُهُ * إِلَـى يَـدِ مَـنْ يُولِيهِ مِـنْ مَكْرِهِ حَتْفَا
زَمَـانٌ وَمَـا أَدْرَاكَ مَـا زَمَـنٌ بِـهِ * يُـعَدُّ أَخُـو الإِدْرَاكِ فِي قَوْمِهِ جِلْفَا[2]
زَمَـانٌ بِـهِ أَضْحَى المُنَافِقُ مُحْرِزًا * مُـنَاهُ وَذُو الإِيـمَانِ حَـازَ بِهِ الـقَذْفَا
فَـإِنْ دَامَ هَـذَا الـحَالُ وَالـحَالُ زَائِـدٌ * فَـلَا شَـكَّ أَنَّ الـدِّينَ آثَـارُهُ تُـعْفَى
إِلَـى اللَّهِ أَشْـكُو مِـنْ زَمَـانٍ تَكَاثَرَتْ * بِأَهْوَائِهِ الأَهْـوَالُ مِـنْ حَيْثُ لَا تطْفَى
وَيَـذْهَبُ فِـيهِ الـصَّالِحُونَ جَمَاعَةً * فَأُخْرَى إِلَى الأُخْرَى إِلَى حَضْرَةِ الزُّلْفَى
نُهَنِّيهِمُ بِـالـمَوْتِ أَمْ نُـكْثِرُ الـبُكَا * عَلَيْهِمْ وَفِـينَا خَـلَّفُوا بَعْدَهُمْ خَلْفَا
فَـعَمَّ الـبَلَا مِـنَّا الـجَمِيعَ بِفَقْدِ مَـنْ * مَضَى نَسْأَلُ اللَّهَ اللَّطِيفَ بِنَا اللُّطْفَا
وَإِنَّـا لَـنَبْكِيهِمْ وَحَـقَّ لَـنَا الـبُكَا * عَلَيْهِمْ وَأَيْـدِي المَوْتِ تُقْطِفُهُمْ قَطْفَا
فَـلَوْ كَـانَ يَرْضَى أَنْ نَكُونَ لَهُمْ فِدَا * لَـكُنَّا فَدَيْنَاهُمْ وَلَا نَـطْلُبُ اسْتِعْفَا[3]

---

(1) يرفى : رفأ الثوب أي لأم خرقه وخاطه.

(2) جلفا : غليظا جافيا.

(3) استعفا : استبراء

وَلَـكِنَّهُمْ جَـدُّوا الـمَسِيرَ لِيَلْحَقُوا * بِـمَنْ قَـدْ مَضَـى مِنْهُمْ وَحِمْلُهُمْ خَفَّا
وَقَـدْ ثَـقُلَتْ أَحْمَالُنَا بَـعْـدَ بُـعْدِهِمْ * وَقَـدْ سَـقَطَتْ وَالـدَّهْرُ يُـنْسِفُنَا[1] نَـسْفَا
لِـنَـبْكِ عَـلَـيْنَا ثُـمَّ نَـبْـكِ عَـلَيْهِمُ * وَنَـبْـكِي وَنَـسْتَبْكِي إِذَا دَمْعُنَا جَـفَّا
أَأَحْـبَـابَنَا وَالـدَّهْـرُ يَـضْـحَـكُ لِـلـعِدَا * وَيُـشْـمِـتُـهُمْ فِـيـنَا وَأَنْـفُـسُـهُمْ تُـشْـفَى
وَقَــدْ ذَهَـبَـتْ سَـادَاتُـنَا وَسُـرَاتُـنَـا[2] * وَصِرْنَا سُكَارَى بَلْ أُسَارَى نَرَى الخَسْفَا
لَـقَدْ خَـانَـنَا فِـيـهِمْ زَمَـانٌ يَـسُـومُـنَا * بِـسُـوءِ عَــذَابٍ مِــنْ فِـرَاقِـهِمُ عُـنْـفَا
وَلَا يَـطْـمَـئِنُّ الـصَّـدْرُ مِـنَّا بِـسَـيِّدٍ * بَــدَا مِـنْـهُـمُ إِلَّا وَيَـخْـطِفُـهُ خَـطْـفَا
فَـنَشْكُو إِلَــى الـمَوْلَى مَـكَايِدَهُ بِـنَا * وَمَـا قَـدْ لَقِينَا مِـنْ مُـصَابٍ بِنَا احْتَفَّا
أُصِـبْنَا بِـفَقْدِ الـصَّالِحِينَ وَلَـمْ يَـزَلْ * يَـحُوزُهُمُ الدَّهْرُ الـخَئُونُ وَمَـا اسْتَوْفَى
فَقَدْنَا رَسُــولَ اللَّهِ مِــنْ قَـبْلِ شَيْخِنَا * وَمِـنْ بَعْدِ هَذَا قَدْ فَقَدْنَا ابْنَهُ الأَوْفَى
فَـكَـانَ لَـنَـا فَـقْـدُ الـثَّـلَاثَةِ عِـبْـرَةً * بِـهَا عَـبَرَاتُ العَيْنِ قَـدْ ذَرَفَـتْ ذَرْفَـا
فَـأَمَّـا رَسُــولُ اللَّهِ لَــوْ دَامَ لَانْـجَلَتْ * غُـمُومًا غُـمُومٌ لَا أُطِـيقُ لَـهَا وَصْـفَا
وَفِـي مَوْتِـهِ فِـي فَقْدِ مَنْ مَاتَ أُسْوَةٌ * نُـسَلِّي بِـهَـا قَلْبًا بِـحُزْنٍ قَـدِ الْـتَفَّا
وَفِـي فَقْدِنَا الـشَّيْخِ التِّجَانِي مُصِيبَةٌ * وَأَيُّ مُـصَـابٍ قَــدْ رَجَـفْـنَا بِــهِ رَجْـفَا[3]
وَكُــنَّـا بِـمَـوْلَانَـا الـبَـشِيرِ سَلِيلِهِ * نُسَلِّي نُفُوسًا نَـارُهَا بَـعْدُ لَا تُطْفَى
فَـكَـانَ وَحَــقِّ اللَّهِ قُـطْـبَ زَمَـانِـهِ * وَأَنْــوَارُهُ بَـيْـنَ الـعَـوَالِمِ لَا تَـخْـفَى
وَكُـنَّا نُـبَاهِي فِـي الـزَّمَانِ بِـهِ عَـلَى * أَعَــادٍ بِــهِ كُـنَّـا جَـذَعْـنَا لَـهُـمْ أَنْـفَـا
لِأَنَّ الـعُـلَا أَضْـحَـتْ بِــهِ مُسْتَنِيرَةً * وَلَـيْسَ لَـهُ فِـي الفَضْلِ فِي عَصْرِهِ أَكْفَا[4]
فَيَا فَـوْزَ مَـنْ قَـدْ كَـانَ مِنْهُ حَوَى المُنَى * وَيَـا سَـعْدَ مَـنْ فِـي وَجْهِهِ مَتَّعَ الـطَّرْفَا[5]
وَكُـنْـتُ أُمَـنِّـي الـنَّـفْسَ مِـنِّـي أَزُورُهُ * فَيَا لَـهْفَ نَـفْسِي فِـي الَّـذِي فَـاتَهَا لَـهْفَا
أُعَـلِّـلُـهَـا أَنِّـــي أَزُورُ مَـقَــامَـهُ * فَـأُحْرِزَ مِـنْهُ الـقَصْدَ وَالـفَتْحَ وَالـعَطْفَا

---

(1) ينسفنا : يدكنا ويقلعنا
(2) سراتنا : أفاضلنا
(3) رجف : اضطرب اضطرابا شديدا، وارتعشت يده من فزع وخوف
(4) أكفا : من الكفؤ وهو المماثل
(5) الطرف : العين

وَكُـنْـتُ قَـرِيـرَ الـعَيْـنِ طُـولَ حَـيَاتِـهِ * أُؤَمِّـــلُ أَنْ أَلْـقَـاهُ أَسْـتَـمْـنِـحُ الـزُّلْـفَـى[1]
إِلَـى أَنْ رَمَـانَا الـدَّهْرُ عَنْ غـرَّةٍ[2] بِـمَا * بِـهِ الشَّمْسُ صَارَتْ فِيهِ مَكْسُوفَةً كَسْفَا
فَـأَصْـبَـحَـتِ الآفَـــاقُ مُـظْـلِـمَـةً بِـــهِ * وَأَمْسَـتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْ أَجْلِهِ غُلْفَا[3]
فَـلَـسْـتَ تَـــرَى إِلَّا كَـئِيبًا[4] وَوَاجِــدًا * عَـلَـيْـهِ وَلَا صَــبْـرٌ لَـدَيْـنَـا وَلَا إِغْـفَـا
فَـلِـلَّـهِ مَـــا أَعْـطَـى وَلِـلَّـهِ أَخْـــذُهُ * وَلِـلَّـهِ مَـــا أَبْـــدَى وَلِـلَّـهِ مَـــا أَخْـفَـى
فَـنَـسْـأَلُـهُ سُـبْـحَـانَـهُ أَنْ يَـحُـفَّـهُ * بِرِضْـوَانِـهِ حَـتَّى نَـقُولَ قَـدِ اسْتَكْفَى
وَيَـمْـنَـحُـنَا مِـــمَّـــا حَــبَــاهُ كَــرَامَــةً * وَيُـولِـينَا مِـنْ وُرُودِهِ المَوْرِدَ الأَصْـفَى[5]

وكانت وفاة سيدنا ومولانا محمد البشير قدس سره بتاريخ ليلة السبت 3 جمادى الثانية في الساعة 11 بكردان[6]، وبمجرد وفاته نقل لعين ماضي، بعدما كان استودعه سيدنا محمود رضي الله عنه، فبلغه نعيه وهو بالجزائر، فرجع لحضور جنازته، فوجده قد دفن بحذاء أبيه سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه بزاوية عين ماضي. وقد كنت قبل هذا الوقت استعملت قصيدة في مدحه لا بأس بذكرها في هذا المحل ونصها :

حَـــرُّ الـصَّبَابَـةِ فِـــي الأَحْـشَـاءِ مَـوْقُـودُ * وَالـصَّبْـرُ مِـــنْ خَـلَـدِي[7] بِـالـشَّـوْقِ مَـفْـقُـودُ
لَـــوْلَا انْـسِـكَابُ دُمُـوعٍ بِـالـدِّمَا مُـزِجَـتْ * لَـــذَابَ قَـلْـبِـي الَّـذِي بِـالـبَـيْـنِ مَـقْـدُودُ[8]

---

(1) الزلفى : القربى والمنزلة والروضة
(2) عن غرة : عن غفلة
(3) قلوب غلف : أي غير راشدة، ومنها قوله تعالى : وقالوا قلوبنا غلف
(4) كئيبا : حزينا
(5) انظر هذه القصيدة في كتاب النفحات الربانية في الأمداح التجانية للعلامة سكيرج ص 100.
(6) كردان : قرية صغيرة بجوار عين ماضي، مدحها بعض أدباء الطريقة بقصيدة نونية جميلة قال في مطلعها : :

كردان يا كردان يا كردان * كردان ما أدراك ما كردان

(7) الخلد : البال والنفس
(8) مقدود : مقطوع

تَـرْعَـى النُّجُومُ جُفُونِي فِـي مَطَالِعِهَا * وَمَــا جَـفَـانِي مَــدَى الأَيَّـامِ تَسْـهِيـدُ[1]
وَكُـــلَّ كُــلُّ رَقِـيــبٍ كَـاشِــحٍ[2] وَرَثَــى * لِـحَالَتِي عَـــاذِلٌ فِــي الـلَّـوْمِ مَـجْهُـودُ
مَــا ضَـرَّنِـي لَــوْمُ عُـذَّالِي إِذَا سَمَحَتْ * لِـــي بِـالـوِصَالِ فَـتَـاةٌ جُنْـدُهَا الـغِيـدُ[3]
جَــادَتْ عَـلَـيَّ بِـوَصْـلٍ عِنْدَمَا عَلِمَتْ * بِــأَنَّـنِـي عَــبْـدُهَا بِــالـحُـبِّ مَـصْـفُـودُ[4]
هِــيَ الفَـرِيدَةُ فِـي حُسْنٍ كَمَا انْفَرَدَ الـ * ـمَــوْلَـى البَـشِيرُ بِـفَضْـلٍ فِـيـهِ مَـوْجُـودُ
كَـنْزُ الفَضَائِلِ مَقْصُـودُ الأَفَـاضِلِ فِـي * كُــلِّ الـمُـهِمَّاتِ مَـــنْ بِـالـخَيْـرِ مَشْـهُـودُ
خَلِيفَـةُ الـخَـتْـمِ بَـــلْ سَـلِيلُ وَارِثِـــهِ * فَـحَـبَّـــذَا وَالِـــــدٌ وَنِـــعْــمَ مَـــوْلُـــودُ
سِـبْـطُ التِّجَانِي الَّــذِي سَـمَتْ مَكَانَتُهُ * فِــي الـمَـجْدِ وَهْــوَ لِـكُلِّ الـخَيْرِ مَعْدُودُ
هُـــوَ الـهُـمَامُ الَّـــذِي طَـابَـتْ سَـرِيرَتُهُ * بِـــحُـــسْـــنِ سِـيـرَتِـهِ لِـلـدِّيـنِ تَـشْـيِّـيـدُ
قُـطْبُ الـعُلَا كَوْثَرُ العِرْفَانِ مَـنْ نَبَعَتْ * مِـنْـهُ الـمَـعَارِفُ وَهْــوَ الـحَوْضُ مَـوْرُودُ
شَمْسُ الضُّحَى كَوْكَبُ الأَكْـوَانِ مَنْ سَـطَ * ـعَتْ دُجَى الغُمُومِ بِـــهِ وَالـشَّـكُّ مَـطْـرُودُ
غَـــوْثُ الـخَلَائِقِ مَـــنْ بِـفَضْلِهِ شَـهِدَتْ * لَـــهُ الأَعَـــادِي وَهَـــلْ فِـــي الـحَقِّ تَـرْدِيدُ
غَـيْثُ النَّدَى العَابِدُ الأَوَّاهُ[5] مَـنْ خَضَعَتْ * لَـــهُ الــرِّقَـابُ وَفِــيـهِ الـخَـيْرُ مَـحْـشُـودُ[6]
قَــدِ اسْـتَـبَدَّ[7] بِـبَـذْلِ الـوَفْـرِ مُـنْشَـرِحًا * فَــكَـانَ مِــنْـهُ لِـجَـيْشِ الـفَـقْرِ تَـبْـدِيدُ
يَـــا سَـيِّـدِي عَـطْـفَةً أَرْجُـــو أَفُـــوزُ بِـهَـا * دُنْـيَـا وَأُخْــرَى فَـحَـبْلُ الـحُـبِّ مَـعْـقُـودُ
حَـاشَـا يَـخِـيبُ الَّـــذِي قَـــدْ أَمَّ[8] بَـابَكَ أَنْ * يَــغْــدُو بِـــلَا وَطَـــرٍ وَدَأْبُـــكَ الــجُــودُ
لَا زِلْـتَ كَوْكَبَ سَعْدٍ فِـي سَمَاءِ هُـدَى * وَكَـــوْثَـــرًا لِــنَـــوَالِ الـــسِّـــرِّ مَـقْـصُـودُ[9]

---

(1) تسهيد : الأرق
(2) كاشح : خصم معادي
(3) الغيد : اسم بمعنى النعومة
(4) مصفود : مقيد وموثوق
(5) الأواه : الكثير الدعاء، ومنه قوله تعالى : إن إبراهيم لأواه حليم
(6) محشود : مجموع
(7) استبد : انفرد
(8) أم بابه : قصده
(9) انظر هذه القصيدة في كتاب النفحات الربانية للعلامة سكيرج ص 48 وفي كشف الحجاب لنفس العلامة ص 67.

وكنت قلت في مدح سيدنا محمد الحبيب[1] قدس سره هذه الأبيات :

فُـؤَادِي بِـالصَّبَابَةِ فِـيكَ عَـانِ * فَـدَارِكْـنِي فَـإِنِّـي فِـيـكَ فَانِي
وَقَـصِّرْ مِـنْ جَـفَاكَ وَلَا تَزِدْنِي * عَـذَابًا لَـيْـسَ يُـحْصِلُهُ جَنَانِي
أَمَـا يَـكْفِيكَ مَـا كَـابَدْتُ فِـيهِ * مِـنَ الـشَّوْقِ الَّذِي فِيهِ امْتِحَانِي
أَمَـا وَاللَّهِ مَـا لِـسِـوَاكَ مَيْلِي * يَـكُونُ سِوَى لِمَدْحِ ابْـنِ التِّجَانِي
مُـحَمَّدٍ الـحَبِيبِ أَخُـو الـمَعَالِي * وَمَنْ هُوَ فِـي العُلَا قُطْبُ الزَّمَانِ
وَمَـنْ هُـوَ مُـفْرِدٌ بَـيْنَ الـبَرَايَا * تَـفَرَّدَ فِـي الـكَمَالِ بِرَفْعِ شَـانِ
وَمَـنْ هُـوَ مَـعْدِنٌ لِلْخَيْرِ حَـقًّا * وَلَيْسَ لَـهُ يُرَى فِـي الفَضْلِ ثَانِ
وَمَـنْ هُـوَ مَلْجَئٌ فِـي كُلِّ خَطْبٍ * وَمَنْ هُوَ فِي الوَرَى كَهْفُ الأَمَانِي
هُـوَ الـقُطْبُ الَّـذِي دَارَتْ عَلَيْهِ * دَوَائِـــرُ كُـــلِّ خَـيْـرٍ وَامْـتِـنَـانِ
هُـوَ الـغَوْثُ الَّـذِي تُـنْمَى إِلَيْهِ * جَـمِيعُ الـمَكْرُمَاتِ بِـلَا تَـوَانِ
لَـقَدْ نَـالَ الـخِلَافَةَ مِـنْ أَبِـيهِ * كَـمَا حَـازَ الـتَّصَرُّفَ بِـالعِيَانِ
وَنَـالَ مَـكَانَـةً فِــي الـعِزِّ تَعْلُو * فَـصَارَ مَـقَامُهُ أَعْـلَى مَـكَانِ
فَـإِنْ نَـادَيْتَهُ فِـي نَـيْلِ قَـصْدٍ * فَـإِنَّـكَ مِـنْـهُ تَـحْظَى بِـالأَمَانِي
إِلَـيْـكَ بِـجَـاهِهِ يَـا رَبِّ أَدْعُـو * أَجِـرْنِي مِـنْ زَمَـانٍ قَـدْ دَهَانِي

(1) سيدي محمد الحبيب بن الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، ازداد بمدينة فاس عام 1215هـ، وأمه هي السيدة الفاضلة (امبريكة)، كان عمره عند وفاة والده 15 سنة، ولم تزد مدة مكوثه بفاس بعد وفاة والده رضي الله عنه على تسعة أشهر، حيث هاجر إلى قرية عين ماضي بالصحراء الشرقية صحبة أخيه سيدي محمد الكبير والخليفة القطب سيدي الحاج علي التماسيني.

وقبل وفاته بأربع سنوات أدى رضي الله عنه فريضة الحج مع الركب الطرابلسي برا، وكان ذلك عام 1265هـ، وحج رفقته في ذلك الموسم جماعة من الأخيار من أهل الطريقة الأحمدية التجانية، ولما حل ببلاد مصر قدم العلماء والأفاضل لزيارته، فلم يكلم واحدا منهم، وذلك لاشتغاله بنفسه وأذكاره، كما أنه خاف عليهم من تضررهم بمذاكرته، نظر لعدم معرفته بقواعد اللغة العربية التي تخول للمطلع عليها تبادل أطراف الحديث بطلاقة، وبعد رجوعه لعين ماضي انكب على قراءة النحو والصرف وما إلى ذلك، فبرع فيه خلال وقت وجيز، وكانت وفاته رحمه الله بتاريخ يوم السبت فاتح جمادى الثانية عام 1267هـ، وعمره وقتئذ 52 سنة، ودفن مع ابنه سيدي أحمد المتوفي في حياته في قبة واحدة،

وَخُـذْ بِيَـدِيَ وَاسْتُرْ لِـي عُـيُوبِي * وَلَا تَـجْعَـلْ رَجَائِي فِـي امْـتِهَانِ
وَجَـاهِ الْمُـصْـطَفَى خَـيْرِ الْبَـرَايَا * وَجَـاهِ ذَوِيــهِ أَصْـحَـابِ الـتَّـدَانِي
عَـلَيْـهِ مَـعَ الْـجَمِيعِ بِـلَا انْـتِهَاءِ * صَـــلَاةُ اللَّهِ تَـتْـرَا كُـــلَّ آنِ [1]

وقد ذكرتها مع ما قبلها في كشف الحجاب عمن تلاقى مع القطب التجاني من الأصحاب، وذكرتهما هنا لمناسبة الموضوع، وقد كنت وجهت لسيدنا محمود رضي الله عنه قصيدة في مدحه ومدح والده وجده قدس الله أرواحهم، نذكرها في هذا المحل، ونصها :

بِـمُـهْـجَتِي الـشَّـوْقُ لِـلأَحِبَّةِ اتَّـقَـدَا * وَالـصَّبْرُ مِنِّي عَلَى مَدَى النَّوَى [2] فُقِدَا
يَـا هَـلْ تُـرَى زَمَنِي يَوْمًا يُـسَاعِدُنِي * بِقُـرْبِـهِمْ فَـأُرَى مِـنْ جُمْلَةِ الـسُّـعَدَا
خَلَعْتُ ثَـوْبَ اصْـطِبَارِي فِـي غَـرَامِهِمُ * وَبَـعْـدَهُ بِـالـنُّـحُـولِ قَـدْ لَـبِسْتُ رِدَا
تَـرَكْـتُ غَـيْرَهُـمُ مِـنْ أَجْـلِ غِـيرَتِـهِمْ * حَتَّـى بِـهِمْ قَدْ سَلَوْتُ الأَهْلَ وَالْـوَلَدَا
جَـعَـلْـتُ حُـبَّـهُـمُ ذُخْـــرِي وَمَـدْحَـهُـمُ * تَـجْرًا بِـهِ الْـيَوْمَ رِبْـحِي قَدْ غَدَا وَغَدَا
هُـمْ سَادَتِـي وَأَنَـا فِـي الـنَّاسِ عَبْدُهُمُ * عَـلَيْهِمُ فِـي أُمُـورِي صِـرْتُ مُعْتَمِدَا
قَـدْ عَـظَّمَ اللَّهُ فِـي الْـوُجُـودِ قَدْرَهُمُ * حَتَّى غَـدَا مِثْلُهُمْ فِي الْجُودِ مَا وُجِدَا
وَتُـوِّجُـوا فِــي الْـعُـلَا تِـيجَانَ مَـكْرُمَةٍ * وَفِـي مَـعَـالِي الْـعُـلَا مَـقَـامُهُمْ صَعِدَا
كُـلُّ الْـوَرَى بِـكَمَالِ فَـضْلِهِمْ شَـهِدُوا * حَتَّـى الْـعِدَا قَدْ غَـدَوْا لَـهُمْ بِـهِ شُـهَدَا
مَـنْ ذَا الَّـذِي فِـي الأَنَامِ لَا يَقِرُّ [3] لَـهُمْ * بِـالْفَضْلِ قُـلْ لِي فَمَنْ بِفَضْلِهِمْ جَحَدَا
مَـنْ يَـجْحَدِ الشَّمْسَ يَوْمًا وَهْيَ طَالِعَةٌ * أَوْ يُـنْـكِرِ الـنُّـورَ مِـنْهَا وَهْـوَ قَدْ شُـهِدَا
اللَّهُ أَكْـبَـرُ مَـا فِــي الْـكَوْنِ مِـثْـلُـهُمُ * بَـعْـدَ الـنَّـبِـيِّ وَبَـعْـدَ صَـحْـبِـهِ أَبَـدَا
فَـمَـا أَحَـبَّـهُـمُ إِلَّا الـسَّـعِيدُ وَمَـــا * فِـي الـنَّاسِ يُـبْغِضُهُمْ إِلَّا الَّـذِي طُـرِدَا
لَا أَحْــرَمَ اللَّهُ نَـفْـسِي مِـنْ لِـقَـائِـهِمُ * قَـبْـلَ الْـمَـمَاتِ عَـسَى بِـهِمْ أَنَـالَ هُـدَى

(1) انظر هذه القصيدة في كتاب النفحات الربانية للعلامة سكيرج ص 87.
(2) النوى : البعد
(3) يقر : يعترف

كُـلُّ الَّـذِي لَا يُـرَى عَـلَيْهِ طَابَعَهُمْ * فَـإِنَّـهُ لَــمْ يَــزَلْ رَسْـمًـا بِـغَـيْـرِ أَدَا[1]
إِنِّــي بِـنَـفْـسِـيَ أَفْـدِيـهِـمْ وَأَسْـأَلُـهُـمْ * قَبُـولَ نَفْسِي لَهُمْ فِي العَالَمِينَ فِدَا
يَـا قَـوْمِ إِنْ تَـسْأَلُوا عَـنْ سَـادَتِي فَـهُمُ * مَـنْ فَـضْلُهُمْ فِـي جَمِيعِ الكَائِنَاتِ بَدَا
مِنْ نَسْلِ شَيْخِي التِّجَانِي مَنْ لَهُ اشْتَهَـ * ـرَتْ فَـضَـائِـلُ كَـمُـلَتْ وَبِـالعُـلَا انْـفَـرَدَا
فَـهْـوَ الـوَلِـيُّ الَّـذِي أَوْرَادُهُ عَـظُـمَـتْ * مُـرِيدُهَا فِــي ضَـمَانَـةِ الـنَّـبِيِّ غَــدَا
طَـرِيقَـةٌ مِــنْ رَسُــولِ اللَّهِ جَــاءَ بِـهَا * مَـنْ سَـارَ فِيهَا يَنَالُ فِـي الوَرَى رَشَدَا
يَا فَوْزَ مَنْ صَارَ مِنْ أَصْحَابِهِ الفُضَلَا * أَوْ مِــنْ مَــوَارِدِهِ الَّـتِي صَـفَـتْ وُرُدَا
قَـدْ كَـانَ لِلْأَوْلِيَا خَتْـمًا بِـهِ فُـتِّحَتْ * بَـابُ النَّـجَاةِ الَّتِي مَـنْ أَمَّـهَا سَـعِدَا
يَــا قَــوْمِ إِنَّ التِّـجَانِي حَـلَّ مَـرْتَـبَـةً * فِـي الـمَـجْدِ لَـسْـتُمْ تَـرَوْنَ مِـثْلَهُ أَحَـدَا
أَوْلَادُهُ فِــي الـوَرَى أَحْـكَامُهُمْ نَـفَـدَتْ * وَفَـضْـلُـهُـمْ لِـلَّذِي يُـحْـصِـيهِ مَـا نَـفَـدَا
لَــوْ أَنَّ كُــلَّ الــوَرَى عَــدُّوا مَـنَـاقِـبَهُمْ * لَـمْ يَـبْلُغُوا حَـصْرَ مَـا قَـدْ أَحْـرَزُوا أَبَـدَا
فَـكُـلُّـهُـمْ سَــادَةٌ فَـاقُـوا الـوَرَى شَـرَفًـا * يَــا حَـبَّـذَا وَالِــدٌ وَنِـعْـمَ مَــا وَلَــدَا
إِذَا الـبَـشِـيرُ أَتَــى مِــنَ الـحَـبِيبِ فَـقَـدْ * أَتَـى بِـمَـحْمُودِ سَـعْيٍ فِـي الـوَرَى حُـمِدَا
أَمَّـــا مُــحَــمَّــدٌ الــحَــبِــيبُ سَــيِّــدُنَــا * فَـكَـانَ فِـي حَـوْمَةِ الـوَغَى[2] يُـرَى أَسَـدَا
وَنَـالَ أَعْـلَـى مَـقَامٍ فِـي الوِلَايَـةِ فِـي * زَمَــانِــهِ وَغَـــدَا لِـلْأَوْلِـيَـا سَـنَـدَا
وَبَــعْــدَهُ جَــاءَنَــا الـبَـشِـيرُ سَـيِّـدُنَـا * قُـطْـبُ الـزَّمَانِ الَّـذِي مَـا فَـضْلُهُ جُـحِدَا
خَـلِـيفَـةُ الـمُـصْطَـفَى وَنَـجْـلُ وَارِثِـهِ * وَمَــنْ بِـسِـرِّ الـتِّـجَانِي صَـارَ مُـنْفَرِدَا
أَعْـظِـمْ بِــهِ سَـيِّـدًا اللَّهُ صَــرَّفَـهُ * فِـي الـكَوْنِ رَغْـمًا لِأَنْفِ مَنْ لَهُ حَسَدَا
إِذَا اعْـتَـقَـدْنَـا بِـــأَنَّ اللَّهَ شَـــرَّفَـهُ * عَـلَى سِـوَاهُ فَـلَا تَـخْشَى الَّـذِي انْتَقَدَا
وَنَـجْـلُهُ الـمُـرْتَـقَى الـمَـحْـمُودُ سَـيِّدُنَا * مَـحْمُودُ فِـي النَّاسِ كُلُّ الخَيْرِ مِنْهُ بَدَا
قَـدْ جَـلَّ مِـقْدَارُهُ فِـي العَـالَمِينَ عَـلَا * وَفَـضْلُهُ قَـدْ جَـلَا مُـذْ صَـارَ بَـحْرَ نَـدَى
وَحَـــلَّ مَــرْتَـبَـةً لِـمَـجْـدِهَا خَـضَـعَـتْ * أُسْـدُ الـشَّرَى وَلَـهَا رَأْسُ العُـلَا سَـجَدَا
وَاللَّهُ تَــوَّجَــهُ تَـــاجَ الـخِـلَافَـةِ فِــي * زَمَـانِـنَـا وَغَـــدَا غَـوْثًـا لِـكُـلِّ نِــدَا
أَضَــاءَ نَـهْـجَ الـهُـدَى لِـلـمُـقْتَدِينَ بِـهِ * وَكُـــلُّ مَـــنْ أَمَّـــهُ يَـنَـالُ مِـنْـهُ هُــدَى

---

(1) بغير أدا : يعني بغير أداء، وخففت لضرورة الشعرية

(2) الوغى : الحرب

قَدْ شَبَّ فِي طَاعَةِ الـمَوْلَى وَخِدْمَتِهِ * وَلَـمْ يَـزَلْ فِـي اتِّبَاعِ الـحَقِّ مُجْتَهِدَا
يُرَى حَرِيصًا عَلَى فِعْلِ الجَمِيلِ وَفِي * دُنْـيَاهُ بَـيْنَ الـوَرَى لِـلَّهِ قَـدْ زَهِـدَا
لَا زَالَ سَـيِّـدُنَـا بِـالـحِـفْـظِ مُـهْـتَـدِيًا * وَهَـادِيًـا لِـطَـرِيـقٍ أَهْـلُـهَـا سُـعَـدَا
لَا زَالَ مَـحْـمُـودَ سَـعْـيٍ رَاقِـيًا رُتَـبًا * تَرْقَى بِـهِ فِـي العُلَا أَوْجَ الـعُلَا أَبَدَا
وَنَـسْـأَلُ اللَّهَ أَنْ يَـزِيـدَهُ شَـرَفًـا * حَتَّى يُرَى فِي الوَرَى بِالفَضْلِ مُنْفَرِدَا
مَـوْلَايَ مَـوْلَايَ يَـا مَحْمُودُ يَا أَمَلِي * يَـا مَـنْ يَـجُودُ لِـمَنْ إِلَيْهِ مَـدَّ يَـدَا
إِنِّي مَدَدْتُ يَدِي فِي النَّاسِ مُفْتَقِرًا * إِلَيْكَ خُـذْ بِـيَدِي فِي دَفْعِ كُلِّ رَدَى
فَـانْـظُرْ إِلَــيَّ بِـعَـطْـفَـةٍ أَنَــالُ بِـهَـا * مِـنْ بَحْرِكُمْ سَادَتِي بَيْنَ الـوَرَى مَدَدَا
وَلْـتَـسْـأَلُوا اللَّهَ لِــي بِـجَـاهِ جَـدِّكُـمُ * إِصْلَاحَ نَفْسِي فَقَلْبِي بِالهَوَى فَسَدَا
وَلْـتَـعْـطِـفُوا سَـادَتِـي عَـلَـى عُـبَـيْـدِكُمُ * وَلْـتَرْحَمُوا مَـنْ عَـلَى حِـمَاكُمُ اسْتَنَدَا
فَـأَنْـتُـمُ سَـادَتِـي مَـحَـلُّ مَـكْـرُمَـةٍ * وَحَـاشَـاكُمْ أَنْ يَـخِيبَ مَـنْ لَـهُ قَـصَدَا
عَـلَـيْـكُـمُ وَعَـلَـى مَـنِ انْـتَـمَى لَـكُـمُ * أَزْكَـى الـتَّـحِيَّةِ مَـا حَـادٍ حَـدَا وَشَـدَا[1]

وقد كنت وجهت لسيدنا محمود رضي الله عنه هذه القصيدة قبل هذا الإبان بزمان، فحلت عنده محل القبول، ودعا لنا ببلوغ السول، وقد كانت سبب معرفته بي، حتى أنه لما قرأها ودخل لمحله، وخطرت القصيدة بباله، إلا أنه نسي ناظمها ما اسمه، فسمع قائلا في أذنه يقول له : ناظمها سكيرج، حسبما أخبرني بذلك من كان وجهها له على يده، ففرحت بذلك أتم فرح، وقلت لنفسي مبشرا لها بكشف الحرج، متمثلا بقول بعض الأكابر ممن رقى أعلى الدرج :

لَكَ البِشَارَةُ فَاخْلَعْ مَا عَلَيْكَ فَقَدْ * ذُكِرْتَ ثَمَّ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عِوَجِ[2]

ثم إن المولى جل اسمه، أنعم علينا بقدومه لهذا القطر السعيد، وكان يوم قدومه يوم عيد، فرأيناه والحمد لله من غير تعب ولا مشقة، بعد أن انكسر خاطري من عدم زيارته، حيث شددت الرحلة

---

(1) أنظر هذه القصيدة كذلك في كتاب النفحات الربانية في الأمداح التجانية للعلامة سكيرج ص 54.
(2) هو آخر بيت من قصيدة للعارف بالله ابن الفارض قال في مطلعها :
ما بين معترك الأحداق والمهج * أنا القتيل بلا إثم ولا حرج

بقصد الذهاب إلى عين ماضي من طنجة في رحلتنا الوهرانية[1]، ولم يقدر المولى الوصول لتلك البقعة الشريفة، لموانع اقتضاها الوقت والحال، فرجعت من حيث أتيت إلى أن وصلت لفاس، منكسر القلب، مطأطئ الرأس،

وكنت أتمنى الوصول لذلك المقام، لنزوره ونزور بقية أولاد سيدنا رضي الله عنهم، ونطالع هناك نسخة جواهر المعاني التي هي بخط مؤلفها الخليفة الأفخم سيدي الحاج علي حرازم قدس سره، المكتوب على أولها وآخرها بخط سيدنا الشيخ رضي الله عنه تصحيحه لها، وأن العمل عليها لا على غيرها مما خالفها من النسخ[2]، وعزمت على أن أقابل إحدى النسخ بها، لما أنا متشوف إليه بهمة الشيخ رضي الله عنه وأرضاه من شرحها بشرح يكون حافظا لها بحول الله وقوته من التدليس، ويبين ما انطوت عليه من خبايا الأسرار، ورفع ما يشكل على مطالعها في بعض المواضع من التلبيس، لأن جل النسخ الموجودة بيد الإخوان فيها بعض مخالفة في مواضع بزيادة أو نقصان.

ولا شك أن الشرح يضبط المشروح في الغالب، خصوصا إذا حفت العناية الشارح بنظرة خصوصية من ذي قلب مفتوح. ولم تحملني على الإقدام على ذلك إلا نظرة تجانية ونفحة عرفانية، هبت علينا

---

(1) الرحلة الحبيبية الوهرانية، الجامعة للطائف العرفانية، طبعت بخط المؤلف بالمطبعة الحجرية بفاس عام 1329هـ 1911م، في 142 صفحة، ويحتوي هذا التصنيف على تراجم مفيدة لبعض الأعلام الذين اجتمع بهم المؤلف في رحلته المذكورة، مع فوائد وفرائد كثيرة، وتقاييد وقصائد وأشعار بديعة، ولهذا قال فيها مقرضها العلامة الأديب مولاي عبد السلام بن محمد العلوي :

إذا رحلة الشيخ العياشي لم تكن * لديك فقد أغنتك رحلة نجله

جناب أبي العباس أحمد ذي العلا * سكيرج فرع طيبه طيب أصله

من الخزرج الشم الكرام نجاره * ومن أسرة الأنصار أسرة نسله

(2) ذكر العلامة سكيرج في كتابه تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني ما نصه : ووجدت مكتوبا بخط سيدنا رضي الله عنه في آخر ورقة من كتاب جواهر المعاني المكتوب بخط مؤلفه الواسطة المعظم سيدي الحاج علي حرازم ما نصه : يقول العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني : قد كمل تهذيب هذا الكتاب وتنقيحه، وانفتحت بعون الله عز وجل مساره وتفريحه، برواية عنا وسماع منا، فلا جرم أن العمل فيه على هذه النسخة المكتوب على آخرها هذا الرسم، وأن ما سواها من النسخ راجعة إلى هذه، وكل ما فيها مما يخالف هذه النسخة يجب تركه، وأجزت في جميع ما فيها راويها عنا سيدي الحاج علي حرازم جامعها، إذ كل ما فيها أمليناه عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

من شيخنا العارف بالله، الدال على الله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي[1] رضي الله عنه وأرضاه

---

(1) الفقيه البركة المقدم سيدي أحمد بن محمد بن قويدر العبدلاوي بن محمد بن عبد المومن بن بلقاسم بن الولي الصالح سيدي عبد الله الشريف دفين باب سيدي عبد الله من الحاضرة التونسية، و هو من مواليد شهر شعبان الأبرك عام 1230هـ قبل وفاة الشيخ سيدي أحمد التجاني بشهرين بقرية العلية بالصحراء من عمالة توكورت، قرب تامسين، وحضر لسابع ولادته جمع من أفاضل أصحاب الشيخ رضي الله تعالى عنه، من بينهم القطب الخليفة سيدي الحاج علي التماسيني،

حفظ القرآن الكريم في صغره بقرية أولاد جلال، من عمالة بسكرة بالقطر الجزائري، وكان رحمه الله ملازما لسيدي محمد الحبيب نجل الشيخ التجاني رضي الله عنه سفرا وحضرا لا يفارقه إلا قليلا، وكان لديه أخا وحبيبا ورفيقا، فهو خزانة أسراره، وجليسه في المذاكرة والمسامرة في ليله ونهاره، إلى أن توفي سيدي محمد الحبيب وهو عنه راض.

وفي سنة 1288هـ ارتحل سيدي أحمد العبدلاوي عن قرية عين ماضي ليستقر نهائيا بمدينة فاس، وفي حقه قال العلامة أكنسوس في رسالة وجهها لأبي المواهب سيدي محمد العربي بن السائح ما نصه بعد كلام : وقد أتحفتمونا بورود هذا السيد الجليل القدر، المبني دينه وجميع أموره على أثبت جدر، سيدي أحمد العبدلاوي، فإننا ما ورد علينا مثله من تلك النواحي، وقد أحيا الله به قلوبنا بعد مناهزة الممات، وأفادنا من الفوائد والمعارف ما تنتعش بها العظام الرفات، إلخ ..

وفي حقه قال العلامة سكيرج في كتابه رفع النقاب ج 3 ص 203 : وقد لازم الجلوس بداره مدة، وكان مع كبر سنه الذي ناهز فيه المائة سنة سالم الذات، من جميع العاهات، حتى أنه كان يقرأ الخط الرقيق بلا نظارتين، ويقول لي ما قاله بعض العارفين : جوارح حفظناها في الصغر فحفظها الحق علينا في الكبر.إلخ... ودخلت عليه مرة فقال لي : إن ملك الموت جاء إلي وهو لابس للباس أزرق، وأعطاني سبحة حباتها من جهتي الشاهد ضعيفة، حتى كأنها ليست من جنس الحبات الآخر، فعرفت بذلك أني أناهز المائة، والحبات الضعيفة هي أول العمر وآخره. وبقي بمدينة فاس إلى أن لقي بها الله تعالى في الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس 24 رمضان عام 1328هـ، وكان عمره عند وفاته 98 سنة، ودفن رحمه الله بمقبرة روضة سيدي الطيب السفياني بباب عجيسة بفاس.

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة أحمد سكيرج رقم الترجمة 9، وفي كشف الحجاب لنفس المؤلف ص 200، وفي رفع النقاب للمؤلف نفسه ج 3 ص 201، وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 93. ثمرة الفنون في فوائد تقر بها العيون للعلامة سيدي أحمد سكيرج (مخطوط خاص) 94،100،103،110. الجواهر الغالية المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). تطبيب النفوس بما كتبته من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). النفحات الربانية في الأمداح التجانية، للمؤلف نفسه 26_28.

وعنا به، فإنه بشرني في بعض مبشراته بأني سأشرح هذه الجواهر[1]، وما ذلك على الله بعزيز، سائلا منه أن يصلح لنا الباطن والظاهر، وحين حركتني الأريحية لشرحها صممت على أن لا أشرع في ذلك

---

(1) المراد بذلك كتابه تيجان الغواني، في شرح جواهر المعاني، كان العلامة سيدي أحمد سكيرج رضي الله عنه شديد الإهتمام بكتاب جواهر المعاني، دائم المطالعة له، يدرسه ويتمعن في محتوياته، ويستغرق الأوقات الطوال في استخراج درر معانيه الدقيقة،

وقد وقفت له في هذا الإطار على رسالة بعثها لأحد تلامذته، قال في ضمنها: إني ولله الحمد أبذل الجهد في جمع هذا الكتاب وإخراجه، يعني كتاب تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، فإن وفقت إلى ذلك وأصبت فهو من عند الله، وله المنة، وإن كان غير ذلك فأستغفر الله، وعذري أني سأستفرغ في البحث جهدي، والله تعالى أسأل القبول، إنه تعالى على كل شيء قدير.

ومما وقفت عليه في هذا الصدد أيضا رسالة أخرى بعثها المؤلف لأستاذه العلامة سيدي عبد الكريم بنيس، قال له فيها: أما الداعي الذي دفعني لجمع هذا الكتاب، يعني كتاب تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، هو ضرورة الإلمام بكتاب جواهر المعاني وما احتواه من رسائل وتقاييد مولانا الختم أبي العباس التجاني رضي الله عنه، إلى غير ذلك من رد افتراءات المنكرين والمتشككين في بعض كلام سيدنا رضي الله عنه، وإظهار وجه الصواب في ذلك القول، مع التنبيه على أن سوء فهم قول سيدنا رضي الله عنه ليس بأمر هين، فإنه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام وكل ما يدل عليه من العلوم والحكم والدقائق والفهوم، إذ أن أجزاء الكلام يبين بعضها بعضا، للزوم التوافق بينها، والمعلوم أن الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع، فمن لم يتبين معنى مدلولاته أغلق عليه باب الإستيعاب، وأشكل عليه فهم السياق

قلت : وهو كتاب غير تام، لم يشرح المؤلف فيه ولو لفظا واحدا من كتاب الجواهر، واكتفى بذكر مزية هذا الكتاب وفضله العظيم، ثم تعرض لترجمة مؤلفه العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه، مع معالجة بعض المواضيع المشتبهة التي يثيرها المنكرون بهدف زرع الشك في اعتقادات الناس وإدخال الوسوسة فيها، ويعد هذا التأليف من أهم تآليف العلامة سكيرج، وذلك لما يحتوي عليه من فرائد وفوائد ومعلومات قيمة.

وقد وقفت بالخزانة السكيرجية على نسخة مخطوطة من هذا الكتاب، وعلى غلافها الأمامي كتب السلطان الأسبق مولانا عبد الحفيظ بقلم الرصاص ما نصه : تيجان المعاني، في جمع ما في الجامع وجواهر المعاني، مما أفاض من بحر الختم التجاني، سقانا الله من فيضه بأعظم الأواني، وذلك كعنوان بديل للعنوان الذي اختاره له مؤلفه، غير أن العنوان الذي اشتهر به الكتاب هو العنوان الأول، وهو الذي عليه المسار

ولا يفوتنا التنبيه على أننا قد أقدمنا على تحقيق هذا الكتاب وطبعه منذ سنوات، وأنه يقع في 200 صفحة، وفي آخره تقريظ فيلسوف الطريقة العلامة سيدي محمد الرافعي

إلا إذا اطلعت على النسخة المشار لها[1]، ولما لم يتيسر لي في الرحلة المذكورة الظفر بها تحققت بأن الإذن لم يحصل في ذلك، وأن من علامة الإذن التيسير[2]، حتى يسر الله قدوم سيدنا ومولانا محمود رضي الله عنه، ومعه هذه النسخة التي بمجرد اجتماعنا به أطلعنا عليها، وكأنه ما أتى بها إلا لنا، فذهبت بالجزء الأول منها، وبقي عندي أياما، فقابلت نسختي بها مع بعض النسخ[3]،
وكان مجمع المقابلة بالزاوية المباركة بفاس، بالسارية الميمونة، قبالة ضريح سيدنا رضي الله عنه[4]، بحضور فئة من خاصة الأعيان منهم شيخنا العلامة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس[5]، وهو السارد لها، ونحن الناظرون لنسخنا، مع حضور العلامة الذي انتفع به أهل الحواضر والبوادي، سيدي محمد الفاطمي الشرادي[6]، وجماعة من الإخوان، أصلح الله لي ولهم الشان، إلى أن كملت المقابلة،

---

(1) كانت هذه النسخة أولا في ملكية أبناء المؤلف العارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة، ثم نهبت مع متاع آخر بتاريخ عام 1232هـ ـ 1817م، وفي نفس هذه السنة وجدها الشريف المقدم سيدي عبد الواحد بن محمد بوغالب الجوطي عند بعض علماء فاس أثناء موسم الحج، فاشتراها منه بأربعة وعشرين مثقالا، ولما عاد بها لمدينة فاس حبسها على الزاوية الميمونة عام 1234هـ ـ 1819م، وذلك بعدما أعطى للمقدم الجليل سيدي بوعزة برادة مبلغا قدره 34 مثقالا دراهم مقابل تنازله له عنها.

(2) من كلام السادة الصوفية، علامة الإذن التيسير، وأما إِنْ وُجِدَتِ العقبَاتُ فهي علامةٌ على التعسير.

(3) وجدت في بعض رسائل العلامة سيدي أحمد سكيرج الموجهة لأخيه مؤرخ طنجة الفقيه السيد محمد سكيرج ما يفيد أنه احتفظ بالجزء الأول من النسخة الأصلية من كتاب الجواهر بمنزله مدة تسعة أيام، وأنه لم يكتف بمقابلته مع نسخة آخرى كانت تحت يده آنذاك، بل عمد إلى كتابته من جديد ضمن كناش طويل، ذكر أنه اشتراه للغرض نفسه، كما ذكر أنه كان يكتب منه ما مقداره أربعين صفحة في اليوم الواحد، وأنه أتمه عن آخره في مدة تناهز الأسبوع

(4) كانت مقابلة الجزء الثاني من كتاب الجواهر تعقد ما بين الظهرين بالزاوية الكبرى بفاس بحضور العلامة سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس الذي هو السارد من النسخة الأصلية، بينما يلتف حوله جماعة من كبار أعلام الطريقة التجانية يزيد عددهم على العشرين شخصا، كل واحد منهم يحمل نسخته من الكتاب المذكور، ولعل من أبرز هؤلاء المؤلف العلامة سيدي أحمد سكيرج، والفقيه الفاطمي الشرادي، والعلامة سيدي حسن مزور، والشريف البركة العلامة سيدي العربي المحب العلوي، وآخرون

(5) انظر التعريف به في ص

(6) انظر التعريف به في ص

وإني أسأل الله تعالى الهداية للصواب فيما رمته من ذلك[1]، مع التوفيق لما فيه رضاه في كل معاملة.

أمر سيدنا محمود لنا بالرحيل معه للجولان في نواحي القطر المغربي

ولما قضى سيدنا محمود رضي الله عنه حق الزيارة، التي هي لقطرنا المغربي بالفلاح بشارة، أمرني بالرحيل معه للجولان في نواحي هذا القطر المغربي لينتفع به الخاص والعام، حرصا منه رضي الله عنه على نفع الإخوان، وإيصال الخير إليهم على أي وجه كان، فإن بنظرته تنكشف الأحزان، بما له من كمال النظرة الموروثة من الحضرة المحمدية بين ذوي العرفان، مع ما ناله من بلوغ المقام المضمون لأولاد سيدنا ومولانا العارف الرباني، القطب التجاني، من النبي صلى الله عليه وسلم، كما أشار له صاحب المنية :

---

(1) من هذا القبيل ما ذكره العلامة سكيرج في كتابه تيجان الغواني لشرح جواهر المعاني، قال : قد وقفت على نسخة جواهر المعاني التي هي إحدى النسخ المكتوبة بخط مؤلفها، بعد أن وقفت على نسختين بخط يده، ولكن المدار على هذه المكتوب عليها خط سيدنا رضي الله عنه، وهي التي صحبها معه حفيد الشيخ رضي الله عنه سيدنا ومولانا محمود بن سيدنا محمد البشير بن سيدنا ومولانا محمد الحبيب بن الشيخ القطب الختم التجاني قدس سره حين قدم بها لفاس، وقد طالما تمنيت العثور عليها منذ كان أخبرني بها العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه، وقد أمرني مرة بالكتب إلى ولده البركة المقدم، محل الأخ سيدي محمد، حين كان في بعض سفراته بعين ماضي، بأن يستعمل ما وسعه من الإتيان بهذه النسخة من عين ماضي لتوضع بخزانة الشيخ رضي الله عنه التي بفاس، ولو بأن يأخذها من هناك على وجه الإختلاس.

وقد كنت تعجبت من هذا الأمر الذي كان عزم علي فيه، ولم أجد وجها أخرجه في إباحة ذلك، ولم أقدر على مخالفته، فساعدته ظاهرا في الكتابة، ولم أتيقن الآن بأني وجهت له ذلك المكتوب، وحملت ذلك على حال حصل له في ذلك الوقت، إلى أن وقفت على النسخة المذكورة، فوجدت عليها وثيقة بتحبيسها من مشتريها على الزاوية المذكورة، فعرفت السر الذي حمل العارف المذكور على ذلك، ولنذكر هنا ذلك مع ما وقع لها من التقلبات في حال سفر مواليها بها، إلى أن رجعت لورثته، وحبست على الزاوية المذكورة من مشتريها، وجميع ما ذكر مرسوم في أوراق الجزء الأول والثاني في وثائق

وَكَانَ من أدرك من ذريته * يُعْطَى مَقَامًا سَامِيًا كَبُغْيَتِهْ[1]

وقد انشرح والحمد لله صدري بهذا الأمر الذي هو من كمال النظرة التجانية ولا فخر، غير أني صرت أقدم رجلا وأؤخر أخرى، خوفا من الوقوع فيما لا تحمد عاقبته من إساءة الأدب على هذه الحضرة الكبرى، لما أنا مقيد فيه من الحظوظ النفسانية، وتشوقي لما لا أستحقه من إدراك المقامات العرفانية، ولو أنني تحريت غاية التحري لخشيت على نفسي من المرتبة التي لا تسامح من أساء الأدب عليها، فاخترت المقام مع أهلي دون السفر، وبقيت من عدم امتثال أمره على حذر، فصرت أبدي له الأعذار، وكلما فتحت بابا سده، ولم يقبل مني أن أتخلف بعده، بعدما كفانا المئونة، بما جعلت للأهل من الضروريات معونة، مع أن غيري لو وجد ذلك لأنفق نفسه وماله لمرافقة هذا السيد الجليل في ترحاله، لإصلاح نفسه وحاله، فلم يسعني إلا امتثال أمره، منشدا لنفسي بلسان الحال :

قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ * فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الهَمَلِ[2]

غير أني قد أخذت الإحتياط لنفسي بواسطة المحب الصادق، الرفيق الموافق، صهر سيدنا وحبيبه، ومحبه بين كل حاضر وبادي، سيدي الحاج محمد دادي، بأن أكون مأمون الجانب عند سيدنا محمود

---

(1) من نظم منية المريد، لدى تعرض ناظمها للحديث عن أبناء الشيخ رضي الله عنه، وما حصل لهما من الضمانات الصحيحة، ذات الصلة بالعلم والمعرفة والفضل العظيم، حيث قال :

وَ كُلُّ مَنْ أَدْرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهْ * يُعْطَى مَقَامًا سَامِيًا كَبُغْيَتِهْ
عَلَى يَدِ الرَّسُولِ سَيِّدِ الْعَرَبْ * جَذْباً بِلا شَرْطٍ يُرَى وَ لا سَبَبْ
مَا لِمَفَاتِحِ الكُنُوزِ خَرْدَلَهْ * فِي كَوْرَةِ الْعَالَمِ بِالنِّسْبَةِ لَهْ
وَ مِنْ ضَمَانِ أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ * لَهُمْ غِنَاهُمُ بِهَذِي الدَّارِ
خَادِمُهُمْ تُسَبِّحُ البِحَارُ * لَهُ وَ مَا فِيهَا كَذَا الأَشْجَارُ
وَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ حَيْثُ اتَّقَى * لِأَجْلِ خِدْمَةِ بَنِي ذَا الْمُنْتَقَى
فِي أَلْفِ أَلْفِ امْرَأَةٍ وَ رَجُلِ * يَشْفَعُ مِنْ بَنِي أَبِيهِ ذَا الوَلِي

(2) هو آخر بيت من لامية الطغرائي، التي يقول في مطلعها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل * وحلية الفضل زانتني لدى العطل

ما دمت في رفقته، ولا يؤاخذني بما يصدر مني من سوء الأدب مع حضرته، فحل هذا المطلب منه محل القبول، وذلك من كمال المرام وبلوغ السول. وبعد هذا كله قمت على ساق الجد، في الوفاء بالعهد، وأنشدت هذه الأبيات :

قُفُولًا مَعَ ابْنِ الشَّيْخِ كَيْ تَفْتَحَ القُفْلَا * فَمَا الفَتْحُ إِلَّا فِي يَدَيْهِ مَتَى احْتَلَا
وَشُدَّ مَطَايَا الحَزْمِ وَاشْدُدْ رِكَابَهُ * وَسِرْ حَيْثُ سَارَ فَهْوَ قَدْ أَوْضَحَ السُّبْلَا
وَلَا تَتَرَاخَى فِي اخْتِدَامِ جَنَابِهِ * بِرَعْيِ احْتِرَامٍ حَقَّهُ حَيْثُ مَا حَلَّا
وَإِيَّاكَ وَالإِمْهَالُ فِيمَا يَرُومُهُ * فَمَا أَمْرُهُ يَعْصِيهِ كُلُّ امْرِئٍ جَلَّا
وَلَوْ أَنَّهُ يَدْعُو الجِبَالَ الَّتِي رَسَتْ * أَجَابَتْ دُعَاهُ كُلَّمَا سَارَ أَوْ وَلَّى
فَبَادِرْ إِلَى شَدِّ المَطَايَا مُسَارِعًا * إِلَى فِعْلِ مَا يُرْضِيهِ تُرْضِي بِهِ المَوْلَى
وَسَافِرْ مَعَ الخُدَّامِ تُحْسَبُ مِنْهُمُ * فَخِدْمَتُهُ فِيهَا السَّعَادَةُ لِلْمَوْلَى
كَفَاكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ * وَيُولِيهِ مِنْ إِنْعَامِهِ المَنْصِبَ الأَعْلَى
وَيَسْتَغْفِرُ الحِيتَانُ فِي بَحْرِهَا لَهُ * وَتَسْأَلُ مَوْلَاهُ يُبَلِّغُهُ السُّؤْلَا

ولما عزمت على الرحيل معه صرت أودع كل من لقيته من الأصحاب والإخوان، وأستشير معهم، مع طلب دعائهم بالتوفيق، للسلوك على أقوم طريق، فكان كل واحد منهم يبدي لي رأيه على حسب ما يظهر له، إلا أن غالبهم يحضني على هذا الرحيل، ويعده من السعي الجميل الجليل،

وممن استودعته يوم السفر شيخنا البركة المسن العلامة الفاضل، سيدي أبو بكر بن العربي بناني[1] أمنه الله، اجتمعت به في الزاوية المباركة، مقابلا لضريح سيدنا رضي الله عنه، حيث كان يزوره، وهو ممن يحب أهل الله قاطبة، خصوصا الحضرة التجانية، منذ جاور الزاوية بالسكنى، فقد حدثني

(1) الفقيه العلامة الجليل سيدي أبو بكر بن العربي بناني، من جهابذة فقهاء فاس، تولى القضاء بمدن مختلفة كمراكش والصويرة والجديدة والدار البيضاء، توفي زوال يوم الثلاثاء 12 جمادى الأولى عام 1330 هـ ـ 30 أبريل 1912م، بعد أن لازمه داء البطن مدة لم يبرح فيها عن الفراش، ودفن بضريح سيدي بن يحيى الشاوي بفاس، وهو من أساتذة العلامة سكيرج ومجيزيه، وتاريخ إجازته له في فاتح جمادى الأولى من السنة المذكورة، أي قبل وفاته بأسبوعين، وكان ذلك بالزاوية الأحمدية التجانية بفاس،

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 50. وفي إتحاف المطالع، لابن سودة 1 : 392 موسوعة أعلام المغرب 8: 2867 وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج

أنه رأى سيدنا رضي الله عنه في بعض مرائيه قرب مجاورته فقال له : أنت ضيف عندنا، ثم أنشدني شيخنا المذكور مخاطبا لسيدنا رضي الله عنه :

أَنَا جَارُكُمْ يَا آلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ * وَعَلَى الكِرَامِ إِجَارَةُ الأَضْيَافِ

فقلت له : أبشر، فإن سيدنا يقول فيما ثبت لدينا من كلامه : جيراني لا نجوزهم في الدنيا ولا في الآخرة[1]، ثم طلب مني أن أبني هذا البيت ببيتين أضمنهما مدح سيدنا رضي الله عنه، مع مطلب خصوصي فقلت :

يَا أَيُّهَا القُطْبُ الجَلِيلُ وَمَنْ لَهُ * فَضْلٌ بِهِ يَحْظَى ذَوُوا الإِنْصَافِ
أَنَا جَارُكُمْ يَا آلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ * وَعَلَى الكِرَامِ إِجَارَةُ الأَضْيَافِ
فَلْتَمْنَحُونِي عَطْفَةً أَحْظَى بِهَا * بِمُنَايَ وَالرِّزْقِ الوَفِيِّ الكَافِي[2]

---

(1) أنظر الإفادة الأحمدية، لمريد السعادة الأبدية، لسيدي الطيب السفياني [باب حرف الجيم] وفيه قال الشيخ رضي الله عنه : بالحق جيراني ما نجوزهم في الدنيا و لا في الآخرة.

ثم ذكر بعد ذلك سببه فقال : سببه أن مخزن الوقت أراد أن يجيز ماء في دار أيتام جيران له رضي الله عنه، فامتنع مُقَدَّمُهُمْ من ذلك وقال : إن غلبت على أمري أدفعهم لدار الشيخ وهو يتكلم في شأنهم، فأخبر بذلك فذكره، فحول الله قلب المخزن، وجوز الماء في المحجة

(2) من هذا القبيل أيضا القصيدة الميمية للعارف بالله سيدي محمد العربي بن السائح، والتي يسميها بعضهم بالقصيدة الضيفية، حيث يقول في مطلعها :

يا فرحتي إني على * باب الكريم مخيم
و الضيف حقا إن أتى * باب الأكارم يكرم
و نبينا خير الورى * و هو الرسول الأعظم
قد قال من يك مؤمنا * فالضيف حتما يكرم
و لأنت أولى سيد * يدعى لديه تكرم
و العبد ضيفك لا يرى * لسواك منه توسم

ومنها أيضا قصيدة العلامة الأديب سيدي الطاهر بن محمد التمنارتي، التي قالها بعد انتهاء زيارته لضريح سيدنا الشيخ رضي الله عنه، وعزمه للرجوع إلى بلده سوس، وافتتحها بقوله :

أمولاي هذا الضيف حان ارتحاله * فيا ليت يدري بما آل حاله
أأدرك من برد الرضى منك سؤله * فيفرح أم قد عز عنه مناله
و حاشاك يا غوث البرية أن يرى * نزيلك محروما و أنت ثماله

ثم دعا لنا بما نرجو من الله قبوله، وحث علي في السفر مع هذا السيد الجليل، وقد استودعني بعد موادعته بالزاوية المباركة ذو الأخلاق العذبة المذاق، الدالة على طيب الأصول والأعراق، الشريف الماجد، والجامع لمفاخر المحامد، أبو المواهب، سيدنا العربي المحب العلوي[1]، قبالة ضريح سيدنا رضي الله عنه، بمحله المعد له بها في المواجهة، زاد الله في أسراره، وأشرق غياهب الهموم بأنواره،

---

(1) العلامة الشريف البركة مولاي العربي المحب بن مولاي عبد السلام بن عبد الله بن محمد الحبيب بن محمد زين العابدين بن السلطان العلوي الشهير مولانا إسماعيل رحمه الله، ولد في ربيع الأول عام 1276هـ ـ أكتوبر 1859م، بمكناسة الزيتون، وبها تربى ونشأ في حفظ وديانة، وسنده في العلم عن شيوخ أجلاء، أذكر منهم العلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي، والعلامة مولاي عبد الله بن إدريس البدراوي، والعلامة مولاي عبد الله الكامل الأمراني، والعلامة مولاي إدريس بن عبد الهادي العلوي، والعلامة المحقق سيدي عبد السلام الهواري، وأجازه في القراءة العلامة القاضي مولاي محمد فتحا العلوي،

أما الطريقة التجانية فقد أخذها على يد المقدم سيدي محمد البوكيلي، وعن شيخ الجماعة سيدي أحمد بن أحمد بناني كلا، ثم أجازه فيها الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله عنه، وهو الذي سماه بالمحب، وقد استفاد منه أسرارا وعلوما كثيرة، ثم أجازه فيها كذلك الشريف البركة سيدي أحمد محمود دفين البحيرة بقبيلة الرحامنة، ثم أجازه فيها العلامة سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون وذلك بالإذن المطلق العام.

وفي حق مولاي العربي المحب قال الفقيه سيدي محمد الحجوجي في كتابه فتح الملك العلام، في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام : وبالجملة فالرجل جهينة أخبار طريق أهل الله، وله معرفة كبيرة بدقائق علم التوحيد والتصوف، وخصوصا الفتوحات المكية، فله دراية بمسائلها العويصة والأجوبة عنها، وهو ممن منحه الله تعالى معرفة نكات غريبة في التصوف، فتراه يبدي من ذلك العجب العجاب، مما لم يتفطن له إلا أكابر العارفين الأنجاب، إلخ ...

توفي رحمه الله ورضي عنه صبيحة يوم الأربعاء 26 محرم الحرام عام 1351هـ ـ 1 يونيه 1932م، وصلي عليه بعد صلاة الظهر بالزاوية الأحمدية التجانية الكبرى، ودفن في روضة سيدي ابن عمرو داخل باب عجيسة أحد أبواب مدينة فاس. انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 169 وفي نيل المراد لنفس المؤلف ج 2 ص 44-52.

وكذلك استودعني العدل الزكي، الفقيه الذكي، الجامع للأدب الرائق، مع التواضع الفائق، سيدي عبد الوهاب السراج[1]، وأنشدني :

يَــا مُزْمِعًا بِـالرَّحِيلِ عَـنَّا * أَسْعَدَكَ اللَّهُ فِي المَسَالِكْ
كَانَ لَكَ اللَّهُ خَــيْــرَ وَاقٍ * أَمَّـنَـكَ اللَّهُ مِــنَ مَـهَالِكْ

قائلا أن هذين البيتين بلغه فيهما أن سيدنا جبريل عليه السلام كان يستودع بهما النبي (ﷺ) عند سفره، وما استودع أحد بهما إلا ورده الله سالما، فجازيته بدعاء الخير، وقلت : إني أحفظهما عن شيخنا العلامة الوحيد، سيدي الحبيب الداودي[2] رحمه الله، إلا أني لا أعرف صاحبهما، غير أني أحفظ من بعض التقاييد أن سيدنا جبريل كان يستودع النبي (ﷺ) بهذا البيت

وَحَيْثُ اتَّجَهْتُمْ صَاحَبَتْكُمْ سَلَامَةٌ * وَيَرْعَاكُمُ الرَّحْمَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

---

(1) عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمان السراج، فقيه عدل، من أعلام مدينة فاس، قال عنه صاحب كتاب زهر الآس، في بيوتات أهل فاس، وكان فقيها نبيها فطنا، ماهرا في علم التوثيق جدا، وله خط حسن، وبقي على حالته المرضية بعد استخدامه بالمراسي وأحباس القرويين ونسخ الكتب بجانب المخزن السعيد، إلى أن توفي صبيحة يوم الإثنين 23 رمضان عام 1334هـ، ودفن بروضة أولاد ابن البشير، قرب ضريح سيدي أبي غالب. انظر زهر الآس، في بيوتات أهل فاس، لعبد الكبير بن هاشم الكتاني 1 : 491

(2) العلامة سيدي الحبيب بن الحاج الداودي التلمساني، فقيه، محدث، أديب، كانت له خبرة كبيرة بعلم أسرار الحروف، وهو من أكبر أساتذة وشيوخ العلامة سكيرج، توفي رحمه الله قرب الساعة العاشرة من نهار يوم السبت فاتح شهر شوال عام 1325هـ ـ 7 نونبر 1907م، بعد غيبوبة دامت أربعة أيام، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

علام الدمع من عينيك يجري * ويحكي في التلاطم موج بحر
ونـفسك فـي أنـين وانـزعاج * كـأنـك قـلـب قـلبك فـوق جـمر
أمـن فـقد الـحبيب أطلت حزنا * نـعم والله فـيه فـقدت صبري

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 14، وترجمته واسعة في كتاب حديقة أنسي في التعريف بنفسي، للعلامة سكيرج،

ثم إني استودعت أهلي بعد صلاة العصر من يوم الإثنين الرابع عشر من ذي القعدة الحرام، وهو يوم السفر، بعدما كتبت بمحلي الآية الشريفة التي جربها كل واحد، في كونه إذا كتبها في المحل الذي خرج منه أنه لا بد أن يرجع إليه سالما بحول الله، وهي قوله تعالى : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد)[1] وذلك من خواص هذه الآيات المودعة فيها،

ولا ينكر مثل هذه الخاصية إلا من نفسه عن الأسرار قاصية، وقد جربناها غير ما مرة، فرجعنا إلى المحل الذي كتبناها فيه، حتى تعود أهلنا بركتها، فيؤكدون علي في كتابتها عند موادعتهم، وكذلك جربها غيرنا فوجدوا بركتها، ولا بدع في ذلك، فإن أسرار الآيات القرآنية من اللطائف الربانية، مع ما اشتملت عليه الآية الشريفة من الفأل الحسن بالعود إلى المعاد، وقد ورد في الأحاديث النبوية أنه صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن[2]، وقد قيل :

تَفَاءَلْ بِمَنْ تَهْوَى يَكُنْ فَلَعَلَّمَا * يُقَالُ لِشَيْءٍ كَانَ إِلَّا تَحَقَّقَا

والظن في الله جميل، أن يردنا إلى الأهل سالمين وهو بنا وبهم كفيل، وأقول متمثلا :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ أَوْلَادِي وَأُمَّهُمُ * وَالنَّفْسَ وَالأَهْلَ وَالأَصْحَابَ كُلَّهُمُ
وَكُلُّ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ الكَرِيمُ بِهِ * وَفِي جِوَارِ الإِلَهِ تُحْفَظُ الذِّمَمُ

ثم ذهبت إلى سيدنا محمود رضي الله عنه للرياض النازل به، وبقيت معه لاستوداع الإخوان، وبين العشائين ذهبت معه لزيارة ضريح جده سيدنا رضي الله عنه، فدخلت معه للمقام الشريف وزرناه كما ينبغي، وذلك من أكمل المقصود، حيث أني أزور مقاما شريفا، مع إمام شريف،

ولا شك أن النفحة التي هبت علينا ذلك الوقت تكون خاصة، حيث أني لم أظفر مدة عمري بذلك المشهد الذي يغبطني فيه أكابر الطريقة، ولله الحمد على هذه المكرمة الفائقة، التي هي من

---

(1) سورة القصص، الآية 85.

(2) إشارة لما جاء في سنن ابن ماجة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ، انظر سنن ابن ماجة [كتاب الطب] بَاب مَنْ كَانَ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ، رقم الحديث 3526

كرامات سيدنا رضي الله عنه على الحقيقة، ثم خرجنا بعد أداء الزيارة، وموادعة المقام الذي تركنا قلوبنا فيه، وقصدنا وادي الجواهر المضروب عليه الخزانات المعدة لنا، فبتنا ليلتنا في أمن وأمان.

وكان في رفقتنا هذه الفقيه النزيه، الأريب النبيه، كاتب سيدنا محمود، القادم صحبته من عين ماضي، بعد قدومه من تونس، أبو حفص سيدي عمر بن سعد الريعي الواسطي، وقد أحسن إليه سيدنا محمود رضي اله عنه، ولم يقصر معه، من الإنعام المناسب لحاله، فكان لإحسانه شاكرا، وهذا الفقيه له توجه تام لتلقي العلم والأدب، وقريحة وقادة تبلغه غاية الأرب،

ومن شدة حزمه في طلب العلم والحرص على أخذه وتلقيه، حتى لا يفوته وقت لا يستفيد فيه فائدة، طلب مني أن أجعل درسا خصوصيا في هذه الرحلة، فاتفقنا على أن نسرد الألفية بتقييد عليها، ومتن الكافي في علم العروض، فشرعت في ذلك تطييبا لخاطره، واغتناما لدعاءه الصالح، طالبا من المولى أن يصلح أعيالنا، ويوفقنا لما فيه رضاه.

إجازة الشريف سيدي محمود للمؤلف

وقد كان كتب لنا هذا الفقيه الإجازة بالتقديم من سيدنا محمود، ووجهها لي، مطبوع عليها بطابعه الشريف، وبداخله مكتوب : محمود بن محمد البشير التجاني سنة 1329هـ، وبدائرته مطوقا (يا عالما بالخفايا، يا رازق البرايا من العطايا، اغفر لنا الخطايا) ونص الإجازة.

بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، الحمد لله، حمدا لمن ألهم الإنسان وفهم، وعلمه بما لم يكن يعلم، وأهل أقواما بمحض كرمه ومنته، بحمل أمانته وشريعته، ورفعهم بذلك درجات، إذ فتحوا أبوابا متبرجات، فنهجوا للعباد طريق الهدى والرشاد، وسلكوا بهم ما هو في الشرع معروف ومعتاد،

والصلاة والسلام المضمخان بعبير التعظيم، المتوجان بتاج المبرة والتكريم، على عروس المملكة الربانية، وواسطة السلوك إلى الحضرة القدسية الرحمانية، وعلى آله السراة، وأصحابه الصالحين الهداة، ما أجيب داع، وأجيز في سماع، ورضي الله تعالى عن ساداتنا الأولياء الكرام، خصوصا القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقانا الله وجميع المحبين من بحره الرباني، آمين.

وبعد : فيقول أفقر الورى وأحوجهم إلى عفوه، محمود بن البشير بن محمد الحبيب بن أحمد التجاني، بلغه الله من الخير كله الأماني :

إن ممن شمر في طلب العلم عن ساعد اجتهاده حتى بلغ منه بيمن الله نهاية مراده، وصدق عليه المثل السائر، كم ترك الأول للآخر[1]، سند الأفاضل الأعلام، وبدر العلماء الكرام، من حوى جميع الفضائل، وحاز من حسن الشيخ ما لم تحزه الأواخر والأوائل، الفقيه الوجيه، المدرس النزيه، صاحب الفهم الغواص، الذي يعجز عنه كثير من الخواص، حبيبنا وصفينا، رفيع القدر والمكانة عندنا، الشيخ سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، أدام الله وجوده، وأرقى في سماء المعالي صعوده،

طلب من العبد الحقير، المعترف بالقصور والتقصير، أن يجيزه فيما عنده من أصول وفروع، في طريقه التجانية الأحمدية، حمله ما جبل عليه من حسن النية، وخلوص الطوية، ظنا منه أني أهل لذلك، ولست كذلك، فأجبته إلى ذلك، جبرا لخاطره، ورعيا لما عسى أن يكون له فيه من النفع الحاضر، إذ ليس سلوك هذا السبيل سهلا، ولكن لي قصد جميل، في سلوك هذا السبيل، وهو ضمانة النبي (ﷺ) المختار لشيخنا وأولاده،

ولحسن ظننا عولنا، وعليه توكلنا، فأقول، وعلى قدم الشكر أجول : قد أجزت له جميع ما في جواهر المعاني، وأذنت له إذنا مطلقا من الأوراد اللازمة وغيرها، كما أجازني شيخي ووالدي سيدي البشير، رحمه الله رحمة واسعة.

والله أسأل أن يمنحنا وإياكم الرضا والقبول، فإنه أكرم مسئول، وندعو لكم في سائر الأسحار، أدعية خالصة بدوام المجد والوقار، وبدوام بقائك، وعلو ارتقائك، وأن يقر عينيك بما يرتاح له الفكر، وينظر إليك بعين عنايته الربانية، ويجعلك في زمرة نبيه المصطفى، ووليه المرتضى دنيا وأخرى،

والله يجعلنا وإياكم ووالدينا ووالديكم وأشياخنا وأشياخكم في أعلى عليين مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين آمين، إن شاء الله مطمئنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ودمتم محفوظين بالتكريم، مخصوصين بأفضل التحية والتسليم. كتب في 13 شوال عام 1329هـ.

---

(1) هو مثل سائر عند العرب، يقولونه عادة لدى الإشادة بكبار العلماء المعاصرين، ومنه قول الشاعر العربي ابن الوردي :

أقسمت إن جد وطال المدى * أروي الورى من بحره الزاخر

فقل لمن بالسبق تفضيله * كم ترك الأول للآخر

ويقابل هذا المثل ويضادده قول الشاعر :

لم يدع من مضى * للذي قد غبر

فضل علم سوى * أخذه بالأثر

إجازة سيدنا محمد البشير لولده سيدي محمود

ولا بأس بذكر إجازة سيدنا ومولانا محمد البشير المشار لها في هذه الإجازة، تبركا بها، وحفظا لها من الضياع ونصها :

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، بعد حمد الله جل ثناؤه، وعز كبرياؤه، وتقدست أسماؤه وصفاته، فإني أذنت في تلقين ورد جدنا الأكبر، والعلم الأخضر. والكبريت الأحمر، القطب المكتوم، والخاتم المحمدي الأشهر، مولانا أبي العباس أحمد ابن محمد التجاني الحسني، أدامنا الله في حماه في الدارين،

قد أجزت بعد الإستخارة بعلم الله، والإستقدار بقدرة الله، مستعينا به سبحانه، مستندا إلى حوله وقوته، لولدنا البار سيدي محمود أن يلقنه لكل من طلبه منه، ورغبه إليه فيه، وقبل شروطه قبولا تاما. آنس صدقه من المسلمين والمسلمات أيا كان، وعلى أي حالة كان، جاعلا له في هذا الإذن وهذه الإجازة أن يقدم من ظهر له لإعطائه وتلقينه، سواء طلب منه التقديم أو لم يطلبه، إن دعت الحاجة إلى ذلك، كبلد فيها بعض الفقراء، وليس فيهم مقدم، أو كبعد المسافة على البلد الذي فيها المقدم، أو نحو ذلك،

لكن لا بد في التقديم من مراعاة الأهلية المعتبرة، بنعوتها المقررة، وهي مسطرة في كتب طريقتنا، مفصلة تفصيلا كافيا شافيا، وأقل مراتبها، الواجب اعتبارها، معرفة حقيقة الورد اللازم، وأركانه وأحكامه، ومعرفة شروطه المعتبرة فيه صحة وكمالا، ومعرفة الأذكار اللازمة بلزومه، وما يقضى وما لا يقضى إذا خرج وقته، وما ينجبر به السهو، إن وقع شكا أو تحقيقا. فهذا أقل ما يعتبر فيمن يراد للتقديم،

وليأمر من قدمه أن لا يباشر كفه كف امرأة ليست بذات محرم منه عند التلقين، بل يلقنها بواسطة محرم منها، ولو لم يكن من أهل هذه الطريقة[1]، وإن كانت متجالة أو أمة فلا بأس أن يلقنها بنفسه، لكن باللفظ فقط، من غير مصافحة، فلا يظن ظان أننا نستنبط في الطريق شيئا قل أو جل مما لم

---

(1) للتوسع جيدا في هذا الموضوع انظر بغية المستفيد للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح ص 367.

يبلغنا نص فيه عن الشيخ رضي الله عنه، عياذا بجلال الله من ذلك، وعليك يا ولدي بتقوى الله في السر والعلانية بقدر الإستطاعة، كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم)[1].

وعليك أن تعامل إخوانك في الله بالرفق واللين والتسهيل والتيسير ما أمكنك، مراعيا فيهم كونهم عبيد الله، وسره سبحانه خفي علينا، وأن تلاحظ فيهم أيضا حرمة الشيخ المضافين إليه، فرب إضافة بأدنى ملابسة تلحق العبد بأعلى مراتب أهل الله، إذا وقعت عليه المحبوبية، وكان ممن سبقت له العناية بفضل الله، وعليه أن يأمر من يقدمه أو يلقنه الورد بذلك، وبالتباعد من الرئاسة وأسبابها، فإن حب الرياسة كعبة تطوف بها الشرور، ومن ابتلي بها لا يفلح أبدا،

نطلب الله العظيم أن يجعل ذلك طهارة لآبائنا ومحوا لسيئاتنا، وأجارنا بفضله، والحمد لله رب العالمين. وقع بتاريخ 8 ذي الحجة الحرام سنة 1324هـ، البشير بن محمد بن أحمد التجاني، ثم طابعه الشريف بداخله محمد البشير بن محمد الحبيب التجاني سنة 1301هـ، وبدائرته مطوقا : يا منفردا بالقدرة ليس لك ثاني كن لعبدك.

الخروج من فاس والتوجه لمكناس وما جرى أثناء الإستعداد لذلك

ثم إننا بتنا هذه الليلة ومعنا الفقيه الأمجد، المقدم الأسعد، سيدنا أحمد بن العياشي السلامي القادم مع إخوان شراكة[2]، بقصد ذهاب سيدنا محمود إلى قراهم، عند المقدم ابن سلطان[3]، المشهور بهذه

---

(1) سورة التغابن، الآية 16.

(2) شراكة منطقة جبلية مشهورة، تقع على بعد 70 كيلومتر شمال مدينة فاس، وهي آهلة بالفقراء التجانيين، وبه عدة زويا، أكبرها الزاوية التي كانت مقرا للمقدم العارف بالله المربي سيدي محمد بن سلطان الشركي.

(3) المقدم البركة العارف بالله سيدي محمد بن الحاج أحمد بن علي بن سلطان، مقدم الزاوية التجانية بشراكة، وهو من مواليد عام 1234هـ ـ 1819م، أخذ الطريقة الأحمدية التجانية عن المقدم سيدي سحنون عام 1255هـ ـ 1839م، وكان عمره وقتذاك 21 سنة، ثم التقى بعد ذلك بجماعة من أكابر رجالات الطريقة، منهم لسانها العلامة سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، والمقدم الفقيه سيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي، والعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، فانتفع بصحبتهم غاية الانتفاع، حتى صار من أهل الكشف التام، المأذون لهم بالتصريف بين الخاص والعام،

وكانت وفاته رحمه الله في الساعة السابعة من صباح يوم الجمعة 13 شعبان الأبرك عام 1336هـ ـ 24 مايو 1918م، انظر ترجمته في إتحاف أهل المراتب العرفانية للفقيه الحجوجي ج 7، وفي نيل المراد لنفس المؤلف ج 2 ص 52.

الكنية عند الإخوان، وقد كانوا تهيئوا لقدومه عليهم، واستعدوا لملاقاته، إلا أن سيدنا رضي الله عنه ظهر له أن يذهب على طريق مكناس، وذلك من لطف الله بذلك المقدم مع أولئك الناس، مع ما شملنا من العناية بنا في المسير على طريق بني مطير، وقد قلت بعد الإستراحة :

يَـا لَـيْـلَـةً وُصِـفَـتْ بِـكُـلِّ مَـحْـمُـودِ * لَـمَّا اجْتَمَعْتُ بِهَا بِالقُطْبِ مَحْمُودِ
نِلْنَا المَبِيتَ عَلَى حُسْنِ الوَفَا مَعَهُ * حَـتَّـى ظَـفِـرْنَا بِـهِ بِـكُـلِّ مَـقْـصُـودِ
فَاللَّهُ يَـحْـفَـظُـهُ لَـنَـا وَيَـحْـفَـظُـنَا * بَيْنَ الـوَرَى مَعَهُ بِالفَضْلِ وَالجُودِ

وبمجرد كتب هذه الأبيات، جاء لخزانتنا[1] سيدنا محمود بقصد تفقد أحوالنا في المبيت، وذلك من شدة اعتنائه رضي الله عنه وعنا به، فقمت لملاقاته، وأنشدتها عليه، فنشط لذلك، ودعا لنا بما نرجو من الله قبوله، وبعد صلاتنا لصلاة الصبح أنشأت هذه الأبيات في وصف هذه الليلة، التي تجر ذيلها فخرا على كل من يجر ذيله :

بِـتْنَا عَلَى وَادِي الجَوَاهِرْ[2] * وَبِـسَـاطُـنَا زَاهٍ وَزَاهِــرْ
فَـكَـأَنَّـنَا فِـــي جَـنَّـةٍ * فِيهَا عَـلَيْنَا الـخَيْرُ ظَاهِرْ
عَـنْ كُـلِّ مَـكْرُوهٍ خَلَتْ * وَالـقَـلْبُ بِـالأَفْرَاحِ عَـامِرْ
مَـــا مِثْلُهَا مِـنْ لَيْلَـةٍ * فِيمَا مَضَى عِنْدَ المَفَاخِرْ
مِـنْ حَيْـثُ كَـوْنِ إِمَامِنَا * قُـطْبٌ عَلَيْهِ الفَضْلُ دَائِرْ
نَجْلِ التِّجَانِيِّ مَنْ سَمَتْ * رُتَـبٌ لَـهُ بَيْـنَ الأَكَابِرْ
بَــدْرِ الـعُـلَا مَـحْـمُـودِنَا * بَـيْـنَ الأَوَائِـلِ وَالأَوَاخِـرْ
لَازَالَ مَـحْـمُـودًا يُـــرَى * مَـلْحُوظَ قَـدْرٍ مِنْهُ بَـاهِرْ

---

(1) الخزانة : مصطلح داريجي مغربي، يراد به الخيمة

(2) هو وادي فاس المتفرع عن وادي سبو، وقد أنشأ فيه الأديب البارع المتميز الحاج إدريس بن علي السناني الشهير بالحنش مقامته الشهيرة المعروفة بالمقامة، المغنية عن المدامة، المسماة بروضة المنادمة والإيناس، في لطف محاسن وادي فاس.

ثم لما طلع النهار، خرج الإخوان أفواجا أفواجا لوداع سيدنا ووداع رفقائه، حتى كاد أن يضيق البساط بكثرتهم، من جملتهم المقدم الأجل الشريف سيدي الطيب السفياني[1]، وناظر الزاوية الأبر السيد العربي بن السيد محمد بن العربي برادة، وحاجب الضريح الأغر سيدي محمد الزيزي[2]، مع المسمعين، وما انضاف إليهم من المحبين، وبقي الكل هناك في انتظار زيارة سيدنا محمود ووداعه، وكل قلب كاد أن ينصدع لفراقه بعد اجتماعه، ولم يقدروا على الفراق، والكل يود أن لو بقي بفاس من شدة الأشواق، حتى كاد الجميع أن لا يفارقه، ولسان حال كل واحد ينشد :

فَلَوْ نُعْطَى الخِيَارَ لَمَا افْتَرَقْنَا * وَلَكِنْ لَا اخْتِيَارَ مَعَ الزَّمَانِ

وما زالوا في تلك الساعة منتظرين، وأهل السماع ينشدون مطربين، وعند الإفتراق أنشد الشريف المنيف، أحد مسمعي الزاوية بصوت لطيف، سيدي علال المنصوري التلمساني، بترجيع الصوت مع المنشدين السيد الطيب عمور وأخيه هذين البيتين لبعضهم :

---

(1) أنظر التعريف به ضمن ص

(2) المقدم البركة سيدي محمد بن محمد بن محمد بن الحاج علي بن الحاج عبد الكريم الزيزي، فقيه، صوفي، كان رحمه الله ملتزما بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، مكلفا بصيانة ضريح سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه، وبناء على ذلك كان يتولى بنفسه تجمير الضريح كل جمعة بالعود والطيب، وهو من مواليد فاس عام 1270هـ، حفظ القرآن الكريم على يد الفقيه المدرر بمكتب الصاغة الأستاذ العربي العيساوي، وأخذ نصيبا من الفقه عن جماعة من علماء فاس منهم : الفقيه السيد الحاج محمد فتحا بن محمد بن عبد السلام كنون، والفقيه سيدي محمد فتحا القادري، وسيدي محمد الصائغ، وسيدي أحمد بن المامون البلغيثي، وسيدي محمد بن الحاج التهامي بناني، وسيدي أحمد بناني كلا، وغيرهم.

وأخذ الطريقة الأحمدية التجانية عن المقدم الجليل سيدي محمد بن العربي العلوي الزرهوني، وهو الذي أجازه فيه، ثم أجيز بعد ذلك من طرف مجموعة من الأكابر منهم : سيدي محمود التجاني حفيد الشيخ رضي الله عنه، وسيدي محمد العيد بن محمد الصغير بن القطب الحاج علي التماسيني رضي الله عنه، وأجازه كذلك العلامة السيد ألفا هاشم الفوتي، كتابة من المدينة المنورة.

وكانت وفاته رحمه الله في الساعة الثالثة والنصف من ليلة الأحد 13 جمادى الثانية عام 1345هـ ـ 19 دجنبر 1926م، وكان قد أخبر بموته قبل ذلك، وصلي عليه بالزاوية الأحمدية التجانية عقب صلاة الظهر، ودفن بزاوية سيدي علي الجمل من حومة الرميلة بفاس. انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 181، وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 2 ص 65-77، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 7.

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ قَوْمًا مَا ذَكَرْتُهُمُ * إِلَّا تَحَذَّرَ مِنْ عَيْنِيَ مَا سَكَنَا
أَشْتَاقُهُمْ كَاشْتِيَاقِ الأَرْضِ وَابِلَهَا * وَالأُمِّ وَاحِدَهَا وَالغَائِبِ الوَطَنَا

ثم أنشد أيضا باتصال :

لَاغَرْوَ إِنْ جَعَلُونِي مِنْ تَفَضُّلِهِمْ * سَلْمَانَ عَبْدَهُمُ مِنْ بَعْدِ سَلْمَانِ
أَوْ شَرَّفُوا قَدْرَ مَدْحِي وَهْوَ شِيمَتُهُمْ * أَوْ بَشَّرُونِيَ بِالحُسْنَى كَحَسَّانِ

ثم أذنهم سيدنا رضي الله عنه بالإجتماع به والدخول عليه، بقصد الموادعة، وهو بداخل القبة العجيبة، ذات الإتقان العجيب، التي أتحفه بها الوزير الأفخم، السيد المدني الكلاوي[1]، وهي من أحسن القباب التي لا تكون إلا للملوك، أو لمن له مالية وافرة، وقد أخبرنا أنها صنعت بثمن قدره خمس عشرة مائة دورو[2]، فدخل الإخوان إليها فكادت أن تسعهم، واستودعوه واستودعهم، وأمرهم بالرجوع لمحالهم، فرجعوا وقلوبهم من ألم الفراق، تكاد أن تنصدع بانشقاق.

ثم ركب سيدنا وركبنا، وكان من جملة المسافرين مع سيدنا محمود في هذه الرحلة المباركة، صهره الأبر سيدي الحاج محمد دادي، وأخوه لأبيه سيدي محمد دادي، وأخوه للأب شقيق زوجة سيدنا محمود السيد الطاهر دادي، وخديم سيدنا محمود السيد سعد، مع بقية الأصحاب،

ثم شرعنا في المسير في الساعة الثانية نهارا من يوم الثلاثاء، إلى أن وصلنا لوادي النجاة، وبه نزلنا في الساعة الخامسة عشية، وفيه أنشأت هذين البيتين :

بِوَادِي النَّجَاةِ أَتَانَا النَّجَا * بِنَيْلِ النَّجَاةِ وَنَيْلِ الأَمَانِي
وَصَاحَبَنَا فِي الطَّرِيقِ الهَنَا * وَفُزْنَا بِهِ بِبُلُوغِ الأَمَانِ

---

(1) المدني بن محمد الأكلاوي المزاوري، تولى وزارة الشكايات إبان عهد السلطان مولاي عبد الحفيظ، ثم كان محل اعتبار عند الدولة الفرنسية، وقد قلدته عدة أوسمة، توفي في شهر ذي القعدة الحرام عام 1336هـ ــ غشت 1918م، ودفن بضريح الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي، أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة....موسوعة أعلام المغرب 8 : 2902

(2) الدورو : عملة إسبانية، الدورو الواحد يساوي أربع فرنكات مغربية إذ ذاك، وعموما فقد اشتريت هذه الخيمة العظيمة بمبلغ 6000 فرنك مغربي، وهو مبلغ ضخم يكفي وقتئذ لشراء منزلين ضخمين بمدينة فاس

فبتنا فيه ليلة هنية، بعدما تأخرت القبة عن القدوم، لكون الأصحاب الذين معها ظنوا أن النزول برأس الماء[1]، فذهبوا مع طريقه حتى وصلوا إلى خيام مضروبة على الطريق النافذة للمحل المعروف بالحاجب[2]، فسألوهم عنا فلم يجدوا أثرا، إلا أنهم استيقظوا عن غفلتهم وأننا ذهبنا لوادي النجاة، فسألوهم عن الطريق إليه، فأرشدوهم إليها، فساروا مع الوادي إلى أن وصلوا للمحل الذي نزلنا به، بعد أن فات وقت العشاء، فنصبت القبة لسيدنا محمود، وبلغنا بالمبيت معه غاية المقصود، وفي صباح يوم الأربعاء أنشأت هذه الأبيات :

بِـوَادِي النَّـجَا فُزْنَا بِنَيْلِ النَّجَاةِ * وَلَمْ نَرَا سُـوءًا مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ
وَلِمْ لَا وَمَحْمُودُ المَسَاعِي مُجِيرُنَا * يُـدَافِعُ عَـنَّا سُـوءَ كُـلِّ العُـدَاةِ
يُدَافِـعُ بِـالسِّرِّ الإِلَـهِـيِّ كُـلَّ مَـنْ * يَـرُومُ وُقُـوعَ الـشَّرِّ دُونَ افْـتِيَاتِ
لَـهُ هِـمَّـةٌ فَـعَّـالَـةٌ فِـي عِـدَاهُ مَـا * يَـهُـدُّهُـمْ أَوْ يَـرْجِـعُـوا مِـنْ هُـدَاةِ
فَـلَا زَالَ يَـرْعَـانَـا وَيَـرْعَـاهُ رَبُّـنَـا * وَيَـمْـنَـحُهُ مِـنْ فَـضْـلِهِ الـمَكْرُمَاتِ

ولما طلع النهار وقع الإذن بالتهيء للرحيل، فخرجنا من قبتنا التي كنا تحت ظلها نستظل ونقيل، فحمي الوطيس علينا، ولكن خفف الحرارة جلوسنا على بساط هذا الوادي الزاهر، الذي هو نسخة من بساط وادي الجواهر، وأنشأت فيه هذه الأبيات :

أَقَـمْـنَـا بِـــوَادٍ لَـــوْ أَقَـمْـنَا بِـغَـيْرِهِ * مَـلَلْنَا وَلَـكِـنَّا انْـبَـسَـطْنَا بِـبَـسْطِهِ
كَـأَنَّـهُ مِـنْ وَادِي الـجَـوَاهِرِ قَـدْ أَتَـى * يَجُرُّ ذُيُولَ الفَخْرِ مِنْ حُسْنِ سِمْطِهِ
وَلَا عَجَبَ إِنْ كَانَ مِنْ أَصْلِهِ جَرَى * وَلَـكِـنَّهُ يَـجْـرِي عَـلَى غَـيْرِ شَـرْطِهِ

---

(1) رأس الماء : منطقة معروفة بضواحي مدينة فاس

(2) الحاجب : المراد به إقليم الحاجب، وهو إقليم غابوي، غني بمؤهلاته الطبيعية، من أهم حواضره المدينة المسماة بذات اسمه [الحاجب] وقد تم بناؤها ضمن عصر السلطان المولى الحسن الأول، وبها عدة بنايات ذات صلة بهذا السلطان

ولا زلنا كذلك إلى الزوال، وبعد ذلك خرج الإذن بأن نتباعد عن محل النزول، ليركب حريم سيدنا بالمحفة، فقمت مع القائمين، إلا أني كتبت مباسطا لرفيق سيدنا، صهره الأبر سيدي الحاج محمد دادي ما نصه : حفظك الله بعد تحية الأدب أقول :

هَلْ نَرَى مِنْ وَرَا إِذَا مَا قَرُبْنَا * أَوْ بَعدْنَا بِاللَّهِ قُلْ لِي مَاذَا

حَسْبُنَا إِنْ تُرِدْ كَمَالَ احْتِرَامٍ * أَنْ نَغُضَّ العُيُونَ فِي مِثْلِ هَذَا

عملا بقوله تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)[1] الآية، ونعوذ بالله أن تتشوف أنفس العبيد للنظر لحريم سيدهم، والسلام، وقد استحسن هذا، إلا أننا لما أطلعنا على بعض أخلاق سيدنا محمود رضي الله عنه، وما فيه من الحزم التام، خصوصا ما فيه من الغيرة على حريمه، واعتنائه بإبعاد أنفاس الرجال عن النساء[2]، وراثة أحمدية تجانية، عذرنا صهره عن الأمور التي كنا نظن أنها من تلقاء نفسه.

ولو كان اطلع على ذلك إخواننا الفاسيين لأقروا له بالفضيلة التامة، وشكروه على صبره الجميل، وصدق خدمته لصاحب هذا المنصب الجليل، وذلك أن سيدنا محمودا آخذ بالحزم في جميع أموره، مع علو همته، لا يرضى بسفاسف الأمور، بل يحب معالي الأمور، والإسراع بتنفيذ ما يأمر به، من غير رد ولا مراجعة.

ولا شك أن صهره المذكور، هو القائم بمثل هذه الأمور، والمتكفل بكل ما يجلب له الرضا به، فيرضيه بعد السخط، ويسليه بعد القنط، وقد قلت : إن من وراثته الأحمدية أنه يحب مباعدة أنفاس الرجال عن النسوان، خصوصا فيما له من الحريم والخدام، لأن سيدنا ومولانا الشيخ جده التجاني قد كان كذلك، حتى أنه كان لا ينام حتى يسد أبواب البيوت على الخدام والعبيد، ويجعل المفاتيح

---

(1) سورة النور، الآية 30.

(2) إشارة للحديث الذي ذكره في كتابه كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء، باب حرف الباء من الكتاب المذكور، رقم الحديث 875 ، ذكره أيضا ابن الحاج في المدخل في صلاة العيدين، وابن جماعة في منسكه في طواف النساء

عنده[1]،

وهكذا دأب سيدنا محمود رضي الله عنه، لا يحب أحدا أن يحوم حول المحل الذي هو به مع أهله، ولو من أقاربها إلا مع حضوره، ومن أعجب هذا أنه لا يحبنا أن نمر حول المحفة، ولو مرورا بها، وقد كنا في هذا اليوم مارين من أحد جهات المحفة، فأشار بيده إلي أن نباعد عنها، ونذهب من الجهة الأخرى، حتى لا تقع منا التفاتة، فهاجت القريحة ونظمت هذين البيتين :

وَقَـائِلَةٍ جَـنِّـبْ بِـجَـنْبٍ مَـحَـفَّـتِي * لِكَيْ لَا تَرَى مَا تَحْتَوِي مِنْ تَزَاوِيقِ
فَـقُلْتُ بِـعَيْنِي الـكَهْرَبَا تَـنْظُرُ الَّذِي * تَـوَارَى عَنِ الأَبْصَارِ طَيَّ الصَّنَادِيقِ

وقولنا (بعين الكهرباء) على حذف همزة الإستفهام، مشيا إلى الآلة المخترعة التي يستطلع بها على ما في داخل الظروف، ثم خرج الإذن بالرحيل بعد أن ركب سيدنا وركب الأهل، فشرعنا في المسير في الساعة الثانية من هذا النهار، فوصلنا للمهدومة في الساعة الخامسة،

فحططنا بها، بعد مرورنا على قنطرتها الجديدة التي وجدنا بها الجم الغفير من الخدمة الفرنسيين المشتغلين بإصلاح الطريق، أحاطوا حولها لإتمام عملها، والطريق مخطوطة على وتيرة واحدة، واتساع واحد، تارة تذهب على الطريق القديمة، والسلك ممدود على أعمدته من دار الدبيبغ[2] من قرب فاس إلى مكناسة، وتارة ينعطف منها.

---

(1) منه ما جاء في كتاب إتحاف أهل المراتب العرفانية، بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة سيدي محمد الحجوجي حيث قال : وكان مماليكه رضي الله عنه [يعني الشيخ أبا العباس التجاني رضي الله عنه] كلهم آخذين ورده المحمدي، وكان يزوج عبيده بالإماء، بل لا يترك من الحيوانات الصامتة أنثى إلا أمر بتزويجها بذكر والعكس، وكان عند النوم يقف حتى يدخل كل عَبْدٍ وزوجته إلى محله، ويسد عليهم الأبواب بأقفال، ويجعل المفاتيح في صندوقه، وقبل الصبح بنحو ساعة يوقظهم ليغتسل مريد الغسل ويتوضأ مريد الوضوء، ويصلون جماعة. إهـ...

(2) درا دبيبغ : موضع معروف أصبح اليوم من الأحياء الراقية بضواحي مدينة فاس.

وقد وقع الإصلاح في قنطرة وادي النجاة التي كنا عهدناها في رحلتنا الزيدانية[1] التي كنا سافرناها قبل هذه الرحلة، قد كادت أن تنهدم، وهكذا غالب القناطر الممدودة على المقاطع والخنادق المارة على الطريق، كلها قد دخلها الإصلاح في الجملة، وعما قريب على ما رأيناه من اعتناء الخدام بالإصلاح سيتم أمرها، فتكون على وتيرة واحدة، لا يرى سالكها تعبا ولا مشقة، وكأني بها وسكة الحديد ممدودة على الطريق إلى فاس، لما شاهدناه من تمهيدها وبسطها، كأنها في القديم كانت ممرا للسكة الحديدية،

ولا يبعد أن يكون في القديم كانت هناك سكة، ولا عجب في ذلك، فقد اكتشف أهل الإختراعات الوقتية على أن السلك[2] وبابور البر[3] قد كان منذ زمان، ولم يشتهر أمره إلا في هذه الأعصار القريبة العهد، ولا زالوا يكتشفون، على أن هذه العجائب المخترعة قد كانت في القديم، إلا أن تهذيبها قد حصل على يد المتأخرين، وقد صدق القائل :

لَمْ يَدَعْ مَنْ مَضَى لِلَّذِي قَدْ غَبَرْ * فَضْلَ عِلْمٍ سِوَى أَخْذِهُ بِالأَثَرْ

---

(1) الرحلة الزيدانية، يقع هذا الكتاب في 150 صفحة، سجل فيه الكاتب رحلته إلى مكناس استجابة لدعوة العلامة النقيب مولاي عبد الرحمن بن محمد بن زيدان العلوي الإسماعيلي، وبدأت الرحلة يوم 9 ربيع الأول عام 1326 هـ ـ 11 أبريل 1908م، على الدواب، وكان سفرا شاقا. وهو أول سفر للعلامة سيدي أحمد سكيرج خارج مدينة فاس، وكان عمره وقتئذ 31 سنة

حكى المؤلف عن اجتماعاته بعلماء وأدباء العاصمة الإسماعيلية [مكناس] كالنقيب بن زيدان، والفقيه سيدي محمد بن الحسن العرايشي، وسيدي محمد بن يحيى الصقلي، و سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري، والمختار بن عبد الله بن أحمد البخاري، و الكاتب محمد بن الغالي السنتيسي، والشريف مولاي عبد الله بن محمد العلوي الإسماعيلي، والتهامي الحداد المكناسي، وغيرهم من الأفاضل الآخرين

وتحدث عن فحوى المحادثات التي دارت هناك بينهم حول مسائل علمية فرعية وأصولية، وشطروا قصائد رائعة، وخمسوا غيرها، وتحدثوا عن الخطب، وعن جواز دمج الشعر في خطبة الجمعة، وأعطوا دلائل حول ذلك. ثم انتهت الرحلة وعاد العلامة سكيرج إلى فاس، وقد قمنا ولله الحمد بتحقيق هذه الرحلة ودراستها وطبعها، وهي الآن في متناول القراء الكرام

(2) مصطلح داريجي مغربي، يراد به الهاتف، وكان حديث العهد بالمغرب إذ ذاك

(3) مصطلح داريجي مغربي، يراد به القطار، وكان هو الآخر حديث العهد بالمغرب إذ ذاك

ثم إننا بتنا هذه الليلة مطمئنين، لا نخشى من طوارئ الليالي حادثا، من الأمن الواقع في هذه الطريق التي كانت يمر عليها المارون، وقلوبهم ترتعد من الفرق عند المسير، مما يحصل من الفساد من الساكنين بسائس من البربر وبني مطير[1]، وما ذاك إلا لما ضربوا به من عصر الذل والهون، بعدما كانوا في تعصبهم وجهالتهم يهرعون، حتى جلبوا لنفسهم ما جلبوه، وجلبوا لغيرهم ما كانوا قد ارتقبوه.

الوصول لمكناس

ولما طلع الفجر ذهب صهر سيدنا محمود مع أحد الإخوان إلى مكناسة ليعلم الإخوان بالقدوم، وكان الوقت صاحيا، إلا أن الريح قد كان قويا، وفي الساعة الثانية عشرة من نهار الخميس، أمر سيدنا بالرحيل، فتقدمنا للمسير، والمطر يسيل، إلى أن توغلنا، والسماء تبكي على الأرض التي نمشي عليها من سرعة ذهابنا عليها، حتى كاد دمعها أن يغمرنا،

ولم نرى مثل هذا اليوم المطير، أصاب مثلنا ممن سلك في بلاد بني مطير، ولم تشفق إلا على سيدنا، مما حصل لنا من التعب، وما صبته علينا السماء بالقرب، ولكن قد أحسن سيدنا رضي الله عنه بالركوب مع أهله في المحفة من أول الأمر.

ومما يدل على كمال حذاقة سيدنا محمود رضي الله عنه مما تفطنت له، أنه في اليوم الأول أركب مع حريمه أمة صهره الأديب الوحيد سيدي الحاج محمد دادي، حتى تحقق بأن المحفة تحمل اثنين ليركب مع أهله في مثل هذا اليوم، ثم إننا تقدمنا أمامه في المسير، فوصلنا لمكناسة قبل وصوله، قرب الساعة الرابعة، فوجدنا المحلة الفرنسية المشتملة على الجم الغفير من أعراب الواسطة والعبيد ضاربين خزائنهم خارج المدينة بزيتون حمرية، وهناك محل خصوصي لحاكم الجيش، وقد

---

(1) بني مطير قبيلة توجد مواطنها بجنوب مدينة مكناس وجنوبها الشرقي، بطونها أيت بورزوين، وأيت حماد، وأيت نعمان، وأيت ورتيندي، وإيقدار، وءايت بوبيدمان، وءايت حرز الله، وآيت الحسن بن شعيب، وآيت وعلال بن بيطيط، وآيت سليمان.

وكانت طريق سائس وبني مطير من أصعب الطرق وأشقها، نظرا لطولها من جهة، ولكثرة ما بها من اللصوص وقطاع الطرق من جهة ثانية، وعن هذه الطريق يقول العلامة سكيرج في كتابه الرحلة المكية :

وسائس أرض بين فاس ومكناس بسيطة، تجهد السائر فيها لطول مسافته التي يريد قطعها في يوم واحد، وكان الغالب انقطاع الطريق بقطاعها من قبيلة بني مطير وغيرهم.

بنوا جملة من البيوت حوله من الخشب، وبعضها بالبناء المستعمل بالآجر الطيني على أحسن ما يكون.

وقد انتشرت تلك المحلة، وامتدت بامتداد الزيتون، وهناك بحمرية من وراء سيدي على مكراز أبنية لهم على نسق واحد، وكأنه محل معد لوقوف القطار المعروف في اللسان (لكار)[1] ولما وصلنا لباب أبي العمائر[2]، وجدناهم قد بنوا على العين التي هناك وأصلحوها وأعدوا منها مواضع للسفر والورود، وصانوها عن الخبث الذي كانت ملطخة به من غسل الثياب والصوف بها، ومنعوا نساء البلد من استعمال مثـــل هذا بها، غير أنه لم يصونوها من غسل ثياب عبيد المحلة بالماء الجاري من ساقيتها،

ويا حبذا لو كان منع الجميع من ذلك، أو أبقوا الأمر على ما كان عليه، حتى لا يقع امتياز على أهل البلدة، ولا ينافي التمدن الذي قرب إبانه، وأقبل بأعوانه زمانه، ولكن المستقبل قاض بالتفطن لمثل هذا، وتكون الأمور جارية على القانون الذي يتمشى عليه الخاص والعام، ولو بعد هذا العام، خصوصا في هذه المدينة التي اتسعت طرقها اتساعا يقضي بعمارتها في الغابر، وكأنها أعدت من قديم لمرور الكروسات[3]، والآلات المخترعة للركوب مثل السيارة، ومثل الطران [القطار] وغير ذلك، مما اقتضت قرائن الأحوال باستعماله، ولو بعد زمان له أهل الاعتبار يستعدون، وربك يخلق ما لا تعلمون[4].

---

(1) لكار : محطة القطار

(2) قال العلامة المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان : وإلى وادي أبي العمائر المذكور تنسب باب أبي العمائر من أبواب المدينة، وهو واقع في شمال غربي مستقبل حمرية إهـ... وقال المؤرخ ابن زيدان في موضع آخر ما نصه : وباب أبي العمائر المذكورة قد هدته الدولة الحامية عند حلولها بالعاصمة المكناسية، ولم تبق له عينا ولا أثرا، والقصد من ذلك إزالة الحاجز بين العاصمة القديمة والمدينة الجديدة، حتى لا تسد باب الأولى في وجه الثانية، ويتيسر سير العربات والسيارات بين المدينتين بدون أدنى حرج، ولإمكان المواصلة بينهما في سائر الأوقات، إلخ ... انظر إتحاف أعلام الناس للعلامة ابن زيدان ج 1 ص 50-51.

(3) الكروسات : المراد بها عربات ذات أربع درجات، يجرها خيل واحد، أو خيلان

(4) إشارة لقوله تعالى : وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، سورة النحل، الآية 8

ذكر بعض ما يتعلق بتاريخ مدينة مكناس[1]

ولنذكر هنا بعض ما يتعلق بهذه المدينة من التاريخ، حتى لا يفوتنا في هذه الرحلة الكلام عليها، مع ما اشتملت عليه من المآثر العجيبة، والآثار الغريبة، ووقوعها موقعا لم تقع مدينة في المغرب مثلها فنقول : ذكر المؤرخون، خصوصا من تأخر منهم أن مكناسة الزيتون من الأمصار القديمة بأرض المغرب، بناها البربر قبل الإسلام،

وكانت قبل فتحها ديار كفر من مجوس ونصارى، وحاضرتها إذ ذاك مدينة يقال لها (وليلي)[2] سميت باسم ملكها، وآثارها عظيمة، باقية لهذا العهد بأرض خيبر[3] من ناحية جبل زرهون، ولم تكن مكناسة في القديم متمدنة، وكانت الحارات مفترقة[4]، لمن كانوا قاطنين بها، منها تاورا[5]، وهي أقرب الحارات إلى المدينة، وورزيغة[6]، ويذكر أن أصل أهلها روم، وكانت ورزيغة مخصوصة بالأمن، يسكن أهلها الخيمات بالجنات، فلا يلحقهم خوف ولا ضرر، إلا ما يتوقعونه من الأسد الضارية المتوحشة في الغابات القريبة منها.

---

(1) مكناس : من أهم الحواضر المغربية الحديثة، تبتعد عن مدينة فاس غربا بـ 60 كيلومتر، وعن مدينة الرباط شرقا بـ 140 كيلومتر، ولهذه المدينة تاريخ حافل وعريق، انظر إتحاف أعلام الناس بجمال أخبرا حاضرة مكناس للعلامة عبد الرحمان بن زيدان العلوي الإسماعيلي، وفي الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون للعلامة سيدي محمد بن غازي العثماني.

(2) انظر التعريف بوليلي في ج 2 ص 127 من هذا المؤلف.

(3) يطلق لفظ خيبر اليوم فقط على الجهة الشرقية العليا لمدينة زرهون، وهي الجهة المواجهة للداخل من باب الحجر أحد أبواب المدينة المذكورة.

(4) انظر الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون لابن غازي ص 13.

(5) تاورا : حارة كبيرة تقع شرق مدينة مكناس، عن يمين الخارج من باب البراذعيين الذاهب إلى زرهون، وتشتمل هذه الحارة على مجموعة من الحوائر، لكن لم يعد اليوم معروفا باسمه القديم من حوائرها سوى حارة بني موسى، كما لم يبق اليوم من نسل سكانها بمدينة مكناس غير فخدتين وهما بنو حموش وبنو زغبوش، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 58، وفي الروض الهتون لابن غازي ص 16.

(6) ورزيغة : هي قرية صغيرة تابعة لجماعة الدخيسة، من إقليم مدينة مكناس

وقد كانت كل حارة من الحارات قائمة بنفسها، وكان أهلها مطمئنين بعد الإسلام، منذ ملك أمراء المسلمين بنو تاشفين[1] بلاد المغرب، وأخمد الله تعالى بسيرتهم نيران الفتنة البربرية، قيل ولم يكن لهذه الحارات قديما بمكناس مدينة مسورة، وكان واليها يسكن قصرا أدركه القدماء خرابا، يعرف بقصر (ترزجين)[2] جوفا من المدينة الآن،

فلما ظهر أمر الموحدين[3] أحدث المرابطون على الوادي الموجود بها حصنا سموه تكرارت بالقاف المعقودة، فلما أخذوا في بنائها اجتهدوا فيه، وأعجلهم الأمر حتى احتاجوا على ما يحكى إلى إقامة شقة من سوره بالأهرية المتخذة لادخار الأطعمة، وملئوها ترابا، وقاتلوا دونها حتى أكملوا البناء بعد ذلك.

وكان الموحدون حينئذ يسمون الناس المجسمين ويقاتلونهم قتال كفر، وكان الناس يسمونهم خوارج[4]، خوارج[4]، ولم تزل الغارات تشن عليهم، ولا زال الجيش محاصرا للمدينة، وصاحب المدينة يبالغ في نكايتهم بالأخذ منهم، والخنادق لا تغني عن محلتهم شيئا، قيل أنهم حفروا أول خندق قريبا من المدينة، فضيق عليهم المرابطون ومن معهم في المدينة حتى رجعوا وراءهم، ويخندقون حتى أكملوا سبعة خنادق،

وقيل : إنهم كانوا يحـرثون وراءها ولا يخشون المحاصرة التي كانت قريبـة من سبع سنين، حتى

---

(1) المراد بهم ملوك الدولة المرابطية، وهي الدولة العظيمة المشهورة التي حكمت المغرب العربي الكبير مع بلاد الأندلس زهاء مائة سنة، ومن أهم ملوكها الخليفة المجاهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني، باني مدينة مراكش، وقائد معركة الزلاقة الشهيرة.

(2) ترزجين : ينطبق وصف هذا القصر حاليا في هذا الوقت على المكان المعروف ببرج العريفة، الكائن بحارة بني موسى، قريبا من الجنان المشهور بجنان العريفة، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 84، وفي الروض الهتون لابن غازي ص 17.

(3) نسبة للدولة الموحدية، وهي من أعظم الدول الإسلامية المتعاقبة على الحكم بالمغرب، اتسعت حدودها الشرقية إلى برقة بليبيا، والجنوبية لأقصى نهر سينغال، بالإضافة لبلاد الأندلس التي عرفت أيام هذه الدولة استقرارا كبيرا، ومن أشهر ملوك هذه الدولة الخليفة عبد المومن بن علي الكومي، وابنه يوسف، وحفيده يعقوب المنصور مؤسس مدينة الرباط.

(4) انظر الروض الهتون لابن غازي ص 19، وفي إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 87.

استعجل أمر الموحدين وافتتحوها وخربوها، حتى جاء بنو مرين[1] بعدهم، فبنوا قصبتها[2]، وشيدوا لها المساجد والمدارس والزوايا[3]، وكانت هي كرسي الوزارة، كما أن حضرة فاس الجديد هي كرسي الإمارة.

وكان أمير المؤمنين المولى إسماعيل[4] رحمه الله لا يبغي بها بدلا، فلما فرغ من أمر فاس رجع إليها، وشرع في بناء قصوره بها، بعد أن هدم ما يلي القصبة من الدور، وأمر أربابها بحمل أنقاضها، وبنى لهم سورا على الجانب الغربي، وأمر ببناء دورهم به، وهدم الجانب الشرقي كله من المدينة، وزاده في القصبة القديمة، ولم يبق أمامه إلا الفضاء، فجعل ذلك كله قصبة، وبنى سور المدينة، وأفردها عن القصبة، وأطلق أيدي الصناع في البناء ومداومة العمل، وجلبهم من جميع حواضر المغرب،

ولما لم يقنعه ذلك فرض العملة على القبائل مناوبة، فصارت كل قبيلة من قبائل المغرب تبعث عددا معلوما من الرجال والبهائم كل شهر، وفرض الصناع وأهل الحرف على الحواضر، واستمر المولى إسماعيل مقيما بمكناسة، قائما على بناء حضرته بنفسه، وكلما أكمل قصرا أسس غيره، واعتنى كل الإعتناء بما يلي القصبة، وجعل لها عشرين بابا عادية في غاية السعة والإرتفاع، مقبوة من أعلاها، وجعل في هذه القصبة بركة ماء تسير فيها الفلك والزوارق المتخذة للنزهة والإنبساط،

---

(1) نسبة للدولة المرينية التي حكمت المغرب العربي الكبير مع بلاد الأندلس مدة قرنين من الزمان، ومن أهم ملوكها السلطان يعقوب بن عبد الحق، وأبو الحسن المريني، وولده أبو عنان، وغيرهم.

(2) القصبة : بناها السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني الزناتي في شهر شوال عام 671هـ، وتقع هذه القصبة اليوم وراء سورها المقابل للهديم وظهر السمن، وكان مسجد للا عودة الموجود داخلها يدعى سابقا بمسجد القصبة، ويصعب في الوقت الراهن ضبط حدود هذه القصبة نظرا للتغييرات الكثيرة التي أحدثها بها السلطان المشهور مولاي إسماعيل.

(3) انظر الورض الهتون لابن غازي ص 36-37.

(4) إسماعيل بن محمد بن علي الشريف المراكشي العلوي، من خيرة ملوك الدولة العلوية الشريفة، اتخذ مدينة مكناس عاصمة لحكمه، بويع له بعد وفاة أخيه المولى رشيد عام 1082هـ، وكانت أيامه أيام ظفر وفتوحات، ومن أهم منجزاته تحرير الكثير من المدن الشاطئية من الإحتلال البرتغالي والإسباني، وكانت وفاته رحمه الله بعاصمته مكناس، عام 1139هـ، ومدة حكمه 57 سنة، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 2 ص 50-76، وفي الدرر الفاخرة لنفس المؤلف ص 29، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 324.

وهي المعروفة بصهريج السواني[1]

وجعل بها هريا عظيما لاختزان الطعام من قمح وغيره، مقبو القنانيط، يسع زرع أهل المغرب[2]، وجعل بجواره سواقي للماء في غاية العمق، مقبوا عليها، وجعل في أعلاها برجا عظيما مستدير الشكل لوضع المدافع الموجهة إلى كل جهة، وجعل بها اصطبلا[3] عظيما لربط خيله وبغاله، مسيرة فرسخ في مثله، مسقف الجوانب على أساطين وأقواس عظيمة، في كل قوس مربط فرس، وبين الفرس والفرس عشرون شبرا.

يقال : إنه كان مربوطا بهذا الإسطبل اثني عشر ألف فرس، مع كل فرس سائس من المسلمين، وخادم من الأسرى يتولى خدمته، وفي هذا الإسطبل ساقية من الماء دائرة عليها مقبوة الظهر، وأمام كل فرس منها ثقب كالمعدة لشربه، وفي وسطه قباب معدة لوضع سروج الخيل على أشكال مختلفة.

وفيه أيضا هري عظيم[4] مربع الشكل، مقبوا لأعلى على أساطين عظيمة، وأقواس هائلة، لوضع سلاح الفرسان[5]، وينفذ إليه الضوء من شبابيك في جوانبه الأربع، وفوق هذا الهري من أعلاه قصر يقال له

---

(1) صهريج السواني : يبلغ طوله أزيد من 300 متر، أما عرضه فهو 148 مترا، بالإضافة لعمقه الذي يتجاوز ثلاثة أمتار، وكان الهدف من إنشاء هذا الصهريج تأمين الماء للقصبة أيام السلم وأيام الحرب، وكذا أيام الجفاف، واقترن اسمه بالآبار ذات الدواليب، والتي كانت تعرف بالسواني، ومن هنا تسميته بصهريج السواني،

(2) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 137.

(3) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 142.

(4) الهري : ويعرف بهري السواني، كان خزانا للحبوب في عهد السلطان المولى إسماعيل، وهو هري عظيم طوله 180 مترا وعرضه 69 مترا، وكان كله مقبوا إلا أن جزءا من سقوفه تداعت بسبب الزلزال المهول الذي ضرب مدينة مكناس عام 1169هـ ـ 1755م

(5) قال العلامة المؤرخ ابن زيدان : ومن المباني الهائلة بهذا الإسطبل أيضا هيكل الهري الماثل الآن فيه، وهو هيكل عظيم هائل اشتمل على أهرية منها : هري سبع قبب، وقد دخلنا هري سبع قبب هذا فوجدناه انتصب من بناء مهول مدهش، يمثل عظمة بانيه، وكمال اقتداره، وبه ست قبب محيطة بالقبة الوسطى التي هي سابعة القبب، يقال إن هذا الهري كان معدا لوضع السلاح الحربي فيه حتى يحتاج إليه، وقد كان السلطان العظيم الشان المولى الحسن عين هذا الهري لخزن البارود، ثم بعد مدة طرأ عليه ما أوجب نقل البارود منه، وذلك الطارئ هو حدوث بلل بأرضه لم يعهد فيه قبل، فنقل منه ووضع بهري آخر حذوه، ولم يزل مصونا به إلى أن حلت الدولة الحامية وألقته في صهريج السواني، حيث التقمته أفواه قنوات مجاري مياهه أيام امتلائه، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 142.

: المنصور[1]، ولا يقصر ارتفاعه من مائة ذراع، خمسون في الأسفل وخمسون في الأعلى، وفيه عشرون قبة، في كل قبة طاق عليه شباك من حديد يشرف منه أهل القبة على بسيط مكناسة من الجبل إلى الجبل[2].

ويجاور هذا الإسطبل بستان على قدر طوله، فيه من شجر الزيتون وأنواع الفواكه كل غريب، طوله فرسخ، وعرضه ميلان، ويتخلل هذه القصور التي في داخل القلعة شوارع مستطيلة متسعة، وأبواب عظيمة، فاصلة بين كل ناحية وبين الأخرى، ورحاب عظيمة، مربعة معدة لعمارة المشور في كل جانب إلى غير ذلك.

ولم تزل تلك البناءات على طول الدهر قائمة كالجبال، لم تسقطها عواصف الرياح، ولا كثرة الأمطار والثلوج، ولا آفات الزلازل، وكأن هذه البناءات نسخة من الأهرام، لتشييدها وعرضها واتساعها، وبالجملة إن مآثر هذا الملك العظيم، لو اجتمعت آثار دول جميع ملوك الإسلام لرجح بها ما أسسه في مملكته،

وقد كان رضي الله عنه من أهل التصرف الظاهري والباطني، لم يزل في مقارعة أعدائه إلى أن دوخ بلاد المغرب كلها واستولى على سهلها ووعرها حتى تخوم السودان، وما وراء النيل، وانتشرت دولته في عمائرها، وبلغ في ضخامة الملك ما لم يبلغه غيره من ملوك الإسلام.

وقد فتح ثغورا ومراسي عديدة، وامتدت مملكته في جهة الشرق إلى بسكرة من بلاد الجريد ونواحي تلمسان، والله أعلم حيث يجعل رسالاته[3] وكل ما في هذه البلاد العجيبة الوضع من الآثار الهائلة فهي له أو لأحد بنيه، وكانت ولادته رحمه الله سنة 1056هـ، وتولى الخلافة وهو ابن ست وعشرين

---

(1) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 143.

(2) في حق فخامة هذا القصر قال الوزير الإسماعيلي العلامة الأديب أبو حفص عمر الحراق هذه الأبيات :

أنـا قـصر الـعتاق مـن الـجياد * بـناني الله فـي نـحر الأعـادي
عـلى يـد عـبده الـمنصور حقا * وصلت على القصور بكل نادي
وكـيف لا أصـول عـلى المباني * وإسـماعيل قـد أسـمى عـمادي
وشـيـدنـي بـتـوفـيق ويـمـن * وعـمـرنـي بـآلات الـجـهـاد
وروع بـي الـصـلـيب وعـابـديه * فـنـال الـعـز مـن رب الـعـباد
أدام الله مـلـكـه فـي هـنـاء * وأعـقـاب إلـى يـوم الـتـناد

(3) سورة الأنعام، الآية 124.

سنة، وتوفي سنة 1139هـ، فكانت مدة جلوسه على كرسي مملكته سبعة وخمسين سنة، وضريحه مشهور لدى الخاص والعام، مقصود للزيارة.

وقد اشتهرت هذه البلدة التي أسسها على تقوى من الله ورضوان بالإسماعيلية، نسبة إليه قدس الله ثراه، ومن اليوم الذي توفي المولى إسماعيل، والملوك من بنيه وحفدته يخربون تلك القصور على قدر وسعهم، وبحسب طاقتهم، ويبنون بأنقاضها من خشب وزليج ورخام وقرمود ومعدن وغير ذلك إلى وقتنا هذا، فلم يبق في غالبها إلا الجدارات التي هي كالجبال الشامخة، مع ذهاب رونقها بمرور الأزمنة، وقد زالت سقفها، وذهبت أبوابها، ولم يبق منها إلا بعض المآثر من وجود سواري الرخام وقواعده التي أضحت على الطرق مرمية.

وكل من شاهد تلك الآثار يعجب من عظمتها ويقول : ليس هذا من عمل بني آدم، ولا يقوم به مال، وغالب الناس من سكان المغرب، خصوصا أهل مكناس يعتقدون بأن ذلك من عمل الجن المستخدم، وصفة هذه المدينة على الحالة التي عليها الآن فيما رأيناه وشاهدناه أنها بلدة في فضاء متسع، حاطت بها أسوار من خارج، دائرة عليها بمن حولها متينة جدا، إلا أن لطولها دخلها التلاشي في بعض المواضع للمارة.

وقد دارت المدينة بسور متين، اتصلت به أبنيتها مصونة بأبراج لا تحصى كثرة، معدة لدفع ما يطرأ من الحوادث، وفي هذه البلدة جنات بهيجة داخل البلدة وخارجها، ولها أبواب وحومات وحارات، وهي أحد عشر بابا مشهورا، منها باب أبي العمائر[1]، وهو الباب الذي يدخل منه لمكناس من فاس على زيتون حمرية، وبجواره حومة أروى مزين.

وقد وجدنا الإصلاح يستعمل في عقبة هذا الباب التي كانت مرتفعة، بقلع ترصيفه وتهيئته لترصيف جديد، وتوطئة القنطرة قبله، ثم باب تيزيمي[2]، وبجوارها حومة قاع وردة[3].

---

(1) سبق التعريف به ص

(2) قال المؤرخ ابن زيدان : وموقع باب تزيمي في الجانب الغربي الشمالي من المدينة، تنفتح دفتاه بين قوسين يسترهما سقف أعلاه غرفة معدة للقيم بحراسته، وخارج هذا الباب كانت سقاية السبيل المعروفة بسقاية الذهب، ولا زال إلى الآن سور صدر هذه السقاية شاخصا للعيان وكذلك غارباها، إلخ ... انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 227.

(3) قال المؤرخ ابن زيدان : ومن تأسيسات السلطان مولانا إسماعيل قصبة قعر وردة التي لازالت قائمة العين والإسم إلى الحين الحالي، وكان تأسيسه إياها عام 1101هـ، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 158.

ثم الحبول[1]، وهو المحل المعد لربط دواب البقر، ومنه يخرج لجنات ورزيغة، ثم باب البراذعيين[2]، بجواره قصبة تيزيمي[3]، ومرس جناح الأمان[4]، ومنه يذهب إلى جنات تاورا، وتقرب منه من خارج قصبة حرطان[5]، يسكنها الخلط[6]،ثم باب السيبة[7] بجوارها رحبة الزرع، وبالساحة المتصلة بها تباع الدواب يوم الخميس،ومنه تخرج الطوائف العيساوية لضريح الشيخ الكامل سيدي محمد بن

---

(1) قال المؤرخ ابن زيدان حول موقع الحبول : كان فيما سلف مربضا لبقر الأهالي المتجرين في بيع اللبن، الذي هو من أهم حاجيات تموين العاصمة ومن ضروريات مستشفياتها، وقد اختار الأقدمون من أهاليها مكان الحبول المذكور لاستقرار بقرهم، لما فيه من الجمع بين منفعة القرب والتحصين بسور العاصمة وبابها، ودفع مضرة عفوناتها باتصاله بالباب وانفصاله عن غالب المنازل، إلخ... انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 51.

(2) باب البراذعيين : باب واقع في غرب المدينة معروف بهذا الإسم إلى اليوم، وهو مقابل لجهة زرهون، ومنه يخرج القاصدون لها، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 226، وفي الروض الهتون لابن غازي ص 31.

(3) قصبة تزيمي الكبيرة : تقع داخل باب البراذعيين، ولازالت هذه القصبة مأهولة بالسكان إلى الآن، وسميت بتزيمي لكون ساكنيها من قبيلة تزيمي إحدى قبائل سجلماسة، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 170.

(4) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 158.

(5) قصبة حرطان : تقع بالجهة الغربية من مدينة مكناس، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 170.

(6) نسبة لقبيلة الخلوط القريبة من مدينة القصر الكبير، وهم عرب نقلهم للقصبة المذكورة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، في شهر ذي القعدة الحرام من عام 1270هـ، بهدف تدعيم وتعزيز الجيش البخاري، وعددهم على حسب رواية المؤرخ ابن زيدان 1500 رجل، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 171.

(7) باب السيبة : قال المؤرخ ابن زيدان : موقعه في الجانب الغربي الجنوبي خارج باب الجديد، بني على عهد عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، وذلك لما أضرمت نار الفتن البربرية، وتفاحش عبث أهل الزيغ والبغي، وصارت لصوصهم توالي النهب لكل ما وجدت إليه سبيلا خارج باب الجديد وبريمة، وتفاحش الضرر بالأهالي من سكان البلد وضاقوا ذرعا من ذلك، فبني هذا الباب إذاك على يد الباشا القائد محمد بن العواد الكبير، وهذا وجه إضافته للسيبة، إلخ... انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 228.

عيسى[1] رضي الله عنه، ولجنات بني موسى، ثم باب سيدي سعيد[2]، ومنه تخرج الطوائف العيساوية للولي الصالح سيدي سعيد فيزورونه، ويذهبون قاصدين للشيخ الكامل من خارج البلد، على طريق المحل المعروف (بوجه العروس)[3] يجاور هذا الباب اتصالا مِنْ دَاخِلٍ ملاحُ اليهود[4]، والصاكة، وقصبة بريمة[5].

---

(1) الشيخ سيدي محمد فتحا بن عيسى الفهدي السفياني المختاري المكناسي، من أكابر مشائخ الصوفية في القرن العاشر الهجري، ولد بفرقة مختار من قبيلة بني حسن بمنطقة الغرب بالمغرب عام 872هـ، أخذ عن جماعة من الشيوخ منهم : الشيخ أبو العباس أحمد الحارثي السفياني، والشيخ الكبير سيدي عبد العزيز التباع، وعلى يده فتح له، والشيخ سيدي الصغير السهلي، وأخذ هؤلاء الثلاثة مباشرة عن الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي.

وكانت وفاته رحمه الله بمقر سكناه بمدينة مكناس عام 933هـ، ودفن بمقبرة شيخه أبي العباس الحارثي خارج باب السيبة، وقبره مقصود يتبرك به، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 4 ص 11، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 186، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 264 رقم الترجمة 971، وفي ممتع الأسماع لمحمد المهدي الفاسي ص 80 رقم الترجمة 32.

(2) باب سيدي سعيد : قال المؤرخ ابن زيدان : ومنها باب سيدي سعيد، ويقال له باب الملاح، وباب وجه العروس، وموقع هذا الباب في الربع الغربي الجنوبي، وهو من تأسيس السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، أنشأه عند شق البرابر عصا الطاعة، وامتداد تمردهم وإضرارهم بأهل الذمة بنهب أمتعتهم، حيث كانت حارتهم خارج سور البلد عن يسار الخارج من باب بريمة، إلخ... انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 229.

(3) وجه العروس : هو باب الملاح، ويسمى كذلك بباب سيدي سعيد، وفي تسميته بباب وجه العروس إشارة للمكان الذي يطل عليه هذا الباب، وهي حقول وبساتين خضراء، ذات بهجة ونضارة، ومعظم الخضر والفواكه التي تجبى للمدينة إنما تزرع في هذا الموضع.

(4) قال المؤرخ ابن زيدان : ومن تأسيساته (يعني السلطان مولانا إسماعيل) حارة اليهود التي بها سكناهم الآن، أسسها عام 1093هـ، كما بتأليف الضعيف وغيره، وأمر بإخراج أهل الذمة من المدينة وإسكانهم بالمحل المؤسس لأجلهم، فسكنوه، وأخليت دروهم التي كانت وسط دور المسلمين بالمدينة، ثم سكنها أهل تافيلالت الذين بفاس بأمر من السلطان، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 157.

(5) قال المؤرخ ابن زيدان : ومن تأسيسات مولانا إسماعيل قصبة بريمة التي لازالت قائمة العين والإسم إلى الحين الحالي، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 157.

وَمِنْ خَارِجٍ قصبتا سيدي سعيد[1]، وقصبة تولال[2]، ثم باب زين العابدين[3]، ويجاورها المحل المعروف بالهديم، وفيه يعمر سوق البقر والغنم والمعز يوم الأربعاء.وفيه باب منصور العلج[4] الذي كان قديما باب دار المخزن، وعلى دكاكينه يحكم عامل البلد الآن، ومنه ينفد للمحل الخاص بالشرفاء العلويين، المعروف بالستينية[5]، والدار الكبرى التي كانت دار الملك المولى إسماعيل قدس الله روحه، والستينية قصر من جملة قصورها، ويجاور الباب المذكور من داخل المدينة جامع الأنوار[6]، وقد صار اليوم محلا لمأوى المساكين المخزنية، واتخذ قشلة لهم.

---

(1) قصبة سيدي سعيد : تقع خارج باب وجه العروس، ولازالت إلى يومنا هذا قائمة آهلة بالسكان، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 170.

(2) قصبة تولال : بناها السلطان مولانا الحسن الأول، وأصل ساكنيها من تافيلالت بالصحراء، أتي بهم بعد تمردهم بالمنطقة المذكورة، فسكنوا أولا بدار دبيبغ بضاحية فاس، ثم نقلهم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان لمدينة مكناس عام 1282هـ، وأدرجهم في الجيش البخاري، وكانت سكناهم إذاك في الخيام، ثم بنى لهم السلطان مولانا الحسن الأول القصبة المذكورة التي هي مستقرهم الآن، وموقع هذه القصبة غربا من المدينة، وقد أحدثت بها اليوم عدة دور ومسجد للصلاة، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 217.

(3) قال المؤرخ ابن زيدان : ومنها باب زين العابدين، وموقع هذا الباب في الجانب الغربي الجنوبي، على يسار الخارج من باب منصور العلج لبطحاء الهديم، بنى هذا الباب المولى زين العابدين بن السلطان الأعظم المولى إسماعيل أيام إمارته، تنفتح دفتاه بين قوسين يعلوهما سقف فوقه غرفة، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 229.

(4) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 190.

(5) من أعظم وأفخم القصور الإسماعيلية بمكناس، يزيد طوله على 100 متر وعرضه على 50 مترا، وفيه من الروعة والجمال ودقة الصنع ما ليس في غيره، ووجه تسمية هذا القصر بالستينية وجود قبب به لها مزيد أبهة وبهاء، ومن جملته كونها مسقفة بالعمل المعروف عند أهل حرفة النجارة بالستيني، فأعطيت التسمية للقصر كله من باب تسمية الكل باسم الجزء الأعظم إلخ ... انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 124.

(6) جامع الأنوار : لا زال يعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهو عن يمين الداخل إلى القصبة الإسماعيلية من باب منصور العلج، شيده السلطان مولاي إسماعيل، وكان في غاية الجمال والسعة لما احتوى عليه من قبب بديعة، وقوائم رخامية، مع الزخرفة الأندلسية الرفيعة الطابع، أنظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 159-164.

وبجواره قبة الخياطين[1]، وهي قبة عظيمة مرتفعة، معدة لوضع آلة الحرب، وبساحتها حبس قارة[2] المبني تحت الأرض ببناء عجيب متقن الوضع بالبلاطات، مفصول بعضها من بعض، وأقواسها مرتفعة تحت الأرض، يمر عليها المارة ولا شعور لهم بما تحتهم من هذا البناء الذي اتسع وامتد، ولم يقفوا له على حد لكونه تحت الأرض.

وهناك باب يقال له باب البوصلي، يفضي لضريح المولى إسماعيل، ومنه لأسراك[3] الممتد إلى المحنشة[4]، ثم باب ابن القاري[5]، وتجاورها قصبة بني محمد، وقصبة تواركة، وقصبة سيدي عياد،

---

(1) قبة الخياطين : تسمى أيضا بقبة السفراء، وهي من أهم المعالم التاريخية بمدينة مكناس، وهي قبة ذات سقف مغطى بالقرميد الأخضر، بينما زينت جدرانها الداخلية بالزليج، يعلوه شريط من الجبس مزينة بكتابة منقوشة عليه، وفي هذه القبة استقبل السلطان المولى إسماعيل بعض السفراء الأجانب الذين كانوا يأتون في الغالب للتفاوض حول الأسرى، ثم أصبحت بعد ذلك مكانا لتجمع الخياطين الذين يخيطون الملابس العسكرية، ومن هنا اشتقت تسميتها بقبة الخياطين

(2) قال المؤرخ ابن زيدان : ومن تأسيساته السرداب الهائل الكائن تحت أرض فسيح قبة الخياطين، ذو الأساطين المحكمة البناء، والأقواس الضخمة الشاهقة، تمر فوقه الركبان، وتجر الدواب عليه الصخور العظيمة، وتسير عليه السيارات البخارية المشحونة بالأثقال ذات بال، آناء الليل وأطراف النهار، بل جعلت فوقه جنات ذات أشجار وبقول، وصارت تسقى بالماء كل آونة فلم يؤثر عليه شيء مما ذكر.

يعرف هذا البناء اليوم بحبس قارة، ويقال أنه كان من جملة السجون المعدة للأسارى وغيرهم من أصحاب الجرائم العظيمة، يبيتون به ليلا ويخرجون نهارا للخدمة، قال أبو القاسم الزياني : وكان في سجونه من أسارى الكفار خمسة وعشرون ألف أسير ونيف، وكان يخدمون في قصوره، منهم الرخامون والنقاشون، والحجارون، والحدادون، والبناءون، والنجارون، والزواقون، والمهندسون، والمنجمون، والأطباء، ولم تسمح نفسه بفداء أسير بمال قط، وإنما كان يفدي ببعضهم من أسر من المسلمين، وكان في سجونه من أهل الجرائم العظيمة كالسارق والقاطع والقاتل نحو 30000، كلها تقيل بالخدمة مع أسارى الكفار، ويبيتون بالسجون والدهاليز تحت الأرض، إلخ... انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 135.

(3) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 216.

(4) المحنشة : من أفخر قصور السلطان مولاي إسماعيل بمدينة مكناس.

(5) قال المؤرخ ابن زيدان : ومنها باب ابن القاري، موقعه في الجانب الغربي من المدينة، وهو باب محكم البناء، يعلوه برج هائل، يشتمل هذا الباب على بابين، إحداهما يدخل منه لناحية القصور الملكية من جهة صهريج السواني، والآخر يدخل منه لناحية الأروى الإسماعيلي ومساكن الجيش الملكي الذي كان بمثابة الحرس، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 229.

ومن هذا الباب يخرج لصهريج السواني، وهناك الهريان العجيبان، وهذا الصهريج مع الهريين يدهش الناظرين من اتساع أركانها، وإحكام بنائها، المضروبة كلها في قالب واحد، علوا وعرضا، وفيه أحد أبواب أكدال، وفي هذا المحل قصبة الوصفان المعروفة بباب مراح، ثم باب البطيوي[1] بجوار القصر المعروف بالمنصور، وهو باب عجيب، ويجاور المسجد المعروف بجامع الأزهار.

وهو مسجد عظيم وحذاءه هريان عظيمان تحت الأرض، وهناك أحد أبواب أكدال، وبخارج هذا الباب قصبة الكدارة[2]، ثم باب كبيش[3]، تجاوره حومة الجبابرة وحومة المعاركة، وحومة زعير، وحومة الشاوية، وكراوة، وحومة الزيتون.

ثم باب الناعورة[4]، بجواره دار المخزن المسماة بالمحنشة، مع جنان ابن حليمة[5] المستع الأكناف،

---

(1) قال المؤرخ ابن زيدان : ومنها باب البطيوي، موقعه في الجانب الغربي، وهو باب متقن البناء في غاية الإحكام، يدخل منه لناحية الأروى الإسماعيلي، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 230.

(2) قصبة الكدارة : أسسها السلطان مولاي إسماعيل، قال المؤرخ ابن زيدان : أما قصبة الكدارة فنسبتها لفرقة من فرق الجيوش المولوية، أنزلها بها مؤسسها على ضريحه صيب الرحمات، وموقع هذه القصبة في الجهة الجنوبية من المدينة، وهي الآن خراب بيد المكلف بالأملاك المخزنية يكتريها منه من شاء، لكون عمارتها الأصلية بطلت، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 171.

(3) باب كبيش : قال المؤرخ ابن زيدان : ومنها باب كبيش بصيغة التصغير، موقعه في الجانب الشرقي في ناحية الأروى الإسماعيلي.

(4) باب الناعورة : قال المؤرخ ابن زيدان : ومنها باب الناعورة، وموقعه في الجانب الشرقي الشمالي، يعلوه برج عظيم هائل، محكم البناء، عجيب الإتقان، وقد أحدث السلطان العظيم الشان المولى الحسن في هذا البرج بإزاء هذا الباب بابا آخر قبالة قصر المحنشة السعيد، ومنه اليوم مرور كل صادر ووارد ممن يأتي من ناحيته، ووراء هذا الباب باب آخر يعرف بباب الناعورة البراني، وهو حديث البناء، ولا أستحضر الآن بانيه، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 230.

(5) جنان ابن حليمة : قال عنه العلامة سكيرج في كتابه الرحلة الزيدانية : وخرجنا من باب جنان ابن حليمة، وهو أعظم البساتين، ورأينا فيه منتزها يقال له قبة الناعورة، ومنتزها آخر يقال له القبة الزاهية، وفيه من أنواع الأشجار ما يزيد في نور الأبصار، وقد جرت عادة المخزن أن لا يدخل إليه أحد راكبا ولا يخرج راكبا، ونحن دخلناه راكبين، وفيه قلت :

لَمْ تَرَ فِي الجِنَانِ عَيْنِيَ رَوْضاً * مِثْلَ رَوْضٍ يُعْزَى إِلَى ابْنِ حَلِيمَهْ
هُوَ رَوْضٌ عَنِ الجِنَانِ تَبَدَّى * غَيْرَ أَنِّي دَخَلْتُهُ بِالبَهِيمَهْ

المتصل بأكدال، ومن خارج تتصل به قصبة هدراش[1]، ثم باب المرس[2]، بجواره قصبة سيدي عمرو الحصيني[3]، ومن خارج غرسة اليزيدية، وجنان كيتان، والمنصورية، إلى غير هذا مما يكل اللسان عن وصفه.

وقد وجدنا العسة[4] على كل باب من هذه الأبواب من العسكر المنظم للحراسة، فدخلنا من باب أبي العمائر، بعدما تلقانا الجم الغفير من الإخوان خارج البلد، فأخبرناهم بأننا افترقنا في الطريق مع سيدنا محمود رضي الله عنه عن مسافة بعيدة، فمنهم من واصل المسير كالجماعة التي تلاقيناها مع صهره الأبر سيدي الحاج محمد دادي، حيث كان تقدم صباحا لمكناسة لينظر المحلات المعدة للنزول، وبعد قضاء مأموريته رجع ومعه نحو أربعين بغلة من الإخوان، فكان محل ملاقاتنا معهم قرب الجديدة، وقد واصلوا المسير حتى يتلاقوا مع سيدنا محمود.

وسرنا قاصدين مكناسة، والمطر غزير، ثم تلاقينا مع نحو الستين من الإخوان راكبين، خرجوا أيضا للملاقاة بالمحل المعروف بالعواج، فرجعوا معنا للمدينة، حيث أن دخول سيدنا محمود لا يمكن إلا بعد الغروب، وأخبرونا بأن حاكم المحلة التي هناك كان مستعدا لملاقاة سيدنا محمود، مع بعض الحكام بها، إلا أن المطر صار مانعا من الإحتفال لهذه الملاقاة عند الدخول، لكن أخر الإجتماع إلى اليوم الثاني من يوم الدخول لمكناسة، فاجتمعنا به.

---

(1) قصبة هدراش : أنظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 146.

(2) باب المرس : قال المؤرخ ابن زيدان : ومنهما باب المرس، وهو لناحية القبلة، وإنما أضيف للمرس لوقوع المرس الإسماعيلي الهائل خارجه، والمرس المذكور هو من أعظم الأثار الإسماعيلية، وقد أدركنا هذا المرس يعمر بما يجبى إليه من زكوات الإيالة المولوية المجاورة للديار المكناسية، وعليه قيمون يحرسونه، وأمناء على محصولات ما تجبى إليه سنويا، إلى أن اختل ذلك بحدوث الترتيب والضرائب الوقتية، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 230.

(3) الشيخ عمر بن مبارك الحصيني، نسبة لحصين بالتصغير، فخذ من قبيلة بني حسن، بمنطقة الغرب، بشمال غرب المغرب، فقيه زاهد كثير التنسك والإنقطاع إلى الله تعالى، أخذ عن الشيخين الجليلين سيدي أحمد بن عمر الحارثي السفياني، وسيدي عبد العزيز التباع، وكانت وفاته رحمه الله بمكناس عام 910هـ، ودفن بروضة رأس التاج، وضريحه من أشهر المزارات المتبرك بها بمكناس، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 495. وفي ممتع الأسماع لمحمد المهدي الفاسي ص 81 رقم الترجمة 33.

(4) مصطلح داريجي مغربي، يراد به جنود الحراسة

فرأيت من تعظيم الجنرال وخليفته، والكمندار وترجمانه لحضرة سيدنا محمود ما تعجبت له غاية التعجب من الإحتفال التام، والبشاشة المنوطة بالأدب اللائق مع سيادته، ومقابلة سيدنا محمود لهم بما يناسب مقامهم، لإعطائه المراتب حقها بموجب التجلي الإلهي الوقتي الذي يجب الإذعان إليه، وكنت حالة الإجتماع بالجنرال معه، وثالثنا صهره الأبر سيدي الحاج محمد دادي.

فكانت ساعة من عجيب السوائع التي قل ما رأيت مثلها في عمري، وأتمنى لو رأى ذلك إخواننا المغاربة ليتأدبوا بآداب سيدنا محمود، وينظروا ملاقاة حكام الوقت لحضرته، فيتحققوا بأن هؤلاء الحكام يقدرون قدر أهل الديانة، خصوصا أهل هذه الطريقة التجانية، التي هي عندهم معظمة، محترمة في الوطن وفي غيره، لكونهم مشتغلين بما يعنيهم، ولا يتداخلون في أمر من الأمور، وهكذا رأيت احتفال حاكم المحلة النازلة بدار الدبيبغ قرب فاس حين تلاقيا، وكنت معه في تلك الملاقاة، فهش لملاقاته وبش بعد أن استدعاه.

وقد ذهب معنا ترجمانه للتلغراف البرقي[1] هناك، لنرى استخدامهم، فرأينا ما أبهرنا عندما صار البرق يلمع باحتكاك الكهرباء بدوران مكينتها[2] التي يتعجب ناظروها، مما اشتملت عليه من العجائب، مما لم تفصح عبارة عن وصفه، ولا يفي به بيان، ولا يقبل ما يقوله الإنسان فيه، إلا من رآه بالعيان.

وقد دفع إلي هناك المهندس الكبير المكلف به آلة السمع التي تستعمل على الأذن لتلقي الكلام البرقي عند المخاطبة، فسمعت صوتا مهموسا نحو الثلاث كلمات ما عرفت لها معنى، إلا أن المتلقي لها كتبها، ونحن ننظر إليه، ذاكرا أن ذلك الصوت من قرب الشاوية.

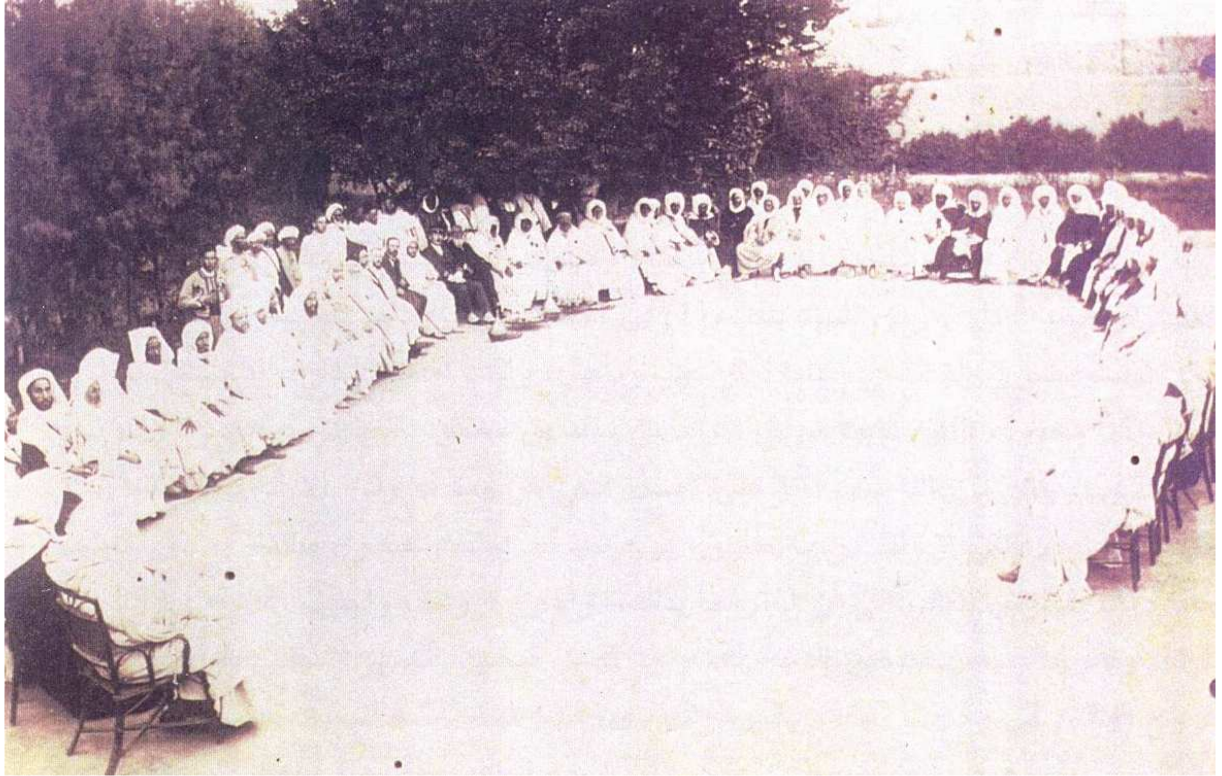
ورأينا هناك ما لم نقدر له وصفا، كل ذلك مع مراعاة الأدب اللائق بسيدنا محمود، ومقابلته لهم بما يليق بهم، من الإحترام الذي يقتضيه المقام، رعاية للقوانين المرعية لدى الخاصة والعامة بين أهل الوطن وغيرهم، مما لا يعرف قدره إلا من سافر ورأى من الأجانب وما لهم من الإحتياطات، والمحافظة التامة على إجراء الأمور على منهاجها لديهم.

(1) المراد به الهاتف، وكان وقتئذ حديث العهد بظهوره في المغرب، وكانوا يطلقون عليه اسم السلك

(2) المكينة : الآلة

فلا يدخل داخل إلا بتسريح[1]، ولا يخرج إلا بتسريح، وإلا رأى من المكر ما يستحقه، بترك المطلوب منه، في اتباع الطريقة القانوية، فيتعين حينئذ السلوك عليها بين العامة والخاصة، ولا فرق في ذلك بين من صغر شأنه أو كبر، إما بعز أو بذل.

وقد شاهدنا في ملاقاة هؤلاء الحكام لسيدنا محمود باحترام له ما تحقق لنا بأن ذلك غير مستعمل باليد، وإنما هو لسر رباني، ظاهر لدى كل واحد، وقد اقتضى المقام ذكر هذا على سبيل الإختصار، حتى لا يفوتنا الكلام على مثل هذا ونحوه مما شاهدناه في هذه الرحلة، لتكون مرآة يرى تمثال ما رأيناه متجليا فيها، مصورا على هذه العجلة.



صورة لإحدى احتفالات الفقراء التجانيين بمدينة مكناس بمقدم الشريف البركة سيدي محمود التجاني وقد التقطت هذه الصورة عام 1329هـ - 1911م

(1) التسريح : الترخيص والإذن.

ذكر بعض من تلقانا بمكناس، وكيف كان التلقي

ثم إن الإخوان الذين تلاقونا رجعوا معنا، وكان من جملتهم المقدم الأمجد، الفاضل الأسعد، الفقيه الوجيه، العدل النزيه، السيد بلقاسم[1] بن المقدم الأفضل، أحد خاصة أصحاب سيدنا سيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي، فتلقانا بترحيب وتأهيل، وتقدم أمامنا لداره، فدخلت مصاحبا لرفيق كاتب سيدنا محمود، الفقيه النبيه سيدي محمد بن سعد بن مسعود الربعي لمكناسة.

ولم ندر إلى أي محل نذهب، حتى أتى الله بمن دلنا على المحل الذي هو معد لنزولنا، إلا أنه ذهب بنا لدار المقدم فنزلنا بها عنده، فتلقى نزولنا بوجه طليق، فوجدناه قد استعد لدخول سيدنا عنده بالحليب والتمر، فتلقانا بعد الجلوس بذلك، إلى أن استرحنا بذلك، وأكرم نزولنا، وتغدينا عنده، وأزلنا أولا ثيابنا المبلولة، وقدم لنا مجامر التبخير المشعولة.

وعند قصد تبخيره لثيابي حدثني بما تتروح به النفس والروح قائلا : في الحديث "عليكم بالعود الهندي، فإنه فيه ثلاثة أشفية، منها ذات الجنب" أقول : لفظ الحديث كما في جامع السيوطي "عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية، يستعط به من العذرة، ويلد من ذوات الجنب، ح عن أم قيس[2] إهـ.

ولما استرحنا طلبنا منه أن يوجه معنا من يوصلنا للمحل المعد لنزولنا، فخرجنا من عنده شاكرين لجميله، وذهبنا لمحل النزول، فدخلنا لدار متسعة الأرجاء، ذات بيوت ثلاثة، مفترشة بفرش نظيفة، عليها رونق بهيج، وهي دار السيد إدريس بن بوشتة، أحد الإخوان المستخدمين مع المخزن، وكان نزول سيدنا برياض المرحوم السيد المكي التراب،[3] أحد أصحاب سيدنا رضي الله عنه، بالمحل المسمى بين العراسي، بين العشائين، ومحل نزولنا قريب منه بحومة جامع الزيتونة[4].

---

(1) انظر التعريف به ضمن ص

(2) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 65، وعزاه للبخاري عن أم قيس، ورواه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب السعوط بالقسط الهندي والبحري رقم 5368.

(3) المكي بن الحاج الحسين التراب، من أعيان أهالي مدينة مكناس، ينتهي نسبه للأسرة الرجراجية، وهو شقيق الحاج العربي التراب ناظر أحباس مدينتي مكناس وزرهون، وأحد الموقعين على بيعة السلطان المولى الحسن الأول

(4) مسجد الزيتونة : من خيرة مساجد مدينة مكناس، أسسه السلطان المولى إسماعيل عام 1099هـ، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 169.

وعلى الطريق التي مررنا عليها مررنا على المجذوب مولاي أحمد الوزاني، أحد المجاذيب المسلم لهم بهذه البلدة، ومحل جلوسه في المحجة الفاصلة بيننا وبين طريق الرياض المذكور، وهذا الشريف له أحوال تعتريه، وهو بمحله منذ أزمان، لا ينتقل عن ذلك المكان، لا صيفا ولا شتاء، ولا ترى له فضلة على ما أخبرونا بهذه الأحوال، وقد أصبح في وجهنا يوم الجمعة المباركة، ونحن بهذا المنزل على أحسن حال ولله الحمد.

وبعد صلاة سيدنا لصلاة الجمعة بجامع الزيتونة ذهب قاصدا لدار المقدم بلقاسم، حيث أنه هيأ له الغداء، وقدم معه الجم الغفير من الإخوان، فكانت ساعة مباركة، من كثرة الأنوار الساطعة بحضور سيدنا، مع ذلك الجمع المبارك الذي حف الحاضرون فيه بسور الحفظ والعناية، وفازوا فيه بالتوفيق للنظر في وجه سيدنا المنوط بالرعاية.

وقد هنيت الإخوان الحاضرين بالتمتع بالنظر في وجه هذا السيد المحمود فعله، المشمول برداء الشرف الأتم أصله، ولا شك أن النظر في وجهه مثل النظر في وجه سيدنا رضي الله عنه، والنظر في وجهه يوم الجمعة ويوم الإثنين يقضي بالسعادة الأبدية، من عام النظرة الخصوصية، التي قيل له فيها : اخرج لعبادي فمن رآك فقد رآني[1].

وهذه النظرة الخصوصية موروثة عن سيدنا رضي الله عنه، ورثها عنه الخاصة من أصحابه، فمن رأى الوارث كان كمن رأى موروثه، وأفضل وارثيه على الإطلاق أولاده، وأولاد أولاده ما امتدت فروعهم وتناسلوا، زاد الله في مددهم.

ولا شك أن سيدنا محمودا رضي الله عنه رأى والده سيدنا محمد البشير، وهو رأى والده سيدنا محمد الحبيب، وهو رأى صاحب هذه الخصوصية القطب الرباني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقانا الله من بحر عرفانه بأكبر الأماني،

---

(1) إشارة لما ذكره العلامة سيدي أحمد سكيرج في كتابه كشف الحجاب حيث قال : حدثني سيدي و مولاي العارف بالله أحمد العبدلاوي نفعني الله به و المحبين ببركته ، أن العارف بالله الولي الكبير مولاي مَحمد بن أبي النصر الشريف العلوي كان مارا بحومة الشرابليين من مدينة فاس ، صانها الله من كل باس . فلما بلغ لباب درب زقاق الرواح وجد سيدنا رضي الله عنه هناك واقفا و الناس ينظرونه من الطرق الأربعة . فلما رأى سيدنا رضي الله عنه سلّم عليه ، و بقي واقفا بجنب سيدنا رضي الله عنه حتى ذهب معه لدار سكناه هناك . ثم قال لسيدنا رضي الله عنه : يا سيدي ما سبب إطالة وقوفك في ذلك المحل ؟ . فقال له رضي الله عنه « قيل لي من الحضرة الإلهية : اخرج لعبادي في صورتي ، فمن رآك رآني و مثل هذا لا ينكره إلا جاهل بسعة فضل الله تعالى أو منكر لكرامات الأولياء . فلا عبرة بمن أنكر مثله على أكابر العارفين ،

فمن رآه بهذه النية نال هذه المزية، خصوصا مع اعتقاد أنه من أهل الإصطفاء، لأن النافع هو النظر مع الإعتقاد، وعدم الإعتراض والإنتقاد. وقد حكوا أن بعض الأمراء شد الرحلة لزيارة أبي يزيد البسطامي قدس سره، فلما وصل إلى المحل الذي كان به وجده قد توفي، فسأل عمن يعرفه من أصحابه، فقيل له : هنا شيخ كبير، فأتى إليه فقال له : هل رأيت أبا يزيد ؟ فقال : رأيته وسمعته يقول : من رآني أو رأى من رآني لا تمسه النار، فقال : كيف يكون هذا ؟ وأبو لهب قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فقد دخل النار ؟ فقال له الشيخ : إن أبا لهب لم يرى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما رأى يتيم أبي طالب إهـ...

اجتماعنا بنقيب الشرفاء العلويين مولاي عبد الرحمان بن زيدان[1]

وبين العشائين جاء للإجتماع بنا بمحل نزولنا، نقيب الشرفاء العلويين، العلامة الفاضل، الجامع لشتات المكارم والعرفان خصوصا، مولانا عبد الرحمان بن زيدان، وقد تأسف على عدم خروجه لملاقاتنا، وشرع في المعاتبة، على ترك إعلامنا له بالمكاتبة، وكنت أعلمته بفاس على طريق البوسطى[2] الفرنسية، إلا أن الكتاب لم يصله، كما لا تصل غالب المكاتب إلى أهلها غير ما مرة مع هذه البوسطى التي كانت فائقة على غيرها من البوسطات، وقد صارت لهذا العهد تضيع المكاتب العديدة على طريقها، ونفرت نفوس غالب المغاربة من توجيه مكاتبهم معها،

مع أنه من حقها ينبغي تقدمها على غيرها أمام البوسطات، خصوصا في هذا الإبان، بما لها من التداخل في الإصلاحات بحكم المجاورة المغربية، ورعاية حقوق الوطنيين، والتهاون في هذا غير سائغ، ولا بأس بالتنبيه على مثل هذا عسى أن يجد له آذانا واعية، فينظر لذلك بعين التبصر من المكلفين بالمراقبة على الأمور، ليقع التمشي على القوانين المرعية، حتى لا تضيع الحقوق العمومية والخصوصية، وقد كنت وجهت له طي الكتاب المذكور هذه الأبيات :

دَعَانِيَ دَاعِي الشَّوْقِ مِنْ بَيْنِ إِخْوَانِي * إِلَى حَضْرَةِ الوَلِي النَّقِيبِ ابْنِ زِيدَانِ
وَأَزْعَجَنِي حَتَّى غَدَوْتُ مُوَلَّهًا * بِمَا بِالجَوَى لَاقَيْتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ
وَلَمَّا احْتَمَلْتُ مَا احْتَمَلْتُ وَلَمْ أَجِدْ * لِنَفْسِي اصْطِبَارًا لِلَّذِي فِيهِ أَفْنَانِي

(1) أنظر التعريف به في ص

(2) البوسطى : بمعنى البريد

أَتَـيْـتُ إِلَـيْـهِ طَـالِـبًـا مِـنْـهُ قُـرْبَـهُ * وَجِئْتُ بِمَحْمُودِ المَسَاعِي ابْنِ تِجَانِي
وَهَـا أَنَـا ذَا اسْتَـظْلَلْتُ تَـحْتَ جَـنَاحِهِ * لَـعَـلِّي أَنْ أَلْـقَـاهُ مِــنْ بَـيْـنِ إِخْـوَانِـي
وَغَـــايَـــةُ مَــطْــلُـوبِـي دَوَامُ وِدَادِهِ * وَحُـبِّـيَ فِـيـهِ كَـامِـلٌ دُونَ نُـقْـصَـانِ

ثم صار الإخوان يتواردون عليه لزيارته في كل يوم، وإذا خرج من عنده قوم جاء آخرون، وقد ذهبنا مع سيدنا محمود إلى بعض مواقع سكناهم، حيث ألحوا عليه للقدوم عندهم للتبرك به، فذهبنا يوم السبت للمحلة التي هي خارج البلد من باب أبي العمائر، للإجتماع بالجنرال بعد الإستدعاء منه، فذهبنا عنده رعاية للقوانين التي يجب سلوكها، حتى لا يقع تشويش للجانبين في الجولان في هذه الأقطار، خصوصا في هذه الأوقات التي اتقدت فيها نيران الفتن،

وفي يوم الأحد بعد صلاة العصر ذهب سيدنا محمود وذهبنا معه لدار السيد محمد بن المكي ابن القاضي[1]، باستدعائه للتبرك به، فدخلنا عنده مع جماعة من الإخوان، فوجدناه قد هيأ وليمة حافلة لدخول سيدنا عنده، وكان ذلك موافقا لاستعمال عرس أحد أبنائه، فكان بحضور سيدنا محمود مباركا سعيدا، ومن الساعة التي دخلنا عنده وأصحاب السماع ينشدون، وأول ما أنشدوه قول أبي مدين[2] رضي الله عنه :

---

(1) محمد بن المكي ابن القاضي، من أعيان مدينة مكناس، من أسرة تنتمي إلى موسى ابن أبي العافية المكناسي الزناتي، واشتهرت هذه الأسرة باسم ابن القاضي، لأن أحدهم وهو أبو العز كان يتولى منصب القضاء في مكناسة عام 824هـ، إبان عهد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني

(2) الشيخ الجليل أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، من أعيان المشايخ الصوفية، أصله من أحواز إشبيلية بالأندلس، بقرية تدعى : قطنيانة، وبها ولد عام 515هـ، ثم ارتحل للمغرب فأقام بفاس مدة غير قصيرة، ومنها انتقل لبجاية بالقطر الجزائري، وكانت وفاته رحمه الله عام 594هـ، ودفن بقرية العباد المجاورة لمدينة تلمسان، عن 85 سنة من عمره، انظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 364، وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ج 1 ص 530، رقم الترجمة 609، وفي الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 154 رقم الترجمة 275، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 164 رقم الترجمة 508، ، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 166.

مَا لَذَّةُ العَيْشِ إِلَّا صُحْبَةُ الفُقَرَا * هُمُ السَّلَاطِينُ وَالسَّادَاتُ وَالأُمَرَا[1]

ثم نهض سيدنا محمود ونهضنا معه، وركب وركبنا، وذهبنا في تكميل هذه العشية بصهريج السواني، فكانت عشية مبتهجة، تتسلى بها كل مهجة، على اتساع ذلك الصهريج الذي هو بحيرة تضاهي بحيرة سارة في الإتساع، وهو مع الهري المتصل به من أعجب ما يراه الناظر، وتعجب له أهل الإختراع، وكأن لسان حال هذه المآثر الموجودة بهذه المدينة الغراء، يقول على لسان من بناها من القدماء :

إِنَّ آثَارَنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا * فَانْظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الآثَارِ

ثم رجعنا مارين على الطريق الموصلة لضريح الولي الصالح المشهور بسيدي سعيد[2]، محل جلوس

---

(1) هو مطلع قصيدة رائية جميلة للشيخ أبي مدين الغوث، قال ضمن أبياتها الأخيرة :

أحبهم وأداريهم وأوثرهم * بمهجتي وخصوصا منهم نفرا
قوم كرام السجايا حيثما جلسوا * يبقى المكان على آثارهم عطرا
يهدي التصوف من أخلاقهم طرفا * حسن التآلف منهم راقني نظرا
هم أهل ودي وأحبابي الذين هم * ممن يجر ذيول العز مفتخرا
لازال شملي بهم في الله مجتمعا * وذنبنا فيه مغفورا ومغتفرا

(2) صوفي جليل، كان من الأوتاد الأربعة في عصره، قال في حقه صاحب مرآة المحاسن : وكان من أكابر الأولياء، ومشاهير المشايخ، من ذوي الهمم العالية، وقال في محل آخر : وشهرته بالولاية والبركة بلغت الغاية إهـ... وهو من تلامذة الشيخ الشهير سيدي سعيد الداعي الدغوغي، ويكفيه فخرا أن يكون من بين تلامذته العلامة الشيخ أبو المحاسن سيدي يوسف بن محمد الفاسي،

وفي حقه يقول صاحب كتاب دوحة الناشر، لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر : ومنهم الشيخ الولي صاحب البركة الظاهرة، أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشنزائي، نزيل مكناسة، كان من عباد الله الصالحين، وأوليائه المتقين، متواضعا زاهدا، متقشفا، كثير الخشية، لا يفتر عن ذكر الله تعالى، يطعم الطعام، ويكفل الضعفاء والأيتام، لا يلبس سوى مرقعة خشنة، وقلنسوة كذلك من الصوف، كثير الصمت والفكرة، وله موضع بزاويته يلازم الجلوس فيه، فلا يرى قائما إلا إلى الصلاة، لا يرى له سبب ولا حراثة، وترد زاويته الوفود في كل يوم وليلة، ونعم الله تشمل جميعهم وتعمهم. إلخ..

توفي سنة 969هـ ودفن خارج باب المشاورية؛ أحد أبواب مدينة مكناس، وضريحه مشهور، مقصود من طرف الناس، عامهم وخاصهم، يتبرك به، أنظر ترجمته في ممتع الأسماع، لمحمد المهدي الفاسي ص 124-127 رقم الترجمة 73، وفي الإعلام بمن حل مراكش، للعباس بن إبراهيم 10 : 141.

المجذوب المعروف بسيدي منصور[1]، المشهور عند أهل مكناسة بالكشف الصريح، فسمع به سيدنا محمود فأحب الوقوف على حقيقة أمره فقصدناه، غير أني استعملت في الطريق هذين البيتين، في خطاب هذا المجذوب بلامين :

يَا سَيِّدِي مَنْصُور لَسْتُ بِزَائِرٍ * لَكِنَّنِي قَدْ جِئْتُ خَلْفَ إِمَامِ
لَا أَبْتَغِي مَدَدًا لَدَيْكَ لِأَنَّنِي * شَيْخِي كَفَانِي نَيْلَ كُلِّ مَرَامِ

ومن الأمر العجيب من أحوال سيدنا محمود رضي الله عنه، أنني استعملت هذين البيتين، وخطر ببالي معنى الزيارة التي منعنا منها في طريقتنا المحمدية، حتى لا نجتمع بولي من الأولياء مما تخل به الرابطة بين المريد وشيخه، وكان هذا الخاطر موافقا لوصولنا لضريح الولي المذكور، فبمجرد وصولنا لوى العنان عن ذلك المكان، ورجعنا معه لمحل النزول.

وفي زوال يوم الإثنين قدم لمكناسة مقدم زاوية شراكة المشهور بين الإخوان بالمقدم ابن سلطان[2]، وهو رجل ذو شيبة منورة، وسريرة مطهرة، قد تلاقى مع جل أكابر الطريقة فيما حدثنا، مثل المقدم

---

(1) أبو عبد الله سيدي محمد منصور بن محمد بن عبد القادر، من ذرية الولي الشهير سيدي سعيد بن أبي بكر المشنزائي، دفين خارج باب الخميس من مدينة مكناس، مجذوب ساقط التكليف، ذو كشف واضح وأحوال خارقة، أخذ عن الولي الصالح سيدي عبد القادر العلمي، ثم بعده عن سيدي عبد الكريم بن الرضي الوزاني، كان مهابا لدى عامة الناس يحترمونه ويبجلونه، ويعتقدون فيه الخصوصية، ويعدونه من أهل الفضل، له أحوال سنية على طريق أهل الجذب، ينطق بالمغيبات من اختيار منه فتكون على وفق ما ذكر،

توفي عند ظهر يوم الأحد 22 ربيع الثاني عام 1334هـ ــ 26 فبراير 1916م، ودفن من يومه بضريح جده المذكور، في قبة الذكر، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان 4 : 296.

(2) سبق التعريف به في ص

والعارف بالله الولي الصالح الكبير السائح العارف الشريف سيدي محمد بن أحمد أكنسوس[1]

---

(1) العلامة سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، أحد مشاهير رجالات الطريقة التجانية في عصره، ولد بسوس عام 1211هـ ـ 1796م، وهو آخر وزراء السلطان أبي الربيع مولانا سليمان، له مؤلفات كثيرة منها: الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، والجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريقة الإمام التجاني بلا تثبت، والحلل الزنجفورية في الجواب عن الأسئلة الطيفورية، ودوحة المجد والتمكين في وزارة ونسب العالمين ابني عشرين، والبديع في علم التعديل، وشرح عجيب على القاموس المحيط، للفيروأبادي، إلى غير ذلك من مؤلفات كثيرة أخرى.

توفي بمراكش بتاريخ ليلة الثلاثاء 28 محرم عام 1294 هـ، 12 فبراير 1877م، ودفن خارج باب الرب، قرب ضريح الشيخ أبي القاسم السهيلي،

أنظر ترجمته في الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى 9: 161. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 7: 8 -17 رقم 852. إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 7: 2656. الأعلام للزركلي 6: 19. آداب اللغة العربية 2: 21-22. إيضاح المكنون 1: 418. بروكلمان 2: 884- 885. رسائل معلمة معالم سوس، سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون. الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، للعلامة أكنسوس، تحقيق حفيده العلامة أحمد الكنسوسي. تاريخ الشعر والشعراء بفاس، للنميشي 36. تاريخ المكتبة الإسلامية ومن ألف في الكتب، للعلامة عبد الحي الكتاني 89. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، لمحمد الأخضر 431- 444. حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار، لمحمد بن المعطي السرغيني (مخطوط خاص) دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1: 38- 145 165-205 -207- 260 و2: 379 - 391- 427- 454- 272. ذكريات مشاهير رجال المغرب، لعبد الله كنون، العدد الرابع. رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 202. روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة، لابن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 25. رجالات العلم العربي في سوس 207. رفع النقاب بعد كشف الحجاب، للعلامة سكيرج 2: 111- 139. السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، لابن الموقت 2: 417- 418 رقم الترجمة 304 . شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 1: 577 رقم رقم 1630، كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 328-334. فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 43 . فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان 7: 40. فهرس المخطوطات العربية 2: 75، الكتابة والكتاب، للرندي 25، معلمة المغرب2: 632 -634. معجم المؤلفين 8: 310. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 23 رقم الترجمة 38. المعسول 11: 276 و 14 : 29. مؤرخو الشرفاء، لبروفنسال 200- 213. نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي، رقم الترجمة 333. النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون 1: 317.

الشهير سيدي محمد العربي بن السائح[1]، والولي الأشهر سيدي العربي الشهير بالموساوي العلمي[2]، ويحكي عنهم أمورا عجيبة، وأحوالا غريبة، حصلت له معهم، وقد جاء من محله لزيارة سيدنا محمود رضي الله عنه، حيث أنه لم يعرج على طريقه في سفره، بعدما كان هيأ لملاقاته ما هيأه، وأعلم الإخوان القاطنين بشراكة والحياينة وأولاد عيسى وغيرهم ممن أتوا لملاقاته بمحله،

---

(1) إشارة للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن محمد بن السائح الشرقاوي العمري، فقيه، محدث، مفسر، أديب، صوفي، أحد مشاهير رجالات الطريقة الأحمدية التجانية بالمغرب، ولد بمكناسة الزيتون في فجر يوم عيد الأضحى من عام 1229 هـ ـ 22 نونبر 1814م

أخذ رحمه الله العلم عن جماعة من أجلة علماء المغرب في عصره منهم : العلامة الوليد العراقي الحسيني، و عبد القادر الكوهن، والهادي بن الشافعي المكناسي، المعروف ببادو، وغيرهم.

وله رضي الله عنه مؤلفات كثيرة منها : بغية المستفيد لشرح منية المريد، وشرح لامية البوصيري، وشرح صلاة الفاتح لما أغلق، وتعليق على الهمزية، وتعليق على بردة المديح للبوصيري، وشرح للقصيدة الخزرجية، وتعليق على الشمائل الترمذية، وطرر على شرح النووي على الأربعين النووية، وتفسير لقوله تعالى: { وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم } ، وكتاب السعادة الأبدية في الأذكار التجانية الأحمدية، ورحلة عجيبة أبدى فيها وأعاد، وعدة ختمات لصحيح الإمام البخاري.

توفي رحمه الله ليلة الأحد في الساعة الحادية عشر 29 رجب الفرد الحرام عام 1309 هـ ـ 28 فبراير 1892م، وتولى الصلاة عليه بالمسجد الأعظم بالرباط العلامة القاضي سيدي أحمد بناني الرباطي، ودفن برياضه الفائح، وهو المحل الذي كان يجلس فيه عند مجالسه الحديثية.

أنظر ترجمته في فتح الملك العلام، للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 44، وفي نخبة الإتحاف، لنفس المؤلف رقم الترجمة 137 وفي كشف الحجاب، للعلامة سكيرج ص 313، وفي رفع النقاب، لنفس المؤلف 2 : 40-124 وفي الأزهار العطرة الروائح في التعريف بمولانا العربي بن السائح، للعلامة سيدي محمد الحجوجي، وهو الجزء الرابع من سلسلته الفائحة المسماة بإتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، وأنظر أيضا الإغتباط، لمحمد بوجندار ص 417، إتحاف أعلام الناس، لإبن زيدان 5 : 429، الأعلام بمن حل مراكش، لابن ابراهيم التعارجي 7 : 73-76 روض شمائل أهل الحقيقة، لإبن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 27 ، أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، لعبد الله الجراري 2 : 368، موسوعة أعلام المغرب، لحجي 8 : 2788، الأعلام، للزركلي 6 : 265، معجم المطبوعات، لإليان سركيس 1319، وخصه العلامة سيدي محمود بن المطمطية بتأليف سماه : صبح الولاية اللائح، بترجمة عالم الطريق سيدي العربي بن السائح. وللعبد المذنب محمد الراضي كنون تأليف في ترجمته سميته : خلاصة المسك الفائح، في ترجمة سيدي محمد العربي بن السائح، في ثلاثة أجزاء.

(2) أنظر التعريف به في ص

وبقي في نفسه شيء من عدم مرور سيدنا محمود على طريقه، وكان قبل السفر وجه بعض البهائم لحمل أثقال سيدنا محمود لرباط الفتح، إلا أنه لما لم يمر بطريقه طلب رد البهائم إلى أهلها، معتذرا بأنها ليست له، وأنه كان هيأ بهائم أخرى توصل سيدنا محمودا لأولاد عيسى، ومنها إلى الإخوان بعددهم، فيحملون أثقاله، وهكذا إلى أن يصل للرباط،

فلما سمع بهذا سيدنا محمود رضي الله عنه، كلف سيدنا رضي الله عنه صهره الأبر سيدي الحاج محمد دادي بشراء عشرة دواب لحمل بقية أثقاله، وهذا هو المناسب لحاله.

ذكر استدعاء النقيب مولاي عبد الرحمان بن زيدان لنا

ثم جاء لمحل نزولنا في هذا اليوم الشريف النقيب، لانتظار ذهاب سيدنا محمود لرياضه البهيج، ولما طال انتظاره كتب هذين البيتين ووجههما إليه :

يَا مَنْ بِهِمْ قَدْ زَهَا[1] الوُجُودُ * بِـوَصْـلِكُمْ لِـلغَرِيمِ جُودُوا
طَـالَ انْتِظَارِي إِلَى عُلَاكُمْ * وَنَـارُ شَـوْقِـي لَـكُمْ وُقُـودُ

وبعد ساعة زمانية ركب سيدنا بقصد الذهاب إليه، ولما وصلنا صلينا العصر هناك، وحضر عنده جماعة من السادة الشرفاء العلويين، وغيرهم من الفقهاء المبجلين، مثل الأخ الأفضل الفقيه الكاتب الأجل، أبو بكر سيدي محمد الغالي السنتيسي[2] التجاني طريقة، تلاقى مع سيدنا محمود رضي الله عنه بعد الفراغ من الصلاة، وأتى مصاحبا لقصيدة في مدحه، فقرأتها بحضرته، يقول في مطلعها :

بَابُ السَّعَادَةِ فُتِّحَتْ فِي الحَالِ * أَمْ شَمْسُ فَتْحٍ أَشْرَقَتْ لِوِصَالِي

إلى آخرها لتنظر في ترجمته، وقد حلت محل القبول من سيدنا محمود، ودعا له بما يرجى قبوله، ثم ركبنا مع سيدنا رضي الله عنه، وخرج للمحل المعروف بأكدال للتفسح، فشاهدنا هذا المحل

---

(1) زها : أشرق وزهر

(2) انظر التعريف به ضمن ص

المتسع، ورأينا فيه النعامة والظليم[1] من الطيور القاطنة به منذ قديم، ثم بعد الرجوع للمحل أطلعني سيدنا الشريف النقيب على هذين البيتين في خطاب سيدنا محمود، في بلوغه للمقصود، وهما :

بَلَغْتَ القَصْدَ يَا صَدْرَ الصُّدُورِ * بِعِزٍّ فِي الوُرُودِ وَفِي الصُّدُورِ
وَدُمْتَ مَدَى المَدَى مَحْمُودَ سَعْيٍ * وَبِالمَحْمُودِ تَشْرَحُ لِلصُّدُورِ

في يوم الثلاثاء استدعى سيدنا محمودا لداره الشريف المنيف مولاي المهدي العلوي، أحد الإخوان، القائم بتنظيم حلقة يوم الجمعة بزاوية مكناس، فذهبنا إليه بعد صلاة العصر، ولم يقصر في الإكرام، مع الإحتفال المنوط بالإحترام، ثم خرجنا قاصدين التفسح بخارج البلد، فخرجنا من باب تيزيمي، وذهبنا على طريق باب القرمود إلى المحل المعروف بورزيغة، وهي محل منخفض، مشتمل على جنات عديدة، تسلي الناظر إليها، ورجعنا على طريق عين الكبير رسغين، ثم شققنا في الطريق الأولى وقصدنا الدخول، من باب أبي العمائر لمحل النزول.

احتفال عامل مكناس بنا وغيره من الإخوان

وفي يوم الأربعاء استدعانا المحب الأرشد، الباشا الأسعد، السي بنعيسى بن عبد الكريم عامل مكناس، فدخلنا لداره مع سيدنا محمود رضي الله عنه، وقابلنا بأحسن مقابلة، وأقبل عليه سيدنا محمود بقبول، نال به الباشا المذكور غاية المنى والسول، وبعد الغداء رجع سيدنا محمود لروض نزوله، وفي صباح هذا اليوم كان توجه لفاس السيد محمد أخو سيدي الحاج محمد دادي من أبيه، لقضاء بعض الأغراض بها. فكتبت معه أخاطب شيخنا العلامة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم

---

(1) الظليم : الذكر من النعام وجمعه ظلمان وأظلمة.

بنيس[1]، مع جماعة الإخوان :

يَا سَادَةً فِي فُؤَادِي حُبُّهُمْ رَاسِي * وَبِاقْتِرَابِي لَـهُمْ تَطِيبُ أَنْفَاسِي
وَدَّعْتُكُمْ وَقُلَيْبِي ضَـاعَ عِنْدَكُمُ * مِنْ أَجْلِ بَيْنِكُمْ قَدْ ضَاعَ إِينَاسِي
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ جَمْعًا كُنْتُ أَحْضُرُهُ * وَأَنْـتُمْ نُـورُهُ مِـنْ سَاكِنِي فَـاسِ

---

(1) الفقيه العلامة الشهير سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس الفاسي دارا ومنشأ وقرارا، ولد رحمه الله بالعقبة الزرقاء بمدينة فاس في شهر ذي القعدة الحرام سنة 1267هـ ـ شتنبر 1851م، وبعد حفظه القرآن حفظا متقنا تعاطي لطلب العلوم، فأخذ عن أكابر العلماء والفقهاء بفاس، منهم والده سيدي الحاج العربي بن محمد بن عبد النبي الفاسي دار الأندلسي أصلا، والفقيه العلامة سيدي محمد كنون. وسيدي أحمد بن سودة. ومولاي محمد العلوي. وسيدي الهادي الصقلي. والعلامة سيدي محمد التدلاوي . وسيدي محمد الوزاني. والفقيه سيدي أحمد بن الخياط. وسيدي محمد القادري. وسيدي جعفر الكتاني. والعلامة سيدي أحمد السريفي. والفقيه سيدي إدريس البلغيثي وغيرهم.

وله رحمه الله تآليف كثيرة منها نظمه للحكم العطائية المسمى بواضح المنهاج بنظم ما للتاج، ومنها درة التاج وعجالة المحتاج، ومنها نظمه في التجويد، في أكثر من خمسمائة بيت، وغير ذلك من الفتاوي والرسائل العلمية المفيدة.

وتقلد رحمه الله بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد العلامة سيدي محمد بن عبد السلام كنون، ثم على البركة العارف بالله سيدي العربي اللحياني الموساوي بزرهون، وقدمه لتلقين أورادها العارف بربه الشريف مولاي أحمد العبدلاوي، ثم حصل بعد ذلك على الإجازة المطلقة من لدن المقدم الشهير سيدي الطيب بن أحمد السفياني

ولتلميذه العلامة سكيرج قصائد كثيرة في مدحه منها قوله في طالعة إحداها :

أحبتنا إنـي مقيم على العهد * فهل عندكم شوق كما فيكم عندي
يؤرقني التذكار في حسن ذاتكم * وأضحى بكم في غمرة هيجت وجدي
أعلل نفسي كل حين بقربكم * ولو لم أعللها لأمسيت في اللحد
أقول لها والشوق خرب أضلعي * وصبر الفتى عند التشوق لا يجدي

وتوفي رحمه الله في الساعة التاسعة من صبيحة يوم الإثنين 1 جمادى الأولى عام 1350هـ ـ 14 شتنبر 1931م،وصلي عليه بعد صلاة العصر بالقرويين ودفن خارج باب الفتوح بفاس.

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سكيرج رقم الترجمة 45 ، وفي فتح الملك العلام، للعلامة الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 165.

آمَلْتُ مِنْ بَعْدِ بُعْدِي أَنْ يُسَاعِدَنِي * دَهْــرِي بِقُرْبِـهِـمُ لِأَنَّـهُـمْ نَـاسِـي
حَتَّى إِذَا جَـادَ لِـي دَهْرِي بِقُرْبِهِمُ * صَـارَ الزَّمَانُ حَسُودًا قَلْبُهُ قَـاسِي
فَـفَرَّقَ الدَّهْرُ مِـنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ * يَا هَلْ تَرَى بَعْدَ هَذَا مُذْهِبُ بَاسِي
لَا تَـجْـعَـلَنْهُ أَخِـيرَ الـعَـهْـدِ بَيْـنَـهُمُ * يَا رَبِّ وَاحْفَظْهُمُ فِي سَائِرِ النَّاسِ

فوجه لي معه عند رجوعه هذه الأبيات :

يَــا مُـفْـرَدًا بِـلَـطَافَةٍ وَإِيـنَـاسِ * وَجِهْبِذَ العِلْمِ فِـي ذَكَـاءِ إِيَّــاسِ
سَــارَتْ سِيَارَةُ سَبْقِكُمْ تُأَجِّجُ مَـا * قَاسَى قُلَيْبٌ عَـلَى تِرْحَالِكُمْ آسِي
وَدَّعْــتُـمُ إِثْــــرَ تَـسْـلِيمٍ كَـأَنَّـكُـمُ * وَاصَلْتُمُ بِالكَرَى[1] مِنْ غَيْرِ إِحْسَاسِ
اشْـتَـقْتُ وَصْـلَـكُمُ مِـنْ بَعْدِ بُعْدِكُمُ * فَـأَعْقَبَ الـوَصْلُ بُعْدًا فِعْلَ خَلَّاسِ[2]
أَعْـقَبَ ذَا الـبُعْدُ وَصْـلًا عَاجِلًا فَلَكُمْ * جَــادَتْ بَـوَاشِـرُ إِيـحَـاشٍ بِإِيـنَـاسِ
إِنَّ الـرَّجَا فِـي كَرِيمٍ لَا يُـخَيِّبُ مَـنْ * دَعَـاهُ يَـجْـمَعُ شَـمْـلَ الـنَّاسِ بِـالنَّاسِ
أَسْـتَـوْدِعُ اللَّهَ جَـمْـعَـكُمْ وَبَـدْرَكُـمْ * إِنَّ الـسَّـلَامَـةَ فِــي سَـلَامَـةِ الـرَّاسِ
أُهْـدِي إِلَـيْكُمْ سَلَامًا زَاكِيًا عَـطِرًا * مِنْ مُسْتَهَامٍ[3] بِـكُمْ قَدْ قَرَّ فِي فَاسِ
وَحَـيٍّ سَـيِّدِنَا مَـحْـمُودَ مَـنْ جُمِعَتْ * لَـهُ الـمَـكَـارِمُ سَاقِي الـسِّرِّ بِـالكَاسِ
نَجْلِ التِّجَانِي أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ مَنْ * حَـازَ الـمَعَالِي فَـضْلًا دُونَ مِقْيَاسِ
فَاللَّهُ يَـحْـفَظُنَا فِـيـهِ وَيُـسْـعِدُنَا * بِـعَـوْدِهِ سَالِمًا فِـي طِيبِ أَنْفَاسِ
بِـجَاهِ غَـوْثِ الـوَرَى وَآلِـهِ وَبِـعَـمَّيْـ * ـهِ الشَّـرِيفَيْنِ حَـمْـزَةٍ وَعَـبَّـاسِ
وَالـقُـطْبِ أَحْـمَدَ خَتْمِ الأَوْلِيَاءِ وَمَنْ * وَالَاهُــــمُ بِـصَـفَـاءٍ دُونَ وَسْـــوَاسِ
عَـلَـى الـنَّـبِـيِّ صَــلَاةُ اللَّهِ يَـتْـبَـعُـهَا * أَزْكَـى سَـلَامٍ كَطِيبِ الـوَرْدِ وَالآسِ
وَآلِـــهِ وَصِـحَـابٍ وَالـمُـحِبِّ وَمَــنْ * حَـازَ الـلَّـطَافَةَ فِـي فَـاسٍ وَمَكْنَاسِ

---

(1) الكرى : النعاس
(2) الخلاس : السالب للشيء بمخادعة عاجلا
(3) مستهام : الهائم القلب

وفي يوم الخميس بعد صلاة العصر ذهبنا معه لدار الشريف سيدي محمد بن عبد الرحمان الإسماعيلي للغذاء عنده، وفي صباح هذا اليوم اجتمعت مع الشريف، الأديب الغطريف، سيدي محمد بن إدريس الإدريسي الشبيهي[1].

وفي يوم الجمعة صلينا صلاتها بالجامع الكبير، والخطيب به هو المقدم الفقيه سيدي بلقاسم بصري، وبعد الصلاة دخلنا لدار السيد محمد بن حبيبي بصري[2]، وما قصر في الإكرام، وحضر معنا جماعة من الإخوان، فكانت ساعة تتسلى بها النفس من الأشواق المؤججة في الحشا نيرانها، وكان المنشدون يطربون بأصواتهم السامعين، مع من يحسن الآلة، تستلذ بها الأسماع، مع كمالها بتطريب أهل السماع، فأخذ كل واحد من الحاضرين من ذلك على قدر نصيبه.

وفي يوم السبت بعد صلاة العصر، ذهبنا مع سيدنا محمود رضي الله عنه لرياض سيدنا النقيب مولانا عبد الرحمان بن زيدان، بعد المرة الأولى، وكتب إليه هذه الأبيات :

أَسَيِّدنَا الـمَحْمُود لَازِلْـتَ رَاقِيًا * مَـرَاقِـيَ عِـزٍّ فِـي الـفَخَارِ فَـرِيدِ
أَتَـاكَ ابْـنُ زِيدَانٍ بِـجَدِّكَ شَـافِعًا * يُـرِيـدُ بِـفَـضْـلٍ لِـلْـوِصَـالِ تُـعِـيدُ
فَبِالخَتْمِ لَا تَجْعَلْ جَوَابِيَ لَنْ تَرَى * فَـوَصْلُكَ يَـا مَوْلَايَ عِـنْدِي عِـيدُ
وَأَرْجُو جَوَابًا شَافِيًا مِنْكَ لِي يَفِي * بِـمَا أَرْتَـجِي إِذْ لَـسْتُ عَـنْكَ أَحِيدُ
فَـلَا زِلْـتَ مِـنَّا لِـلْخَوَاطِرِ جَابِرًا * وَفِـعْـلُـكَ بَـيْـنَ الـعَـالَـمِينَ حَـمِـيدُ

فأجابه سيدنا محمود، بهذه الأبيات التي ختم عليها بطابعه الشريف، ونصها :

أَلَا أَيُّـهَا الـمَوْلَى النَّقِيبُ وَمَـنْ لَـهُ * مَـكَـارِمُ أَخْـلَاقٍ وَفَـضْـلُ يَـزِيـدُ
تَـشَفَّعْتَ لِـي بِـالمُصْطَفَى لِتَنَالَ مَا * بِـــهِ تَـبْـلُـغُ الـمَـقْـصُودَ مِـمَّا تُـرِيـدُ
فَهَا أَنَا ذَا آتِيكَ فِي السَّبْتِ بِالمُنَى * فَدُمْ فِي رِضَى المَوْلَى وَأَنْتَ حَمِيدُ

(1) انظر ترجمته ضمن ص

(2) انظر ترجمته ضمن ص

وقد أنجز وعده، وبلغه في هذا اليوم قصده، فكتب النقيب هذين البيتين :

زَالَ عَنَّا العَنَا وَنِلْنَا الأَمَانِي * بِوُرُودِ المَحْمُودِ سِبْطِ التِّجَانِي
دُمْتَ يَا مُفْرَدَ الزَّمَانِ أَمَانًا * لِرَقِيقِ الجَنَابِ طُولَ الزَّمَانِ

وكان النقيب المذكور، وجه لسيدنا محمود، مشموما من الأنوار، منظما بأحسن تنظيم، التقطه من روضه البهيج، ووجه لي معه هذين البيتين لأدفع الجميع لحضرته المنيفة، وهما يخاطبه بهما :

هَذِهِ الأَنْوَارُ لِلنُّورِ البَهِي * أُهْدِيَتْ تَطْلُبُ مِنْهُ الوَصْلَ لِي
فَتَفَضَّلْ سَيِّدِي عَنِّي وَقُلْ * أَنْتَ مَقْبُولٌ لَدَيْنَا يَا أَخِي

وكان وجه لي صباحه، بعد موادعتنا له بالفطور عنده، هذه الأبيات :

يَا إِمَامًا صَارَ فِي العِلْمِ عَلَمْ * وَغَدَا بَدْرًا شَرِيقًا فِي العَلَمْ
قَدْ أَتَى مِنْكُمْ جَوَابٌ مُطْرِبٌ * دُرُّهُ مِنْ خَالِصِ التِّبْرِ[1] انْتَظَمْ
عَجِّلُوا الوَصْلَ فَإِنِّي شَيِّقٌ * وَمِنَ البَيْنِ[2] الحَشَا مِنِّي انْكَلَمْ[3]
وَاصْحَبُوا لِي مَا يَلِي مَا بِيَدِي * مِنْ بُلُوغِ القَصْدِ إِذْ رَقْمُهُ تَمْ

وقد ذهب سيدنا محمود من عنده قاصدا للزاوية المباركة، لوداع الإخوان بها، وهي بحومة رحبة الزرع القديمة، عليها رونق بهيج، بجوارها جامع صغير، تصلى به الأوقات الخمس، وقد لبست هذه الزاوية حلة القبول، بما اشتملت عليه من التحسينات والتحف التي فيها سلوة الخواطر، ونزهة للناظر، فقد أسست على تقوى، وبنيت على سواري لحمل ما هو عليها تقوى،

---

(1)التبر : ما كان من الذهب غير مضروب أو غير مصوغ
(2) البين : الفرقة
(3) انكلم : بمعنى جرح

وعن يمين الداخل سقاية مبرزة، وهي قبالة المحراب، تفيض منابعها ماء، معدة للوضوء، ومنها يجري لسقاية بيوت خلائها الأربع، التي عن يسار الداخل، أما محرابها فقد زاد بهجة بالنقش المحيط به، وقبالته السقاية التي نقش خدها بالزليج المصنوع بالعمل الدقيق، على أحسن تنظيم، ولا بأس أن ننقل هنا ما شاهدناه مكتوبا بها بغاية الإتقان في التزويق، والخط المرونق بالحسن والتدقيق، فبالباب الكبير، عن يمين الداخل :

بَابُ السَّعَادَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالظَّفَرِ * لِدَاخِلِيهِ جَمِيعُ السُّولِ وَالوَطَرِ

وعن يساره :

وَحَاجٌ[1] مَنْ حَجَّ ذَا المَقَامِ قَدْ قُضِيَتْ * وَصُبَّ فِيهِ عَلَيْهِ الخَيْرُ كَالمَطَرِ

وعلى الباب الصغير :

لَـكَ الـبِشَارَةُ يَـا مَـنْ خَدُّهُ وَضَـعَا * بِذَا الرِّحَابِ وَحَطَّ الرَّحْلَ وَانْتَجَعَا[2]
وَمَــدَّ رَاحَ الـرَّجَـا لِـلَّـهِ مُبْتَـهِلًا * وَأَمْـرُ أَحْـمَدَ مَـنْ قَدْ رَامَـهُ وَسَـعَا
كُـلُّ الَّـذِي شِئْتَهُ قَدْ نِلْتَهُ كَـرَمًا * يَا سَعْدَ مُسْتَصْرِخٍ بِذَا الحَرَامِ دَعَا

ومكتوب على السقاية :

شَاهِدْ بَدِيعَ الحُسْنِ فِي أُفُقِي وَفِي * أَرْضِـي وَفِي مَائِي المَعِينِ الجَارِي
وَاشْـرَبْ هَـنِيئًا هَـا يَـنَابِيعُ الرِّضـى * تَـجْرِي بِـقُطْبِ الـمُصْطَفَى المُخْتَارِ
فَـكَأَنَّنِي وَتَـبَارَكَ الـمَوْلَى الَّـذِي * أَبْـــدَى جَـمَـالِي هَـالَةُ[3] الأَقْـمَـارِ

---

(1) حاج : جمع حاجة وهي ما يحتاج إليه

(2) انتجع : انتفع وأفلح.

(3) هالة : مفرد هالات وهي دارة القمر.

بِسَنَا التِّجَانِي نَارُ سَعْدِي فِي العُلَا * فَسَطَعْتُ بِالصَّلَوَاتِ وَالأَذْكَارِ
أَكْرِمْ بِهِ أَعْظِمْ بِهِ أَعْزِزْ بِهِ * مِنْ هَاشِمِيٍّ شَامِخِ المِقْدَارِ
اللَّهُ أَكْرَمَهُ وَأَظْهَرَ سِرَّهُ * فِي سَائِرِ الأَقْطَارِ وَالأَمْصَارِ
وَلِنَشْأَتِي إِنْ تَبْتَغِي تَارِيخَهَا * أَرْشِيفُ مَائِي فُزْتَ بِالأَوْطَارِ

وبدائرة الخزانة، عن يمين الداخل للقبة بالصف الأول، قول البوصيري رحمه الله :

بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا * مِنَ العِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ
لَمَّا دَعَا اللَّهَ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ * بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ
رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ * كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ[1] غُفْلًا مِنَ الغَنَمِ
مَا زَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ * حَتَّى حَكَوْا بِالقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ[2]

وبالخزانة المقابلة لها بالصف الأول أيضا :

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ * إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا[3] تَجِمِ
مَنْ يَعْتَصِمْ بِكَ يَا خَيْرَ الوَرَى شَرَفًا * اللَّهُ حَافِظُهُ مِنْ كُلِّ مُنْتَقِمِ
وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ * بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْفَصِمِ
أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ * كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

وبدائرة الخزانة عن يمين الداخل بالصف الثاني : الحمد لله وحده، لا إله إلا الله، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، صلاة تفتح لنا بها أبواب الرضى والتيسير، وتغلق عنا بها أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليا ونصيرا، أنت ولينا ومولانا، فنعم المولى ونعم النصير.

---

(1) أجفلت : أنفرت وشردت.
(2) وضم : مفرد أوضام وأوضمة وهي خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم.
(3) آجامها : جمع أجمة وهي مأوى الأسد.

وبالخزانة عن يمين المحراب سورة : قل هو الله أحد، بالكوفي، وكذلك بالخزانة عن يسار المحراب سورة قل هو الله أحد، بالكوفي أيضا، ومكتوب بالمحراب قوله تعالى : (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا، وكفلها زكرياء، كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا، قال يا مريم أنى لك هذا، قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب[1]).

وبالدائرة الأعلى بالصف الثاني للداخل الموالية للسقف (الملك لله) بالكوفي، ودائرة تحتها مكتوب عليها (سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده) والدائرة الثالثة مكتوب فيها (العافية الباقية) بالكوفي أيضا، والزاوية كلها مزلجة.

وفد فرشت قبتها بالزرابي الثمينة، وبها اثنا عشرة مكانة، وخمس سواري، وسبعة للخدود على ما رأيناه، وبها خمس خزائن لحفظ أزر الوظيفة والشمع. ولما قرأنا الوظيفة قام الإخوان لزيارة سيدنا محمود، وتزاحموا عليه، وكادوا أن يقتتلوا عليه من شدة الزحام، والكل منهم يقبل يديه إلى أن قام لركوبه،ولم يخرج من بينهم إلا بمشقة، ولا يخسر خاطر أحد منهم لما له من الصبر الجميل، والصدر السليم، والمنصب الجليل، رضي الله عنه.

وهذه الزاوية تسع نحو الخمسمائة نفر من الإخوان، وتضيق يوم الجمعة عن سعتهم، ويقرؤون الوظيفة على نسق لطيف، إلا أنه يجب التنبيه على أمور أربعة وجدناهم يفعلونها خارجة عن عمل زاوية فاس، وذلك من الأمر الذي ينبغي اجتنابه لما فيه من الزيادة في الطريق، وعدم السلوك على الوجه الذي يليق.

أولها أنهم يغيرون الجلسة عند الشروع في الهيللة، مع أن تغيير الجلسة إنما يطلب عند السابعة من جوهرة الكمال، لما فيه من الأدب، والإشعار بحضور الرسول عليه السلام.

ثانيها أنهم إذا ختموا صلاة الفاتح بسورة اليقطين أسرع الذي يفتتح الوظيفة بذكر الهيللة مرة واثنين من غير ذكر الباقين معه، وبعد ذلك يتبعونه، كأنهم ذكروا معه، وهم لا يشعرون، فتكون وظيفتهم ناقصة، وكان من حق الجميع أن ينطقوا دفعة واحدة من غير أن ينتظروا من يبتدؤها لهم.

ثالثها أنهم يذكرون الهيللة والست الأولى من جوهرة الكمال بترتيل ثقيل جدا، وفي بعض المرات يسرعون، حتى إذا وصلوا للجوهرة السابعة أسرعوا سرعة، كأنه من ورائهم شيء يتبعهم، وكان من حقهم إذا وصلوا للسابعة أن يتأدبوا ويذكروا بترتيل لائق بالمقام، لكونها محل حضوره عليه السلام.

---

(1) سورة آل عمران، الآية 38.

رابعها أنهم إذا ختموا الوظيفة ورفعوا أيديهم للدعاء قرأوا بعد ذلك الفاتحة جهرا، وذلك كله من الأمور المحدثة في الطريق التي ينبغي اجتنابها، وإن كان في البعض منها استحسان، لكن الوقوف على ما كان يفعله الشيخ وخاصة أصحابه هو الأولى في كل مكان وزمان، والله الموفق[1].

ذكر ترجمة بعض من اجتمعنا بهم في مكناس

وقد تعين أن نترجم لبعض الأفاضل من الإخوان وغيرهم ممن أتوا لزيارة سيدنا محمود واجتمعنا بهم في هذا البلد، حتى لا تكون هذه الرحلة خالية من مثل التعريف بهم، وجمع بعض مدائحهم لسيدنا محمود، ونحوها مما يتجلى به جيد هذه الرحلة، مع بعض ما راج بيننا معهم من المفاوضة والمذاكرة في المحاضرة والمسامرة.

---

(1) كان العلامة سكيرج يعارض بالكلية أي عمل مخالف لما عليه عمل الزاوية الكبرى بمدينة فاس، ويرى أن ذلك من عوامل التفرقة والخروج عن النهج السديد، وغالبا ما تكون لتلك المحدثات عواقب وخيمة على الإخوان الفقراء، فتؤدي للاختلاف والنزاع بينهم، وهذا مما لا يقبله عاقل، والأجدر بالمسؤولين عن كل زاوية سواء كانت بالمغرب أو خارجه أن يسلكوا النظام الذي عليه العمل بالزاوية الكبرى بفاس، لأنه النظام الذي كان عليه عمل الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، وعلى هذا النسق والنظام حافظ أصحابه من بعده إلى غاية يومنا هذا.

ولهذا السبب عمد العلامة سكيرج لتأليف كتب خاصة في فقه الطريقة الأحمدية التجانية، هادفا بذلك لتوضيح مناهجها لدى الخصوص والعموم، وتبيين ما كان عليه السلف الصالح من أهلها من الجد والحزم والمثابرة، مع نبذ كل بدعة دخيلة عليها، ودفعها ومحاربتها بسلاح الرجوع للأصل المذكور، ويعد كتابه : الكوكب الوهاج، من أهم كتب الطريقة التجانية التي سارت نحو هذا المنحى، ويضاف إليه كذلك كتاب : نور السراج في شرح إضاءة الداج، وغيرهما من التصانيف الأخرى التي تطرقت لهذا الموضوع وساهمت في علاجه لحد بعيد.

1) ترجمة الفقيه العلامة الأديب الشريف مولاي الكبير بن زيدان[1]

فمنهم أديب عصره، ووحيد مصره، ذو الأدب الرائق، والحسب الفائق، العلامة الأمجد، نقيب الشرفاء العلويين بها، بما خص به من كمال الفضل بين الأقران، مولانا عبد الرحمان ابن محمد بن

---

(1) العلامة الأديب مولاي عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن زيدان بن السلطان الشهير مولانا إسماعيل. هو نقيب الشرفاء العلويين بمدينتي مكناس وزرهون. ولد في شهر ربيع الثاني عام 1295هـ - أبريل 1878م بالقصر الملكي المعروف بـ "قصر المحنشة" بمكناسة الزيتون. وبها حفظ القرآن الكريم. ثم التحق بفاس. حيث أخذ عن كبار فقهاء القرويين بها. فبرع في الأدب والتاريخ والبلاغة والفقه والحديث والسيرة وغيرها من العلوم الأخرى.

وشيوخه رحمه الله كثيرون. منهم قاضي مكناس العلامة محمد بن القصري المكناسي. وأحمد بن الخياط الزكاري. وسيدي عبد الكريم بنيس، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري. وسيدي محمد [فتحا] كنون، والعلامة محمد بن قاسم القادري، بالإضافة لمؤلف هذا الكتاب العلامة سيدي أحمد سكيرج، وغيرهم من العلماء الآخرين. كما أجازه من خارج المغرب عدة شيوخ من الحجاز ومصر والشام والهند وتونس والجزائر.

وتقلد رحمه الله بعهد الطريقة الأحمدية التجانية عن العارف بربه العلامة سيدي العربي العلمي اللحياني الموساوي. أما وظائفه : فقد انتخب من بين علماء وقته مدرسا لتلامذة المدرسة الحربية بمكناس. ثم مديرا للمدرسة المذكورة.

وله رحمه الله مصنفات كثيرة منها : إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. وإرشاد المستفيد لما للأئمة من التفضيل في طبقات أهل التقليد. والدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة. والعز والصولة في معالم نظم الدولة. والمناهج السوية في مآثر الدولة العلوية. والعلائق السياسية للدولة العلوية، نشر في ملحق لمجلة المغرب العدد 16 شوال 1352 يناير 1934 في 25 صفحة، والنهضة العلمية في عهد الدولة العلوية. والعقود الزبرجدية، وهو اسم تأليف مطول دَوَّنَ فيه تاريخ رحلة جلالة المغفور له السلطان سيدي محمد الخامس في بعض أنحاء المغرب عام 1360 هـ ـ 1941م، وتوسع فيه في تاريخ سجلماسة، يقع في مجلد كبير. والمنزع اللطيف، في التلميح لمفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف، والمؤلفون على عهد الدولة العلوية ، يقع في مجلد. والنور اللائح بمولد الرسول الخاتم الفاتح. وبلوغ الأمنية في مدح خير البرية. وله غير ذلك من التآليف والرسائل والتقاليد.

وكانت وفاته رحمه الله ظهر يوم السبت 21 ذي الحجة سنة 1365هـ - 16 نونبر 1946م. وحضر جنازته صاحب السمو الملكي ولي العهد إذ ذاك جلالة المغفور له الحسن الثاني، ودفن داخل ضريح جده السلطان الشهير المولى إسماعيل

أنظر ترجمته في الأعلام، للزركلي 3 : 335. الأدب العربي في المغرب الأقصى 1 :81. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة المري ص 13 رقم 2.

عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد المالك بن زيدان، بن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل قدس الله روحه في الجنان، ولا أحتاج إلى التنويه بقدر هذا الشريف الوحيد، والطالع السعيد، لما هو مشهور به من اشتغاله بما يعنيه، ساعيا فيما فيه صلاح حاله، ونجاح مآله.

لا يتداخل في فضول، ولا يميل إلى من يشتغل بما لا يعني في فعل أو مقول، فلأجل هذا يحبه القريب والبعيد، ويثني عليه كل من يعرفه وخالطه من موال وعبيد، وإني بشهادة الله ما رأيت منه منذ أزمان إلا الجمال في جميع أحواله، ولم أشاهد ما لا يرتضى في سائر أعماله، وبهذا يشهد له غير الحسود من أبناء جنسه، ويعترف له بذلك في خاصة نفسه.

وماذا أقول فيه، وقد جمع شرف العلم والنسب، وكمال العقل والأدب، ورقى بتواضعه إلى أعلى الرتب، ففاق بذلك أقرانه، وما ارتكب مدة عمره شيئا عند العقلاء شانه، فبهذا عهدته منذ عرفته، حتى استويت على محبته، ولا زلت أحبه ما دام سالكا على المنهاج القويم، مراعيا للمودة والحب القديم، فقد كان استدعاني من حضرتنا الفاسية، لحضرته المكناسية، بعدما اتصل حبل الوداد بيننا في زمان كان السعد مساعدي بقربه ووصله، وقلبه ممتلئ بحبي مثل امتلاء قلبي بحبه، فشددت في ذلك الوقت الرحلة إليه، وشملتني موائد الإكرام الذي أقله البرور لديه.

فإنه هو الحر الذي يراعي وداد لحظه، ويشكر مفيد لفظه، والفضل له على كل حال، ومن أجله ألفت رحلتي الزيدانية المشتملة على ما جادت به الفكرة في ذلك الإبان، بذكر من اجتمعنا به بمكناس من أفاضل الأعيان، وما لهذا النقيب من أدبيات، وقصائد وأبيات، كان أنشأها في ذلك الوقت وقبله، مما يحق أن يكتب على أوراق الذهب، عند المعتنين بعلم الأدب، وناهيك بما فيه من الإستسلام بالتسليم لأهل الله، والمحبة الصادقة في جانبهم.

وقد كان يود أن لو نزل عنده سيدنا محمود رضي الله عنه، حتى أنه كتب لأكابر فقراء فاس يلتمس منهم التوسط في استعطاف سيدنا محمود في النزول عنده حين كان بطرفهم[1]، ولكن حال بينه وبين هذا الإقتراح كون سيدنا محمود لا يحب النزول إلا في محل خصوصي، حتى لا ينفرد به زيد دون

---

(1) وقفت على رسالة في هذا الموضوع بعثها العلامة ابن زيدان لبعض مقدمي الطريقة الأحمدية التجانية بفاس، يطلب منه فيها أن يتوسط في استعطاف الشريف البركة سيدي محمود التجاني لاختيار دراه كمقر ومكان للنزول حين قدومه لمكناس، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة كرم العلامة ابن زيدان وتعلقه المتين بمحبة شيخه القطب أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه وعن أولاده ومحبيه وأصحابه من مقدمين وفقراء.

عمرو، وذلك من كمال اعتنائه بالإخوان، ليبقى كل واحد منهم على خاطره، حيث أنه يود كل منهم النزول عنده، لما انطبع في قلوبهم من محبته رضي الله عنه.

ولصاحب الترجمة -أمنه الله- دواوين من الأمداح التي أنشأها في الحضرة المحمدية، والتغزلات العجيبة المخترعة، في الأمور الهزلية والجدية. وقد جمعت منها النزر اليسير في رحلتنا التي كنت استعملتها أيام وفودنا عليه من فاس، الملقبة بالزيدانية، وفي هذه المرة قد أطلعنا على النصف الأول من شرح الأخ في الله العلامة الأفضل، سيدي محمد الغالي السنتيسي[1] على همزيته المسماة كفاية المحتاج[2]، وسماه "بهداية المنهاج" وهو شرح حفيل، بكل نبذة علمية كفيل، مما يحق أن يكتب بسواد العيون، وينفق فيه الدر المصون.

كما أنه أطلعني على طرف من شرح العلامة الشريف سيدي محمد بن أحمد العلوي[3] القاطن بزرهون على ميميته المسماة "بغية المستهام[4] المسمى "بتكميل المرام" وهو شرح عجيب الوضع، مفروغ في قالب لم أرى مثله في التنميق، بتحقيقات رقيقة، ونكات دقيقة، يشهد بطول باع مؤلفه في علوم

---

(1) انظر التعريف به ضمن ص.

(2) كفاية المحتاج،في مدح صاحب اللواء والتاج : قصيدة همزية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، للعلامة النقيب عبد الرحمان بن زيدان، تقع في 207 أبيات، قال في مطلعها :

فِـي هَـوَى زَيْنَبٍ يَزُولُ عَنَاءِي * وَهْـوَ سُؤْلِي وَمُنْيَتِي وَعَنَائِي
وَهْوَ ذُخْرِي وَغَايَةُ القَصْدِ عِنْدِي * وَهْـوَ رُوحُ الحَيَاةِ وَهْوَ شِفَائِي
هَـانَ وَاللَّهِ فِـي هَوَاهَا هَوَانِي * وَحَـلاَلِي وَنِـلْتُ فِـيهِ مُنَائِي
مَا دَهَانِي عَنْ حُبِّهَا عَذْلُ لاَحٍ * وَوُشَـاةٍ وَلاَ ثَـنَانِي التَّنَائِي
وِدُّهَـا فِـي حَشَاشَتِي مُسْتَقِرٌّ * وَإِلَيْـهَا أُنْـهِي عَظِيمَ ثَنَائِي
كَيْفَ أَصْغَى إِلَى عَذُولٍ وَلاَحٍ * وَرَقِـيـبٍ وَنُـطْقُـهُمْ كَالهَـبَاءِ
كَيْفَ أَسْلُو وَحُبُّهَا قُوتُ رُوحِي * وَحَـيَـاةُ الـجِنَانِ دُونَ امْـتِرَاءِ

(3) انظر التعريف به ضمن ص

(4) بغية المستهام،في مدح النبي عليه السلام، قصيدة ميمية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم للعلامة سيدي عبد الرحمان بن زيدان، تقع في 162 بيتا، قال في مطلعها :

إِنِّـي بِدِينِ الغَـرَامِ رَاسِـخُ القَدَمِ * وَالـلَّهُ قَـدَّرَهُ عَـلَيَّ فِـي الـقِدَمِ
اللَّهُ يَـا مَـنْ بِـهِ بَيْنَ الـوَرَى تَلِفَتْ * نَفْسِيَ رِفْقاً بِـهَا فَالقَلْبُ فِي سَدَمِ
وَالـجِسْمُ مِنِّي ذَوَى وَالعَيْنُ سَاهِرَةٌ * تَرْعَى النُّجُومَ وَأَبْدَتْ مَدْمَعاً بِدَمِ
مَا ضَرَّ أَنْ تَصِلُوا الصَّبَّ الغَرِيمَ وَلَوْ * بِـطَيْـفِكُمْ عَلَّهُ يُشْـفَى مِـنَ الأَلَـمِ

الصناعة، والتضلع في العلوم التي لم يدرك بعضها إلا من أنفق ما له من البضاعة، أتمه الله بالقبول.

وأطلعني أيضا على تأليفه المسمى : "بتغيير الأسعار، على من عاب الأشعار[1] وهو تأليف لم يتقدم مثله في موضوعه، جمع فيه جل ما افترق في غيره من الدلائل على الفضيلة التي يختص به أهل القرائح السيالة، خصوصا إذا مدحوا صاحب الرسالة، وأنكر على من ادعى أن الجناب المحمدي لا ينبغي مدحه بالأشعار، ولعمري أنه أحرز قصب السبق والمرتبة الرفيعة، في الرد على قائل هذه المقالة الشنيعة، وقد أنشد في تقريظه رفيقنا الأديب الأريب، سيدي عمر بن سعد الربعي هذه الأبيات :

هَذِي الجَوَاهِرُ فِي التِّيجَانِ مُنْتَظِمَهْ * عَـلَـى غـوَانٍ أَتَـتْ تَـهْـتَزُّ مُبْـتَسِمَهْ
فَـلَمْ نُـطِقْ عِـنْدَمَا رَأَيْـتُ مَـنْـظَرَهَا * نُطْقًا وَلَـكِنَّنِي قَـدْ قُـمْتُ مُحْتَرِمَهْ
لِـمْ لَا أَقُـومُ بِـمَدْحِ مَـنْ إِذَا ذُكِرَتْ * أَوْصَافُهُ ارْتَـدَعَتْ[2] عَنْ غَيِّهَا الظَّلَمَهْ
ذَاكَ النَّقِيبُ ابْنُ زِيدَانَ الَّذِي شَرَقَتْ * أَنْـــوَارُهُ فَــأَضَــاءَ لِلْفَضَا ظُـلَـمَهْ
قَدْ خَاضَ فِـي كُلِّ بَحْرٍ دُونَهُ وَقَفَتْ * أَهْلُ النُّهَى وَجَمِيعُ السِّرِّ قَدْ عَلِمَهْ
لِلَّهِ مَـا قَـدْ أَتَـى مِنَ الدَّلِيلِ عَلَـى * جَـوَازِ مَـدْحِ نَـبِيٍّ لَا أَفِـي قِـيَمَهْ
سَـمَّـاهُ تَـغْـيِير أَسْـعَـار لِـمَـنْ سَـمِعَتْ * آذَانُــــهُ وَأَزَالَ سِـــــرُّهُ صَـــمَــمَـهْ
لَا يَـهْـجُرُ الـسِّرَّ إِلَّا مَنْ إِذَا شَـعُرَتْ * بِــهِ الأَفَـاضِلُ لَا تـرَى لَـهُ قِسْمَهْ
لَــوْ كَــانَ يَـعْـلَـمُهُ مَـا كَـانَ يَـهْجُرُهُ * حَـاشَا الـنَّبِيِّ الَّذِي تَـحُفُّهُ الحِشمَهْ
عَـلَيْهِ أَزْكَـى سَـلَامِ اللَّهِ مَا سُرِدَتْ * فِـي الـنَّاسِ أَمْدَاحُهُ لِمَنْ بِهَا اخْتَدَمَهْ

---

(1) وللعلامة سيدي أحمد سكيرج هو الآخر تقريظ على هذا الكتاب، وذلك بقصيدة تقع في 55 بيتا، افتتحها بقوله :

وَصَلَتْ وَصَالَتْ بَعْدَ طُولِ نِفَارِ * عَـذْرًا وَفِيهَا قَـدْ خَلَعْتُ عِـذَارِي
وَلَطَالَمَا اسْتَمْنَحْتُ مِنْهَا القُرْبَ كَيْ * تُنْفِي كُرُوبَ القَلْبِ قَبْلَ بَـوَارِي
فَـتَـجُرُّ ذَيْـلَ التِّيـهِ عَـنِّي بَعْدَمَا * أَصْبَحْتُ عَنْ ثَوْبِ اصْطِبَارِي عَارِي
وَلَبِسْتُ مِنْ نَسْجِ النُّحُولِ مَلَابِساً * فِـيهَا غَـدَوْتُ عَـنِ العِدَا مُتَوَارِي
فَـأَمُرُّ مِـنْ بَيْـنِ الـوُشَـاةِ فَـلَا يَـرَى * شَـخْصِي النَّحِيلَ لَدَى المَمَرِّ مُمَارِي

(2) ارتدعت : كفت

ومما أنشأه سيدنا النقيب المذكور في قدوم سيدنا محمود هذه الأبيات الرائقة :

أَبَـدْر الـسَّـعْدِ أَشْـرَق بِـالتَّهَانِي * وَشَمْس اليُمْنِ ضَاءَتْ بِالأَمَانِي
أَمِ الأَفْــرَاحُ لِـلْأَرْوَاحِ رَاحَـتْ * وَرِيـحُ الـنَّصْرِ هَبَّتْ بِـالأَمَانِي
أَمِ الـقَـمَرِيُّ[1] بِـالتَّيْسِيرِ يَـشْدُو * وَصُـبْحُ الـفَتْحِ أَسْفَرَ لِـلعِيَانِ
أَمِ الأَزْهَارُ فِي الأَكْمَامِ[2] فَاحَتْ * فَـأَحْيَتْ مُغْـرَمًا بِـالحُبِّ فَانِي
بَـلَى شَمْسُ الـفَلَاحِ بِأُفْقِ بِشْرٍ * تُـبَشِّرُنَا بِـطَلْعَـةِ ذِي الـتَّـدَانِ
هَـنِيـئًا مَـرْحَبًا أَهْـلًا وَسَـهْلًا * بِـمَحْمُودِ الـمَسَاعِي فِي الزَّمَانِ
سَـلِيلِ الـمُـصْطَفَى خَيْرِ البَـرَايَا * حَـفِيدِ الـعَارِفِ الفَرْدِ التِّجَانِي
مَـلَاذِي قُـدْوَتِـي وَطَبِيبِ دَائِي * مُـزَكِّي الـنَّفْسِ مَرْهَمِ[3] كُلِّ رَانِ
رَفِـيعِ الـشَّـأْنِ مَـنْ لِعُلَاهُ تَـعْنُو * الأَكَـابِـرُ بَـلْ وَيَصْغُرُ كُلُّ شَانِ
رَجَـوْتُ بِـجَدِّهِ الـمَحْبُوبِ حِفْظًا * وَعَـطْـفًا سَـابِغًا[4] فِــي كُـلِّ آنِ
وَإِتْــمَـامَ الـمَـرَامِ بِـكُـلِّ خَـيْرٍ * بِـجَاهِ الـمُصْطَفَى عَالِي المَكَانِ
عَـلَيْهِ مِـنَ الـمُهَيْمِنِ كُلَّ حِينٍ * صَــلَاةٌ مَــعْ سَــلَامٌ طَـيِّبَانِ
يَـفُوحُ شَذَاهُـمَا مَـا قَـالَ صَبٌّ * أَبَـدْر الـسَّعْدِ أَشْـرَق بِـالتَّهَانِي

وقال أيضا في مدح جده العدناني، ووارث سره النوراني، ومدح حضرة سيدنا محمود، بلغه الله غاية المقصود، هذه القصيدة الطنانة، أمنه الله ونصها :

نَـزِّهِ الـطَّرْفَ فِـي رِيَـاضِ الـمَعَانِي * وَتَـمَـتَّـعْ بِـنُـورِ تِـلْـكَ الـمَغَانِي[5]
وَأَدِر لاسْـتِـمَـاعِ صَـــبٍّ مُـعَـنَّـى * ذِكْـرِ مَـنْ فِـيهِمْ جَمِيعُ الأَمَـانِـي

---

(1) القمري : ضرب من الحمام حسن الصوت وهو مفرد قماري
(2) الأكمام : جمع كم وهو الغلاف الذي يحيط بالزهر أو الثمر فيستره ثم ينشق عنه
(3) المرهم : ما يطلى به الجرح وجمعه مراهم
(4) سابغا : رغدا متسعا
(5) المغاني المنازل.

وصف المعنى أَنَّنِي ذُو وُلُوعٍ * وَغَرَامٍ بِذِكْرِ وَصْفِ الحِسَانِ
وَدَعِ اللَّوْمَ فَالمَلَامَةُ لُؤْمٌ * وَأَجِبْ صَرْفَهُ عَنِ الآذَانِ
وَاطْرح العَذْلَ[1] فَهْوَ عَدْلٌ لَعَمْرِي * عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ وَالإِذْعَانِ
فَعَذَابُ المُحِبِّ فِي الحُبِّ عَذْبٌ[2] * سَائِغٌ شَائِعٌ مَدَى الأَزْمَانِ
وَهَوَانُ الغَرِيمِ فِي الحُبِّ هَيْنٌ * مُسْتَطَابٌ مُزْرِي بِعَرْفِ القِيَانِ
كَيْفَ وَالعِشْقُ جَنَّةٌ لَيْسَ فِيهَا * مِنْ لَغُوبٍ[3] وَلَا عَنَاءٍ يُعَانِي
وَجَنَانُ الغَرَامِ لَا غَوْلَ[4] فِيهَا * إِنَّمَا فِيهَا رَاحَةٌ لِلجَنَانِ
لَائِمِي فِي هَوَى العَذَارِي فَعُذْرًا * إِنَّنِي عُذْرِيٌّ مَرَامِي التَّدَانِي
فِي هَوَاكُمْ قَدْ طَابَ خَلْعُ عذَارِي * وَعُذُولِي طُولَ المَدَى مَا غَوَانِي
فَبِحَقِّ القُدُودِ عَنِّي كَفَانِي * قَدَّ قَلْبِي وَلَاعِجَ[5] الأَشْجَانِ
وَبِوَرْدِ الخُدُودِ مَعْ جَوْهَرِ الثَّغْرِ[6] * وَعَطْفِ الخُصُورِ[7] وَالأَجْفَانِ
وَبِشَمْسِ الجَبِينِ مَعْ خَالِكِ القَوْ * سِ وَشَهْدٍ يَرْوِي عَنِ الرُّمَّانِ
فُكَّ أَسْرِي بِجَبْرِ كَسْرِي بِوَصْلٍ * دُونَ فَصْلٍ فَبَيْنُكُمْ أَفْنَانِي
وَارْحَمُوا مُغْرَمًا غَرِيمَ سَنَاكُمْ * فِي قُيُودِ الهَوَى وَقَيْدِ الهَوَانِ
فَرَّ صَبْرِي وَقَرَّ مَدْمَعُ عَيْنِي * فَاقِعًا[8] تَارَةً وَأَحْمَرَ قَانِ[9]
وَتَوَلَّى السُّرُورُ لَمَّا جَفَوْتُمْ * وَتَوَالَتْ كَتَائِبُ الهَيَمَانِ
فَامْنَحُونِي وَلَوْ بِوَعْدٍ بِقُرْبٍ * كَيْ يَزُولَ الَّذِي أَذَابَ جَنَانِي

---

(1) العذل : الملامة.

(2) عذب : طيب.

(3) لغوب : الكلام الفاسد.

(4) غول : بمعنى المشقة.

(5) اللاعج : الهوى المحرق.

(6) الثغر : مقدم الأسنان.

(7) الخصور : جمع خاصرة وهي من الإنسان جنبه فوق رأس الورك.

(8) فاقعا : صافي اللون.

(9) قان : يقال أحمر قان أي شديد الحمرة.

إِنَّــنِـي رِقُّــكُمْ[1] فَـرِقُّـوا وَمُـنُّـوا * بِخَلَاصِي مِمَّا جَرَى قَدْ كَفَانِي
قَسَمًا بِالـهَوَى فَمَا لِـي مَـلَاذٌ * غَــيْـر خَـيْـرِ الـبَرِيَّةِ العَدْنَانِي
أَحْـمَـدَ الـخَلْقِ لِـلإِلَـهِ وَمَـحْـمُـو * دِ الـوَرَى صَاحِبِ اللِّوَا وَالبَيَانِ
رَحْـمَـةُ الـخَلْقِ أَجْـمَلُ الـخَلْقِ لُـبُّ * الـرُّسْلِ سِـرُّ الـسَّرِيرَةِ الـحَقَّانِي
بَـهْـجَةُ الـكَوْنِ نُـكْتَةُ الـخَلْقِ رُوحُ * الـحَقِّ نُـورُ الـوُجُودِ مِـنْ غَـيْرِ ثَـانِ
طَالِعُ السَّعْدِ فِـي سَـمَاءِ المَعَالِي * بُـرْجُـهُ الـيُمْنُ وَهْـوَ فِـي الـمِيزَانِ
نُــورُهُ قَـدْ جَـلَا الـغَيَاهِبَ عَـنَّا * قَــدْ تَـجَلَّـى لَـنَا بِـكُلِّ الأَمَــانِ
وَتَـحَلَّى بِـحُـلَّةِ الـفَخْرِ فَـرْدًا * مَـا لَـهُ فِي الوُجُـودِ نِـدٌّ[2] مُدَانِي
مُـجْتَبَى مُـرْتَـضَى مُـهَابٌ مُـطَاعٌ * مُـقْـتَـفَى مُـنْـتَـقَى مُـنِيفُ الـمَكَانِ
الـحَبِيبُ الـمُـخْـتَارُ خَـيْـرُ رَسُـولٍ * بَــاذِخُ الـقَـدْرِ صـفْـوَةُ الـرَّحْـمَانِ
مَــنْ رَقَــى لِـلـسَّمَاءِ لَـيْـلًا وَجَـلَّا * هُ الإِلَـــهُ بِــأَفْـخَـرِ الـتِّـيـجَانِ
وَلَـهُ الـجِذْعُ حَـنَّ شَـوْقًا وَلَـبَّتْهُ * الـغُـصُونُ تَـسْعَى بِـجُزْءِ الــعِيَانِ
وَبِــصَــاعٍ غَـــدَّى وَرَوَّى جِـيَـاعًـا * وَأَوَانِـــي وَالـصَّـاعُ فِــي رُجْـحَانِ
شَـهِـدَ الـذِّئْـبُ بِـالرِّسَالَةِ وَالـضَّبُّ * لَـــهُ فِـــي جَـمْـعٍ مِــنَ الأَعْـيَـانِ
وَلَـهُ الـعُـودُ جَـاءَ يَـشْكُو ظـلُومًا * قَـدْ سَـقَاهُ الـرَّدَى وَطُـعْمَ الـهَوَانِ
وَلَـهُ ظَـبْـيَـةٌ أَتَــتْ فِــي الْـتِـجَاءٍ * فِـــي غُــدُوٍّ لِـنَـسْلِهَا الـغَـرْثَانِ[3]
حُـبُّـهُ زَادَ فِــي مَـعَـادِي وَذُخْـرِي * مَـدْحُـهُ حِـصْنِي مِـنْ كُـرُوبِ الـزَّمَانِ
عَـطْـفَـةً عَـطْـفَـةً وَلُـطْـفًا وَأَمْـنًـا * وَنَـــوَالًا فِـــي سَـائِـرِ الأَحْـيَـانِ
وَسُـرُورًا يُـنْـفِي الـشُّرُورَ وَيُـسْرِي * لِـجَـمِيعِ الأَنَــامِ فِــي كُــلِّ آنِ
يَـا رَحِـيمًا رُحْـمَاكَ لِـي وَتَـفَضَّلْ * يَـــا حَـلِـيمًا عَـلَـيَّ بِـالـرِّضْوَانِ
فَـبِـكُمْ أَسْـــأَلُ الإِلَـــهَ يَـقِـينِي * كُـــلَّ هَــوْلٍ وَشَـــرَّ ذِي طُـغْـيَانِ
وَبِـذَاتِ الـفَخَارِ فَـاطِمَةِ الـزَّهْرَاءِ * وَالـبَـعْـلِ وَالـبُـدُورِ الـحِـسَانِ
وَصِـحَابٍ وَمَـنْ تَـلَاهُمْ خُـصُوصًا * قُـدْوَتِـي عُـمْـدَتِي مَـلَاذِي الـتِّجَانِي

(1) رقكم : عبدكم ومملوككم.
(2) ند : نظير وشبيه.
(3) الغرثان : الجياع.

قُطْبُ كُلِّ الأَقْطَابِ مَنْ حَازَ فَخْرًا * شَامِخًا بَاذِخًا[1] بِكُلِّ الأَوَانِ
شَيْخُ كُلِّ الشُّيُوخِ قُطْبُ رَحَاهُمْ * مِنْهُ نَالُوا الأَسْرَارَ بِالبُرْهَانِ
مَا لَهُ فِي الأَقْطَابِ وَاللَّهِ مِثْلُ * كَيْفَ لَا وَهْوَ وَارِثُ العَدْنَانِي
لَمْ يُقَارِبْهُ فِي السُّمُوِّ وَلِيٌّ * لَا وَلَا يَبْلَغَنَّهُ ذُو شَانِ
وَلَهُ أَذْعَنَتْ[2] لُيُوثُ وَغَاهُمْ[3] * وَعَنَتْ مُذْ عَلَتْ لَهُ القَدَمَانِ
آيَةٌ قَدْ جَلَتْ[4] فَجَلَّتْ عَنِ الإِدْ * رَاكِ وَالفَهْمِ مُدَّةَ الأَزْمَانِ
وَحَبَاهُ الإِلَهُ فَضْلًا عَظِيمًا * لَمْ يُطِقْ حَصْرَهُ فَصِيحُ اللِّسَانِ
فَإِذَا مَا رُمْتَ السَّعَادَةَ فَانْزِلْ * بِحِمَاهُ تَحْظَى بِكُلِّ أَمَانِ
وَتَنَالُ الحُسْنَى وَتَحْرُزُ مَجْدًا * وَهَنَاءً فِي ربوَةِ[5] الإِحْسَانِ
وَبِهِ تَرْتَقِي مَرَاقِيَ سَعْدٍ * بِضَمَانِ الحَبِيبِ ذِي التِّبْيَانِ
بِسَنَى المُصْطَفَى أَنَارَ قُلُوبًا * وَنَفَى عَنْهَا وَصْمَةَ[6] الأَدْرَانِ[7]
وَبِإِذْنٍ قَدْ قَامَ يَدْعُو البَرَايَا * بِطَرِيقٍ تُفْضِي إِلَى الرِّضْوَانِ
فَسَرَى سِرُّهُ لِكُلِّ مُرِيدٍ * وَارِدٍ صَادِقٍ بِغَيْرِ تَوَانِ
دُونَكُمْ دُونَكُمْ إِمَامًا هُمَامًا * عَارِفًا عَالِمًا بِسِرِّ المَثَانِي
دُونَكُمْ وَرْدُ وِرْدِهِ فَهْوَ عَذْبٌ * سَائِغٌ[8] لِلْوُرَّادِ[9] فِي هَمَلَانِ[10]
وِرْدُهُ كَمْ شَفَى غَلِيلًا وَكَمْ * أَبْرَى عَلِيلًا بِهِ وَأَطْلَقَ عَانِي
جَنَّةٌ لِلْمُرِيدِ فِيهَا مُنَى * النَّفْسِ وَمَا تَسْتَلِذُّهُ العَيْنَانِ

---

(1) باذخا : عظيم الشأن عاليا.
(2) أذعنت : انقادت وخضعت.
(3) وغاهم : حربهم.
(4) جلت : ظهرت ووضحت.
(5) ربوة : مفرد ربى وهي ما ارتفع من الأرض.
(6) الوصمة : العيب والعار.
(7) الأدران : جمع درن وهو الوسخ.
(8) سائغ : هنأ وسهل في مدخله للحلق.
(9) للوراد : بمعنى للواردين عليه.
(10) في هملان : بمعنى دام سيلان مائه وفيضه.

أَبْـشِـرُوا مَـعْـشَـرَ الـمُـحِـبِّينَ مِـنْـهُ * بِـنَـعِـيمٍ مُـؤَبَّـدٍ فِـــي الـجِـنَـانِ
بَشِّرُوا الجَاحِدِينَ لِلْفَضْلِ بِالمَقْتِ[1] * الـمُقِيمِ مَـعْ سُـرْعَـةِ الخُـسْـرَانِ
خَـبِّـرُوهُـمْ بِـأَنَّـهُـمْ بِـنَـكَـالٍ[2] * وَوَبَــالٍ بَــاءُوا وَكُــلٍّ هَــوَانِ
وَإِذَا مَـا عَـوَتْ كِـلَابٌ فَـلَا تَـعْبَأْ * بِـلَغْوٍ[3] مِـــنْ فَـاجِـرٍ مُـسْـتَـهَانِ
وَاسْـتَعِرْ لِـلغَاوِينَ[4] صَـمَّـاءَ أُذْنٍ * وَدَعِ الـمُـولَـعِـيـنَ بِـالـهَـذَيَـانِ[5]
غَـايَـةُ الأَمْـرِ أَنَّـهُمْ حَجَّرُوا فَـضْلَ * الإِلَـــهِ الـمُـسْـدِي بِـغَـيْـرِ امْـتِـنَـانِ
ذَاكَ فَـضْـلُ الـكَرِيمِ يُؤْتِيهِ مَنْ شَا * ءَ عَـلَـى رَغْـمِ كُلِّ لَاحٍ وَشَـانِـي[6]
إِنَّـمَـا الـشَّـيْـخُ آيَـــةُ اللَّهِ فِـــي * خَلْقِـهِ فَـهْـوَ الـمُـفْـرَدُ الـصَّـمَـدَانِي
هُـــوَ مِـنْ زَاخِـرِ الـفُـتُوحِ بِـمَـعْنَى * لَـمْ يُـطَـقْ كُنْـهُـهُ[7] بِـأَعْلَى الـمَعَانِي
فَـهْـوَ كَـنْـزُ الـكُـنُوزِ وَالطَّلْسَمُ الغَا * مِـضُ قُـطْـبُ الـعُـلُومِ وَالـعِـرْفَانِ
وَمَــلَاذُ الـقُـصَّـادِ فِـــي كُــلِّ مَــا * عَــنَّ مُـنِـيـلٌ لَـهُـمْ جَـمِـيعُ الأَمَـانِي
رَحْــمَــةُ اللَّهِ نِـعْـمَـةُ اللَّهِ لِـلـنَّا * سِ وَمَـأْوَى لِـكُـلِّ مَـنْ هُوَ جَانِي
مَــا أَتَــاهُ امْــرُؤٌ وَخَــابَ وَلَـكِـنْ * آبَ[8] فَــوْرًا بِـسَـوْلِـهِ بِـالـعِـيَـانِ
يَــا لَـغَـوْثٍ أَغِــثْ رَهِـيـنَ دُيُــونٍ * وَذُنُـــوبٍ جَـلَّـتْ عَــنِ الـحُـسْـبَانِ
ضَــاقَ ذَرْعًـا لَـمَّا تَـوَالَتْ عَـلَيْهِ * كُــرَبٌ أَخْـرَسَـتْ بَـلِـيغَ اللِّـسَـانِ
وَجُـيُـوشُ الأَتْـرَاحِ[9] لُـمَّتْ وَمَـالِي * عَــنْـكَ بُــدٌّ[10] يَــا كَـعْـبَـةَ الإِحْـسَـانِ
وحـدات الـكُـرُوبِ تَـحْـدُو فَـطَـمَّتْ * وَبَــنُـو الـجِـنْـسِ يَـبْـتَـغُونَ هَـوَانِـي

---

(1) المقت : البغض.
(2) النكال : جمع نكل وهو القيد الشديد.
(3) بلغو : بمعنى اللغو وهو ما لا يعتد به من الكلام.
(4) الغاوون : الضالون.
(5) الهذيان : الكلام الخارج عن دائرة العقل والصواب لمرض أو غيره.
(6) شاني : عائب.
(7) كنهه : جوهره وأصله.
(8) آب : رجع وعاد.
(9) الأتراح : الأحزان والهموم.
(10) بد : مناص ومهرب.

صَـوَّبُـوا سَـهْـمَـهُمْ إِلَـيَّ وَطَـالُـوا * وَاسْـتَـطَـالُـوا عَـلَـيَّ بِـالـبُـهْـتَـانِ
زَخْرَفُـوا الـقَوْلَ بِـالأَرَاجِيفِ[1] وَالزُّ * ورِ وَإِنِّـي مِـنْ كَـيْـدِهِـمْ فِـي أَمَانِ
حَـيْـثُ لِـي عِـزَّةٌ بِـعِـزِّكَ يَـا مَـوْ * لَايَ يَـا جُـنَّـتِـي مِـنَ الـحَـدَثَـانِ[2]
أَيُـضَـامُ الَّـذِي احْـتَـمَى وَحِـمَـاكُمْ * حَـوْطٌ وَاللَّهِ مِـنْ شُـرُورِ الـزَّمَـانِ
عَـجَـبًا هَـلْ أُنَـالُ وَاللَّيْثُ حِصْنِي * أَوْ أَخَـافُ مِـنْ عَـوَّةِ السِّرْحَانِ[3]
كَـيْـفَ أَخْـشَى الـظَّـمَا وَأَنْتَ غِيَاثِي * وَمُـغِـيـثُ الـمَـكْـرُوبِ وَاللَّهْـفَـانِ
مُـنَّ يَـا ابْـنَ الـرَّسُـولِ فَـوْرًا بِـمَا * آمُـلُ مِـنْ بَـحْـرِ جُـودِكَ الـهَـتَّـانِ[4]
وَشَـفِـيـعِـي إِلَـى عُـلَاكَ الـمُـفَدَّى * مَـنْ عَـلَا قَـدْرُهُ عَـلَى الـكِـيوَانِ
نَـجْـلُـكَ الـمُـرْتَـضَى الـتَّـقِـيُّ الـنَّـقِـيُّ * الـمُـرْتَـقِـي بِـالـتُّـقَى لِأَعْـلَى مَـكَانِ
طَـيِّـبُ الـنَّـفْـسِ طَـاهِـرُ الـقَـلْـبِ مَـنْ لَا * لَـهُ فِـي الـفَـضْـلِ وَالـمَـحَـاسِـنِ ثَـانِي
حَـمِـدَ اللَّهُ سَـعْـيَـهُ فَـلِـهَـذَا * صَـارَ فِـيـنَـا مَـحْـمُـودَ أَهْـلِ الـزَّمَـانِ
بَـحْـرُ عِـلْـمٍ تَـلَاطَـمَ الـسِّـرُّ فِـيـهِ * فَـرَمَـى لِـلْـوَرَى رَقِـيـقَ الـمَـعَـانِي
بِـيَـدَيْـهِ حَـتْـفٌ لِـكُـلِّ الأَعَـادِي * وَبِـهِ يَـسْـتَـرِيـحُ كُـلُّ مُـعَـانِـي
فَـعَـلَى الـتَّـقْـوَى أَسَّـسَ اللَّهُ بَـيْـتًا * هُـوَ مِـنْـهُ مُـشَـيَّـدُ الأَرْكَـانِ
قَـدْرُهُ شَـامِـخٌ وَمَـدْحُـهُ لَا يُـحْـصَى * وَهَـلْ تَـنْـزَحُ الـبِـحَـارُ الأَوَانِـي[5]
فَـقُـصَـارَى[6] الـمُـدَّاحِ فِـيـهِ قُـصُـورٌ * لَـوْ عَـلَـيْـهِ تُـثْـنِـي بِـكُـلِّ لِـسَـانِ
كَـنَّـسَ اللَّه مَـا بِـمَـكْـنَـاسَ لَـمَّـا * قَـدْ أَتَـاهَـا مَـنْ جَـدُّهُ الـتِّـجَـانِي
فَـزَهَـتْ وَازْدَهَـتْ وَتَـاهَـتْ دَلَالًا * وَتَـرَدَّتْ مِـنْـهُ رِدَاءَ الـتَّـهَـانِـي
فَـلِـهَـذَا جَـرَّتْ ذُيُـولَ افْـتِـخَـارٍ * وَحَـوَتْ رِفْـعَـةً عَـلَى الـبُـلْـدَانِ
فَـهَـنِـيـئًا أُهَـيْـلَ مَـكْـنَـاسَ بُـشْـرَى * بِـالـحَـفِـيـدِ الـمَـحْـمُـودِ فِـي كُـلِّ آنِ
نُـورُهُ نَـوَّرَ الـقُـلُـوبَ وَأَجْـلَـى * كُـلَّ كَـرْبٍ عَـنِ الـفُـؤَادِ وَرَانِ

---

(1) الأراجيف : الأخبار المختلقة الكاذبة السيئة.

(2) الحدثان : نوائب الزمان وكربه.

(3) عوة السرحان : صياح الذئب.

(4) الهتان : المتتابع.

(5) تنزح البحار : بمعنى تنفد ويقل ماؤها.

(6) قصارى المداح : بمعنى غايتهم وجهدهم ومبلغهم.

جَـاءَ يَا مَحْمُودَ الخِصَالِ شَفِيعًا * بِــكَ لِلشَّـيْـخِ رِقُّـهُ[1] الـزَّيْدَانِي
فَتَشَـفَّعْ وَقُـلْ بِفَضْلِكَ فَاقْبَلْ * مَنْ أَتَـى رَبْعَكُمْ وَلَوْ كَانَ جَانِي
يَـا ابْـنَ خَيْرِ الأَنَـامِ إِنِّـيَ أَرْجُـو * مِنْكَ بَـذْلًا مَـعْ غَايَةِ السُّلْوَانِ
فَبِحَقِّ الرَّسُولِ جَدِّكَ جُدْ لِـي * مِنْكَ يَـا سَيِّدِي بِطِيبِ التَّدَانِي
وَإِذَا مَــا اقْتَرَفْتَ ذَنْـبًا فَقَابِلْ * بِـجَمِيلٍ وَاصْـفَحْ عَلَى كُلِّ جَانِي
إِنَّـنِـي بِـالـخَـطَايَا جِئْتُ وَأَرْجُـو * مِـنْـكَ عَـفْوًا وَعَـطْفَةً بِتَدَانِي
هَـا جُفُونِي جَفَتْ لَذِيذَ كَرَاهَا * وَضُـلُوعِي تَصْلَى سَعِيرَ الطِّعَانِ
هَـا فُـؤَادِي رَهْـنَ الأَسَـى وَمَقَرٌّ * لِـلشَّجَى مِـنْ تَـرَاكُمِ الأَشْـجَانِ[2]
قَـدْ أَنَخْتُ[3] الرِّحَالَ آمُـلُ عَـطْفًا * سَابِغًا[4] كَـيْ يُزِيحَ مَا قَدْ عَرَانِي[5]
كَــمْ أَنَـــاخَ بِبَابِكُمْ مُسْتَجِيرٌ * آبَ[6] مِنْ فَيْضِكُمْ بِأَقْصَى الأَمَانِي
كَمْ دَعَـاكُمْ إِلَـى الإِجَابَةِ مَكْرُو * بٌ فَـأَضْحَى بِنِعْـمَةٍ وَامْـتِنَانِ
جَـاهُكُمْ لِـلْـوَرَى ظَـلِيلٌ وَكُـلٌّ * آمِــنٌ فِـيهِ رَافِـلٌ فِـي التَّهَانِي
دَأْبُكُمْ غَـارَةٌ بِهَا السِّرُّ مَشْمُو * لٌ إِلَــــى كُـــلِّ شَــاسِعٍ أَوْ دَانِ
غَـيْـرَةً غَـيْـرَةً وَحِـفْـظًا وَأَمْـنًـا * وَانْعِطَافًا بِجَبْرِ صَدْعِ المَعَانِي
عَـامِـلُونِي وَعَـالِجُونِي وَدَاوُوا * وَإِلَـيَّ انْـظُرُوا لَـدَى كُلِّ شَـانِ
وَافْـتَحُوا بَـابَ فَضْلِكُمْ لِسُؤَالِي * مَـتِّـعُـونِي بِـبُـغْيَةِ الـعَجْلَانِ
جَـاءَنِـي الـفَتْحُ وَالأَمَـانُ وَقَـدْ * مُـدَّتْ عَلَيْنَا سَرَادِقُ[7] الإِحْسَانِ
فَـأَدِمْ رَبَّـنَا عَلَى الشَّيْخِ أَسْرَا * رِكَ لَا تَـنْـقَـضِـي بِــكُــلِّ أَوَانِ
بِـرَسُـولٍ لِـلرُّسْلِ جَـاءَ خِـتَامًا * وَابْــتِـدَاءً لِـجُـمْـلَةِ الأَكْـــوَانِ
فَعَلَيْهِ الـصَّلَاةُ مَـا دَامَ يُتْلَى * مَـدْحُهُ فِـي الأَمْصَارِ وَالبُلْدَانِ

---

(1) رقه : عبده ومملوكه.

(2) الأشجان : الأحزان.

(3) أنخت الرحال : وضعتها.

(4) سابغا : واسعا.

(5) عراني : غشيني وألم بي.

(6) آب : رجع وعاد.

(7) سرادق : مفرد سرادقات وهو الفسطاط الذي يمد فوق صحن البيت.

وَعَـلَـيْـهِ الـسَّـلَامُ دُونَ انْـتِـهَـاءٍ * وَعَـلَـى آلِــهِ مَــعَ الصُّـحْـبَانِ
مَا تَـرَنَّى[1] صَـبٌّ وَقَدْ صَارَ يَشْدُو * نَـزِّهِ الـطَّرْفَ فِـي رِيَاضِ الـمَعَانِي
وَتَـغَـنَّـى بِــقَــوْلِ رِقٍّ مُـعَـنَّـى * وَتَـمَـتَّـعْ بِـنُـورِ تِـلْـكَ الـمَعَانِي[2]

وقال أيضا هذه القصيدة الجيمية، في مدح خير البرية، عليه الصلاة والسلام :

يَـمِّـمْ بِـعَـيْـسِـكَ لِلْقِبَابِ وَأَدْلِـجَا[3] * وَإِذَا وَصَـلْـتَ إِلَى قُبَى[4] بِي عَـرِّجَا
وَأَنِـخْ نِـيَاقَكَ[5] فِي الـبِطَاحِ لِأَنَّ شَـوْ * قَ الـحَيِّ أَجْـهَدَهَا الـمَسِيرُ وَأَزْعَـجَا
قَدْ أَنْـحَلَ الـوَجْدُ الـمبرحُ شَخْصَهَا * إِذْ شَـبَّ فِـي أَحْشَـائِهَا وَتَـأَجَّـجَا[6]
وَإِذَا حَــدَا حَــادٍ بِـسـلْـعٍ[7] لَا تَـسَـلْ * عَـنْ لَسْـعِ قَلْـبٍ بِـالصُّدُودِ تَـوَهَّجَا[8]
سَفَحَتْ عَلَى سَفْحِ العَقِيقِ[9] عَقِيقَهَا * حَتَّى لَـعَمْرِي الجُهْدُ مِـنْهَا قَدْ وَجَا[10]
وَادِي حُـنَيْـنٍ[11] قَــدْ أَثَـارَ حَـنِـيـنَـهَا * وَكَـذَلِكَ الـجَرْعَاءُ جَـرَّعَـهَا الـسَّجَى
وَلِــرَامَــةٍ رَاسَــــتْ وَإِنَّ رِمَـالَـهَـا * مِـسْـكٌ لِـمَنْ أَضْـحَى بِـهَا مُـتَأَرِّجَا[12]

---

(1) ترنى : طرب بصوت حزين.

(2) هذه القصيدة الرائعة الجميلة هي من إنشاء العلامة الأديب سيدي عبد الرحمان بن زيدان العلوي الإسماعيلي، وهي تعبير واضح على ما كان يتمتع به هذا الرجل من حس أدبي رفيع، وتعلق تام بالطريقة الأحمدية التجانية، ودفاع باسل عنها، وليس هذا بغريب عن هذا العالم الجليل، إذ له في هذا الميدان مواقف كبيرة شاهدة على مدا مكانته المحترمة السامية.

(3) أدلجا : بمعنى سر ليلا، والدلجة آخر ساعة من الليل.

(4) قبى : مسجد مبارك مشهور قريب من المدينة المنورة.

(5) نياقك : جمع ناقة وهي الأنثى من الإبل.

(6) تأجج : اضطرم وتلهب.

(7) سلع : جبل بالمدينة المنورة.

(8) توهج : اتقد.

(9) العقيق : جبل قرب المدينة المنورة.

(10) وجا : عدم نفعه.

(11) حنين : موضع بين الطائف ومكة المكرمة.

(12) متأرجا : بمعنى فاحت منه رائحة طيبة.

وَلَـدَا الـعُـذَيْبِ اسْـتَعْذَبَتْ تَـعْذِيبَهَا * وَبِذِي طُوَى[1] طَوَتِ الـمَرَاحِلَ بِـالوجَا
بِـالرَّقْـمَـتَيْنِ[2] لَـهَـا رُقُــومُ صَبَابَـةٍ * وَنَـعِـيمُهَا التَّـنْعِيمُ[3] فِـي تِلْكَ الفِجَا[4]
مَـا غَـيَّرَتْ عَـهْدَ الغُوَيْرِ وَلَا لَـوَتْ * إِلَّا إِلَـــى ذَاكَ الـلِّــوَا لِـتُـعَـرِّجَا
لَـكِنْ رِضَـاهَا أَنْ تَـرَى رَضْوَى وَإِنْ * جَزَعَتْ فَـنَحْوَ الـجَزْعِ يُدْنِيهَا الرَّجَا
وَقَـدِ انْـحَنَتْ لِلْمُنْحَنَى وَتَـعَسَّفَتْ * عُـسْـفَانُ تَـرْجُـو حَـيَّـهَا أَنْ تُـولِـجَا
بِمِنًى[5] مُـنَـاهَا وَالـخَلِيصُ خَلَاصُهَا * وَقَدْ انْـتَقَتْ[6] ذَاكَ الـنَّقَا تَبْغِي النَّجَا
وَلَـقَدْ ثَـنَـتْ نَـحْوَ الـثَّنَايَا عَزْمَـهَا * وَبِـمَـرْوَةٍ[7] مَــرَّتْ لِـنَيْـلِ الـمُرْتَجَى
مَـا فِـي سِـوَى نَـجْدٍ تَـجُودُ بِـنَجْدَةٍ * تَـرْمِـي جِـمَـارَ الـشَّـوْقِ حِـينَ تَـهَيَّجَا
وَدَّتْ بِـــوِدٍّ أَنْ لَـــوْ أَنَّ حَـبِـيـبَـهَـا * صَـافَى الصَّفَا[8] وَسَـبِيلَهَا أَنْ يَـنْهَجَا
وَبِـسَـيْـرِهَا لِـلـخَـيْـفِ[9] خَـفَّ عَـنَـاؤُهَا * وَالـكَدُّ عِـنْدَ كَـدَا[10] تَـوَلَّـى مُـزْعِـجَا
عَـرَفَـاتُ عـرفت الـطَّرِيقَ بِـعَرْفِهَا * إِضَمٌ[11] بِـهَـا ضَـمَّـتْ هُـيَامًا مـضرجَا
كَـمْ أَسْـلَـمَتْ أَرْوَاحَـهَا شَـوْقًا لَـدَى * سَـلَـمٍ وَطَـيْـبَةُ طَـابَ فِـيـهَا الـمُلْتَجَا
وَبِـزَمْـزَمٍ قَـدْ زَمْـزَمَتْ فِـي شَـجْوِهَا * أُحُـدٌ[12] بِــهِ تَـحْـدُو سَـبِيلًا أَبْـهَجَا

---

(1) ذي طوى : موضع قرب مكة المكرمة.

(2) الرقمتين : موضع قرب مكة المكرمة.

(3) التنعيم : على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة المكرمة، وهي أقرب أطراف الحل إلى البيت الحرام، سمي بذلك لأن على يمينه جبل نعيم، وعلى يساره جبل ناعم، والوادي اسمه نعمان.

(4) الفجا : مفرد فجاج، وهي الطريق الواسع الواضح بين جبلين.

(5) منى : موضع قريب من مكة، وسمي بذلك لما يمنى به من الدماء عند مناسك الحج.

(6) انتقت : اختارت.

(7) مروة : محل السعي بمكة المكرمة.

(8) الصفا : محل السعي بمكة المكرمة.

(9) الخيف : غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس، وبها سمي مسجد الخيف، وهو في ناحية من من منطقة منى.

(10) كدا : موضع قريب من مكة المكرمة.

(11) إضم : الوادي الذي فيه المدينة المنورة، يسمى لدا مروره بالمدينة القناة، ومن أعلى منها عند السد : الشظاة، ثم ما كان أسفل ذلك يسمى إضما .

(12) أحد : وهو جبل أحد مكان الغزوة المشهورة.

طَافَتْ طَوَافَ إِفَاضَةٍ إِذْ أَنَّهَا * حَطَّتْ مَقَامًا فِي الصَّبَابَةِ أَحْرَجَا
مَهْلًا أَخَا الفِتْيَانِ إِنَّ جُلُودَهَا * نَضَجَتْ وَحُقَّ لِمَا بِهَا أَنْ يَنْضِجَا
فَلَهَا بِهَاتِيكَ المَوَاقِفِ وَقْفَةٌ * أَوَ مَا رَأَيْتَ غَرَامَهَا مَا أَنْتَجَا
فَانْظُرْ إِلَى أَنْفَاسِهَا وَحَنِينِهَا * وَاقْصُدْ بِهَا نَحْوَ الحِمَى رُبْعَ النَّجَا
وَاحْلُلْ[1] بِهَاتِيكَ المَعَاهِدِ لَحْظَةً * بِطُولِ مَكَّةَ وَالمَشَاعِرِ مُعْرِجَا
بُشْرَى هَنِيئًا قَاصِدِي أَرْجَائِهَا * رَكْبَ الحَجِيجِ أَخَذْتُمُ مِنِّي الحجَا
وَسَلَبْتُمُ عَنْ مُقْلَتِي طِيبَ الكَرَى[2] * فَأَنَا أُرَاعِي الزَّهْرَ فِي جُنْحِ الدُّجَا
يَا ظَاعِنِينَ بِمُهْجَتِي مَا ضَرَّكُمْ * لَوْ حَثَّ بِالحَادِي المَسِيرُ وَأَدْلَجَا
لَكِنَّ سُوءَ الحَظِّ مِنِّي صَارِفٌ * يَا حَسْرَتِي مِنْ سُوءِ حَظٍّ أَحْرَجَا
إِنَّ الذُّنُوبَ كَوَاهِلِي قَدْ أَثْقَلَتْ * فَأَرَى القِوَامَ بِثِقْلِهَا قَدْ عُوِّجَا
لَكِنْ يَرُوقُ تَخَلُّصِي مِنْ غَيِّهَا * بِمَدِيحِ خَيْرِ العَالَمِينَ المُرْتَجَى
مُتَوَاتِرُ[3] الإِحْسَانِ مَشْهُورُ[4] النَّدَا * سَنَدٌ صَحِيحٌ[5] فِي المَعَالِي أُدْرِجَا
حَسَنُ الخِصَالِ وَصَالِحُ الأَفْعَالِ مَنْ * أَضْحَى نَدَاهُ مُضَعَّفًا مُتَوَهِّجَا
يُغْنِي الضَّعِيفَ[6] بِمُسْنَدٍ[7] مِنْ فَيْضِهِ * فَيَصِيرُ مَرْفُوعًا[8] بِمُنْتَجَعِ الرَّجَا

---

(1) احلل : بمعنى انزل.

(2) الكرى : النعاس.

(3) المتواتر : هو الحديث الصحيح الذي يرويه جمع يحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم في أول السند ووسطه وآخره.

(4) المشهور : هو نوع من أنواع الحديث الصحيح، وهو دون درجة الحديث المتواتر، وتعريفه : هو الحديث الصحيح الذي ترويه جماعة عن شيخ واحد.

(5) صحيح : هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه، ولا يكون شاذا ولا معللا.

(6) الضعيف : هو الحديث الذي لم تجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن

(7) المسند : هو الحديث الذي اتصل إسناده من راويه إلى منتهاه، مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

(8) المرفوع : هو الحديث الذي أضيف إلى النبي (ﷺ) خاصة من قول أو فعل أو تقرير سواء أأضافه إليه صحابي أم تابعي أم من بعدهما، وسواء أتصل إسناده أم لا.

الـمَـجْـدُ مَـوْقُـوفٌ[1] وَمَوْصُـولٌ[2] بِــهِ * وَبِـمُـرْسَـلٍ[3] مِـنْـهُ الـوُجُـودُ تَـدَبَّـجَا[4]
مَـا أَمَّـهُ الـمَـقْـطُوعُ[5] مُـنْـقَـطِعًا لَـهُ * إِلَّا وَمُـعْـضَـلُ[6] دَائِــهِ قَــدْ أُفْـرِجَا
بِـمُـعَـنْـعَـنٍ[7] مِـنْـهُ الـلـبَـابُ معـلقٌ[8] * مَـا إِنْ تَـرَى مِنْهُ المدلسُ[9] مُدْرَجَا[10]
عَـالِـي[11] الـمَـكَـانِ بِــهِ أَقَـمْنَا نُـزَّلًا[12] * نَـرْجُـو مُـسَلْسَلَهُ[13] الـقَرِيبَ الـمُرْتَجَى
الـكُـلُّ مُـخْـتَـلِفٌ[14] إِلَـيْـهِ وَسَـائِـلٌ * بِـعَزِيـزِ[15] عِـزَّةِ جَاهِـهِ صِـدْقَ الـلَّـجَا

---

(1) الموقوف : هو الحديث المروي عن الصحابي من قول أو فعل أو تقرير، كأن يقول الراوي قال عمر بن الخطاب كذا، أو فعل كيت وكيت أمام أبي بكر ولم ينكره.

(2) الموصول : هو الحديث الذي اتصل سنده، سواء كان مرفوعا إلى النبي (ﷺ) أو موقوفا على الصحابي أو مقطوعا على التابعي.

(3) المرسل : هو الحديث الذي يرفعه التابعي مطلقا كان صغيرا أو كبيرا.

(4) المدبج : من أنواع الحديث

(5) المقطوع : ما وري عن التابعين من قول أو فعل أو تقرير.

(6) المعضل : هو الحديث الذي سقط منه راويان فأكثر بشرط التوالي.

(7) المعنعن : هو الحديث الذي يقال في سنده فلان عن فلان، من غير تصريح بالتحديث والسماع، وهو من قبيل الإسناد المتصل إذا توفرت فيه ثلاثة شروط : عداله الرواة، وثبوت لقاء الراوي لمن روى عنه، والبراءة من التدليس.

(8) المعلق : هو ما حذف من مبدأ إسناده واحد فأكثر على التوالي، ويعزى الحديث إلى من فوق المحذوف من من رواته.

(9) المدلس : هو أن يسقط الراوي غير شيخه، وذلك لضعفه أو لصغر سنه ثم يجعل الحديث مرويا عن ثقات ليحكم عليه بالقبول والصحة.

(10) المدرج : هو الحديث الذي اطلع في متنه أو إسناده على زيادة ليست منه.

(11) العالي : الإسناد العالي المطلق هو ما قرب رجال سنده من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قلة عددهم إذ قيسوا بسند آخر يرد في ذلك الحديث نفسه بعدد كثير.

(12) النازل : نقيض الإسناد العالي، لكن رب إسناد نازل أفضل من عال إذ تميز بفائدة.

(13) المسلسل : هو الحديث المسند المتصل الخالي من التدليس الذي تتكرر في وصف روايته عبارات وأفعال متماثلة ينقلها كل راو عمن فوقه في السند حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(14) المختلف : هو أن يأتيا حديثان متضادان في المعنى ظاهرا، فيوفق بينهما أو يرجح أحدهما، وهو ما يسمى بعلم مختلف الحديث.

(15) العزيز : هو الحديث الصحيح الذي يرويه اثنان أو ثلاثة عن شيخ واحد.

مَـا بـالمعلل[1] فَـضْلُهُ إِذْ قَـدْ غَـدَا * فَـرْدًا[2] بِــهِ كُـلُّ الـكَمَالِ تَـتَـوَّجَا
وَسِــوَاهُ شَــاذٌّ[3] مـنـكر[4] وَحَـدِيثُهُ * يــدوي بِمُضْطَرِبٍ[5] لِـزَوْرٍ رَوَّجَـا
موضوع[6] مقلوب[7] الـمـركب جهله * يـقـضـي لـمـنـقلب يـظـن مدبـجا
أَيُـرَى الـمصحف[8] نَـاسِخًا لِـقِـوَامِهِ * مَـا انْـفَـكَّ مَنْسُوخًا وَقَـوْلًا أَسْـمَجَا
فَـلِذَا أَسَانِيـدُ الـمَـحَامِدِ أُسْنِدَتْ * لِـرَسُـولِنَا الـمُـخْتَارِ مِصْبَاحِ الـدُّجَا
ذَاكَ الَّـــذِي بِـوُجُـودِهِ زَالَ الـعَـنَـا * عَـنَّـا وَأَضْـحَـى لِـلـهِدَايَةِ مَـنْـهَـجَا
غَــوْثِ الـبَـرِيَّةِ غَـيْـثِهَا وَمُـغِـيثِهَا * مَــنْ لَا يَـخِـيبُ مَـنْ عَـلَـيْهِ عَـرَّجَـا
كَـهْفِ الأَنَـامِ مُـحَمَّدٍ سَامِي الذُّرَى * حَامِي الحِمَى نِعْمَ الحَبِيبِ المُلْتَجَا
يَـا عُـمْدَتِي وَعِـنَايَتِي وَحِـمَايَتِي * شَـوْقِـي إِلَـى رُؤْيَـاكَ زَادَ تَـهَـيُّجَا
مَــوْلَايَ يَــا رُوحَ الـوُجُـودِ وَسِــرَّهُ * يَـا مَـنْ بِـهِ الـكُرْبُ العَظِيمُ تَـفَرَّجَا
أُمْـنُـنْ عَـلَـيَّ بِـمَا أُؤَمِّلُ مِنْكَ مِـنْ * قُـرْبِ الـمَزَارِ لِـيَنْزَوِي عَـنِّي الشَّجَا
إِنِّـي لَـجَأْتُ إِلَـيْكَ يَـا عَـلَمَ الـهُدَى * وَحَـاشَـا جَـنَـابَكَ أَنْ يَـضِيعَ مَـنْ لَـجَا
حَـالِي مِـنَ الأَهْـوَالِ حَـالَ وَلَـيْسَ لِي * إِلَّاكَ يَــا بَـحْـرَ الـمَـكَارِمِ مُـرْتَـجَى
لَـيْـلُ الـشُّرُورِ سَـجَى وَطَـالَ ظَـلَامُهُ * فَـمَتَّى أَرَى صُـبْـحَ الـسُّـرُورِ تَـبَـلَّجَا[9]

---

(1) المعلل : هو الحديث الذي اكتشفت فيه علة تقدح في صحته، وإن كان يبدو في الظاهر سليما من العلل.

(2) الفرد : هو الحديث الذي انفرد به راو واحد وإن تعددت الطرق إليه.

(3) الشاذ : هو الحديث الذي رواه الثقة مخالفا الثقاة، وبعبارة أدق : ما رواه المقبول مخالفا لمن هو أولى منه. منه.

(4) المنكر : ماروا الضعيف مخالفا رواية الثقة.

(5)المضطرب : هو الحديث الذي تتعدد رواياته، وهي على تعدادها متساوية متعادلة لا يمكن ترجيح إحداها بشئ من وجوه الترجيح.

(6) الموضوع : هو الخبر الذي يختلقه الكذابون وينسبونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراء عليه

(7) المقلوب : هو الحديث الذي انقلب فيه على أحد الرواة لفظ في المتن، أو إسم رجل أو نسبه في الإسناد، فقدم ما حقه التأخير أو أخر ما حقه التقديم، أو وضع شيئا مكان شئ.

(8) المصحف : قال الإمام العسكري في التعريف به : أصل هذا أن قوما كانوا أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء فكان يقع فيما يرونه التغيير.

(9) تبلجا : أشرق وأضاء.

مَـا لِـي عَـلَى فَـزَعِ الـشَّدَائِدِ طَـاقَةٌ * وَجَـحِـيمُ أَهْــوَالِ الـزَّمَانِ تَـأَجَّـجَا
مَالِي سِوَاكَ مِنَ الـخُطُوبِ[1] وِقَـايَةٌ * فَـقِـنِي إِذَا دَاجُ الـغَـيَاهِبِ قَدْ سَـجَا[2]
مَالِي سِـوَاكَ مُـؤَمَّلٌ أَرْجُـوهُ فِـي * كَشْفِ الَّذِي بِـي قَدْ أَلَمَّ وَأَزْعَـجَا
إِنِّـي رَجَـوْتُـكَ فِـي انْـزِوَاءِ حَـوَادِثٍ * أَصْـبَـحْتُ مِـنْـهَا بِـالـكُرُوبِ مُـتَـوَّجَا
يَـا مُـصْطَفَــى عَـجِّلْ بِمَا أَرْجُوهُ مِنْـ * ـكَ مِنَ النَّدَا فَـالحَالُ مِنِّي اسْـتَسْمَجَا[3]
تَـتْـرَى عَـلَـيْـكَ مِـنَ الإِلَـهِ صَـلَاتُـهُ * مَـا مُـزِّقَتْ بِـالـصُّبْحِ أَثْـوَابُ الدُّجَا
وَعَلَى ذَوِيكَ مَعَ الصِّحَابِ جَمِيعِهِمْ * مَـا زَادَ مِـسْـكُ فِـي الـخِتَامِ تَـأَرُّجَا
وَتَــرَنَّـمَ الــشَّــادِي وَكَــرَّرَ قَـائِـلًا * يَـمِّـمْ بِـعَـيْـسِـكَ لِـلـقِـبَابِ وَأَدْلِـجَا

(1) الخطوب : المكاره والبلايا.
(2) سجا : سجا الليل أي سكن.
(3) استسمجا : قبح.

2) ترجمة الفقيه سيدي محمد الغالي السنتيسي أمنه الله[1]

ومنهم العلامة الفاضل، سلالة الأفاضل، الحائز قصبة السبق في ميدان النظم والنثر، الكاتب الأوحد أبو عبد الله سيدي محمد الغالي السنتيسي، أحد علماء الطريقة، الخائضين في بحر الشريعة والحقيقة، وهو من خاصة الأصحاب، الذين فازوا بصحبة الشيخ بين ذوي الألباب، وتلقى الطريقة

---

(1) الغالي بن المكي السنتيسي المكناسي. فقيه أديب شاعر كاتب مدرس. من مواليد مدينة مكناس. وبها نشأ وشب. فأخذ عن ثلة من فقهائها. كالمفضل السوسي. والمفضل ابن عزوز. ثم انتقل لاستتمام دراسته بالعاصمة العلمية (فاس) فتتلمذ بها لجماعة من كبارعلماء القرويين. كمحمد بن المدني كنون. ومحمد بن التهامي الوزاني وآخرين.

عمل كاتبا في بلاط السلطان المولى الحسن الأول. وهو نفس العمل الذي زاوله إبان عهد السلطانين المولى عبد العزيز وأخيه المولى عبد الحفيظ. قبل أن يتم تعيينه ناظرا على الأحباس الصغرى بمدينة مكناس.

له مؤلفات كثيرة منها : حاشية على الرسموكي شارح الجمل. وشرح لقصيدة كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج، للمؤرخ الأديب عبد الرحمان بن زيدان، في جزءين، وتأليف في إعراب (أما بعد) وقصائد عشرينيات، رتبها على الحروف الأبجدية، ودرة التاج وعجالة المحتاج.وهي قصيدة في فقه الطريقة التجانية قال في مطلعها :

حمدا لمن أوضح ذي الطريقة * أعـنـي التـجـانـيـة لـلـخـليقة

وجـعـل الأخـذ لـهـا عـبـاده * إن صدق الـمريد فـي الإرادة

وكان العلامة سيدي أحمد سكيرج كثير بهذا الرجل، وقد أقدم على شرح نظمه الموسوم بدرة التاج، وذلك بكتابه المسمى نور السراج في شرح إضاءة الداج، وقال في مطلع هذا التأليف منوها به :

بَدْرُ الدَّيَاجِي الَّذِي بَيْنَ الأَنَامِ يُرَى * قَدْ حَازَ كُلَّ مَقَامٍ فِي العَلاَ عَالِي

أَعْنِي الَّذِي قَدْ عَنَتْ كُلُّ الأُسُودِ لَهُ * مَنْ لَمْ يَزَلْ كَاسْمِهِ بَيْنَ الوَرَى غَالِي

ولصاحب الترجمة أبيات نقشت في مقابل ضريح مولانا الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، ونصها

هـذا الـمـزار فـخذ لـلقلب مثواه * وابـشـر بـنـيـلك مـا ترجو وتـهـواه

وابسط يمينك والأخرى قبالة من * مـقـامـه مـنـزل الـمـخـتار مـأواه

ذاك التجاني أبـو العباس سيدنا * مـلاذنـا أحـمـد بـشـرى بـلـقـياه

ختـم الـولايـة سـر الـحق مظهره * بـحـر الـمـعارف حقا ربِّ رضـاه

رد ورده وتـضـمـخ مــن عـواطره * وامـلأ بـفـاتـحـة وقـتـا لـيَرْضـاه

توفي بمسقط رأسه المذكور ليلة الاثنين 17 شعبان 1338هـ - 6 ماي 1920م. ودفن بالزاوية الكنتية من حومة صدراته. أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس 5 : 508.

التجانية، من أكابر المقدمين أصحاب الأذواق العرفانية، وهو ناظم درة التاج، وعجالة المحتاج، تصنيف شيخنا العلامة الفاضل سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، يقول في أول نظمه لها :

حَمْدًا لِمَنْ أَوْضَحَ ذِي الطَّرِيقَهْ * أَعْـنِـي التِّجَانِيَةَ لِلْخَلِيقَهْ
وَجَـعَـلَ الأَخْـذَ لَـهَا عِـبَادَهْ * إِنْ صَدَقَ الـمُرِيدُ فِي الإِرَادَهْ
وَجَـعَـلَ الـفَوْزَ بِـهَا مَنُوطَا * وَسِرُّهَا طُولَ الـمَدَى مَحُوطَا
وَخَـصَّـهَا بِـأَشْـرَفِ الـمَزَايَا * نِـسْبَتُـهَا لِـكَـامِلِ العَـطَايَا
خَـاتِـمِ الأَرْسَـالِ الـنَّـبِيِّ الهَادِي * صَـلَّـى عَـلَيْهِ اللَّهُ ذُو الأَيَـادِي

وقد كنت شرحته بأمر سليل المملكة، الملحوظ بعين العناية في كل سكون وحركة، الأديب الأريب، الحسيب النسيب، أبي السعادة والمكارم، مولانا عبد العزيز بن أمير المؤمنين سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان، حين كنا نسرد بحضرته،

وَآلِـــهِ وَصَــحْـبِـهِ الأَبْـــرَارِ * وَتَـابِـعِيهِمْ مِـنْ ذَوِي الأَنْـظَارِ[1]

وصحيح الإمام البخاري في رفقته، فامتثلت بشرح هذا النظم، وسميته : "نور السراج، بشرح إضاءة

---

(1) عدد أبيات هذه المنظومة 122 بيتا، وقد قرظها العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

حمدا لمن يرجى لكل مرتج * وبابه ليس يرى بمرتج

إلى أن قال في ختامها :

جمعَ فيه فقهَ ذا المنهاج * فـلا ترى حقا لـه من هاج
وَقد حوى من الهدى نُقَايَه * جـعـلـهُ اللهُ لـــه وِقَـايَـه
ولم يزل بالحفظ والأمان * ينال ما شاء من الأماني
وَقاله العبدُ الضعيفُ أحمد * سُكيرجُ واللهَ ربـي أحمدُ

الداج"[1] جعله الله من صالح الأعمال المذخرة للمعاد، وأنعم علينا وعليه ببلوغ المراد. وله تآليف عديدة، وقصائد فريدة. وقد وقفت له في هذه المرة على الجزء الأول من شرحه لهمزية سيدنا النقيب التي يقول في مطلعها

بِـهَـوَى زَيْـنَـبٍ يَــزُولُ عَـنَـائِـي * وَبِــهِ فِـي الـوَرَى يَزِيدُ اعْـتِنَائِي

---

(1) نور السراج، في شرح إضاءة الداج، طبع على الحجر بفاس في 62 صفحة، وهو شرح لمنظومة سيدي الغالي السنتيسي لدرة التاج وعجالة المحتاج، لسيدي الحاج عبد الكريم بنيس في فقه الطريقة التجانية. والتي يقول في مطلعها :

حمدًا لمن أوضح ذي الطريقة * أعـنـي الـتـجـانية لـلـخـليقة
وجـعـل الأخـذ لـهـا عـبـادة * إن صدق الـمريد في الإرادة
وجـعـل الـفـوز بـهـا مـنـوطا * وَسِرّها طول الـمدى مـحوطا

وهي قصيدة رجزية طويلة، وقد قرظها شارحها العلامة سيدي أحمد سكيرج بقصيدة جيمية رائعة ونصها :

حمدا لـمـن يـرجى لـكـل مرتـج * وَبـابـه لـيـس يُـرى بـمـرتـج
ثم على خير الورى أذكى الصّلاة * وآلـه وصـحـبه أزكـى الـصـلاة
وبـعـد إن شـيـخـنـا الـتـجـانـي * جـعـلـه الله مـلاذ الـجـانـي
جـعـلـه خـلـيـفـة خـيـر الـوجـود * لـه فـصـار بـحـر عـرفـانٍ وجـود
لـه طـريـق واضـحُ الـمـحـجَّهْ * بـشـرى لـمـن بـيـن الأنـام حـجَّه
وقـد أتـى بـنـظـم دُرٍّ غـال * فـي ذي الـطـريقة الـرئيسُ الغالي
ذو الـخلق الـعالي على الأبـراج * كـعـبـة كـل قـاصـدٍ وراج
عـقـد فـيـه نـثـر دُرِّ الـتـاج * أعـنـي بـه عـجـالة الـمـحـتـاج
مؤلف الحبر الرضى عبد الكريم * بـنـيـس قـد حـفـظه الله الـكـريم
نـظـم بـدا مـن أحـسـن الـنـظـام * يـسـقـي بـكـأس الـسـر كـلّ ظام
وَهْـوَ لـعـمـري يُـشـرق الـدُّجُـنّـهْ * وفـي الـطـريـق لـلـمـريـد جُـنَّـهْ
جـمـعَ فـيـه فـقـهَ ذا الـمـنـهـاج * فـلا تـرى حـقـا لـه مـن هـاج
وَقـد حـوى مـن الـهـدى نُـقَـايَـه * جـعـلـهُ اللهُ لـه وقَـايَـه
ولـم يـزل بـالـحـفـظ والأمـان * يـنـال مـا شـاء مـن الأمـانـي
وَقـالـه الـعـبـدُ الـضـعـيـفُ أحـمد * سُـكـيـرجُ واللهَ ربـي أحـمَـدُ

وعموما فهو كتاب ذو صلة بشروط الطريقة التجانية وقواعدها وواجباتها، وما لها من أوراد وآداب،

وَعَذَابِي فِي حُبِّهَا العَذْبِ عَذْبٌ * سَائِغٌ يَزْدَرِي بِكَأْسِ الطَّلَاءِ
كَنَّ بِالقَلْبِ حُبُّهَا قَبْلَ تَكْوِينِي * لِذَا رَاقَ فِي الفَنَاءِ فَنَائِي
كُلُّ صَعْبٍ قَدْ هَانَ لِي فِي هَوَاهَا * إِذْ هَوَانِي فِي الحُبِّ مَرْهَمُ دَائِي
إِنْ دَهَتْنِي فَمَا دَهَانِيَ عَنْهَا * قَوْلُ قَالٍ وَلَا ثَنَانِي[1] التَّنَائِي

إلى أن قال في تخلصه :

لَيْسَ مِنْ حُبِّهَا التَّخَلُّصُ إِلَّا * بِالتِجَائِي لِصفوَةِ الأَصْفِيَاءِ
فَهْوَ حِصْنٌ لِمَنْ أَتَاهُ حَصِينٌ * وَبِهِ فِي الأَنَامِ حُقَّ هَنَائِي

وقد سماه "هداية المنهاج، على كفاية المحتاج، في مدح صاحب اللواء والتاج" إلا أنه إلى الآن لم يكمله، أعانه الله على إتمامه، وبلغه غاية مرامه، ومما كتبه من قصيدة قرظ بها تأليف النقيب المذكور، المسمى بتغيير الأسعار، على من عاب الأشعار، قوله :

زَهْرُ الرِّيَاضِ تَنَاسَقَتْ أَفْنَانُهُ * وَلَدَى العِيَانِ تَتَابَعَتْ أَلْوَانُهُ
أَضْحَى يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ بِكَفِّهِ * إِذَا زَانَهُ مِنْ عَرْفِهِ أمزانُهُ
يَهْتَزُّ مِنْ فَرَطِ السُّرُورِ تَوَاجُدًا * يَدْنُو إِلَيْهِ وَإِنْ نَأَتْ أَوْطَانُهُ
يَرْوِي بِإِسْنَادٍ حَدِيثَ صَبَابَةٍ * مِنْ مَاءِ عَيْنٍ قَدْ رَقَى إِنْسَانُهُ
عَنْ صَوْبِ أَنْوَاءٍ بِأَكْمَامٍ لَهَا * مِنْ وَرْدِهِ القَانِي سَمَا عِقْيَانُهُ
عَنْ آسِهِ الآسِي لِلَوْعَاتِ الجَوَى * عَنْ أُقْحُوَانٍ قَدْ وَفَتْ إِيمَانُهُ
عَنْ نَرْجِسٍ مِنْ حُسْنِهِ قَدْ هُذِّبَتْ * أَهْدَابُهُ وَتَزَعْفَرَتْ أَجْفَانُهُ
عَنْ يَاسَمِينٍ أَبْيَضٍ أَوْ أَصْفَرٍ * قَدْ شَكَّ فِي وَصْفٍ لَهُ أَخْدَانُهُ

إلى أن قال :

عَنْ خَمْرَةٍ مِنْ رِيقِ ظَبْيٍّ أَهْيَفٍ * عَنْ دَرِّ ثَغْرٍ نُظِّمَتْ أَسْنَانُهُ
إِنَّ اليَوَاقِيتَ النَّضِيدَةَ قُسِّمَتْ * لِنَثِيرِهَا وَلَمَا بَدَتْ أَوْزَانُهُ

(1) ثناني : كفني وردني

فَالنَّثْرُ يحسنُ فِي العِيَانِ يَفُوقُهُ * المَنْظُومُ إِذْ قَدْ كُسِّرَتْ أَوْثَانُهُ
فَالغَزْلُ لَيْسَ بِسَاتِرٍ مَا لَمْ تَكُنْ * بِالنَّسْجِ تَجْمَعُهُ لَنَا خِلَّانُهُ
أَنْقَاضُ بَيْتٍ مَا بَقَتْ لَمْ تبتني * لَا بيتَ أَوْ تُبْنَى لَنَا أَرْكَانُهُ
كَالبَيْتِ من شِعْرٍ وَمِنْ شِعْرٍ لَهُ * بِالنَّظْمِ فَضْلٌ يُقْتَنَى عِرْفَانُهُ
كَيْفَ انْتِقَاصُ الشِّعْرِ يُسْمَعُ فِي الوَرَى * مِنْ عَائِبٍ قَدْ عَابَهُ أَقْرَانُهُ
لِلَّهِ دَرُّ إِمَامِ شِعْرٍ فَائِزٍ * بِالرَّدِّ عَنْ شِعْرٍ نَمَا إِيمَانُهُ
قَدْ قَامَ عَنْ شُعَرَاءِ إِسْلَامٍ بِمَا * سَمَّاهُ تَغْيِيرًا زَكَتْ أَحْيَانُهُ[1]

وهي طويلة، وقد ضمنها أبواب الكتاب وفصوله في أحسن سبك وتنظيم، وقد استعمل في مدح سيدنا محمود هذه القصيدة الفريدة، وقد أنشدت بين يدي سيدنا محمود، ونال بها من إقباله عليه غاية المقصود، ونصها :

بَابُ السَّعَادَةِ فُتِّحَتْ فِي الحَالِ * أَمْ شَمْسُ فَتْحٍ أَشْرَقَتْ أَوْصَالِي
أَمْ وَصْلُ حُبٍّ بَعْدَ طُولِ جَفَائِهِ * أَمْ بَدْرُ تَمٍّ لَاحَ فِي إِكْمَالِ
أَمْ فَجْرُ صِدْقٍ قَدْ تَلَمَّعَ ضَوْءُهُ * أَمْ صُبْحُ يُمْنٍ جَادَ بِالإِقْبَالِ
أَمْ بِالأَمَانِي أَمَّ نَحْوِي مُبَشِّرٌ * أَمْ فُرِّجَتْ كُرَبِي بِذِي الآمَالِ
أَمْ بَرْدُ وَصْلٍ بِالحَشَا مِنِّي ثَوَى * قَدْ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ لِلتَّالِي
لِلَّهِ آيَاتٌ بِإِسْعَادٍ بَدَتْ * مِنْ عَيْنِ مَاضٍ أَشْرَقَتْ فِي الحَالِ
فَرْعٌ لِأَصْلٍ قَدْ تَأَلَّقَ نُورُهُ * بِعَشِيِّنَا يَزْهُو وَفِي الآصَالِ
نُورٌ أُمِدَّ مِنَ الضِّيَاءِ كَشَمْسِهِ * مِنْهَا اسْتَمَدَّ البَدْرُ لِلسَّلْسَالِ
مَحْمُودَ سَعْيٍ قَدْ سَعَيْتُ بِسَيِّدِي * مَحْمُودِنَا نَجْلِ العَلِيِّ العَالِي
مِيمُ مَلَاذِي ثُمَّ حَاءُ حِمَايَتِي * مِيمُ المَرَامِ النَّاجِحِ الوَصَّالِ
وَاوُ الوِصَالِ دَعَاهُ دَالٌ مُحْصَنٌ * تَحْصِينَ أَعْرَافٍ كَمَا الأَنْفَالِ
نَجْلِ البَشِيرِ أَبِي البَشَائِرِ سَيِّدِي * نَجْلِ الحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ذِي الآلِ
نَجْلِ المَلَاذِ الأَعْظَمِ الخَتْمِ الَّذِي * قَدْ سَادَ فِي المَاضِي وَالاسْتِقْبَالِ

---

(1) انظر هذا التقريظ في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 511.

فَلْيَهْنَى مكْنَاسًا نَزِيلُ رِحَابِهَا * مَا إِنْ لَهُ كُفْؤٌ[1] لَدَا الأَمْثَالِ
وَلَيَهْنَهَا فَرْعٌ بِدَوْحَةِ مَجْدِهَا * يَهْتَزُّ غُصْنًا بِالجَنَا المُتَلَالِي
وَلَيْهَنْهَا شَمْسُ الهَنَاءِ بِرَوْعَةٍ * عَمَّتْ بِرُبْعٍ عَامِرٍ وَالخَالِ
مَعْ نَسْخِنَا لِلشرك لَيْلًا حَالِكًا * فِيهِ عَفَا الديار وَالأَطْلَالِ
فِيهِ حَيَاةٌ لِلرُّفَاتِ جَمِيعِهَا * كَالسِّرِّ فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ
هَذِي القُلُوبُ جَمَالَكُمْ مَعْ عَطْفِكُمْ * تَبْغِي عَلَى التَّفْصِيلِ وَالإِجْمَالِ
هَذِي الخُدُودُ لِوَطْئِكُمْ قَدْ وُطِّئَتْ * مُنُّوا بِفَكٍّ مِنْ عَنَا الأَغْلَالِ[2]
حَيَّا مُحَيَّاكُمْ بِخَيْرِ تَحِيَّةٍ * حَيٌّ كَرِيمٌ عَمَّ بِالإِفْضَالِ
حَيَّا بِأَطْيَبِ مِنْ عَبِيقِ المِسْكِ مَنْ * أَوْلَاكِ أَطْيَبَ طَيِّبِ الأَحْوَالِ
حَيَّا مَقَامَكِ مَعْ ذَوِيكِ جَمِيعِهِمْ * مَعْ صَحْبِكُمْ يَا سَيِّدِي وَالآلِ
وَالصِّهْرِ مَنْ يُدْعَى دده وَمُحَمَّدًا * يُسْمَى لِطِيبِ الفِعْلِ وَالأَقْوَالِ
وَالحِبْرِ نَجْمِ طَرِيقِنَا وَفَقِيهِهَا * حِبِّي أَبِي العَبَّاسِ ذِي الإِفْضَالِ
مُبْدِي الفَضَائِلِ ذِي التَّآلِيفِ الَّتِي * قَدْ كَاثَرَتْ نَجْمَ السُّهَا المِفْضَالِ
أَعْنِي سُكَيْرِجَ أَحْمَدًا مَنْ زَانَهُ * مِثْلَ الصُّهَيْرِجِ فِي نَدَى التِّمْثَالِ
وَالمَجْدِ مَوْلَانَا أَبِي حَفْصٍ لَهُ * بِالأَخْذِ عَنْكُمْ طِيبَ حُسْنِ القالِ
يُدْعَى بِعمْرٍ مِنْ شَرِيفِ مَقَرِّكُمْ * ذَاكَ العَلَاءُ لِأَوَّلٍ وَالتَّالِ
وَالسَّهْلِ مَوْلَانَا وَصِيفِكَ سَيِّدِي * وَالأَكْرَمِينَ الكُمَّلِ الأَنْجَالِ
وَالكُلُّ يُعْلِنُ بِالشَّفَاعَةِ عِنْدَكُمْ * لِلعَبْدِ يُدْعَى رَخِيصَكُمْ لَا الغَالِي
فَلْتَقْبَلُوهُ وَصِيفَكُمْ وَخَدِيمَكُمْ * وَلْتَمْنَحُوهُ رِضًى كَمَا التِّسْآلِ
كَيْ يَشْتَفِي مَعْنًى وَلَفْظًا مِنْ ضَنَى * حَتَّى يَعُودَ بِكُمْ هَنِيَّ البَالِ
وَالآلِ وَالأَنْجَالِ مَعْ إِخْوَانِهِ * لَا يَشْتَكُونَ بِكُمْ ضَنَى الإِعْلَالِ
بِالخَتْمِ مَوْلَانَا التِّجَانِي مَلَاذِنَا * شَيْخِي بِلَا رَيْبٍ وَلَا إِشْكَالِ
مَوْلَايَ فَاقْبَلْ مَا أَقُولُهُ مُغْضِيًا * عَنْ وَصْفِ إِكْثَارٍ وَعَنْ إِقْلَالِ

---

(1) كفؤ : نظير ومثل

(2) الأغلال : القيود

أَدْخِـلْ بِـكُلِّيَـةِ الـكَمَـالِ تَـفَـضُّـلًا * جُـزْئِيَّـتِي يَــا دَوْحَـةَ[1] الإِجْـلَالِ
بِـالهَاشِمِيِّ الـمُصْطَفَى خَيْرِ الـوَرَى * مَـنْ دِيـنُـهُ يُـنْجِي مِـنَ الإِضْـلَالِ
صَـلَّى عَـلَيْهِ اللَّهُ مَـا شَـمْسٌ بَـدَتْ * مَـــعْ صَـحْـبِـهِ وَقَـرَابَـةٍ وَالآلِ
وَالـتَّـابِعِـينَ وَتَـابِعِـيهِمْ جُـمْـلَـةً * أُولِــي الـمَعَـالِي مَعَـالِمِ الإِكْـمَـالِ
وَالـشَّـيْخِ مَـوْلَانَـا الَّـذِي إِحْـسَـانُـهُ * مَـلَأَ الـصَّـحَـارِي وَسَـائِرَ الأَتْـلَالِ
طُـولٌ كَـرِيمٌ سَـاقَـهُ شَـيْخُ الـرِّضَـا * تَــارِيـخُ قَــوْلِـي طَـيِّـبُ الإِنْـتِـقَـالِ
بِـالخَتْمِ فَـافْتَحْ يَـا أَخَـا الإِفْـضَـالِ مَـا * بَـابُ الـسَّـعَادَةِ فُـتِّحَتْ فِـي الـحَالِ

وله هذه الأبيات اللطيفة بالتزام ما لا يلزم يتضرع فيها للشيخ رضي الله عنه في الظفر بمقصوده، وهي :

طَــالَ لَـيْـلِي بِـأَعْـيُـنٍ سَـاهِـرَاتِ * رَاقِـبًـا سَـعْـدَ أَنْـجُـمٍ زَاهِـرَاتِ
بَاسِـطًا لِـلـنَّـدَى أَكُـفَّ احْـتِيَـاجٍ * مِـنْ سَجَـايَا[2] فَـضَـائِلٍ ظَـاهِـرَاتِ
عَـالِـيَـاتٍ قَـدْرًا ذَوَاتِ سَـمَـاحٍ * فِـــي نُـعُـوتٍ عَـزِيـزَةٍ بَـاهِـرَاتِ
فِـي تِـجَانٍ وَعَـيْنٍ مَاضٍ أَشَادَتْ * طِيبَ عَرْفٍ مِنْ أَنْسُبٍ طَاهِرَاتِ
فِـي مَـرَامِ الـمُـرِيدِ يَـأْتِي بِصُنْعٍ * مِـنْ أَيَـادٍ إِلَـى الـعِـدَا قَـاهِـرَاتِ
يَـنْـهَـدُ الـهَـمُّ بِـالـهُـمَامِ وَمَـنْ لِـي * بِـاهْـتِـمَامٍ يَـسُـوقُ لِــي نَـاهِـرَاتِ
يَحْرُسُ الصَّحْبَ إِنْ أَسَرَّتْ بِقَوْلٍ * أَوْ بَـدَتْ فِـي مَـقَـالِـهَـا جَـاهِـرَاتِ
أَوْ كَـنَـتْ عَـنْ مَـقَـاصِـدٍ أَوْ أَشَـارَتْ * لِـلـمَـسَـاوِي كَـنِـسْـوَةٍ عَـاهِـرَاتِ
هَـلْ بِـهِـمَاتِـكُمْ صَـلَاحِي قَـرِيبٌ * فِـي الـمَسَاوِي لِسَعْيِّهَا شَاهِرَاتِ
مَـظْهَرُ الـفَوْزِ أَنْـتَ هَلْ لِي بِفَوْزٍ * مِـنْ هِـبَاتٍ عَـلَى الـعِدَا ظَـاهِرَاتِ

وقال أيضا في مدح سيدنا رضي الله عنه قصيدة وسماها : "قصيدة التضرع والابتهال"، بحضرة سيدنا شيخنا قطب دائرة الكمال ونصها :

---

(1) دوحة : الشجرة العظيمة المتسعة

(2) السجايا : جمع سجية وهي الخلق

هِمْ[1] فِـي مَـقَـامِ الـحُـبِّ غَـيْـر مَـلُـومِ * وَاشْـرَبْ زُلَالَ[2] الـعِـشْـقِ غَـيْـر ظَـلُـومِ
لَا تَـخْـشَـى فِـي هَـذَا عَـذُولًا كُـلَّـمَـا * اسْـتَـبْـدَلْـتَ تَـخْـصِـيـصًـا بِـوَصْـفِ عُـمُـومِ
وَاسْـتَـفْـتِ فِـي شَـرْعِ الـغَـرَامِ مُـتَـيَّـمًـا * عَـنْ حُـكْـمِ مُـضْـنًـى يَـزْدَهِـي بِـكُـلُـومِ[3]
يَـأْتِـيـكَ بِـالـمَـنْـصُـوصِ عَـنْ أَرْبَـابِـهِ * أَهْـلُ الـقَـرِيـضِ وَنَـثْـرِهِ الـمَـعْـلُـومِ
فَـقَـتِـيـلُ حُـبٍّ لَـيْـسَ يُـودَى ثُـمَّ لَا * يُـفْـدَى الأَسِـيـرُ لِـرِقِّـهِ الـمَـحْـتُـومِ
يَـلْـتَـذُّ بِـالـهَـجْـرِ الَّـذِي لَابُـدَّ أَنْ * يَـتْـلُـوهُ وَصْـلٌ لَـمْ يَـكُـنْ بِـمَـرُومِ
لَا تَـلْـحَ[4] ذَا وَجْـدٍ فَـإِنَّ سَـبِـيـلَـهُ * لِـلـسَّـالِـكِـيـنَ مَـضَـلَّـةُ الـمَـهْـمُـومِ
وَارْحَـمْ رَهِـيـنَ الـحُـبِّ أَنْ يُـلْـفَـى كَـمَـنْ * فِـي حُـبِّ شَـيْـخٍ هَـامَ غَـيْـر مَـلُـومِ
شَـيْـخٌ أَنَـالَـتْـهُ الـهِـدَايَـةُ لِـلْـوَرَى * مِـنْـهَـا الـقِـيَـادَ كَـفِـيـلـة بِـخُـصُـومِ
شَـيْـخٌ يُـحِـيـلُ نُـحَـاسَ نَـفْـسٍ عَـسْـجَـدًا[5] * بِـالـقُـرْبِ يُـغْـنِـيـهَـا بِـكَـنْـزِ عُـلُـومِ
شَـيْـخٌ طَـرِيـقَـتُـهُ بِـشُـكْـرٍ نُـسِّـجَـتْ * وَالـفَـتْـحُ فِـيـهَـا مُـفَـاجِـئٌ بِـهُـجُـومِ
وَالـسَّـيْـرُ فِـيـهَـا مَـسِـيـرُ قَـلْـبٍ لَـيْـسَ بِـالًا * بُـدَانِ هَـذَا لِـفَـضْـلِـهَـا الـمَـقْـسُـومِ
رَاءُ الـمُـرِيـدِ بِـهِ تُـعَـجَّـمُ إِذْ لَـهُ * مِـنْـهُ الـمَـزِيـدُ بِـرَمْـزِهِ الـمَـفْـهُـومِ
لَا تَـرْجُـوَنْ عَـدَّ الـفَـضَـائِـلِ كُـلَّـمَـا * حَـاوَلْـتَ عَـدًّا فِـي الـسَّـمَـا لِـنُـجُـومِ
حَـسْـبِـي الـمَـلَاذُ إِذًا بِـخَـيْـرِ جَـنَـابِـهِ * فِـي كُـلِّ حَـالٍ لَا بِـلَـذْعِ سُـمُـومِ
بِـالـشَّـيْـخِ فَـافْـتَـحْ مُـغْـلَـقًـا مِـنْ أَمْـرِهَـا * وَاخْـتِـمْ بِـنَـاصِـرِ هَـدْيِـهِ الـمَـوْسُـومِ
أَعْـنِـي الـتِّـجَـانِـيَ أَحْـمَـدًا مَـنْ قَـدْ مَـضَـى * فِـي عَـيْـنِ مَـاضٍ كَـالـشَّـذَا[6] الـمَـشْـمُـومِ
فَـاسٌ بِـهِ أَمِـنَـتْ لِـشَـمْـسِ مَـعَـارِفٍ * مِـنْ أُفْـقِـهِ طَـلَـعَـتْ لِـنَـسْـخِ نُـجُـومِ
مَـا بِـالـمَـدِيـحِ يَـفِـي الـيَـرَاعُ[7] بِـوَصْـفِـهِ * وَحَـلَاهُ إِرْثُ مَـفَـاخِـرِ الـمَـعْـصُـومِ

---

(1) هم : في الهيام بمعنى تحير.

(2) زلال : الماء العذب الصافي يمر سريعا في الحلق.

(3) الكلوم : الجروح.

(4) لا تلحى : لا تلم.

(5) العسجد : الذهب والجوهر كالدر والياقوت.

(6) الشدا : قوة ذكاء الرائحة الطيبة.

(7) اليراع : القلم.

مَنْ لِي بِنَزْحِ اليَمِّ[1] أَوْ عَدِّ الحَصَى * كَــلَّا وَلَا الـتَّحْقِيقِ لِـلْـمَوْهُوم
مَــوْلَايَ هَـذِي النَّائِبَاتُ تُرِيدُنِي * فَاحْمِي العُبَيْدَ إِذَا عَـذَاب سَمُومِ
وَاكْـفِ العَنَاءَ وَغُرْبَةً عَـنْ مَنْزِلٍ * مُـضْنًى بِـحُبِّكَ بُغْيَتِي وَمَرُومِي
عَـمِّرْ بِــهِ وَبِـأَهْلِهِ وَبَـنِيهِ عَـنْ * عِــزٍّ دُوَيْـرَتَـهُ[2] بِـخَـيْـرِ رُسُــــوم
فَـالجِسْمُ مِنْهُ عَنِ العَنَاءِ كَمَا تَرَى * مُـسْـتَـنْجِدًا لِـمَعُونَةِ الـمَكْتُومِ[3]
وَاصْرِمْ[4] حِبَالَ تَغَرُّبِي عَـنْ مَـنْزِلٍ * وَانْـظِـمْ مُـنَـاهُ بِعَـقْدِكَ الـمَنْظُوم
بِالـخَتْمِ اختـم قطعتي وَتَذَلُّلِي * لِـلشَّيْخِ فِـي نَثْرِي وَفِـي مَنْظُومِ
مَــوْلَايَ وَقِّـعْ بِالـمُرَادِ بِمَطْلَبِي * فَالسِّرُّ فِـي التَّوْقِيعِ لَا الـمَرْسُوم
بِالـهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الـوَرَى * صَـلَّـى عَـلَـيْـهِ اللَّهُ دَوْمَ لُــــزُومِ
مَـعْ آلِـهِ وَالـصَّحْبِ مَـا حَـادٍ حَدَا * هِـمْ فِـي مَقَامِ الحُبِّ غَيْر مَلُومِ

وكان حضر بمحل نزولنا مع جماعة من علماء الطريقة جاءوا بقصد ملاقاة سيدنا محمود رضي الله عنه وزيارته، وطال انتظارهم، فكتبت له هذين البيتين :

حَيَّ الإِلَـهُ جَمْعَكُمْ * وَنِلْتُمُ الأَجْرَ الجَزِيلْ
فَلْتَصْبِرُوا سُوَيْعَةً * حَتَّى يُوَافِينَا الدَّلِيلْ

فكتب لي ارتجالا من بحر آخر :

قَـدْ صَبَرْنَا سَنَوَاتٍ * وَزَمَـانًـا يَــا جَـلِيلُ
كَيْفَ وَالمَأْمُولُ شَمْسٌ * مَــالَـهُ فِـينَا مَـثِيلُ

فكتبت له من بحرها :

قَدْ أَتَى مِنْكَ جَوَابُ * أَيُّـهَا الـحَبْرُ النَّبِيلُ
وَرَأَيْـنَـا لَـكَ فِـيهِ * مَا بِهِ يُشْفَى العَلِيلُ

---

(1) اليم : البحر.

(2) دويرته : تصغير دار وهي المنزل.

(3) المكتوم : من ألقاب الشيخ أبي العباس التجاني، انظر ج 2 ص 297-320.

(4) اصرم : اقطع.

3) ترجمة الفقيه سيدي محمد العرائشي[1]

---

(1) محمد بن الحسين بن عبد القادر بن علال بن اليمني بن علي بن القاضي عبد الوهاب بن الحاج محمد المدعو حم العرائشي العرائشي، شيخ الجماعة بالعاصمة الإسماعيلية [مكناس] ولد بمكناس عام 1280هـ ـ1863م، أخذ العلم عن جماعة من كبار علماء عصره منهم : الفقيه إدريس بن محمد بن عبد الهادي الوالي الإدريسي السجلماسي، والعلامة الطاهر بوحدو المكناسي، وعمه العلامة أحمد بن عبد القادر العرائشي، والمفضل بن الحاج المكي بن أحمد السوسي، وأحمد بن الطالب ابن سودة المري الفاسي، والعلامة محمد بن عبد السلام كنون، وغيرهم.

ثم اشتغل بالتدريس، فاستمر فيه مدة تناهز أربعين عاما، عكف فيها على الإقراء والإفادة دون فتور، وقد تخرج به جماعة من الفقهاء نذكر منهم عبد الله بن الجيلاني العلمي المعروف بـ جمعان، وعبد الرحمن بن محمد بن الفضيل العلوي الإسماعيلي، محمد بن سعيد بن عبد السلام بن أحمد الدكالي، والحسن بن محمد بن الحسين المنوني، وعبد الرحمان بن زيدان، عبد العزيز بن محمد الأمغاري وغيرهم .

من مؤلفاته عنوان السعادة والإسعاد، لطالب رواية الحديث بالإسناد، إسم فهرسة أشياخه وأسانيده، فرغ من تقييدها عشية الأحد 14 شعبان، عام 1350هـ، تقع في 83 ص، من الحجم المتوسط، .وإتحاف الطالب القانع، بفهم معنى النظم المسمى بالدرر اللوامع، شرح فيه أرجوزة الدرر اللوامع، في مقرأ الإمام نافع، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن بري، والتحذير والتنفير، من الأفعال التي تؤدي إلى التكفير، فرغ من تأليفه في 11 محرم، عام 1351هـ، ويقع في 21 ص من الحجم المتوسط، وتعليق على أرجوزة الوزير محمد بن إدريس العمروي في صلحاء مكناس، ودرة الولدان، في معرفة ما يجب على الأعيان، [كتيب وجيز في شرح قواعد الإسلام الخمس] ومجموعة فتاوي، جمع فيها إلى فتاويه ما عثر عليه من فتاوي شيخيه المفضل ابن عزوز ومحمد بن أحمد العلوي، وفتح الحي القيوم على مقدمة ابن آجروم، وغيرها من التآليف الآخرى

واشتغل المترجم له بخطة العدالة فترة طويلة من عمره، ثم عمل بعد ذلك نائبا عن قاضي أحواز مكناس، ثم اشتغل بالتدريس، وتوقيت الجامع الأعظم، مع الخطابة بجامع قصبة هدراش، كما كان إماما راتبا بمسجد الورزيغي

توفي بعد عشاء ليلة الأحد 10 شوال عام 1351هـ ـ 4 فبراير 1933م ودفن بالزاوية الكنتية، بحي سدراتة بمكناس، ملاصقا للمحراب عن يمين المستقبل، وقد رثاه تلميذه العلامة النقيب عبد الرحمان بن زيدان بقصيدة قال في مطلعها :

رزء عظيم فتت الأكبادا * ولطود صبر العالمين أبادا

انظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 2 : 463، موسوعة أعلام المغرب 8 : 3016 ـ 3018، إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان ج 5 ص 398 - 399، أعلام الحاضر والباد. بقطع أوداج من زعم أن الأدب في ترك مديح صفوة العباد، للمؤلف نفسه [السفر الأول]

ومنهم الفقيه الوجيه، العلامة النزيه، ذو الأخلاق العذبة المذاق، الدالة على طيب الأصول والأعراق، المحب الصادق، والخليل الموافق، أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسين العرائشي الأصل، المكناسي النسل، جاء لمحل النزول لملاقاتنا صباح يوم السبت، ولم يكن عنده علم بقدومنا، حتى أعلمه النقيب سيدنا ابن زيدان، فأتى لمحلنا والشوق يزعجه، وذاك شأن المتحابين لا يقر لهم قرار إذا سمعوا بقدوم من يحبهم أو يحبوه،

وبشهادة الله إني أحب هذا الفقيه الذي ارتدى برداء الخمول، وسلك على مسلك يفضي به لأعلى مقامات الوصول، قد تجرد عن الكبر، ولبس من لباس التقوى ما استحق أن يتقدم به أمام كل حبر.

وقد سألني عما ثبت عندي في نسب السادة الناصريين، فذكرت له بأن المسموع عندي أنهم من المرابطين، ولست على يقين من نسبتهم لآل البيت، فقال : هكذا ذكر الناصري صاحب الإستقصاء قائلا : ولعل نسبهم يلتحق بجعفر ابن أبي طالب، لكن قد ألف الناصري[1] بعد ذلك مؤلفا جليلا في سفر سماه : "طلعة المشتري، في النسب الجعفري" ألحق فيه الناصريين بالسلسلة الجعفرية، وأبدى في ذلك وأعاد،

وذكر فيه أنه حين تأليفه للإستقصا لم يكن تحقق ذلك، إنما كان يسمعه منهم فقط إهـ... فقلت له : لو كانوا من آل البيت لكان أول من يصفهم به أبو علي اليوسي في داليته التي يقول في مطلعها :

---

(1) أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، مؤرخ، باحث، ولد بسلا عام 1250هـ، وبها توفي عام 1315، من مصنفاته الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، وطلعة المشتري في النسب الجعفري، وزهر الأفنان في شرح قصيدة ابن الونان، وكشف العرين عن ليوث بني مرين، والفلك المشحون بنفائس تبصرة ابن فرحون، وتعظيم المنة بنصر السنة، وغير ذلك من المصنفات الأخرى.

انظر ترجمته في الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 368 رقم الترجمة 815، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 432 رقم الترجمة 1702، وفي إتحاف الوجيز للدكالي ص 174، وفي أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين للجراري 2 : 11-14، وفي الأعلام للزركلي 2 : 120.

عَرِّجْ بِمُنْعَرِجِ الهِضَابِ الوُرَّدِ[1]

وهذه القصيدة من غرر القصائد المشتملة على النكت العجيبة، مع ما انطوت عليه مما يدل على اتساع عارضة ناظمها في علم اللغة وغيره من العلوم المنطوية عليها، حتى أن الممدوح بها قد كان أمره بشرح ألفاظها اللغوية، ليسهل فهم معانيها لمن اطلع عليها، والذي أتخيله بين عيني أنه لم يذكر فيها كونهم من آل البيت، والله أعلم، ثم قلت : وكما تعجبني هذه القصيدة الدالية تعجبني قصيدة الإمام البوصيري التي يقول في مطلعها :

كَتَبَ المَشِيبُ بِأَبْيَضٍ فِي أَسْوَدِ * بِقَضَاءِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الخُرَّدِ[2]

ومنها البيتان المشهوران

وَتَزَوَّدِ التَّقْوَى فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ * فَمِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِي مُحَمَّدِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنَّ صَلَاةَ مَنْ * صَلَّى عَلَيْهِ ذَخِيرَةٌ لَمْ تَنْفَدِ

---

(1) هو مطلع القصيدة الدالية، للعلامة العارف بالله سيدي الحسن اليوسي، عارض بها دالية البوصيري التي قالها في مدح شيخيه أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي، والتي يفتتحها بقوله :

كتب المشيب بأبيض في أسود * بقضاء ما بيني وبين الخرد

وهي طويلة ذات حكم وفوائد وفرائد، قالها في مدح شيخه سيدي محمد (فتحا) بن ناصر الدرعي وافتتحها بقوله :

عـرج بـمنعرج الـهضاب الـورد * بين اللصاب وبين ذات الأرمد

وأجز من الجزع الذي بحضيضه * أجـداث أصداء العشير الـهمد

واربـع على الربع المحيل هنيئة * إن الربـوع ربيـع قلـب الأكـمد

وللعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، معارضة للقصيدة ذاتها، لكن في مدح الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، وهي من جملة قصائده المدرجة ضمن كتابه النفحات الربانية في الأمداح التجانية، ومطلعها:

سلب الغـرام من الفوائد تجلدي * فـالعيـن مـنـي كـحلت بتسهـد

والقلب في الخفقان من ريح الهوى * والـعـقل رهـن تـخيل وتـعربد

سكران من خمر الصبابة والصبا * كيـف استماعي للوشاة الحسد

(2) جاء في كناش الفقيه المقدم سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي قال : قال العارف بالله سيدي محمد العربي بن السائح : إن الشيخ رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه أمر بإحضار دالية البوصيري، فلم توجد بفاس، فأرسل إليها بعض الخاصة من أصحابه لمكناسة الزيتون، فلما جاءت أمر بقراءتها، فلما أتموا قراءتها لم يتلكم معهم بعد ذلك أصلا، والله أعلم بمراد الشيخ،

وقد سألته عما يقرؤوه مع الطلبة من الدروس في هذا الوقت، فذكر أنه يقرأ معهم المختصر والألفية، أعاننا الله وإياه، ولما أراد النهوض كتبت هذه الأبيات بارتجال ليوصلها لمحبنا الأديب سيدي عبد القادر العرائشي، ونصها :

قُـرَّةَ العَيْنِ جُـدْ لَنَا بِالتَّلَاقِي * قَبْـلَ أَنْ يُـفْـصِلَ اللِّقَا بِالفِرَاقِ
قَــدْ حَلَلْنَا بِرَبْعِـكُمْ لِنَرَاكُمْ * فَتَجُـودُوا لَـنَا بِـكَأْسٍ دِهَـاقِ
يَا رَعَى اللَّهُ مَا مَضَى مِنْ وِدَادٍ * هَلْ تَرَى قَلْبُكُمْ عَلَى العَهْدِ بَاقِ
لَا تَحُـولُـوا بِاللَّهِ عَنْهُ وَكُونُـوا * مِـثْلَ مَـا كُنْتُمُ بِغَيْرِ شِقَاقِ
عَــلِـمَ اللَّهُ أَنَّــنِـي مُـشْـتَهَامٌ * وَفُــؤَادِي مُـعَـذَّبٌ بِاشْتِيَاقِ
فَلْتَعِيشُوا كَمَا نَعِيشُ وَرِقُـوا * لِـلَّذِي رُوحُـهُ وَفَـتْ لِلتَّرَاقِي
فَعَلَيْكُمْ مِـنِّـي أَتَــمُّ سَـلَامٍ * يُنْتِجُ الوِدَّ فِي النَّوَى وَالتَّلَاقِي

ولصاحب هذه الترجمة ذهن وقاد، وقريحة تامة، وله الباع الطويل في علم النحو والبيان، والفقه والعروض، إلا أنه قليل النظم، ومن نظمه تقريظه لهمزية سيدنا النقيب الزيداني المسماة "كفاية المحتاج"، ونصه :

هَنِيئًا لَـكَ البُشْرَى بِمَا نِلْتَ مِنْ أَجْرِ * وَأَحْـرَزْتَ مِنْ فَضْلٍ عَظِيمٍ وَمِنْ فَخْرِ
وَفُــزْتَ بِـمَا تَبْغِيهِ مِـنْ رُتَـبِ العُلَا * وَحُزْتَ مِنَ الخَيْرَاتِ مَا جَلَّ عَنْ حَصْرِ
بِـمَـدْحِ رَسُـــولِ اللَّهِ خِـيـرَةِ خَـلْـقِهِ * فَـفِـي مَـدْحِـهِ وَاللَّهِ سِـرٌّ عَـلَى سِـرِّ
أَيَــا عَـابِـدَ الـرَّحْـمَانِ نَـجْـلَ مُـحَمَّدٍ * سَـلِـيـلَ كِــرَامٍ مَـاجِدِينَ ذَوِي قَــدْرِ
لَـقَدْ صُـغْتَ مِـنْ مُخْتَارِ دُرٍّ مُنَضَّدٍ * قَصِيدَةَ مَدْحٍ فِـي خَفِيفٍ مِنَ الشِّعْرِ
مُــرَصَّــعَــةً مَـرْقُـومَـةً بِـجَـوَاهِـرٍ * مِنَ اوْصَافِ خَيْرِ الخَلْقِ هِي مَعْدِنُ الدُّرِّ
كِـفَايَةَ مُـحْتَاجٍ لَـهَـا الـنُّـورُ وَالبَـهَا * بِأَسْرَارِهَا تَزْهُو عَلَى الشَّمْسِ وَالبَدْرِ
مَـوَاهِـبُ إِنْـعَـامٍ بِـهَـا اللَّهُ مُـنْـعِمٌ * عَلَيْكَ فَفُهْ شُكْرًا وَأَكْثِرْ مِنَ الشُّكْرِ
لِيُهْنِكَ حُــبُّ المُـصْطَفَى وَشَفَاعَةٌ * بِهَا مِنْهُ عِنْدَ العَرْضِ فِي مَوْقِفِ الحَشْرِ

4) ترجمة الشريف سيدي عبد القادر العرائشي[1]

ومنهم أديب مكناسة، من طأطأ له كل أديب رأسه، ذو اللهجة القاطعة لأوداج من بارزه في ميدان المسابقة، فلم يصل مجاراته أحد من ذوي الهمم الفائقة، من لسان حاله ينشد :

وَإِنَّ لِسَانِي شَهْدَةٌ يُشْتَفَى بِهَا * وَلَكِنْ عَلَى مَنْ صَبَّهُ اللَّهُ عَلْقَمُ[2]

فأذعن له أهل مصره في هذا المجال، ولم يبارزه إلا من اغتر أو جهل من الرجال، ألا وهو الشريف العلمي الأصل، الجامع لشتات الفضل، أبو محمد سيدي عبد القادر بن أحمد العرائشي، وهو من أعز أحبابنا، وقد اجتمعت به في هذه المرة بعدما وجهت له الأبيات المتقدمة التي أولها في مخاطبته:

قُرَّةَ العَيْنِ جُدْ لَنَا بِالتَّلَاقِي * قَبْلَ أَنْ يُفْصِلَ اللِّقَا بِالفِرَاقِ

---

(1) عبد القادر بن أحمد العرائشي. فقيه أديب شاعر. من أعلام العاصمة الإسماعيلية (مكناس) وعلى وجه التحديد من بيت العرائشيين. أحد أشهر البيوتات العلمية بالمدينة المذكورة. ونسب هذه الأسرة معروف إلى قرية العرائش. من أرض (تلاجدوت) على مقربة من مدينة مكناس. وليس لمدينة العرائش الشهيرة بشمال المغرب. ولمترجمنا المذكور ديوان شعر في مجلد. وهو صاحب ذوق أدبي رفيع. يتجلى ذلك بوضوح فيما أبدعته بنات أفكاره من قصائد وأشعار نفيسة. كقوله في مدح السلطان المولى يوسف :

إذا لاح ذاك الوجه وابتسم الثغر * فما لي صبر عن لقاه ولا عذر
وما لي لا أبغي اللقاء ووجهه * مليح بهي زانه الحسن والفخر
وقلت لأقوام فإني قاصد * إمام الورى من حفه العز والنصر
همام له فخر وجاه وسؤدد * ومجد أثيل ليس يقدره قدر
لهمته العليا عنا كل فاضل * وطأطأت الأقيال والسهل والوعر

إلى أن يقول في ختامها :

وما قال ذو التاريخ أبلغت حاجتي * إلى ملك قد جاد عنا به الدهر
وذلك بعد الزيد في العد واحدا * يكون تماما إذا به يكمل الأمر

توفي ببلده مكناس عام 1350هـ - 1932م. أنظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب 8 : 3011. اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب المولوي اليوسفي 1 : 223 - 224.

(2) العلقم : المر.

فقدم لمحل نزولنا، وقلبه ممتلئ فرحا لملاقاتنا، حيث أنه لم يسمح بحلولنا بمكناسة، إلا وقت ورود الأبيات عليه، وأتى مصاحبا معه هذه الأبيات :

يَـا قَـلْبُ إِنَّـكَ غَـافِـلٌ فَـتَـفَـطَّنِ * وَاطْـرَبْ وَغَـنِّ وَقُـلْ بِـدُونِ تَـوَانِ
وَجَـبَـتْ عَـلَـيَّ زِيَـارَةٌ لِأَحِـبَّـتِي * لَا سِـيَّـمَا مِـنْـهُـمْ عَـلِـيُّ الـشَّـانِ
الـعَـالِمُ الـعَـلَمُ الأَدِيـبُ الـمُـرْتَـضَى * بَـحْـرُ الـعُـلُـومِ وَقُـرَّةُ الأَعْـيَـانِ
ذَاكَ الـفَـقِـيـهُ الأَحْـمَدِيُّ سُـكَـيْـرِجُ * مَـنْ حَـلَّ بَـلْدَتَـنَا بِـكُـلِّ أَمَـانِ
مَـعْ نَـجْـلِ مَـنْ عَـمَّ الـبَـرِيَّـةَ فَـضْـلُـهُ * شَـيْـخِ الـكَـمَـالِ وَمَـعْـدِنِ الـعِـرْفَـانِ
مَـنْ خَـصَّـهُ رَبُّ الـوَرَى بِـمَـكَـارِمِ * جَـلَّـتْ عَـنِ الإِحْـصَـاءِ وَالـتِّـبْـيَـانِ
أَعْـنِـي بِـهِ الـقُـطْـبَ الـتِّـجَـانِـيَ مَـنْ لَـهُ * خَـضَـعَ الـوَرَى فِـي سَـائِـرِ الـبُـلْـدَانِ
مَـا ثَـمَّ إِلَّا عَـطْـفَـةٌ قَـدْ نَـالَـهَـا * مِـنْ جَـدِّهِ بَـحْـرِ الـوَفَـا الـعَـدْنَـانِي
صَـلَّـى عَـلَـيْـهِ وَآلِـهِ وَصِـحَـابِـهِ * رَبٌّ كَـرِيـمٌ مَـانِـحُ الإِحْـسَـانِ
مَـا سَـبَّـحَـتْ طِـيـرٌ وَقَـالَ مُـتَـيَّـمٌ * إِنِّـي فَـرِحْـتُ لِـرُؤْيَـةِ الإِخْـوَانِ

كنت تلاقيت مع صاحب الترجمة في رحلتنا الزيدانية قبل هذه، فكانت تلك الرحلة الشريفة مباركة بمعرفة أمثاله الذين أقبلوا علينا بفضلهم، ونظروا إلينا بعين القبول بين أهلهم، وقد أوقفني في هذه المرة على رسالة كان وجه لي بها لفاس جوابا عن كتاب كنت كتبت به إليه بعد الرجوع إليها من طرفهم، بعدما تلطف في المعاتبة في تركي للجواب عنها، واعتذرت بعدم وصولها إلي، وأجبته بارتجال عن القصيدة المشتملة عليها، ولا بأس بذكر القصيدة وأتبعها بالجواب، قال :

يَا رَاحِلاً عَـنْ سَـوَادِ الـمُـقْـلَـتَـيْـنِ[1] لَـقَـدْ * أَسْـكَـرْتَ حبّاً بِـمَا أَمْـلَـيْـتَ مِـنْ رَاحِ
حَـتَّـى غَـدَا ذَاهِـلاً بِـسُـكْـرِهِ أَبَـداً * وَصَـارَ مُـصْـطَـلِـماً بِـفَـقْـدِ أَرْوَاحِ
مَـهْـلاً عَـلَـى مُـهْـجَـتِي فَـإِنَّـنِي كلفٌ[2] * أَرْجُـو الـوِصَـالَ لِـبُـغْـيَـتِي وَإِصْـلَاحِي
ذَاكَ الـفَـقِـيـهُ أَبُـو الـعَـبَّـاسِ أَحْـمَـدُ مَـنْ * غَـدَتْ رَسَـائِـلُـهُ قُـوتـاً لِـلأَشْـبَـاحِ

---

(1) المقلتين : مثنى مقلة وهي شحمة العين.

(2) كلف : مولع.

سُـكَيْرِجُ عَـالِـمُ الـذَّكَـاءِ وَالأُدَبَـا * مَنْ حُبُّهُ قَدْ سَرَى فِي الذَّاتِ كَالرَّاحِ[1]
يَاحُسْنهُ مِــنْ أَدِيــبٍ زَانَــهُ أَدَبٌ * وَعَـالِـمٍ ظَـافِـرٍ بِـطَـلٍ[2] أَرْبَــاحِ
مَــنْ رَامَ أَوْصَـافَهُ بِـكُلِّ مَـحْـمَدَةٍ * لَـمْ يُـوفِ عُـشْراً وَلَـوْ أَتَى بِإِفْصَاحِ
لَـكِـنَّ إِحْـسَـانَـكُمْ يَـعُـمُّـنِي وَلَـكُمْ * فَـضْلٌ عَلَى قَلَمِي مَا دُمْتَ يَا صَاحِ[3]
إِنِّي عَـجَزْتُ وَلِي فِي وَصْلِكُمْ أَمَلٌ * أُشَـاهِـدَنْ طَـلْعَـةً تُـزِيـلُ أَتْـرَاحِـي[4]
الـلَّـهُ يَـعْـلَمُ صِـدْقَ مَـا أَقُـولُ لَـكُمْ * مُـتَـيَّـمٌ بِـمَـلِـيحٍ رَاحَ إِفْـضَـاحِـي
كَـيْـفَ الـسَّـبِيلُ إِلَـيْـهِ وَهْـوَ فِـي بَـلَدٍ * قَدْ عَاقَنِي عَنْ خُطَاهَا بَخْلُ أَشْبَاحِي
فَـاسُ لَـعَـمْرِي هِـي الـدُّنْيَا بِـأَجْمَعِهَا * قَدْ قَـالَ ذَا مَـنْ أَتَـى بِـبَعْضِ أَمْدَاحِ
فِـيـهَا الأَمَـاجِدُ وَالأَشْـرَافُ وَالـعُلَمَا * مَــنْ حُـبُّـهُـمْ مَـتْـجَرٌ لِـكُلِّ أَرْبَــاحِ
لاَسِـيَـمَا حِـبُّـنَا الـمَـذْكُـورُ قَـبْـلَـهُـمُ * مَـنْ عِـلْمُهُ قَـدْ بَـدَا بِـكُـلِّ أَبْطَاحِ[5]
نِـعْـمَ الـحَـبِيبُ الَّـذِي أَتَـتْ رِسَـالَـتُهُ * وَجَـرَّحَـتْ كَـبِـدِي بِـدُونِ مِـجْرَاحِ
يَـا حُـسْنَ مَـا حَـدَّثَـتْنِي مِـنْ بَـلاَغَـتِهَا * قَـدْ طَـارَ قَـلْبِي لَـهَا بِـكُلِّ أَفْـرَاحِ
لَـمْ أنْـسِيَـنْ سَـيِّدِي لاَ أُنْـسِيَنَّ لَـكُمْ * عَـهْـداً فَـأَنْـتُمْ إِمْـسَـاءِي وَإِصْـبَـاحِـي
سَـلاَمُ عِـطْـرٍ أَخِـي يَـهْـدِيهِ صَـبُّـكُمُ * مَـا هَـبَّ رِيـحُ الـصَّـبَا بِـطِيبِ أَرْوَاحِ

وأجبته وهو حاضر بهذه الأبيات :

يَـا سَاقِيًا مُـهْجَتِي كَـأْسًا مِـنَ الـرَّاحِ * مَـهْـلاً عَـلَـيَّ لَـقَدْ سَـلَبْتَ أَرْوَاحِـي
قَدْ غِبْتُ مِنْ رَاحِكَ الَّتِي سَقِيتَ بِهَا * رُوحِي فَـهَا أَنَـا ذَا سَـكْرَانُ لاَ صَاحِي
سَـقِـيتَنِي خَـمْـرَةً مَـا كُـنْتُ أَعْـهَـدُهَا * وَلَـمْ أَكُـنْ قَـبْلَـهَا أَمِـيـلُ لِـلـرَّاحِ
رِفْـقًـا عَـلَـيَّ بِـمَـا سَـقِـيتَنِي فَـأَنَـا * مَـسْـلُوبُ عَـقْـلٍ وَلَـمْ أَكُـنْ بِـمَـزَّاحِ

---

(1) الراح : بمعنى الخمر.
(2) بطل : جمع طلا وطلل وهو المطر والندا.
(3) يا صاح : يمعنى يا صاحبي.
(4) أتراحي : أحزاني وهمومي.
(5) أبطاح : من البطائح، ومفرده بطحاء، وهي مسيل واسع فيه رمل ودقائق الحصى.

بِاللَّهِ فَارْفُقْ بِعَبْدٍ أَنْتَ مَالِكُهُ * وَأَنْتَ سَاحِرُهُ بِسِحْرِ أَمْدَاحِ
مَتَى يُوَفِّيكَ شُكْرًا لَيْسَ يَبْلُغُهُ * وَأَنْتَ تَمْنَحُهُ شُكْرًا بِأَمْدَاحِ
لَوْ قُمْتُ طُولَ زَمَانِي فِي مَدِيحِكَ لَمْ * أُوَفِّ مَا أَنْتَ تَسْتَحِقُّ يَا صَاحِ
وَغَايَةُ الأَمْرِ أَنِّي لَا أُطِيقُ لَهُ * فَاصْفَحْ عَنِ العَبْدِ يَا أَجَلَّ مدَّاحِ

ومما أتى به لنا في مدح سيدنا محمود رضي الله عنه هذه القصيدة التي يقول فيها :

أَلَا إِنَّنِي أُهْدِي الثَّنَاءَ مَعَ البُشْرَى * لِمَنْ ضَاءَتِ الدُّنْيَا بِطَلْعَتِهِ الغَرَّا
هُوَ السَّيِّدُ المَحْمُودُ مَنْ قَدْ بِهِ زَكَتْ * مَحَامِدُهُ الحُسْنَى فَلَا تَقْبَلُ الحَصْرَا
فَمَهْلًا أَخَا الأَمْدَاحِ هَيْهَاتَ وَصْفهُ * وَلَكِنْ تَطَفَّلْ وَاسْأَلِ العِزَّ وَالسِّتْرَا
كَفَى أَنَّهُ مِنْ آلِ قُطْبِ زَمَانِنَا * التِّجَانِي مَنْ حَازَ المَوَاهِبَ وَالفَخْرَا
عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى تَأَسَّسَ وِرْدُهُمْ * فَدَامَ لَهُمْ إِذْ هُمْ بِهِ دَائِمًا أَحْرَى[1]
وَلَا سِيَمَا مِنْهُمْ عَظِيمُ ذَوِي النُّهَى * مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ مَآثِرُهُمْ طُرًّا
شَرِيفٌ جَلِيلٌ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ * فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ طَيِّبٍ يَبْتَغِي الأَجْرَا
لَقَدْ زَادَهُ الرَّحْمَانُ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً[2] * وَأَحْسَنَ فِيهِ الخَلْقَ وَالرَّأْيَ وَالفِكْرَا
هُوَ السَّيِّدُ العَدْلُ المُطِيعُ لِرَبِّهِ * وَإِنَّ رَعَايَاهُ تُطِيعُ لَهُ الأَمْرَا
لَقَدْ سَارَ فِيهِمْ سِيرَةً عُمَرِيَّةً * وَأَوْسَعَهُمْ بِرًّا وَأَهْدَوْا لَهُ شُكْرَا
عَلَى أَنَّهُمْ يَرْجُونَ طُولَ بَقَائِهِ * وَيَدْعُونَ مَوْلَاهُمْ يُطِيلُ لَهُ العُمْرَا
بِهِ سَعِدَتْ أَيَامُنَا وَبِلَادُنَا * وَقَامَتْ بِهِ الأَفْرَاحُ وَالرَّاحَةُ الكُبْرَى
وَسَادَتْ بِهِ مِكْنَاسَةٌ وَازْدَهَتْ بِهِ * وَصَارَتْ تُنَادِي مَرْحَبًا بِبَنِي الزَّهْرَا
لَهُ هِمَّةٌ فِي كُلِّ شَأْنٍ[3] عَلِيَّةٌ * وَعَزْمٌ قَوِيٌّ لَا فُتُورَ بِهِ يَطْرَا[4]

(1) أحرى : أجدر.
(2) بسطة : سعة.
(3) شأن : مفرد شؤون وهو ما عظم من الأمور والأحوال.
(4) يطرأ : يحدث.

أَجَـلّ أُنَـاسِ الأَرْضِ شَـأْنًا وَهَـيْبَةً * وَأَكْـبَـرُهُمْ مَـجْـدًا وَأَكْـثَـرُهُـمْ بِـرًّا[1]
وَأَرْسَـخُـهُمْ حِـلْـمًا وَأَجْـوَدُهُمْ يَـدًا * وَأَفْـضَـلُهُمْ عِـلْـمًا وَأَعْـظَـمُـهُمْ قَـدْرَا
فَـلَا زَالَ مَـسْـرُورًا وَدَامَ نَـعِـيـمُـهُ * بِـهِ قَـائِـمًا مَـا دَامَـتِ الـقُـبَّـةُ الـخَـضْرَا
بِـجَـاهِ رَسُـولِ اللَّهِ مَـأْمَلِنَا الَّـذِي * نُـؤَمِّلُهُ عِـنْدَ الـشَّدَائِدِ فِـي الأُخْـرَى
عَـلَـيْـهِ صَـلَاةُ اللَّهِ وَالآلِ كُـلِّـهِـمْ * كَذَا الصَّحْبِ مَنْ حَازُوا العِنَايَةَ وَالنَّصْرَا
وَإِنْ شِـئْـتَ تَـارِيخًا فَـهَاكَهُ وَاضِـحًا * شَـرِيفًا بَـهِيًّا إِنَّـهُ يُحْسِنُ الـشِّعْرَا

وقد أجبته بارتجال بهذه الأبيات :

أَجَـدْتَ رَعَـاكَ اللَّهُ يَا مَـنْ عَـلَا قَدْرَا * وَفُـقْتَ الـسِّوَى مِـمَّنْ أَتَى يَطْلُبُ السِّرَّا
وَأَحْـرَزْتَ أَجْـرًا فِـي الَّـذِي قَـدْ أَتَـيْتَنَا * بِـهِ مِـنْ مَـدِيحٍ يُـورِثُ العِـزَّ وَالـفَخْرَا
لَـكَ اللَّهُ مِـنْ مَـدَّاحِ بَـيْتِ مُـحَـمَّدٍ * بِـحُسْنِ مَـدِيحٍ فَاقَ فِـي الـقِيمَةِ الدُّرَّا
وَأَنْتَ شَرِيفُ الأَصْلِ تَعْرِفُ قَدْرَ مَنْ * يَـكُونُ شَـرِيفًا حَيْثُ أَنْـتَ بِـهِ أَحْـرَى
أَلَا أَيُّـهَـا الـمَـوْلَى الـمُـبَـجَّلُ قَـدْرُهُ * إِلَى أَنْ غَدَا فِي النَّاسِ فَوْقَ العُلَا بَدْرَا
أَتَـيْـتَ لِـمَـحْـمُـودٍ بِـعِـقْـدِ جَـوَاهِرٍ * وَسَعْيُكَ مَحْمُودٌ تَـنَـالُ بِـهِ الأَجْـرَا
لَـكَ اللَّهُ مِـنْ حَـبْـرٍ يَـجِلُّ مَقَامُهُ * لَـدَيْـنَا بِـأَنْ نُـحْصِي فَـضَائِلَهُ حَصْرَا
فَـلَا زِلْـتَ تَـعْلُو وَالأَعَـادِي حَقِيرَةٌ * وَكُـلُّـهُمُ مِـنْ بَـعْدِ دَفْـعِكَ قَـدْ جـرَّا

وقد كان استدعانا لمحله، فاعتذرنا له بأننا لا نتفرغ لذلك، فكتب لي هذه الأبيات لما رآنا ذهبنا إلى بعض منازل أحد الخاصة من الإخوان :

يَـا كَعْبَةَ الأُدَبَـاءِ يَا عَـلَمَ الـنُّهَى * يَـا مَـنْ لَـهُ حُبٌّ قَـوِيٌّ فِـي النَّبِي
مَـا لِـي أَرَاكَ تُسَاعِدَنْ غَيْرِي بِمَا * يَـرْجُـوهُ مِـنْ أَمَـلٍ بِـنَيْلِ الـمَطْلَبِ
وَأَنَـا تُـبَـعِّـدُنِـي وَتَـذْكُـرُ أَنَّـكُمْ * لَا قُـدْرَةَ لَـكُمُ عَـلَى ذَا الـمَرْغَبِ
فَالقَصْدُ عِنْدِي نَفْرَحَنْ بِقُدُومِكُمْ * لِـمَـحَـلِّـنَا وَنَـقُـول هَـذَا مَـأْرَبِـي

---

(1) البر : العطية والطاعة والصلاح والصدق.

اللَّهُ فِي دَنَفٍ[1] يَرَى لَكُمُ الحُقُو * قَ وَأَنْتُمُ مِـنْ أَجْلِهِ فِي مَهْرَبِ
بَيِّنْ رَعَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا الجَّفَا * هَذَا لَعَمْرِي مِنْ عَجِيبِ أَعْجَبِ

فأجبته بهذه الأبيات، وقد كان حضر معه سيدنا النقيب الشريف الأمجد، الأديب الأوحد، سيدي محمد بن إدريس الإدريسي الشبيهي[2].

مَالِي وَحَقِّك سَيِّدِي مِنْ مَهْرَبِ * إِلَّا لَكُمْ فِيمَا أَرَاهُ أَلَمَّ بِي
إِنِّي أَرَى لَكُمُ الحُقُوقَ حَقِيقَةً * لَكِنَّ عُذْرِي عِنْدَكُمْ لَمْ يُزْرِي بِي
مِنْ حَيْثُ أَنَّكَ عِنْدَنَا طَيِّ الحَشَا * عِنْدَ الإِقَامَةِ عِنْدَكُمْ وَتَغَرُّبِي
فَمَحَلُّكُمْ عِنْدِي مَحَلُّ كَرَامَةٍ * وَحَشَاكَ تَحْسِبُنِي لَدَيْكَ كَأَجْنَبِي
مَا لِي إِلَيْكَ أَرَى شَفِيعًا فِي الرِّضَى * عَنِّي سِوَى المَوْلَى الشَّبِيهِي ابْنِ النَّبِي
فَهُوَ الَّذِي قَدَّمْتُهُ لِعُلَاكَ كَيْ * تَعْفُو عَلَى هَذَا المُحِبِّ المُذْنِبِ

وقد دفعت له مجانة[3] للطوق إكراما له، وطلبت منه القبول، فكتب لي هذين البيتين :

طَوَّقْتَنِي سَيِّدِي مَجَانَةَ الطَّوْقِ * جَاءَتْ مُفَضَّضَةً كَلَوْنِ مَعْشُوقِ
أَلْبَسْتَنِي حُلَّةً ضَاءَتْ كَجَوْهَرَةٍ * لَا زِلْتُ أَشْكُرُكُمْ مَا دَامَ مَنْطُوقِي

وقد أتى لنا أيضا بهذه الأبيات في مدح سيدنا محمود رضي الله عنه، ونحن بروض سيدنا النقيب أمنه الله، ونصها :

حَلَّتْ بِأَرْحَابِنَا الأَفْرَاحُ وَاتَّسَعَتْ * وَعَمَّهَا الخَيْرُ لَمَّا حَلَّهَا قَمَرُ
نَجْلُ التِّجَانِي مَحْمُودُ الفِعَالِ الَّذِي * قَدْ حَازَ مَرْتَبَةً يَعْنُو[4] لَهَا البَشَرُ

---

(1) الدنف : المريض الذي لزمه المرض.
(2) انظر ترجمته ضمن ص
(3) المكانة : مصطلح داريجي مغربي، يراد به الساعة
(4) يعنو : يخضع ويدل.

السَّيِّدُ الأَفْضَلُ الَّذِي لَهُ شَهِدَتْ * أَفَاضِلٌ بِالثَّبَاتِ كُلَّمَا نَثَرُوا[1]
لَا سِيمَا مِنْهُمُ الفَقِيهُ أَحْمَدُ مَنْ * يُدْعَى سُكَيْرِجَ مَنْ سَادَتْ بِهِ صُوَرُ
العَالِمُ الشَّاعِرُ الأَدِيبُ صَاحِبُنَا * دَامَتْ مَعَاهِدُهُ لَمْ تُعْرِهَا غِيَرُ
رَفِيقُ هَذَا الشَّرِيفِ مَنْ لَهُ حَسَبٌ * يُغْضِي[2] حَيَاءً مِنَ الَّذِي لَهُ بَصَرُ
أَكْرِمْ بِهِ مِنْ شَرِيفٍ زَانَهُ خُلُقٌ * فَاعْكِفْ عَلَيْهِ فَفِيهِ الخَيْرُ وَالوَطَرُ
السَّمْتُ[3] شِيمَتُهُ وَالصَّمْتُ سِيرَتُهُ * مَنْ حَازَ ذَا قَدْ أَتَاهُ الأَمْنُ وَالظَّفَرُ
يَا سَيِّدِي يَا جَلِيلَ القَدْرِ مَدْحُكُمُ * عَنْ مَادِحٍ يَبْعُدَنْ فَكَيْفَ يَنْحَصِرُ
لَكِنَّ بِالفَضْلِ مِنْكُمْ فَاقْبَلَنْ كَرَمًا * أَنْتَ المَلَاذُ وَأَنْتَ الحِصْنُ وَالوَزَرُ
مِنِّي سَلَامٌ عَلَى عَلْيَاكُمُ كُلَّمَا * فَاحَتْ عُطُورٌ وَمَالَ الغُصْنُ وَالشَّجَرُ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ أَحْبَابًا لَهُمْ كَرَمٌ * مِنْ حُبِّهِمْ فِي الحَشَا غَابُوا وَإِنْ حَضَرُوا

وعند الموادعة وجه لنا هذه الأبيات، ونصها :

لَمَّا سَمِعْتُ لِقَوْلِكُمْ قُرْبَ النَّوَى[4] * قَلْبِي إِذًا وَاللَّهِ مِنْهُ قَدِ اكْتَوَى
وَغَدَوْتُ حَيْرَانًا وَلَمْ أَجِدِ الثَّوَى[5] * وَبَقِيتُ مَكْلُومًا[6] أَئِنُّ[7] مِنَ الجَوَى[8]
بِاللَّهِ رِقُّوا وَارْحَمُوا مُضْنَاكُمُ * فَالبَيْنُ[9] عَذَّبَهُ وَصَاحَ مِنَ الهَوَى
لَا تَقْطَعُوا حُبًّا وَلَوْ بِرِسَالَةٍ * تُشْفِيهِ مِنْ سَقَمٍ عَلَيْهِ قَدِ احْتَوَى
وَكَذَاكَ لَا تَنْسُوهُ مِنْ صَالِحِ الدُّعَا * قَطْعًا يَحُوزُ مُحِبُّكُمْ مَا قَدْ نَوَى

---

(1) نثروا : أي قالوا النثر.
(2) يغضي : يطبق جفون عينيه حتى لا يبصر.
(3) السمت : الطريق والمحجة.
(4) النوى : البعد.
(5) الثوى : بمعنى القرار والاستقرار.
(6) مكلوما : مجروحا.
(7) أئن : أتأوه.
(8) الجوى : العشق.
(9) البين : البعد.

بِـوُجُـودِ مَــنْ حَــازَ الـفَـضَـائِلَ كُـلَّـهَا * نَـجْلِ التِّجَانِي مَنْ عَلَى الـسِّرِّ انْطَوَى
الـسَّـيِّدِ الـمَـحْـمُـودِ مَــنْ قَــدْ عَــزَّهُ * مَوْلَى المَوَالِي مَنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى
وَأَنَــالَـهُ مَــا يَـرْتَـجِي مِــنْ سُــؤْدَدٍ * فَـبِـهِ أَزَالَ الـرَّانَ[1] عَـمَّـنْ قَـدْ غَـوَى[2]
نـعـمـتْ سِـيَـاحَـتُـهُ وَنِـعْـمَ فَـقِـيـهُـهُ * الـشَّـاعِـرُ الـرَّاوِي الـمُـفِـيدُ لِـمَـنْ رَوَى
ذَاكَ الأَدِيــبُ الـنَّـاثِـرُ الـبَـطَـلُ الَّـذِي * خَـضَـعَـتْ لَـهُ الـعُـقَـلَاءُ كُلُّـهُـمُ سَـوَا
أَعْـنِـي الـنَّزِيـهَ الأَحْـمَـدِيَ سُـكَيْرِجًا * مَـنْ قَـدْ رَمَـى جِسْمِي بِسَهْمٍ فَالْتَوَى
مَــوْلَايَ بِـالـمُـخْـتَـارِ سَـلِّـمْ جَـمْـعَـهُـمْ * وَاحْـفَـظْـهُـمُ يَــا فَــالِـقًا حَــبِّ الـنَّـوَى
فَـعَـلَـيْـهِ مِــنْ رَبِّــي الـصَّـلَاةُ وَآلِــهِ * مَـا لَاحَـتِ الأَقْـمَـارُ فِـي أُفْـقِ الـهَـوَى
وَكَــذَاكَ مَــا قَــدْ قَــالَ صَــبٌّ هَـائِـمٌ * لَـمَّـا سَـمِـعْـتُ لِـقَـوْلِـكُمْ قُـرْبَ الـنَّـوَى

---

(1) الران : الخبث.

(2) غوى : ضل.

5) ترجمة الفقيه سيدي محمد السوسي[1]

ومنهم العلامة الأمجد، الفاضل الأسعد، من اتصف بالأخلاق الحميدة، حتى نال الفضائل العديدة، فكان واسطة عقد أقرانه، في عصره وزمانه، أبو الفتح سيدي محمد بن أحمد السوسي، وهو من خاصة الأصحاب والأحباب، تلاقيت معه بروض الشريف النقيب، صباح يوم الأربعاء، كما تلاقيت في الرحلة الأولى به، ولما قدمنا في هذه المرة لمكناسة تشوفت لملاقاته، لما لنا فيه من المحبة

---

(1) الفقيه العلامة المدرس القاضي السيد محمد فتحا بن أحمد بن الحاج المكي بن أحمد بن علي السوسي الهشتوكي نسبا، المكناسي مولدا ووفاتا وإقبارا، حيث أن الوافد على مدينة مكناس هو جده الأعلى سيدي أحمد بن علي السوسي.

ازداد بمدينة مكناس عام 1285هـ ـ 1868م، وبها تابع دراسته العلمية بعد حفظه للقرآن الكريم على يد المدرر الفقيه سيدي محمد بن العياشي القبري، برواية ورش عن نافع، وبقراءة ابن كثير،

وشيوخه في العلم كثيرون منهم : عمه محمد المفضل بن المكي السوسي، وهو عمدته، ثم أخوه العلامة محمد بن أحمد السوسي، والفقيه محمد القصري العبدري، والفقيه محمد التهامي بن عبد القادر السوسي المعروف بالحداد، والفقيه محمد بن عبد السلام الطاهري، والفقيه محمد المفضل بن عبد الهادي بن عزوز، والفقيه أحمد بن يوسف الناصري، والفقيه عبد الله بن إدريس البدراوي، والفقيه القاضي أحمد بن الطالب بن سودة المري، وغيرهم.

أما عن وظائفه فقد عين عدلا بالسماط بمكناس عام 1311هـ ـ 1893م، ثم نائبا لقاضي مكناس، ثم عضوا بمجلس الإستئناف الشرعي الأعلى بالرباط عام 1342هـ ـ 1924م، ثم قاضيا على مكناس في شهر شعبان الأبرك عام 1346هـ ـ فبراير 1928م، وبقي في منصبه الأخير إلى حدود عام 1359هـ ـ 1940م

من مصنفاته : شرح موسع لهمزية الإمام البوصيري، وحاشية على شرح أرجوزة مصطلح الحديث للشيخ أبي حامد سيدي العربي الفاسي، وعون الموصوف بالجلالة، على ألفاظ خاتم الرسالة [ختم للرسالة لأبي زيد القيرواني]، وعون الطالب السائل، على فهم الأثرين المختوم بهما الشمائل [ختم الشمائل الترمذية]وختم مختصر خليل، وختم المرشد المعين، وختم الألفية لابن مالك.

وقد اشتغل بالتدريس قرابة ستين عاما ابتداء من عام 1311 هـ إلى حين وفاته، وكان أكثر تدريسه ببلدته مكناس، حيث واظب على الإقراء في جدية ومثابرة : بمعدل ثلاث حصص في الأيام الدراسية : في الصباح، وعند الزوال، وبين العشاءين.

توفي بمدينة مكناس ليلة الثلاثاء 3 شوال عام 1369هـ ـ 19 يوليوز 1950م، وصلي عليه بالجامع الكبير قبل الزوال، ثم حمل جثمانه إلى الزاوية الكنتية، ودفن بها في بيت أضافه لها وهيأه ليكون به مأواه الأخير، أنظر ترجمته في إسعاف الإخوان لابن الفاطمي الشهير بابن الحاج ص 161.

القلبية، والمعرفة الودية، ونحن بحمد الله ممن يراعي حقوق الأحبة في الجملة، فوجب علينا أن نسأل عنه الإخوان، ووجهت له هذه الأبيات في الحال، عسى أن نجتمع به قبل الإرتحال :

مَـا عَـلَـى مَــنْ أُحِـبُّـهُ مِــنْ جُـنَـاحِ * لَــوْ أَتَــى زَائِــرًا لِأَهْــلِ الـصَّـلَاحِ
لَمْ أَكُـنْ أعهَدُ الجَـفَا مِنْـكَ يَـا مَـحْـ * ـبُوبَ قَلْبِي وَلَمْ تـحـلْ لِـلْـوَاحِي
أَنَـقَـضْتَ الـعُـهُـودَ مِــنْ بَـعْـدِ تَـوْثِيـ * ـقٍ فَـقُـلْ لِـي مَـاذَا تَـرَى يَـا صَـاحِ
مَـا الَّـذِي أَوْجَـبَ الجَـفَا مِـنْكَ حَتَّـى * لَـمْ تَـجِـئْ عِـنْـدَنَا وَلَـوْ بِاقْتِرَاحِي
يَـا رَعَـى اللَّهُ مِـنْـكَ وِدًّا قَـدِيـمًـا * لَـسْـتُ أَنْـسَـاهُ دَائِـمًـا بِـامْـتِـدَاحِ
لَـوْ عَـلِمْتَ الَّـذِي بِقَلْبِي مِـنْ شَـوْ * قٍ إِلَـيْـكَ لَـطِـرْتُ دُونَ جَـنَـاحِ
وَلَـوْ أَنَّـا مَـا كُـنْتَ بِالقَلْبِ مِـنَّا * لَـمْ تُـمِـلْنَا إِلَـيْـكَ طِـيبُ الـرِّيَاحِ
غَـيْـرَ أَنَّـا دُمْـنَـا عَـلَى العَـهْـدِ حَـتَّى * مَـا إِذَا لَـمْ تَـجِـئْ سَـلَلْتُ سِلَاحِـي

وأردت بالعجز الأخير من هذه الأبيات مباسطته بالترهيب من الهجو، وكتب له معها سيدنا الشريف النقيب ما يدل على ذلك، واستدعاه للحضور بروضه للجمع بنا صباحا، فانتظرناه فلم يسرع بالقدوم، فكتبت هذه الأبيات :

مَتَى يَقُولُ لَنَا الأَصْحَابُ جَا السُّوسِي * مَـنْ فِـي العُلُومِ يُرَى كَمِثْلِ جَاسُوسِ
مَـا بَـالُـهُ أَخَّـرَ الـمَجِيءَ وَهْـوَ فَـتًى * قَــدْ كُـنْـتُ أَعْـهَـدُهُ يَـأْتِي لِتَأْنِيسِي
إِنْ كَـانَ حَـالَ عَنِ الــوِدِّ القَدِيمِ فَلَمْ * نَحُـلْ مَـعَ البُعْـدِ عَنْـهُ دُونَ تَهْوِيـسِ
لَـكِنَّنِي إِنْ يَــدُمْ هِـجْرَانُـهُ سَـيَرَى * مِـنِّي الَّـذِي لَا يَـرَاهُ غَـيْر إِبْلِيسِ

ثم حضر واعتذر، فقبلنا المعذرة، بعد أن رام معاتبتنا، بعدم إعلامه بقدومنا، ثم شرعنا في المذاكرة إلى أن سألته عما يقرؤه مع طلبته درسا، فذكر أنه يقرأ معهم الشمائل والمختصر والألفية، ومحل درسه في الألفية : "المقصود والممدود" فذكرت له هل يستحضر جواب إشكال طالما جلت في فكه، فلم يتيسر لي فكه في قول الناظم في الباب المذكور :

وَالعَادِمِ النَّظِيرِ ذَا قَصْرٌ وَذَا * مَدٌّ بِنَقْلٍ كَالحِجَا وَكَالحِذَا

وذلك أن الحذاء جمعه أحذية، ونظيره سلاح مثل كساء، فله نظير، والناظم حكم بأنه عادم النظير، مع ما نص عليه ابن هشام[1] من أنه مما يستدل به على مد معتل الأخير من الأسماء قياسا أن يكون مفردا لأفعلة، وحذاء مفرد لأحذية، فلما نظر في هذا الإشكال وتأمله مع حضور بعض الكتب النحوية واللغوية لمراجعة محط الإشكال، فتح المولى سبحانه بجواب لطيف، وقد قنعت به في فك هذا الإشكال المنيف، فقال : إن الحذاء مؤنثة، وأفعلة جمعا لا يقاس إلا في المذكر الرباعي الممدود الثالث، كما قال في جمع التكسير :

لاسْمٍ مُذَكَّرٍ رُبَاعِي يمد * ثالث أفعلة عنهم اطرد

وأنت ترى في اللغة قد نصوا على أن الحذاء مؤنثة، فالجمع على أحذية فيه غير قياسي، وإنما هو سماعي، وكذلك تذاكرت معه في استعمالي للتويلف الذي شرعت فيه المسمى : بالنكت الخفية، في أبيات من الكافية، أحسن من نظيرها في الألفية[2]، مثل قوله في الكافية :

واسما بجر سم وصرف وندا * وجعله معرفا أو مسندا

فهو أحسن من قوله في الألفية :

بِالجَرِّ وَالتَّنْوِينِ وَالنِّدَا وَأَلْ * وَمُسْنَدٍ لِلإِسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلْ

---

(1) عبد الله بن يوسف بن أحمد المعروف بابن هشام، من أئمة اللغة العربية، ولد بمصر عام 708هـ، وبها توفي عام 761هـ، من تصانيفه : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وعمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب، في مجلدين، والجامع الكبير، والجامع الصغير، وكلاهما في النحو، ورفع الخصاصة عن قراءة الخلاصة، والإعراب عن قواعد الإعراب، وشذور الذهب، والتذكرة، في 15 جزءا، وموقد الأذهان، ونزهة الطرف في علم الصرف، وقطر الندى، وغير ذلك من المصنفات الأخرى.

انظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 10 ص 336، وفي الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 308، وفي معجم المطبوعات لسركيس 273، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 147 .

(2) من التآليف القديمة للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، شرع في كتابته أوائل عام 1324هـ ـ 1906م. غير أنه انشغل عنه بتصانيفه الأخرى. فلم يتمه، واكتفى بكتابة صفحات قليلة منه، أما اختياره لهذا العنوان فالغالب على ظني أنه اقتبسه من تأليف للحافظ السيوطي في نفس الغرض سماه: النكت على الألفية و الكافية و الشافية ونزهة الطرف و شذور الذهب.

وهو كتاب غير تام، يقع في ثمان صفحات، قال في خطبته : نحمد الله الذي رفع منصب من خفض جناحه للمومنين، ونشكره شكر من جزم بوفاء وعده في الدارين لعباده الموقنين، إلخ ...

لأن الصرف خاص بالاسم دون التنوين، والتعريف شامل للتعريف بأل وبأم في لغة حمير وبالإضافة، بخلاف أل فإنها تكون موصولة وغير معرفة، فالأحسنية ظاهرة، وقد حاول مدافعة هذا، لكنه أذعن لوضوح وجه الإستحسان، وهكذا في بعض أبيات تكلمت عليها في التويلف المشار إليه، سائلا من المولى الإعانة عليه، وهو الموفق للصواب.

6) ترجمة مولاي الطيب العلوي[1]

ومنهم ذو الأخلاق، العذبة المذاق، الدالة على طيب الأصول والأعراق، محبنا وحبيبنا وصفينا الشريف الأصيل، الماجد الجليل، من تحلى بحلي التواضع وخمول الذكر، الحائز لقصبات الفخر، مع أداء الحمد لمولاه بأداء الشكر، مولانا الطيب بن مولاي عبد الله العلوي الإسماعيلي، فهو من خاصة أحبابنا الذين اختصوا بالمحبة الصادقة، والهمة الفائقة، فلم يرضى بسفاسف الأمور، ورضي بالخمول بين ذوي الصدور، أنشد في بغية الوعاة للقيجاطي[2]:

لَيْسَ الخُمُولُ بِعَارِ * عَلَى امْرِئٍ ذِي جَلَالِ
فَلَيْلَةُ القَدْرِ تُخْفَى * وَهِـي خَيْرُ اللَّيَالِي

و أنشد هذه الأبيات في مدح سيدنا محمود، بلغه الله غاية المقصود :

---

(1) الطيب بن عبد الله بن محمد الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله بن السلطان المولى إسماعيل العلوي، فقيه، أديب، نساخ للكتب، ولد بمكناس يوم الاثنين 14 جمادى الأولى عام 1278هـ ـ 17 نونبر 1861م، كان متوليا خطة العدالة ومتصدرا للشهادة بسماط العدول بمكناس، ثم رشح للشهادة بمراقبة الأحباس، وشيوخه في العلم كثيرون منهم : العلامة الأديب سيدي الغالي السنتيسي، وفضول بن عزوز، والطاهر بوحدو، وغيرهم.
وكانت وفاته رحمه الله في فاتح جمادى الثانية عام 1336هـ ـ 14 مارس 1918م، ودفن بضريح جده السلطان مولاي إسماعيل، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 3 ص 118.

(2) علي بن عمر بن إبراهيم الكناني القيجاطي، من أكابر علماء النحو واللغة بالأندلس، تولى الخطبة بجامع غرناطة عام 712هـ، وبها توفي عام 730هـ، من أهم تصانيفه : نزهة المجالس، أنظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ص 344، وفي غاية النهاية لابن الجزري ج 1 ص 577، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 316.

وَمُــحِــب سَــمْـعُـهُ أَطْـرَقَـهُ[1] * مَـوْعِـدٌ قَـدْ كَـانَ قَبْـلَ مُـكْـتَتَمْ
فَـابْـتَـهَـجْـنَا وَسُــرِرْنَـا لَـيْـلَـهُ * وَانْـتَـظَرْنَا مِـنْـكُمُ نَـقْـلَ الـقَدَمْ
فَـهَـنِـيئًا إِن وفـيـتـم صُـبْـحَـهُ * وَغَـدَا الـشَّـمْـلُ جَـمِـيعًا وَانْـتَـظَمْ
حَــفِـظَ اللَّهُ زَمَــانًـا بِــكُـمُ * جَـادَ عَـنَّـا بَـعْـدَ أَنْ كَـانَ ظَـلَمْ
أَحْمَدَ الوَصْفِ أَبَا حَفْصِ الرِّضَا * تَـوْأَمَ الـفَـضْـلِ كَرِيمَ الـمُـعْـتصِمْ
كَيْفَ لَا وَابْنُ الرَّسُولِ المُرْتَضَى * صِـرْتُمَا عِـنْدَهُ مِنْ أَعْلَى الخَدَمْ
نُـخْبَـةُ الأَطْـهَـارِ بَـدْرٌ مُـشْـرِقٌ * فِي الدَّيَاجِي[2] وَهْوَ جَحْجَاحٌ[3] أَشَمْ[4]
رَاحَ لِـــلأَرْوَاحِ إِذْ رَاحَ لَـنَـا * كـلّ رُوحٍ وَانْـزَوَتْ عَـنَّا الـغُـمَمْ
فَـحَـمِـدْنَـا اللَّهَ إِذْ أَكْـرَمَـنَـا * بِطُلُوعِ البَدْرِ مَحْمُود الـشِّيَمْ

7) ترجمة مولاي عبد الله العلوي[5]

ومنهم الشريف المنيف، الأديب الغطريف، المتحلي بحلي القبول، والمستتر تحت ظل الخمول، ففاق أقرانه بآداب رائقة، وهمة فائقة، مولانا عبد الله بن محمد بن عبد الله العلوي الإسماعيلي، وهو ابن أخي المترجم قبله، وقد اختارهما سيدنا النقيب لنفسه في تخريج تآليفه من مبيضاتها، لما لهما من الخط الحسن، والعقل الراجح، ويكتبان له بعض التآليف التي يريدها لنفسه، فيقومان أتم قيام بجميع ما يرومه منهما بطيب نفس، ولا يقصر حفظه الله من إكرامهما بما في طوقه، جزى الله الجميع خيرا. وقد أنشد صاحب الترجمة في مدح سيدنا محمود رضي الله عنه هذه الأبيات :

---

(1) أطرقه : أتاه ليلا.

(2) الدياجي : الظلمات

(3) جحجاح : سيد

(4) الأشم : السيد ذو الأنفة

(5) عبد الله بن محمد بن عبد الله العلوي الإسماعيلي. فقيه أديب نساخ. من أهل مدينة مكناس. عمل نساخا لدى المؤرخ الأديب عبد الرحمان بن زيدان. فكان يجتهد في تخريج تآليفه من مبيضاتها. اعتبارا لما هو معروف به من الخط الحسن والعقل الراجح والإطلاع الواسع.

أنظر ترجمته في كتاب الرحلة الزيدانية، للعلامة سيدي أحمد سكيرج

أَبُــدُورًا أَذْهَـبَـتْ عَـنَّا الـظُّلَمْ * أَمْ شُـمُوسًا نَـسَخَـتْ آيَ الـغُـمَمْ
أَمْ حَـبَانَا رَبُّـنَـا مِــنْ فَـضْـلِهِ * بِـحَـفِيدِ الـخَتْمِ مَـحْمُود الـشِّيَمْ
وَحَـبَـانَا بِـالأَمَانِي وَالـمُـنَى * وَوَقَـانَـا شَــرَّ مَـا كَـانَ أَلَـمْ
فَـهَـنِيئًا أَهْـلَ مِـكْنَاسَ لَـكُمْ * فُـزْتُـمُ بِـالسَّوْلِ مِـنْ بَـحْرٍ خِضَمْ
وَتَــوَالَـتْ لَـكُـمُ الأَفْــرَاحُ إِذْ * وَلَّـتِ الأَتْـرَاحُ وَالـضَّيْقُ انْفَصَمْ[1]
وَبَـشِـيرُ الـبِـشْرِ قَـدْ بَـشَّـرَنَا * بِـخَمِيسِ[2] الـيُسْرِ لِـلعُسْرِ هَـزَمْ
فَـغَدَا الـغُصْنُ لِـذَا يَـرْقُصُ مِنْ * طَـرَبٍ وَالـطَّيْرُ يَـشْدُو بِـالنَّغَمْ
مَـرْحَـبًا أَهْـلًا وَسَـهْلًا بِـالَّذِي * أَذْهَــبَ اللَّهُ بِــهِ عَـنَّـا الـنِّقَمْ
بِـضْعَةِ الـمُخْتَارِ مِـنْ بَـيْنِ الـوَرَى * مَــنْ بَـدَتْ أُمَّـتُـهُ خَـيْـرَ الأُمَـمْ
أَحْـمَدَ الـخَلْقِ الـرَّسُولِ الـمُرْتَضَى * مَـنْ بِـهِ تُـسْدَى لَـنَا كُـلُّ الـنِّعَمْ
فَـعَـلَيْهِ اللَّـهُ صَـلَّـى دَائِـمًـا * وَعَـلَـى أُمَّـتِـهِ بَـيْـنَ الأُمَـمْ

وقد نقلت عن صاحب الترجمة ما تتبع نقله من الأماكن التي لا زالت الكتابة منقوشة عليها في أبواب مدينة مكناس، وبعض جدرانها وقصورها، فمن ذلك ما هو مكتوب على باب منصور العلج : الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده.

طَـلَـعَتْ مَـعَالِي سَـعْدِهَا أَبْـرَاجِي * وَأَضَــاءَ فِـي فَـلَكِ الـجَمَالِ سِـرَاجِي
قَـدْ نَـالَ مِـنْ أَوْجِ المَعَالِي صَـهْوَةً[3] * تَـسْـمُو عَـلَى الـصَّهَوَاتِ وَالأَوَّاجِ[4]
بِـوُجُـودِ مَـنْ أَحْـيَا الـوُجُودَ وُجُـودُهُ * فَــأَنَــارَهُ مِـنْ سِــرِّهِ الــوَهَّـاجِ[5]
مَـنْ شَـادَ بِـالنَّصْرِ الـعَزِيزِ قَـوَاعِدِي * وَأَدَارَ بِـالـفَـتْحِ الـمُـبِينِ رِتَـاجِـي[6]

---

(1) انفصم : انقطع
(2) الخميس : الجيش
(3) الصهوة : البرج في أعلى الجبل
(4) الأواج : الأعالي
(5) الوهاج : الشديد الوهج المتقد
(6) رتاجي : الرتج والرتاج هو الباب العظيم

بَـيْـتُ الـنُّبُوَّةِ وَالـخِلَافَـةِ وَالـعُلَا * كَـهْف[1] الـضَّـعِيفِ وَعُـدّة الـمُـحْتَاجِ
مَـوْلَايَ عَـبْدُ اللَّهِ مَنْ أَضْحَى بِـهِ * الإِسْــلَامُ مَـعْـقُـودَ الـلِّـوَا وَالـتَّـاجِ
مَـلِـكٌ يُـطَـاعُ مَـحَـبَّـةً وَمَـهَـابَـةً * فـتحين فِـي نَـصْرٍ وَفِـي أَفْـوَاجِ
فِـي كُـلِّ صَـالِـحَـةٍ لَـهُ آثَـارُ تَـوْ * فِـيـقٍ تُـنَـادِي إِسْـمَـهُ وَتُـنَـاجِي
فَانْظُرْ وَقِسْ مَا غَابَ عَنْكَ بِهَا تَرَى * هَــذَا قِـيَـاسٌ صَــادِقُ الإِنْـتَـاجِ
هَلْ وُرِّخَتْ مِثْلِي دِمَشْقٌ أَمْ وَشَتْ * صُنْعِي يَـدُ صَنْعَاءَ فِـي دِيبَاجِ[2]
أَمْ خُـصَّـتِ الإِسْـكَنْدَرِيَّةُ بِـالَّذِي * يَـصِـفُـونَ مِــنْ عُـمْـرٍ وَمِـنْ أَزَاجِ[3]
أَمْ فِـي الـمُلُوكِ نَظِيرُ مَوْلَانَا الَّذِي * هُــوَ لِـلـعِـبَـادِ كِـفَـايَـةُ الأَمَـاجِ[4]
فَاللَّهُ يُـبْـقِـيـهِ لِـرَحْـمَـةِ خَـلْـقِـهِ * وَلِـغَـيْـثِـهَـا بِـالـصَّـيِّـبِ الـثَّـجَّـاجِ[5]
وَاللَّهُ يُـبْـقِـي دِيـنَـهُ بِـوُجُـودِهِ * بَـادِي الـمَعَالِمِ وَاضِـحَ المِـنْـهَاجِ
وَنَـوَافِـلُ الـخَـيْرَاتِ تُـجْبَى نَحْـوَهُ * مِــنْ مَـغْـنَـمٍ وَهَـدِيَّـةٍ وَخَـرَاجِ[6]
وَتَـحِـيَّـةُ الـمَـوْلَى الـسَّـلَامُ تَـحُـفُّـهُ * مِـسْـكِـيَّـةُ الـنَّـفَـحَاتِ وَالآرَاجِ[7]

وعلى باب جامع الأنوار، الذي صار الآن قشلة للعسكر المولوي

.

مَـا لِلـخَرِيفِ وَالـبَدِيعِ كَمَا لِي * شَـرَفِـي بِـمُـنْشِئِ حُلَّتِي وَكَمَالِي
مَوْلَايَ عَـبْدُ اللَّهِ مَنْ دَانَتْ لَهُ * شِـيَـمُ الـمُـلُـوكِ أَجِـلَّـةُ الأَقْـيَالِ[8]
حَسْبِي مِنَ الفَخْرِ المُخَلَّدِ أَنَّنِي * أَثَـرٌ لَـهُ وَالـسَّـعْدُ فِي الإِقْـبَالِ
وَقْـتِـيَ(وَشْـقٌ) كُلّ نَفْسٍ وِدُّهَا * تَـحْظَى بِـهِ مَـوْصُـولَةَ الإِقْـبَالِ

---

(1) كهف : ملجأ
(2) الديباج : الواجهة
(3) أزاج : أزجه تأزيجا أي بناه وطوله وباب الأزج محلة بمدينة بغداد
(4) الأماج : جمع الأمج وهو الحر الشديد والعطش
(5) الثجاج : المطر الكثير السيلان النافع
(6) الخراج : الأتاوة، وأصله ما يخرج من غلة الأرض والمال
(7) الآراج : ريح الطيب
(8) الأقيال : جمع قيل وهو الرئيس أو الملك

وعلى باب الخميس.

أَنَا البَابُ السَّعِيدُ سَمَوْتُ فَخْرًا * سُمُوَّ البَدْرِ فِي الفَلَكِ السَّعِيدِ
سَنَا مَوْلَايَ إِسْمَاعِيل يَبْدُو * عَلَى ذَاتِي المَنُوطَةِ بِالسُّعُودِ
فَفِي وَقْتٍ سَعِيدٍ قَدْ بَنَانِي * وَوَرَّخَ نَشْأَتِي جُودُ المَشِيدِ

وعلى باب الدار الكبرى المختصة الآن بسكنى الشرفاء العلويين.

دَارُ الخِلَافَةِ لاَحَ نُورُ قِبَابِهَا * تَخْتَالُ بَيْنَ رِيَاضِهَا وَهِضَابِهَا
فَكَأَنَّمَا الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِهَا * يُمْنَى المَلِيكِ الفَخْرِ يَوْمَ عُبَابِهَا[1]
مَوْلَايَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ جُرْثُومَةٍ * نَقَلَ الأَئِمَّةُ : جَدُّهُ أَوْصَى بِهَا
يَا رَاصِداً لِمَطَالِعٍ مِنْ سَعْدِهَا * فَنِظَامُ شَمْلِكَ فِي عِضَادَةِ بَابِهَا

وعلى باب المحنشة الذي بأسراك، بعد التعوذ والبسملة، وسورة الفتح إلى : "وينصرك الله نصرا عزيزا".

تَكَامَلَ هَذَا البَابُ حُسْنًا وَبَهْجَةً * وَحَازَ ضُرُوبَ الوَشْيِّ وَالرَّقْمِ وَالحِكَمْ
وَلِمْ لَا وَمَبْنَاهُ عَلَى العِزِّ وَالتُّقَى * كَمَا الحَسَنُ المَوْلَى بِهِ أَمَرَ الخَدَمْ
فَقِفْ وَانْشَقِ الرُّحْمَى تَهُبُّ نَسِيمُهَا * بِهِ فَهْوَ بَابُ اللَّهِ فُتِّحَ لِلكَرَمْ
بِدَاخِلِهِ الرِّضْوَانُ وَالأَمْنُ وَالهَنَا * وَرَوْضٌ أَرِيضٌ فِيهِ مَنْزَهُهُ أَشَمْ
فَمَنْ أَمَّهُ يَظْفَر بِنَيْلِ مَرَامِهِ * وَيَرْجِعُ مَسْرُورًا وَيُكْفَى الَّذِي أَهَمْ
أَدِمْ رَبَّنَا العَلْيَاءَ وَالمُلْكَ لِلَّذِي * بَنَاهُ وَحِطْهُ فِي البَنِينِ وَفِي الحَشَمْ
وَأُولِيهِ عِزًّا دَائِمًا مُتَوَاتِرًا * وَنَصْرًا عَمِيمًا ثَابِتًا رَاسِخَ القَدَمْ

---

(1) يوم عبابها : يوم شربها

8) ترجمة الفقيه سيدي محمد بصري[1]

ومنهم الفقيه الجليل، الخطيب النبيل، ذو السمت الحسن، والخلق المستحسن، والأدب الرائق، والتواضع الفائق، أبو عبد الله سيدي محمد بن المقدم الأجل، سيدي بلقاسم بصري المكناسي،

---

(1) العلامة سيدي محمد بن العارف بربه العلامة سيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي، مقدم الزاوية التجانية بحي قبة السوق من مدينة مكناس. من مواليد المدينة ذاتها ليلة الأحد 23 جمادى الأولى عام 1253هـ ـ غشت 1837م، قال عنه العلامة سكيرج في كتابه غاية المقصود، بالرحلة مع سيدي محمود : ومنهم الفقيه الجليل، الخطيب النبيل، ذو السمت الحسن، والخلق المستحسن، والأدب الرائق، والتواضع الفائق، أبو عبد الله سيدي محمد بن المقدم الأجل، سيدي بلقاسم بصري المكناسي، التجاني طريقة، وراثة أبوية، عن أبيه عن جده، وهو ممن ولعوا بالبحث عن المعارف، واقتناء اللطائف، يتواضع لمن هو أصغر سنا، وينظر لمن دونه بعين التعظيم ليظفر بالمقام الأسنى.

وقال في حقه العلامة سيدي محمد الحجوجي في الجزء السابع من كتابه إتحاف أهل المراتب العرفانية : كان رحمه الله من أهل الفضل والدين، السائرين بسير الهداة المهتدين. أخذ العلم عن جماعة من الأشياخ، منهم الفقيه العلامة سيدي محمد بن الحاج أغربي، والعلامة سيدي المهدي بصري، والعلامة سيدي العباس بن كيران، وقاضي الجماعة سيدي أحمد بن سودة، والعلامة سيدي مبارك الفلالي، والعلامة سيدي المكي الجنان، والعلامة سيدي الحاج مُحمد جنون، والعلامة سيدي قاسم القادري، والعلامة سيدي الحاج محمد التازي، والعلامة سيدي أحمد بناني كلا. وقرأ من العلوم والعقائد والحديث والسير والفقه والفرائض والتصوف والنحو والوضع والعروض والأصول والحساب. وأذنه في التقديم والده سيدي محمد بصري، وذلك حسبما وقفت عليه بخط يده في كناشه. وذلك عام 1292هـ ــ 1875م، وقال ما قدمته إلا بإذن، وكذلك أجازه في التقديم مولانا السيد قدس سره

وله حس أدبي ومشاركة في مجال القريض، ومن ذلك قوله في مطلع قصيدة قالها في مدح الشريف سيدي محمود التجاني

لي في الهوى خل كغصن البان * يسبي العقول بجسمه الفتان

إلى أن قال في ضمنها :

ما الفخر إلا ما حواه لأنه * بدر به قد ضاء كل مكان

فتهابه أسد الوغى بين الورى * مهما بدا في حومة الميدان

تعنو له الرؤسا لما قد ناله * من سره الساري إلى الأكوان

فاقصده كي تحظى بنيل سعادة * ومتى تراه تنال كل أمان

توفي في الساعة التاسعة من ليلة الخميس 29 محرم الحرام عام 1336 هـ ــ 14 نونبر 1917م

التجاني طريقة، وراثة أبوية، عن أبيه عن جده، وهو ممن ولعوا بالبحث عن المعارف، واقتناء اللطائف، يتواضع لمن هو أصغر سنى، وينظر لمن دونه بعين التعظيم ليظفر بالمقام الأسنى.

ولا شك من كانت حليته التواضع والخمول، لا بد أن يفوز بالوصول لبلوغ السول. وقد تفاوضت معه فيما ذكرته في ترجمة جده في كتابنا : كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، من كونه لم يأخذ التقديم عن الشيخ مباشرة، كما تذاكرت مع والده في ذلك، فكان الأمر كما ذكرته، والحمد لله، إلا أنه وقع في التنبيه المذكور في ترجمته سقوط لفظة التقديم عن الشيخ رضي الله عنه. أما الطريقة فقد تلقاها عنه بلا شك، وأما التقديم فقد تلقاه بواسطة القطب سيدي الحاج علي التماسيني[1]، والولي الصالح سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر[2]، والولي العارف الكامل سيدي محمد الغالي أبو طالب[3]. وقد أطلعني على ذلك بخط يدهم المباركة في كناش جده

---

(1) أنظر التعريف به في ج 1 ص 292 من هذا المجموع.

(2) المقدم الجليل البركة سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر الأندلسي الغرناطي أصلا، الفاسي مولدا وقرارا ومدفنا، ينتسب لملوك بني الأحمر آخر ملوك غرناطة السليبة، وهو أحد أعيان أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، توفي في صبيحة يوم الجمعة 2 رمضان عام 1269هـ وفي حقه قال الفقيه سيدي محمد أكنسوس : ماتت أسرار الطريق بموته، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 231، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي، رقم الترجمة 16 وفي الجزء الأول من إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي. وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 22.

(3) العارف بالله الشريف الأصيل سيدي محمد الغالي بن محمد فتحا بن إدريس بن أبي طالب الحسني الإدريسي، من ذرية القاسم بن المولى إدريس الأزهر باني مدينة فاس ودفينها، قال في حقه صاحب كتاب روض شمائل أهل الحقيقة ما نصه بعد كلام :

وكان ممن أعطي التصرف في الوجود. ولذلك انتقل بعياله إلى الحرمين، ثم قال بعد ذلك : وكان في رحلته للمشرق يفعل أشياء غريبة، منها أنه سلك طريق البر، وهي مخوفة ممتلئة باللصوص لا يسلكها من الحجاج إلا الفقراء لابسون المرقعات. سلكها هو بأطفاله ونسائه وبعياله وأمواله. وإذا تراءى مع اللصوص يتقدم القافلة على بغلته ويشير بيده للصوص بالتنحي، فيتنحون عنه ويتركون له الطريق فارغة، وربما خوفه الناس من المبيت في بعض المواضع فيبيت فيه ويأتي اللصوص إليهم حتى يختلطوا، ويأخذ الله بأبصار اللصوص عن رؤيتهم،

توفي بمكة المكرمة في شهر ذي الحجة الحرام عام 1244هـ، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 267. روض شمائل أهل الحقيقة، لابن محمد العلوي، رقم الترجمة 5 .إتحاف أهل المراتب العرفانية، للعلامة الحجوجي بتحقيقنا عليه، 1 : رقم الترجمة.....

المذكور، نذكر ذلك هنا تميما لما هنالك، وفق ما نقله لنا بخطه من خطه، مع زيادة فوائد لا بأس بذكرها تتميما للفائدة، وعلى الله الصلة والعائدة. فمن ذلك ما كتبه لنا، ونصه : الحمد لله. ومن خط جدنا العلامة، الفقيه الخطيب المقدم البركة، سيدي محمد بن بلقاسم بن الطيب المعروف بابن بصري[1] بعد الإجازة ما نصه : وأما الورد فقد أخذته عن الشيخ حال حياته رضي الله عنه، وهو عن النبي (ﷺ)، يقظة بلا واسطة، فصار الواسطة بيني وبين النبي (ﷺ) في الورد هو الشيخ رضي الله عنه، ولا أعلى من هذا السند، لله الحمد وله المنة انتهى.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله وآله وصحبه، ومن منن الله على أفقر الورى إلى رحمة مولاه، الراجي عفوه ورضاه، محمد بن بلقاسم بن الطيب المعروف بابن بصري أن حصل لي الإذن في تلقين ورد شيخنا العارف الأكبر، والكبريت الأحمر، القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، الشريف الحسني، مولانا أبي العباس أحمد بن محمد التجاني، رضي الله عنه، من أخينا

---

(1) المقدم العارف بربه، سيدي أبو عبد الله محمد بن بلقاسم بن الطيب بن الصغير بن مسعود المكنى بأبي سرحان بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمان بن عمران الولهاجي، عرف ببصري المكناسي، من مواليد مكناس في 3 ذي الحجة عام 1202هـ وكان سابع ولادته يوم عيد الأضحى المبارك، وتوفي رحمه الله يوم الإثنين 22 ذي الحجة الحرام عام 1293هـ وعمره حينئذ 91 سنة،

ومن مناقبه أن الشيخ أبا العباس التجاني رضي الله عنه لم ينادي أحدا باسم المقدم إلا له، وثبت عنه أنه غطاه بردائه مرة، وقال له : قبلناك على أي حالة كنت.

ومن المعلوم أن المقدم سيدي محمد بلقاسم بصري قد أخذ ورد الطريقة الأحمدية التجانية عن صاحبها الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، أما الإجازة فيها فقد حصلت له على يد المقدم الحاج الغازي المطيري عام 1244هـ، والثابت عندي أن سيدي الحاج الغازي المطيري هو أحد الأربعة الذين قدمهم العارف بالله سيدي محمد الغالي أبو طالب. ثم أجازه فيها بعد ذلك العارف بالله القطب سيدي الحاج علي التماسيني عن طريق المراسلة، وكان الواسطة في ذلك العلامة الأديب سيدي التجاني ابن بابا ناظم المنية، وبعد ذلك أجازه البركة المقدم الشهير سيدي عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي الأندلسي.

أنظر ترجمته في فتح الملك العلام، بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 32، نخبة الإتحاف، في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 308، نسمات القرب والإفضال، المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للمؤلف نفسه 49. سر الإكسير، المسوق من الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 23. كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 422-430، رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3: 55. الدر الثمين، من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 20،

في الله الحبيب المحبوب البركة، الذي كان يشهد له الشيخ رضي الله عنه حال حياته بالفتح تصريحا، وعنده الإذن من الشيخ، وكان يلقن الأوراد حال حياة الشيخ، وهو سيدي الحاج علي بن الحاج عيسى، من بلاد تماسين بصحراء الجريد، ومن هناك كتب إلي بالإذن بخط يده، وهذا المكتوب :

نص إجازة القطب الحاج علي التماسيني للفقيه سيدي محمد بلقاسم بصري

بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد. وبعد : فقد أذن لحبيبه سيدي محمد البصري المكناسي في إعطاء الورد لسيدنا أبي العباس لكل من طلبه منه، نفع الله به، ونفع كل من أخذ عنه، وهو الورد المعلوم. أستغفر الله مائة مرة، وصلاة الفاتح لما أغلق إلخ ... مائة مرة، وذلك كالصبيان والنساء، ومن يحفظ صلاة الفاتح فهي أفضل، ثم لا إله إلا الله، مائة مرة صباحا ومساء.

وكذلك من دخل هذه الطريقة يلازم الوظيفة صباحا ومساء، وإلا مرة بين الليل والنهار تكفي، إما صباحا أو مساء، وهو أفضل، وهي أستغفر الله مائة مرة، أو أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، ثلاثين مرة، وصلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة، ولا إله إلا الله مائة مرة، وجوهرة الكمال اثنتي عشرة مرة، وكذلك الهيللة يوم الجمعة بعد العصر، يؤخرها نحو ساعة، ويبقى يذكرها إلى الغروب بغير عدد.

وإذا كان ذا حاجة يجعل عددا معلوما على نفسه يذكره، ويذهب إلى شؤونه، وأقل العدد ست عشرة مائة مرة، وإذا كان ذا حاجة أيضا ولم يتيسر له حتى العدد لا حرج عليه، ولكن يفوته خير كثير. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. كاتبه علي بن الحاج عيسى، عن إذن سيدنا وسيد كل ما خلق الله سيدنا محمد (ﷺ). انتهى من خط يده المباركة.

وأنت ترى تصريحه بالإذن النبوي الكريم، فلا أعلى ولا أشرف من هذا السند، لله الحمد وله المنة، اللهم اختم لنا بخير وعافية، آمين، وحفنا وأولادنا وأولادهم بخفي لطفك، وتيسير عافيتك واغفر لنا ولوالدينا وأولادنا وإخواننا، ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين، وآله وصحبه أجمعين إهـ... من خط يده المباركة، وأنت ترى أنه دعا حتى لأولاد أولاده، لله الحمد وله

المنة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[1].

إجازة سيدي عبد الوهاب بن الأحمر للفقيه المقدم سيدي محمد بلقاسم بصري

الحمد لله، وهذه إجازة سيدي عبد الوهاب بن التاودي المعروف بابن الأحمر، لجدنا سيدي محمد بن بلقاسم المعروف بابن بصري في تلقين ورد سيدنا رضي الله عنه أيضا، ومن خط المجيز نقلت، ونصه :

بسم الله الرحمان الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله. أحمد الله وأشكره بلسان المرتبة الجامعة للكمالات كلها، وأصلي وأسلم على من خصه الله بالعلوم والأسرار بأجمعها، وعلى آله وصحبه والتابعين، وأطلب من الله رضاه الأكبر، وقربه الأنور، أن يتحف به حضرة روح شيخنا الأكبر، القطب الرباني، والفرد الصمداني، البرزخ المختوم، والقطب المكتوم، ممد المشايخ كلها، من لدن عصر الصحابة إلى النفخ في الصور، إمام العارفين، ووصلة الكاملين، أبي العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني، الشريف الحسني رضي الله عنه، ومتعنا برضاه آمين.

وأن يصب رحمته الهاطلة، ونعمته الشاملة، على خليفته الأشهر، وحامل سره الأكبر، مؤلف أسراره، والمحتوي على جميع أنواره، أبي الحسن سيدي الحاج علي حرازم بن العربي برادة، الفاسي أصلا، دفين قبور الشهداء، قرب مدينة سيد الأنبياء، صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنه وعن جميع الأولياء.

وبعد : فيقول أفقر العبيد، إلى مولاه الغني الحميد، خديم الحضرة التجانية، وحامل راية الطريقة المحمدية، أخي الأحباب، وخادم الباب، الراجي فضل الوهاب، عبد الوهاب بن التاودي المعروف بابن الأحمر، غفر الله ذنبه، وستر عيبه، وللمسلمين أجمعين، آمين.

قد أذنت وأجزت لحبيبنا وصفينا، ومحل ودنا وسرنا، الفقيه المحب في الله، المؤثر على نفسه رضى الإخوان في الله، أبي عبد الله سيدي محمد بن بلقاسم بصري، قوى الله مدده، وجعل النفع على يديه للمسلمين، وحلاه بما حلى به أكابر العارفين، آمين، في تلقين الأوراد والأذكار المشهورة والمأثورة، عن شيخنا المذكور وخلفيته رضي الله عنهما، مما اشتمل عليه كتابه المسمى : "بجواهر

---

(1) من مميزات العارف بالله القطب سيدي الحاج علي التماسني أنه كان لا يجيز أحدا إلا عن إذن نبوي كريم، ولذا كان يختم إجازاته بقوله : عن إذن سيدنا وسيد كل ما خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

المعاني في فيض التجاني" وكذا مما سمع منه، أو أخذ عنه، من كل ما يرجع لطريقته التجانية، من خاص وعام، تلقينا وإجازة عامة،

وكذا إن ظهر له من يصلح للتقديم من غير سكان البلد مكناسة الزيتون، مدة حياته، ما يظهر له فيه صلاح الإخوان المسلمين. لا أستثني عليه في هذا الإذن شيئا قل أو كثر، يفعل بنظره ما شاء، ولا يكون إلا خيرا إن شاء الله. وأذنته أيضا في قراءة القرآن والأدعية بأجمعها لنفسه ولغيره. وكذا عمل الرقى، وإخراج العين، وما يحتاج إليه الإخوان جميعا، والسلام.

وكذا أيضا أذنت له في الفاتح لما أغلق بمرتبتها الظاهرة والباطنة، وما اشتملت عليه المرتبتان من الأسرار والأنوار، والتجليات والفيوضات والترقيات، والتضعيف الذي لا يحصى ولا يعرفه إلا أربابه، وما مثل واحدة من مرتبتها الباطنة مع الظاهرة إلا كالعرش مع إحدى الأرضين. وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، آمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما إهـ...

تقييد لسيدي محمد بلقاسم بصري

ومن خط جدنا العلامة الفقيه الخطيب سيدي محمد بن بلقاسم بن الطيب بصري ما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله. كنت قريبا من سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف أطالع التأليف المعروف لأخينا في الله، المحبوب المحب المرحوم بمن الله تعالى، سيدي الحاج علي حرازم برادة، في التعريف بسيدنا وسندنا وشيخنا، الذي امتن الله جل ذكره به علينا، سيدي القطب الرباني، الغوث الجامع الصمداني، أبي العباس التجاني، أسكننا الله معه في دار التهاني، آمين، بجاه سيدنا ومولانا محمد الصادق الأمين.

وطالعت بعض ما فسر به رضي الله عنه بـردة المديح للعلامة البوصيـري من الفتوحات الإلهيـة،

والفيوضات الربانية[1]، على عادته رضي الله عنه في تفسير كلام الأولياء، سيما مديح الأكابر والأنبياء، إذ لا يعرف البحر إلا من سبح فيه، وكان يختلج في صدري، ويضطرب في وهمي وفكري، التعرض لضبط كثير من أحواله، وجمع ما شرد من علمه وأقواله، لأن ما جمعه هذا المحب المذكور، وإن كان يجمح دونه العارفون، ويقف حول حماه العلماء العاملون، قل من كثير، وقلامة من ظفر، سيما وقد توفي هذا الأخ المذكور رحمه الله تعالى قبل وفاة الشيخ بكثير، وتكاثر فيضان بحر سيدنا رضي الله تعالى عنه، حتى بصر كل بصير، وإن كنت والله لست من أولئك، ولا ممن يسلك تلك المسالك، لكن كما قيل :

فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ * إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالكِرَامِ رَبَاحُ[2]

---

(1) الإرشادات الربانية، بالفتوحات الربانية، من تأليف العارف بربه الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي، تلقى مضمنه عن شيخه أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، قال عنها العلامة سيدي أحمد سكيرج في كتابه جناية المنتسب العاني: هو من أحسن الشروح وألطفها، وكفى الهمزية والتنويه بقدر ناظمها وضع هذا الشرح عليها، ولا يقدر قدر ما قلناه إلا من كان سليم الطوية حسن الإعتقاد.إهـ ..وقد قرضه العلامة سكيرج بقصيدة رائية قال في مطلعها:

ماذا تبدي لنا من داخل السفر * حتى غدونا به في حالة السكر
كأنما الخمرة استولت بلعبتها * بعقلنا ولقد ملنا عن الخمر

إلى أن قال في ختامها:

فلتقتبس من سنا أنواره قبسا * فإنه يذهب الدجى مدى الدهر
لم لا ومبديه بحر العلم سيدنا الـ * ـختم التجاني الذي علا على البدر
عنه تلقاه ذو التقى خليفته * علي حرازم وهو صاحب السر
فالله يجزيه خيرا عن كتابته * وجمعه ويوفيه من الأجر
والله ينفع كل المعتنين به * ومن لنا بالدعا لسانه يجري

(2) البيت الشعري من قصيدة للشاعر العربي يحيى بن حبش الحكيم، المعروف بالسهروردي المقتول، قال في مطلعها :

أبدا تحن إليكم الأرواح * ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم * وإلى لذيذ لقائكم ترتاح

هذا والمحبة تثير وجدا، وتصير الغي رشدا، فرأيت في المنام، إما قيل لي، أو قلت في تسمية هذا التقييد الذي أردت : "الفتوحات الربانية، على الفيوضات التجانية"، فقمت منتبها من منامي مسرورا، بما أراجعه من كلامي، فأنا والحمد لله إلى الآن غير آيس مما أردته، ولا منقطع الرجا مما أملته، غير أنه لم يتيسر لي الشروع في المقصود إهـ.

ما حكاه عن نفسه رحمه الله تعالى ورضي عنه. قال كاتبه حفيده وسميه محمد : سألت والدي الفقيه الخطيب سيدي بلقاسم، هل أخرج جدي رحمه الله ما وعد به ؟ فقال : لا، لكن قال لي : إنه كان شرع في تأليف آخر في السلوك على طبق الأوراد. وهو بإرادة الله وقدرته في نحو نصف كراس، فلم تتعلق إرادة الله بإكماله[1]. وقد أنشد صاحب الترجمة في مدح سيدنا محمود رضي الله عنه هذه القصيدة :

لِي فِي الهَوَى خِلٌّ كَغُصْنِ البَانِ * يُسْبِي العُقُولَ بِجِسْمِهِ الفَتَّانِ
وَمَنَحْتُهُ نَفْسِي عَسَاهُ يَجُودُ لِي * بِوِصَالِهِ فِي النَّاسِ طُولَ زَمَانِ
فَثَنَى إِلَيَّ عِنَانَهُ وَرَمَى إِلَـ * ـيَّ سِهَامَهُ فَغَدَوْتُ كَالسَّكْرَانِ
وَغَدَا يَقُولُ إِلَيَّ يَا رَهْنَ الهَوَى * أَتَرُومُ مِنِّي الوَصْلَ دُونَ هَوَانِ
إِنَّ الهَوَانَ مُلاَزِمٌ لِذَوِي الهَوَى * وَالحُبُّ يَقْلِبُ كُلَّ ذِي سُلْطَانِ
فَأَجَبْتُهُ وَالدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي جَرَى * بِاللَّهِ فَارْحَمْنِي فَإِنِّيَ فَانِي
فَانٍ بِحُبِّكَ لَا أُرِيدُ سِوَاكَ فِي * عُمْرِي لِأَنِّي فِي غَرَامِكَ عَانِي
مَالِي سِوَاكَ أُرِيدُهُ لِتَخَلُّصِي * إِلَّا الفَتَى سِبْطُ الرِّضَى التِّجَانِي
مَحْمُود سَعْيٍ مَنْ سَمَا مِقْدَارُهُ * وَحَوَى مَقَامًا لَمْ يَصِلْهُ ثَانِي
مُتَفَرِّدًا بِجَلَالِهِ بَيْنَ الوَرَى * بِوِرَاثَةٍ مِنْ جَدِّهِ العَدْنَانِي
مَا الفَخْرُ إِلَّا مَا حَوَاهُ لِأَنَّهُ * بَدْرٌ بِهِ قَدْ ضَاءَ كُلُّ مَكَانِ
فَتَهَابُهُ أُسْدُ الوَغَى بَيْنَ الوَرَى * مَهْمَا بَدَا فِي حَوْمَةِ المِيدَانِ
تَعْنُو لَهُ الرُّؤَسَا لِمَا قَدْ نَالَهُ * مِنْ سِرِّهِ السَّارِي إِلَى الأَكْوَانِ
فَاقْصُدْهُ كَيْ تَحْظَى بِنَيْلِ سَعَادَةٍ * وَمَتَى تَرَاهُ تَنَالُ كُلَّ أَمَانِ
وَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا كَهْفَ الوَرَى * يَا مَنْ غَدَا مَحْمُودَ كُلِّ لِسَانِ

(1) انظر نص هذا التقييد في رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 3 ص 62-63.

مَــوْلَايَ إِنِّــي قَــدْ أَتَيْتُكَ زَائِـرًا * بِاللَّهِ فَـامْـنَـحْـنِي بِـنَـيْـلِ أَمَــانِ
فَعَلَيْكَ يَــا مَــوْلَايَ خَـيْرُ تَحِيَّةٍ * وَعَـلَى الإِمَــامِ شَيْـخِنَا التِّجَانِي

ومما نقله لنا من كناش جده بخطه هذا التخميس اللطيف لقصيدة[1] العارف بالله الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي التونسي[2] رضي الله عنه، في مدح أستاذنا، علم العارفين، وإمام الواصلين، أبي العباس

---

(1) المراد بها قصيدته السينية المشهورة، التي قال في حقها العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح لما قرئت بمحضره، وتواجد لقراءتها تواجدا لم يعهد مثله منه : إن صاحب هذه القصيدة قالها عن وجدان واستغراق في حب الشيخ رضي الله عنه ، وفي توحد مرتبته العليا التي لا يشاركه فيها غيره الجامعة للفردانية و القطبانية و الختمية و الكتمية ، و لم يُمدح الشيخ بمثلها و لا بما يقاربها . ثم التفت إلى الحاضرين وقال : إنكم أولادي ، إنه ما ضاق على أحد أمر و قرأها إلا فرج الله كربه . و ليقرأها في خلوة ، والله ما تخلفت الإجابة بها مرة واحدة،

(2) العلامة العارف بربه سيدي إبراهيم بن عبد القادر بن سيدي إبراهيم الطربلسي المحمودي بن صالح بن علي بن سالم بن بلقاسم الرياحي التونسي، ولد بتستور بتونس عام 1180هـ، وأخذ العلم والمعرفة عن جماعة من جهابذة علماء وفقهاء تونس منهم : حمزة الجباص، وصالح الكواش، ومحمد الفاسي، وعمر بن قاسم المحجوب، وحسن الشريف، وأحمد بو خريص، وإسماعيل التميمي، والطاهر بن مسعود، وغيرهم. أما الطريقة الأحمدية التجانية فقد أخذها أولا بتونس عن العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي عام 1216هـ. وبعدها بسنتين حدثت مسغبة ببلاد تونس، فرشح للذهاب للمغرب وملاقاة سلطانه قصد طلب المعونة، ولما جاء لمدينة فاس كان أول عمل قام به هو زيارة دار شيخه أبي العباس التجاني رضي الله عنه، حيث رحب به وأكرمه غاية الإكرام، كما أجازه في طريقته الأحمدية، وللعلامة سيدي إبراهيم الرياحي العديد من الأجوبة والتقاييد العلمية المفيدة منها : مبرد الصوارم والأسنة في الرد على من أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة، وديوان شعر مرتب على الحروف الهجائية، ومنظومة في علم النحو، وحاشية على الفاكهاني، وغير ذلك من المصنفات الأخرى. وكانت وفاته رحمه الله في 27 رمضان عام 1266هـ،

انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 132، وفي رفع النقاب لنفس العلامة ج 1 ص 17، وفي بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 264، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 12، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي ج 1، وفي نخبة الإتحاف لنفس العلامة رقم الترجمة 297، وفي فتح الملك العلام لنفس العلامة بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 6، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 386 رقم الترجمة 1555، وفي الجيش العرمرم الخماسي لأكنسوس ج 1 ص 294، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 48، وفي اليواقيت الثمينة لظافر الأزهري ج 1 ص 89، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1381.

التجاني الحسني، وهو للأديب الفاضل الأريب، سيدي محمد ابن الفقيه السيد عبد الوهاب بن حمدوش المكناسي[1] رحمه الله تعالى بمنه وكرمه آمين :

حَدِيثُ أَحْبَابِ قَلْبِي فِيهِ إِينَاسِي * بِذِكْرِهِمْ أَرْتَجِي تَطْهِيرَ أَدْنَاسِي
عَنْ غَيْرِهِمِ لَا أَزَالُ ذَاهِلًا نَاسِي * (صَاحِ ارْكَبِ العَزْمَ لَا تَخْلُدْ إِلَى اليَاسِ
وَاصْحَبْ أَخَا العَزْمِ ذَا جِدٍّ إِلَى فَاسِ)
فَصِفْ لَهُمْ حَالَ أَشْوَاقِي بِكَثْرَتِهَا * وَشَأْنَ مَا ذَرَفَتْ عَيْنِي بِعَبْرَتِهَا
كَفَى بِرَبِّي شَهِيدًا فِي سَرِيرَتِهَا * (وَاشْرَحْ مُتُونَ صَبَابَتِي لِجِيرَتِهَا
وَحَيِّ حَيًّا بِهِمْ قَدْ كَانَ إِينَاسِي)
فَحُبُّهُمْ سِرُّ سِرِّي بِالفُؤَادِ كَمَنْ * وَذِكْرُهُمْ جَهْرُ جَهْرِي خص ذَاكَ وَإِنْ
حَدَّثْتَ عَنِّي مَقَالَهُ فَزِنْهَا وَزِنْ * (وَاقْرَا السَّلَامَ عَلَى تِلْكَ المَعَاهِدِ مِنْ
حَيْرَانِ تَلْفِظُهُ نَاسٌ إِلَى نَاسِ)
لَا زَالَ يَلْهَجُ فِي الإِحْيَا بِذِكْرِكُمُ * وَالشَّوْقُ يُزْعِجُ فِي الأَحْيَا لِقُرْبِكُمُ
فَلَيْسَ يَصْحُو دَوَامًا مِنْ وِدَادِكُمُ * (وَقُلْ لَهُمْ ذَلِكَ المُضْنَى وَحَقِّكُمُ
بَاقٍ عَلَى العَهْدِ ذُو وَجْدٍ بِكُمْ رَاسِي)
يَسْتَسْهِلُ الصَّعْبَ دَأْبًا فِي طَرِيقِكُمُ * لَوْ مَاتَ مَا ذَاكَ مَوْتٌ فِي لِقَائِكُمُ
مَا النَّاسُ نَاسٌ لَدَيْهِ بَعْدَ بُعْدِكُمُ * (لَا يُبْصِرُ الحُسْنَ إِلَّا فِي وُجُوهِكُمُ

(1) الفقيه الأديب البركة سيدي محمد بن عبد الوهاب بن حمدوش المكناسي، أخذ الطريقة التجانية عن سيدنا رضي الله عنه مباشرة، ثم حصل له ما يخل ببعض شروطها، فجاء للشيخ رضي الله عنه وطلب منه أن يجدد له الإذن، فقال له على طريق التربية : لا سبيل إلى الرجوع، فبقي عاكفا على باب دار الشيخ رضي الله عنه لايبرح عنه ليلا ولا نهارا مدة أيام، ثم توسط له بعض الأصحاب في استعطاف سيدنا رضي الله عنه وقال له : إن الرجل ترك أولادا وبناتا ضعافا، فإن أذنت له فذاك وإلا فهذا قبره ببابك، فأذن له الشيخ رضي الله عنه حينئذ.
أنظر ترجمته في نخبة الإتحاف، في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 315. كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 525 - 526. رفع النقاب للمؤلف نفسه 3: 135-138، رفع العتاب، عمن ترك الزيارة من الأصحاب، للعلامة سيدي محمد (فتحا) كنون 28-29. الإفادة الأحمدية لمريدي السعادة الأبدية لسيدي الطيب السفياني (حرف اللام)

وَلَـيْسَ يَجْنَحُ فِـي حُـبٍّ لِوَسْوَاسِ)

يَـرْجُـو مِـــنَ اللَّهِ تَـعْجِيلًا لِأَوْبَـتِـهِ * لِحُسْنِكُمْ : فَـلِقَاكُمْ جَـمْعُ بُغْيَتِهِ

إِنْ تَـقْبَلُـوهُ فَــذَاكَ مِــنْ سَـعَـادَتِهِ * (وَعُـجْ إِلَـى حَيْثُ مَـنْ عَيْنِي لِفُرْقَتِهِ

تَـبْكِـي وَتَـزْفُـرُ بِـالأَشْـوَاقِ أَنْفَاسِي)

مَـنْ لِـي بِأَنْ لَـوْ أَرَى الرِّيَاحَ تَحْمِلُنِي * لِـمَنْ لَـهُمْ نَـفَحَاتُ الطِّيبِ تُرْشِدُنِي

وَمَـنْ لَـهُمْ كَـثْرَةُ الأَشْـوَاقِ تُقْلِقُنِي * (وَمَــنْ أَنَــا فِـيـهِ هَـيْمَانٌ يُقَلِّبُنِي

دَهْــرِي بِـأَنْـوَاعِ تَـهْـيَامٍ وَأَجْنَـاسِ)

أَرْجُـو بِـهِ اللَّهَ فِـي الأَحْيَاءِ يَجْعَلُنِي * وَافَـرْحَـتِـي إِنْ لِـوَجْـهِ اللَّهِ يَقْبَلُنِي

مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي هَوَاهُ الحِرْصُ يَعْذِلُنِي * (وَمَـنْ فُـؤَادِي بِـهِ مُضْنًى[1] يُحَمِّلُنِي

مَـا بَعْضُهُ دُكَّ مِنْهُ الشَّامِخُ الرَّاسِي)

مَـا لَــذَّ لِـي بَـعْدَهُ نَـوْمٌ وَلَا سَـهَرُ * مَـنْ لِـي بِـأَنْ لَوْ أَتَى مِنْ عِنْدِهِ خَبَرُ

مَـنْ حُـبُّهُ سَـارَ حَيْثُ لَمْ يَسِرْ قَمَرُ * (ذَاكَ الَّـذِي نَـالَ مَـا لَـمْ يَحْوِهِ بَشَرُ

مِـنَ العَطَايَا وَلَـمْ يُعْرَفْ بِمِقْيَاسِ)

يَا مَنْ إِلَيْهِ تُشِيرُ النَّاسُ إِنْ قِيلَ مَنْ * حَـبَاهُ رَبِّـي مَقَامًا جَـلَّ وَصْفُهُ عَـنْ

شَـأْوِ البَلِيغِ فَـكَيْفَ بِالعَيِّيِّ وَمَـنْ * (غَـوْثُ البَرَايَا أَبُـو العَبَّاسِ أَحْمَدُ مَنْ

مَـعْنَـاهُ أَعْـظَمُ أَنْ يُجْلَى بِقِرْطَاسِ)

عَـبْدٌ لَـكُمْ شَـوْقُـهُ لَازَالَ يُـزْعِـجُهُ * لَـوْ سَـارَ بِالرَّأْسِ لَيْسَ السَّيْرُ يُعْجِزُهُ

إِذْ ذَاكَ يُـدْنِـي لِفَـضْلٍ جَـادَ مُنْجِزُهُ * (رُوحُ الـوُجُـودِ وَقُطْبُ الـكَوْنِ مَرْكَزُهُ

مِــدَادُهُ سِـرُّهُ الـسَّـارِي إِلَـى النَّاسِ)

رَحْـمَـةُ رَبِّـي عَـلَى مَـنْ شَـاءَ يَرْحَمُهُ * وَمَحْضُ فَضْلٍ كَـمَالُ الفَضْلِ مُعْظَمُهُ

فَـمَــنْ أَرَادَ اغْـتِـنَـامًا ذَاكَ مَـغْـنَـمُهُ * (رَمْـزُ الـوُجُـودِ وَسِــرُّ الـحَقِّ طَلْسَمُهُ

مَـكْنُونُهُ كَـنْـزُهُ الـمُخْفَى بِـحُرَّاسِ)

مَــنْ كَــانَ لِـلَّـهِ مِـنْ شَكْوَاهُ مَفْزَعُهُ[2] * فَـرَامَ ذَاكَ الـحِمَى مَـا خَـابَ مَـطْمَعُهُ

بُـشْـرَاهُ بُـشْـرَاهُ كُـلُّ الـخَيْرِ مَـضْجَعُهُ * (حَـقِيقَةُ الـكَوْنِ مَـعْنَى الـسِّرِّ مَـجْمَعُهُ

---

(1) مضنى : ضعيف وهزيل

(2) المفزع : الملجأ

فَـيْـضُ الإِلَــهِ بِــلَا لَـبْـسٍ وَلَا بَــاسِ)

تَوَلُّهِي[1] فِيهِ فِي أَقْصَى الفُؤَادِ سَكَنْ * وَكُــلُّ خَـيْـرٍ بَــدَا لِـمَنْ إِلَـيْهِ رَكَـنْ

ذَاكَ الَّـذِي لَـهُ فِي العَلْيَاءِ خَيْرُ وَطَنْ * (أَعْـنِـي التِّجَانِي تَـاجَ العَارِفِينَ وَمَنْ

بِسَابِغِ الفَيْضِ مِـنْ عِـرْفَانِهِ كَاسِي)

عَـبْـدٌ قَـدْ انْهَـمَرَتْ بِالدَّمْعِ مُقْلَتُهُ * فِـيكُمْ وَقَـدْ أَعْـذَبَ التَّعْذِيبَ عَـبْرَتُهُ

شَـوْقًا لِـمَنْ لَـمْ تَـزَلْ تُسْبَى مَـوَدَّتُهُ * (وَمَــــنْ مَـحَـبَّـتُهُ دِيــنِـي وَخُـلَّـتُـهُ

عَـقْلِي وَرُوحِـي وَجُلَّاسِي وَأَحْدَاسِي)

وَمَــنْ عَـلَيْهِ بِـعَـوْنِ اللَّهِ مُعْتَمَدِي * فَــزَادَ مِـنْهُ بِفَضْلٍ بِالنُّهَى مَـدَدِي

وَحُبُّهُ رَاحُ رُوحِـي بَـلْ مُنَى خَلَدِي * (وَمَسْمَعِي وَفُـؤَادِي وَانْبِسَاطُ يَـدِي

وَمُـقْلَتِي وَلِـسَانِي بَـيْنَ جُلَّاسِـي)

عَـنْ خِيرَةِ الخَلْقِ كَمْ يُنْبِيكَ مِنْ نَبَأٍ * عَـذْبًا زُلَالًا وَلَـمْ يَـكُنْ بِـذِي حَـمَأٍ[2]

نِـهَايَةَ الحُسْنِ لَا كَـالحُسْنِ فِي رَشَأٍ * (يَــا سَامِعِي إِنْ تَـكُنْ لِـلسِّرِّ ذَا ظَمَأٍ[3]

فَجِئْ لِأَحْمَدَ سَاقِي السِّرِّ بِالكَاسِ)

مَــنْ شَــاءَ رَبُّ الـعُلَا يُلْهِمْ نَـاصِحَهُ * يُـوقِـدُ بِـالنُّورِ وَالـبُشْرَى مَـصَابِحَهُ

يَــا مَـنْ إِلَـهُ الـوَرَى أَبْـدَى مَـصَالِحَهُ * (رِدْ وِرْدَهُ الـعَذْبَ وَاسْتَنْشِقْ رَوَائِحَهُ

تَـظْفَرْ بِـأَعْـطَارِ ذَاكَ الــوَرْدِ وَالآسِ[4])

خَيْرُ الصِّحَابِ الَّـذِي يُولِي لِصَاحِبِهِ * نُـصْحًا وَيَبْحَثُ عَـنْ أَخْفَى مَطَالِبِهِ

أَمَــا تَــرَى الـصِّدْقَ لَا يَـكْبُو بِرَاكِبِهِ * (وَاسْـتَعْمِلِ الجِدَّ فِي تَحْصِيلِ وَاجِبِهِ

إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي بِسَاطِ القُرْبِ ذَا يَاسِ)

مَـازِلْتَ تَفْحَصُ لِلْأَسْرَارِ عَـنْ كُفُؤٍ * حَتَّى وَجَـدْتَ مُنَى التَّطْهِيرِ مِنْ خَطَأٍ

فَفُزْتَ لُجْ فِي مُنَى الإِسْعَادِ فِي مَلَأٍ * (وَاهْـرَعْ[5] إِلَـيْهِ إِذَا مَــا كُـنْتَ ذَا ظَمَأٍ

---

(1) تولهي : وجدي وتحيري

(2) الحمأ : الطين الأسود

(3) الظمأ : العطش الشديد

(4) الآس : نبات معروف ذو ثمار كروية بيضاء وراحة زكية

(5) هرع إليه : مشى إليه باضطراب وسرعة

وَاسْـرَعْ إِلَـى اللَّهِ مَـشَّاءً عَـلَى الرَّاسِ)

تَـرْكُ التَّـوَانِـي لِـمَنْ وَعَـتْ مَـسَامِعُهُ * لِـلَّـهِ مَـــنْ يَـتَـوَاضَعْ فَـهْـوَ رَافِـعُـهُ

لَا أَحَـدُ فِـي الـوَرَى عَـنْ ذَا يُـمَانِعُهُ * (وَانْـهَـضْ فَـقَدْ لَاحَ لِـلإِسْعَادِ طَـالِعُهُ

وَقُـمْ وَلَا تَـكُ لِـلإِسْعَادِ بِـالنَّـاسِي)

وَاقْـلَـعْ عَـنِ الإِثْـمِ إِبْـعَادًا لِـوَاجِبِهِ * وَاعـزم بِـتَـوْبَـةِ خَـاشٍ مِـنْ عَـوَاقِـبِهِ

رَحْـمَـةُ رَبِّـي قَـرِيـبٌ مِـنْ مُـرَاقِـبِهِ * (وَاخْلَعْ ظَلَامًا عَـلَى قَلْبٍ مُنِعْتَ بِـهِ

أَنْ تَـسْتَـضِيءَ مِـنَ الـمَعْنَى بِـنِبْرَاسِ[1])

لِـلـخَيْرِ أَهْـلُ لَـهُـمْ مَـحَجَّةٌ عُـلِمَتْ * أَخْلَاقُهُمْ فِـي سَبِيلِ الرُّشْدِ قَدْ كَرُمَتْ

لِـذَاكَ فِـي الـمُرْتَجَى أُمُورُهُمْ عَـظُمَتْ * (وَمَـا ظُنُـونُكَ بِـالوِرْدِ الَّـذِي نَـظَمَتْ

يَـدُ الـنُّبُـوءَةِ هَـلْ يُبْنَى بِـلَا سَـاسِ)

تَـــرْكُ الـتَّـلَـذُّذِ بِـالـدُّنْيَا لِـتَـارِكِـهِ * عُـنْوَانُ فَـضْلٍ فَـأَعْـرِضْ عَـنْ حَـوَالِكِهِ

مِـلْـكُ الـقَنَاعَـةِ تَـشْرِيفٌ لِـمَالِـكِهِ * (وَمَـــا تَـظُـنُّ بِـمِـنْـهَاجٍ لِـسَـالِـكِهِ

أَمْــنٌ مِــنَ اهْـوَالِ نِـيرَانٍ وَأَرْمَــاسِ[2])

مَـنْ ذَا يَـطِيقُ يَـرَاهَا عِـنْدَ إِضْرَامِهَا * شَـــرَارَةٌ كَـجَـمَـالَاتٍ بِـأَجْـرَامِـهَـا

أَحْـكَامُ رَبِّـي قَـضَى عَـدْلًا بِـإِبْرَامِهَا * (يَـا رَبِّ أَدْعُـوكَ بِـالأَسْمَا وَأَعْـظَمِهَا

وَأَعْـظَمِ الـرُّسْلِ ذِي الإِحْسَانِ وَالبَاسِ)

مَـنْ لَـمْ يَـكُنْ مِثْلُهُ فِي الخَلْقِ فِي زَمَنٍ * هُـوَ الـشَّـفِيعُ لَـنَا وَالـنَّاسُ فِـي حَـزَنٍ

بِـجَاهِهِ ارْأَفْ بِـنَـا فَـنَحْنُ فِـي وَهَـنٍ * (وَحَـمْـزَةٍ وَعَـلِـيٍّ وَابْـنِـهِ حَـسَـنٍ

مَــعَ الـحُسَيْـنِ وَزَهْــرَاءٍ وَعَـبَّـاسِ)

وَالـسَّـنَـنِ الأَقْــوَمِ الأَسْـمَـى وَتَـابِعِـهِ * وَمَــنْ تَــلَا الـذِّكْرَ إِيـمَانًا كَـسَامِعِهِ

رَبِّ اهْدِنَـا الرُّشْدَ وَاهْدِ عَـنْ قَـوَاطِعِهِ * (وَاجْـعَـلْ قِـلَادَةَ[3] جِـيدِي[4] فِـي أَصَابِعِهِ

وَارْحَمْ بِـهِ قَـلْبِيَ الـمُضْنَى بِـهِ القَاسِي)

---

(1) النبراس : المصباح

(2) أرماس : جمع رمس وهو القبر مستويا لا يعلو عن وجه الأرض

(3) القلادة : ما جعل في العنق من الحلي ج قلائد وقلاد

(4) الجيد : العنق

قُـدْنِـي لِـرُشْـدِي تَـلَـطُّـفًا وَتَـكْـرُمَـةً * وَاجْـعَـلْ لَـنَـا فِـيـهِ تَثْبِيتًا وَمَـقْـرُبَـةً
لَا تَـحْرِمَـنِّي مِـنَ الـخَيْرَاتِ مَسْأَلَةً * (وَابْـعَـثْ لَـهُ عِـنْدَ سَـمْعِ النَّظْمِ مَرْحَمَةً
تُـنْفِي عَـلَـيَّ شَـقَـاوَتِي وَإِفْـلَاسِـي)
فَـكُـلُّ خَـيْـرٍ فَـمِـنْكَ أَنْــتَ مُـوجِدُهُ * وَكُــلُّ مَــا يُخْـتَـشَـى فَـأَنْتَ مُبْعِدُهُ
وَاجْعَلْ صَلَاحِي مَعَ مَنْ أَنْتَ مُرْشِدُهُ * (وَاجْـعَـلْ نِـظَـامِي وَإِنْ لَانَـتْ مَـفَاصِلُهُ
إِنْ لَـنْ بِـهِ أَرْتَـجِي مَـحْوًا لِأَرْجَاسِي[1])
وَاخْـتِـمْ لَـنَـا خَيْرَ خَتْمٍ لِلسُّعُودِ حَـوَى * وَاجْعَلْ لَنَا خَيْرَ جَارٍ فِي الجَمِيلِ ثَوَى
وَاجْزِيهِ خَيْرَ جَزَا مِنَ الـصَّحِيحِ حَوَى * (وَعُـمَّ مَثْوَاهُ[2] تَـسْـلِـيمًا فَـلَـيْسَ سِـوَى
تَـسْلِيمِ ذَاتِـكَ كُفْؤُ الـقُطْـبِ فِـي النَّاسِ)

9) ترجمة الشريف سيدي محمد الشبيهي

ومنهم العلامة الفاضل، خطيب جامع الزيتونة بمكناسة الزيتون، الأديب الغطريف، الشريف المنيف، أبو عبد الله سيدي محمد بن إدريس الإدريسي الشبيهي[3]، أحد العلماء المدرسين بمكناسة، له ولوع تام بالأدب، حتى حصل منه على ما طلب، فأصبح بين أقرانه يرفل في رداء حلاه، راقيا في علاه إلى أعلى علاه، شريف الأصل والنفس، فهو الحر الذي يبجل في المعنى والحس،
عشقت سيرته منذ زمان قبل الإجتماع به، حتى ضمنا المجلس عند سيدنا النقيب الزيداني في أبهج مكان، فشكرا لهذا النقيب الجليل، كم أسدى إلينا من مكارم في معرفة هذا الشريف الأصيل، زاد

---

(1) أرجاسي : جمع رجس وهو العمل القبيح والقذر
(2) مثواه : مدفنه
(3) نسبة للولي الصالح أبي العباس سيدي أحمد الشبيه، دفين روضة رأس التاج المعروفة اليوم بروضة سيدي عمرو الحصيني، وهي إحدى الروضات الشهيرات بمدينة مكناس، وإلى الولي الصالح المذكور ينتسب كافة الشرفاء الشبيهيين، وهو ابن عبد الواحد بن عبد الرحمان بن أبي غالب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الرحمان بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن حمود بن يحيى بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى الجوطي بن القاسم بن المولى إدريس الأزهر باني مدينة فاس.
وهو فقيه مشارك أديب شاعر توفي بمسقط رأسه مكناس يوم الجمعة 23 جمادى الأولى عام 1362هـ ــ 28 ماي 1943م، ودفن بروضتهم بدرب الشرفاء بالعطارين من مدينة مكناس

الله في أمثاله، وبلغه في الدارين أقصى آماله، وقد كان حاضرا في هذا المجلس السعيد، والجمع الموفق الرشيد، من أعيان السادات، من ذكرته في هذه الأبيات :

يَـا سَاعَـةَ مِثْلُهَا لَمْ يُلْفَى فِي زَمَنٍ * مِـنْ أَجْلِ جَمْعِي بِهَذَا الـمُفْرَدِ العَلَمِ
مَـنْ كُـنْـتُ مُنْتَظِرًا لِـقُرْبِـهِ زَمَـنًا * بِـمَا سَمِعْتُ لَـهُ مِـنْ رِفْعَـةِ الـهِـمَمِ
شَمْسِ البِلَادِ الَّتِي فِي أُفْقِهَا انْفَرَدَتْ * بِـرُتْبَـةٍ فِـي الـعُـلَا مُـنِيـرَةِ الـظُّلَمِ
ذَاكَ الشَّبِيهِي الرِّضَى مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ * فِـي الـخَلْقِ وَالـخُلْقِ وَالعِرْفَانِ وَالكَرَمِ
مِـنْ سَـادَةٍ بِـهِمُ الـعَلْيَا قَدِ افْـتَخَرَتْ * وَشَـاعَ فَضْـلُهُمُ فِـي سَـائِرِ الأُمَـمِ
أَعْـظِمْ بِـهِ مِـنْ شَـرِيفٍ زَانَـهُ أَدَبٌ * وَقَـدْرُهُ جَـلَّ بَـيْنَ الـعُرْبِ وَالـعَجَمِ
بِـهِ اجْـتَـمَعْتُ بِـرَوْضٍ صَـارَ مُزْدَهِرًا * بِـهِ وَبِـالسَّـيِّدِ العَـرَائِشِي العَـلَمِي
أَدِيـبِ مِـكْنَـاسَـةٍ وَمَـنْ لَـهُ رُتَـبٌ * تَـسْمُو لِأَعْلَى مَقَامٍ فِي العَلَاءِ سَمِي
وَبِـالـفَـقِيهِ الـعَـرَائِشِي الـمُحِبِّ أَبِـي * عَـبْدِ الإِلَـهِ الَّـذِي فِيهِمْ رَعَـى ذِمَـمِي
وَبِـالـنَّقِيبِ ابْـنِ زِيـدَانَ الَّـذِي كَـمُلَتْ * أَوْصَـافُـهُ بِـجَمِيـلِ الـخُلْقِ وَالـشِّيَمِ
فَاللَّهَ أَسْـــأَلُ أَنْ يَـرْعَـاهُـمُ أَبَـــدًا * وَأَنْ يَـحُـفَّـهُـمُ بِـفَـضْـلِـهِ الـعَـمِـمِ

فأجابني من نظمه الرائق، ولذيذ إنشائه الفائق، بما نصه :

لَـبَّـيْكَ لَـبَّـيْكَ يَـا مَـنْ حَـازَ كُـلَّ عَـلَا * وَجَـلَّ قَـدْرًا رَقَـى عَـنْ كُـلِّ ذِي عِـظَمِ
وَسَـادَ أَهْـلَ الـهُـدَى فَـضْـلًا وَمَـنْـقَـبَةً * فَـكَـانَ بَـيْـنَ ذَوِي الإِفْـضَـالِ كَـالـعَـلَمِ
وَفَـاقَ كُـلَّ بَـلِـيغٍ قَـدْ عَـلَا أَدَبًـا * وَأَحْـرَزَ الـكُنْهَ[1] فِـي مَجْدٍ وَفِـي كَـرَمِ
بَـدْرٌ تَـكَامَلَ فِـي إِشْـرَاقِـهِ وَسَـمَا * أُفْـقَ الـسَّمَاءِ بِـجُنْحِ اللَّيْلِ فِي الظُّلَمِ
ذَاكَ الـسَّرِيُّ[2] أَبُـو العَـبَّاسِ أَحْمَدُ مَـنْ * لَـهُ الـمَزَايَا الَّـتِي فِـي النَّاسِ لَـمْ تُـرَمِ
سُـكَـيْرِجُ مَـنْ عَـلَا قَـدْرًا وَمَـرْتَـبَةً * وَكَـانَ بَـيْـنَ الـوَرَى أَجَـلَّ مُـحْـتَرَمِ
الـفَاضِلُ الـعَالِمُ الـنَّحْرِيرُ مَـنْ رَسَـخَتْ * أَقْـدَامُـهُ فِـي مَـبَانِي الـمَجْدِ وَالـكَرَمِ

---

(1) الكنه : جوهر الشيء وأصله وقدره وحقيقته وغايته.

(2) السري : مفرد سرى وسراة وهو السيد الشريف السخي، وصاحب المرؤة.

حَبْـرٌ تَـقَاصَرَ أُولُــوا الـعِلْمِ قَاطِبَـةً * عَـنْ دَرْكِ هِـمَّتِهِ فِـي العِلْمِ وَالحِكَمِ
وَعَـنْ بَلاَغَـتِهِ أَهْـلُ النُّهَى قَـصَرُوا * وَأَظْـهَـرُوا العَـجْزَ فِـي مَعْنَاهُ وَالـكَلِمِ
كَذَا الأُلَى مَنْ بِقَرْضِ الشِّعْرِ قَدْ عُرِفُوا * قَــرُّوا بِـطَلْقِ لِـسَـانٍ غَـيْـرِ مُنْعَـجِمِ
وَقَـــالَ بَــارِعُـهُـمْ لِــلَّـهِ مِــــنْ دُرَرٍ * مَنْظُومَةٍ نُضِّدَتْ[1] فِي عِقْدِهَا الفَخِمِ
بِـهَا تَفَرَّدَ فَـرْدُ الشِّعْرِ مَـنْ خَضَعَتْ * لَـهُ أُسُــودُ الشَّرَى فِـي غَـابِهَا الأَجِمِ
سُبْحَانَ مَـنْ قَـدْ حَبَاكَ كُـلَّ مَكْرُمَةٍ * بِـهَـا تَـرَقَّـى مَـرَاقِـي الـعِـزِّ وَالـهِـمَمِ
حَـتَّى إِذَا لَـمْ تَـضِحْ كَالـشَّمْسِ سِيرَتُهُ * يُنْبِيكَ عَنْـهَا كَـرِيمُ الخُلْقِ وَالـشِّيَمِ
أنيـلها مِــنْ عَـظِيمِ الجَاهِ مَـنْ ثَبَتَتْ * لَــهُ الــوِلاَيَـةُ حَــقًّا سَــابِقَ الـقِدَمِ
سِرُّ الوُجُودِ التِّجَانِي القُطْبِ مَنْ شَهِدَتْ * بِيُمْنِهِ أَلْسُنٌ فِــي الـعُرْبِ وَالعَـجَمِ
عَـلَيْهِ سُحْبُ الرِّضَى تَغْشَاهُ دُونَ مِرَا[2] * مِـنَ الـمُهَيْمِنِ مُسْدِي الخَيْرِ وَالنِّعَمِ
مَا فَـاحَ زَهْرُ رِيَاضِ الأُنْسِ وَانْعَطَفَتْ * رِيحُ الصَّبَا مِنْ حِمَى نَجْدٍ وَمِنْ إِضَمِ

وكم لصاحب الترجمة، رعاه الله، من شعر رقيق، ومعنى دقيق، في لفظ رشيق شريق.

10) ترجمة سيدي محمد بن حبيبي بصري

ومنهم الشاب الظريف، الأديب العفيف، ذو الخلق الجميل، والقدر الجليل، الفاضل الأمجد، أبو الفتح سيدي محمد بن حبيبي بصري، من خاصة الأحباب والإخوان، الذين سارعوا إلى قصبة السبق في الفضل بين الأقران، فتخلى عن الرذائل، وتحلى بأحسن الشمائل، غير أنه خفيف الروح، لا يستثقله مجالسه، ولا تزال تحمد مجالسه، بما أوتيه من الإنبساط، وشرح الصدر في كل بساط، وله عقل رجيح في استنباط النكت الرقيقة، فيما يخوض فيه من العلوم.

وكان له ولوع بعلم الحساب، وما هو من قبيله من علم السيمياء مثل الأوفاق، ولكن أعرض عن ذلك، لما لم يجد من يسلك به في هذا الفن على أقوم المسالك، بعدما تحقق أن ذلك لا يقف له

(1) نضدت : ضم بعضها إلى بعض
(2) دون مرا : دون شك أو ريب

الشخص بنفسه على حقيقة، ما لم يجد من يأخذ له باليد، وهذا الفن لا أرى متعاطيه في هذه الأزمنة إلا من الخائضين في بحر لا يقفون له على طرف.

والغالب منهم يؤديهم إلى التلف، لكون أبوابه مغلقة، ولا تفتح لمن يقف مع حظوظه ما دامت نفسه بها معلقة، وقد نبه على ذلك سيدنا رضي الله عنه وعنا به، بما لا مزيد عليه، في جوابه لمن سأله عن خواص الدائرة الشاذلية، فليراجع ذلك من أراده في جواهر المعاني[1]، والله الموفق.

وقد كنت كلفت صاحب الترجمة بأن ينقل لنا ما هو منقوش على باب الزاوية المنورة التجانية بمكناس، وما هو على سقايتها المبهجة. فمنعه من امتثال الأمر ما هو مكلف به من قضاء بعض المطالب التي هي أهم من ذلك، حتى سافرنا عن مكناسة،

ولما رجع سيدنا النقيب من موادعتنا كلف حبنا، وخلاصة ودنا، الفقيه العلامة، الذي لا يحتاج إلى التمييز بعلامة، سيدي محمد الغالي السنتيسي، أطال الله بقاءه، وأدام في المعارف الأحمدية الختمية ارتقاءه، فجاء بما هو مذكور في هذا المحل، فمما هو منقوش على خذي الباب :

بَـابُ الـسَّعَادَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالـظَّفَرِ * لِدَاخِلِيـهِ جَمِيـعُ الـسُّولِ وَالـوَطَرِ
وَحَاجُ[2] مَنْ حَجَّ ذَا المَقَامِ قَدْ قُضِيَتْ * وَصُـبَّ فِيـهِ عَـلَيْهِ الـخَيْرُ كَـالمَطَرِ

ومما هو بداخل محرابها : (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا، وكفلها زكرياء، كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا، قال يا مريم أنى لك هذا، قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)[3].

إلى غير ذلك من الأفاضل الذين اجتمعنا بهم في هذه المدينة المنورة، ممن ارتدى برداء الوقار والسكينة، واقتصرنا على تراجم هؤلاء السادة الجلة، حتى لا يفوتنا ذكر مثلهم في هذه الرحلة، وإن كان ذكر من تلاقينا معهم لا أحصي لهم عدا، وتتبع أسمائهم يحتاج إلى تأليف مجدد لذكر الأسماء،

---

(1) انظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة ج 2 ص 187.

(2) حاج : جمع حاجة وهي ما يحتاج إليه

(3) سورة آل عمران، الآية 38

زاد الله في امتثال ساداتنا الإخوان، ورفع بمنه للجميع القدر والشان، وبارك في هؤلاء الأفاضل الأعيان.

السفر من مكناس إلى زرهون[1]

وفي الساعة العاشرة من نهار يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة، سافرنا عن الحضرة المكناسية، بعد أن استودعنا جميع الأحبة، والكل يود إقامتنا عندهم مدة، تنفي عنهم بها كل كربة، لما لهم من المحبة الصادقة، في هذا الجناب الأحمدي، مع المودة التامة ظاهرا وباطنا في المقام المحمدي، جزاهم الله عن أنفسهم خير جزاء،

وكان خروجنا من باب تيزيمي، وذهبنا مع سور البلد حتى وصلنا لباب البراذعيين، وهو الباب الذي يخرج منه قاصدو زرهون، إلا أننا لما كانت القافلة كبرى، والباب بعيد عن محل النزول حتى ليشق في وسط البلد عدلنا عنه إلى هذا الباب القريب، مع فراغ المحجة في الطريق التي سلكناها.

وقد رافقنا إلى حضرة زرهون حضرة النقيب الأسعد، مولانا عبد الرحمان بن زيدان، بعدما كتب لخليفته الشريف المنيف، مولاي العربي بن هاشم العلوي، وأعلمه بتوجهه لطرفهم، فأعد له محل النزول هناك، وقد طاب مسيرنا صحبة هذا النقيب الحبيب، الذي لاحظنا بعين الإعتبار منذ عرفناه :

فَـلِـلَّـهِ مِـــنْ مَـوْلَـى شَـرِيـفٍ بِـوِدِّهِ * وَإِخْلَاصِهِ فِي الودِّ صِرْتُ لَهُ عَبْدَا
وَأَعْـجِـزُ عَـنْ شُـكْرِي لَـهُ وَهْـوَ دَائِـمًا * يَزِيدُ بِفَضْلٍ مِنْهُ لِي فِي الوَرَى الوِدَّا

وقد تقدمنا أمام سيدنا محمود، وسرنا على طريق، تنخفض مرة وتعلو أخرى، ومنذ شروعنا في المسير، وجبل زرهون قبالتنا، وقد اصطفت أمامنا مداشره عن اليمين، فأخيرها المدشر المعروف، بالهاروشي، ثم موساوة، وبينهما آثار بناءات عجيبة من بناء الأقدمين، يقال له : قصر النصراني، وبه عيون ماء جارية، وذخائر سامية، ثم المغاصيين، ثم حمراوة، ثم بنو وراد، وبه ضريح الولي

---

(1) زرهون : جبل يقع إلى الشمال من بسيط سايس الممتد بين فاس ومكناس، وهو جيد التربة، كثير الأشجار، عديد القرى، من أشهر قراه ضريح المولى إدريس بن عبد الله الكامل مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب، وعلى مقربة منه أطلال المدينة الرومانية المسماة بوليلي، ولهذا الجبل قدسية كبيرة في نفوس سكان بلاد المغرب، وله ذكر طويل يذكر في تاريخ انتشار الإسلام والعربية بهذه البلاد.

الصالح سيدي أحمد الدغوغي[1]، ثم القليعة، ثم ابن راشد، وبه ضريح الولي الصالح سيدي علي بن حمدوش[2]، ثم ابن جناد، وكل هذه المداشر يسكنها الإخوان، وجلهم جاء لملاقاتنا، وتعرضوا لنا بالطريق مع غيرهم.

وقد تذاكرنا في مسيرتنا مع سيادة النقيب مذاكرات أذهبت عنا وعثاء السفر، ولم نحس فيه بأدنى ضرر، ولله الحمد، وكانت المذاكرة متنوعة إلى أن صرنا مسامتين لمدشر ابن راشد، وبه ضريح الولي المذكور الذي تشد الطوائف الحمدوشية لزيارته من أقصى البلاد، ويقصدونه بالعادة على ما هو لديهم معتاد، فيحضرونه في العيد النبوي، ويحتفلون له احتفالا على حسب أحوالهم، كما تحتفل الطوائف الدغوغية لهذا العيد في ضريح الولي سيدي أحمد الدغوغي المذكور،

وهؤلاء لهم أحوال عجيبة تعتريهم عند الحضرات التي يقومون لها بضرب تعاريجهم، وتهييجهم بسماع غيطاتها المحركة لهم، فيضربون رؤوسهم بالحجارات العظيمة، ويشقونها بالشواقير الماضية، حتى أن منهم من يموت من شق رأسه في ذلك الموسم، بل منهم من يفعل ذلك قبل الوصول إليه.

---

(1) أحمد الدغوغي الزرهوني، صوفي، من تلامذة الشيخ سيدي علي بن حمدوش، بلغ في حضرته مستوى قصيا، أدى به وبأتباعه إلى استعمال الأدوات الحديدية الحادة في شدخ الرؤوس وإسالة الدماء، وهي سلوكات لم يكن معمولا بها لدى الفرقة الحمدوشية من قبل،

ويذكر العلامة عبد الرحمان بن زيدان حول هذا الموضوع في كتابه إتحاف اعلام الناس 5 : 460 قال : إن أحمد الدغوغي كان من العوام الصرف، ولم يحضر وفاة شيخه[علي بن حمدوش] فلما آب من سفره وعلم بوفاته، صار يضرب رأسه مع الجدران وبالأحجار آسفا على فقد شيخه، وتحسرا على عدم حضوره لوفاته، واغتنامه صالح دعواته، فاتخذ الأخلاط من أصحابه ذلك عادة .إهـ ..

توفي بزرهون آواخر عصر السلطان المولى إسماعيل، ودفن ببني وراد على بعد خمس كيلومترات من ضريح شيخه سيدي علي بن حمدوش، انظر ترجمته في سلوك الطريق الوارية، في التلميذ والشيخ والزاوية، للمنالي [مخطوط] معلمة المغرب 12 : 4045 ـ 4046

(2) أبو البركات سيدي علي بن محمد المدعو حمدوش بن عمران الشريف العلمي العروسي، أحد كبار مشايخ أهل الجذب بالمغرب، أخذ عن الولي الصالح سيدي محمد الملقب بالحفيان، عن والده الولي الشهير سيدي محمد [فتحا] المدعو بأبي عبيد الشرقي دفين أبي الجعد، وله تلامذة كثيرون من أشهرهم البركة سيدي محمد بن يوسف الحمدوشي، والولي الصالح مولاي أحمد الدغوغي، وأبو علي الحسن بن مبارك، وسيدي قاسم أوقار، وغيرهم. وتوفي رحمه الله ببني راشد من بجبل زرهون عام 1135هـ، أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان 5 : 459-475، سلوة الأنفاس، لابن جعفر الكتاني 1 : 354.

وهذه الطوائف مشهورة عندنا بالمغرب، وتمر بزقاق فاس كل سنة مثل الطوائف العيساوية، إلا أنهم لا يقيمون الحضرات، ولا يقومون بها إلا بعد عودتهم من زيارة هذين الوليين، فيستعد أهل فاس للفرجة عليهم في الدخول وفي الخروج، فإنهم يخرجون من فاس بأعلامهم منشورة من غير شطح، بخلاف الطوائف العيساوية، فإنهم في الخروج والدخول يشطحون، لكن لخروجهم احتفال تام، يتفرج عليهم أهل الحاضرة،

ويا للأسف على عقول هؤلاء القوم يتجننون بلا جنون، ويظهرون التصلح، وهم الجاهلون، حاشا ومعاذ الله أن يكون هؤلاء الشيوخ الكمل الذين ينسبون لهم يفعلون شيئا من هذا الحمق الكبير، اللهم إلا إذا كان يحصل لهم حال، فصاحب الحال يسلم له حاله، ولكن هؤلاء الأصحاب بينهم وبين الحال ما بين السماء والتراب.

وقد رأينا في هذه الطريق رسوم أماكن الأقدمين، خصوصا ما هو ملقى على الطريق من الحجر المنجور بحجر عرقبة العربي المعروفة هناك، وما اطلع أحد على حقيقة ذلك الحجر، إلا أن الذي تفرست فيها أنها مقابر لمن مضى من الأمم التي كانت هناك ساكنة، لأنها على هيئة المقابر التي نراها للأجانب والرؤساء الكبار، وبعد هذه المقبرة أطلال القصور التي كانت هناك مشيدة، ولا زال هناك قرب زرهون مسامتا له عن يسار القادم له من مكناس أطلال القصر المعروف بقصر فرعون[1]، وبعضهم يقول : إنه قصر النعمان،

وفي طريق مكناسة لزرهون وادي بوروح، ثم وادي الشجر، ثم عين بو عسل، ثم عين جمجمة، وكلها جارية بمياه عذبة، متسعة الجوانب، إلا أن الماء الجاري بعين بو عسل أقل من غيرها، وعند انعطافنا عن يمين الطريق ظهرت لنا هذه المدينة التي ملأت الفضاء أنوارا، حتى سمي الجبل الذي هي منعطفة عليه بجبل النور، وحق له بهذه التسمية، فقد حل فيه ضريح فاتح المغرب المولى

---

(1) وليلي : مدينة أثرية، كانت معروفة قبل مجيء الرومان إلى المغرب، وكانت من عواصم الملك جوبا الثاني وبطليموس، ثم أصبحت بعد الفتح الروماني للمغرب مقرا للولاة الرومانيين بموريتانيا الطنجية، وكان يقيم بها الحاكم الروماني للإقليم، ثم بدأ شأنها يضعف في نهاية القرن الثالث الميلادي بعد وفاة الإمبراطور بروبوس، لكنها لم تخلى نهائيا، بل ظلت مسكونة من طرف البربر إلى نهاية القرن الثامن الميلادي، وعرفت في هذه الفترة باسم وليلي. وتقع هذه المدينة الأثرية على بعد 28 كيلومتر من شمالي مدينة مكناس، على هضبة يبلغ علوها 400 متر،وتبلغ مساحة هذه المدينة 40 هكتارا، وقد أزاح الأسارى الألمان خلال الحرب العالمية الأولى الأنقاض عن 15 هكتارا من مساحتها الكلية، ويبلغ طول سورها الذي كان يحيط بها 2350 مترا، يتخلله نحو 40 برجا، وتعتبر مدينة وليلي من أهم المشاهد الأثرية بالمغرب.

إدريس، سلطان المغرب المشهور فضله عن التنويه بمقداره، بظهور أسراره وأنواره، حتى شهد له بذلك الخاص والعام :

وَمَــنْ لِـي بِــأَنْ أُحْـصِـي مَنَـاقِبَهُ الَّـتِي * قَد انْتَشَرَتْ فِي الخَلْقِ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَا
وَلِـــيٌّ إِذَا مَـــا عُـــدَّتِ الأَوْلِـيَــاءُ لَا * تَــرَى أَحَـــدًا مِـنْـهُـمْ عَـلَـيْـهِ مُـقَـدَّمَا

وناهيك بهذا الولي الذي هو الترياق المجرب في المهمات، وحل في ميزانه مثل ثواب جميع من سكن المغرب طول الأوقات.

ذكر وصف بلدة زرهون وبعض عوائد أهلها

وصفة هذه البلدة الشريفة، أنها منشرحة لصدر كل من دخلها، وقد شاهدنا ذلك الإنشراح وشعرنا به في خاصة أنفسنا، ويجد ذلك كل من صدره مطمئن بالإيمان، ولا يقدر على الإقامة بها من قلبه مظلم بظلمة الشرك والعدوان، فلم يسكن بها قط يهودي ولا نصراني، مع انتشار سكانهم في جميع الآفاق.

وقد ذكروا لنا أن الحاكم الفرنسي الواصل مع المحلة المنجدة لأهل فاس لما دخل زرهون سألهم عن أولاد جويف[1] هل يدخلون لهذه البلدة ؟ فقالوا له : لا يسكنون بها ولا تقبلهم لاحترام هذه البقعة، نعم ربما تحرم بدخول المحلة، فقال لهم : لا تزال إلا على احترامها، فلا يدخل أحد منهم عليكم، وقد أجاد هذا الحاكم السياسي الخطير فيما فعله، إن صح هذا الأمر، حتى لا تقوم الغيرة الحامية لجناب هذا الحرم الذي تهرف النفوس هذرا في احترامه، وتشتعل نيران الفتنة بانتهاكه.

وقد سكن بذلك القول الذي خاطبهم به روعهم، لكونه هو الذي ينبغي في حقهم، الموافق لطبعهم، ويعتقدون أنه هو الذي جاء به شرعهم، وبمثل هذا من تعظيم حرمات المقامات الشريفة، وعدم انتهاك حرمتها تسكن الفتن، وتطمئن صدور أهل هذه النواحي المغربية طول الزمن، فإن جلهم يسمح في نفسه وماله وأهله لمن يريدها، إلا أن يحوم حول انتهاك الحرمات، من مساجد ومقامات، وينفرون النفور التام ممن يسمعون عنه تداخله في الأمور الدينية من أهل الديانات. وهذا التعصب

(1) أولاد جويف : يعني اليهود

الديني يساس أهله في استيمال قلوبهم بمعاملتهم بتعظيم هذه الأمور ونحوها مما يعتقدونه في ديانتهم.

وهذا الأمر سار في القطر المغربي كله، حتى أن من رام الخوض في شيء يخالف رأيهم في بعض الأمور التي يعتقدون فيها ما يعتقدونه من التبرك بها، والتصميم على صحة الكرامات المنسوبة للأولياء ذوي المقامات ينسبونه للإعتزال، ويقام عليه بالنكير ورميه بالضلال. ولا فرق في هذا بين العلماء والجهال، إلا أن الجهال فرطوا وأفرطوا، وعلماؤهم توسطوا بما هم متمسكون به من العلم الذي لم تدخله علوم الفلسفة الجديدة، وهي مما يقلب الأطوار الإعتقادية، إلى أطوار انتقادية، كما شاهدناه فيمن خالط أهلها بدون تلقيها في المدارس عن أربابها، فضلا عن أهلها المشتغلين بها، ويجعلونها من العلوم العصرية.

فإذا سمع الناس العلوم العصرية تبادر لأفهامهم أنها كلها هي العلوم التي يترقى الخائض فيها إلى محل يترك فيه التدين، ويفهم جلهم أن هذا هو معنى التمدن، فينفرون منه غاية النفور، وإذا تحققوا بأنه لا تداخل لأحد في ديانتهم، مع تعظيمهم لحرماتهم، ومعاملتهم بالرفق واللين انقادوا إليه انقيادهم على منهج الدين. وموضع هذه المدينة بين جبلين : جبل قربوس، وبه باب الفرجات، يقصده أهل البلدة عند الملمات.

ومن جملة حومات هذه البلدة جبل خيبر[1]، وفي قبلة المدينة الجبل المسمى : "تومرات" وبأسفله عين وليلي المشهورة، والكل مغروس بشجر الزيتون، وهي غابات ملتفة متضايقة على قدر مد البصر من جميع الجهات، وعن يمين القنطرة التي منها يدخل لزرهون عين ماء يسقى بها تلك الجنات التي عن يمينها، يقال لها : "عين مولاي إدريس" وتعرف بعين القصر[2]، قيل : إن بها قد سم، وهناك غرسة يقال لها : غرسة القوس، بها قوس تحته ذخائر لها بال من دفائن الأقدمين.

ومن عوائد هذه البلدة أن سوقهم الذي يعمر بأهل البادية والحضر لا يكون إلا في يوم السبت، ومن العوائد الجارية إذا قرب دخول وقت الصلاة ينادي شخص في الأسواق والطرق بقوله : الصلاة يرحمكم الله يا عباد الله، ويمر ذاهبا من سوق إلى سوق، وحوانيت أسواقهم مصطفة عن اليمين وعن اليسار من الباب إلى باب الضريح الإدريسي.

---

(1) تطلق حومة خيبر اليوم فقط على الجهة الشرقية العليا لمدينة زرهون، وهي المواجهة للداخل من باب الحجر أحد أبواب المدينة المذكورة.

(2) قيل أن هذه العين نبعت مباشرة بعد ركز مولانا إدريس الأول لرمحه في مكانها، ولهذا سميت باسمه.

ومن العجب أنه لا يباع بها الحليب ولا اللبن، وبيعه عار لديهم، وكذلك الدقيق لا يباع بها، وإنما يطحن كل واحد منهم لنفسه، ومن انقضى له الدقيق استسلفه من جيرانه حتى يرده لهم بعد الطحن، ولا يوجد في هذه البلدة مكس لا في سوقها ولا في أبوابها.

وكان وصولنا لهذه المدينة في الساعة الثانية بعد الزوال من هذا اليوم، وخرج لملاقاة سيدنا محمود الجم الغفير الذي لم نحصيه عدا من أهل البلد، وغيرهم مما قرب من ناحيتها. وقبل دخولنا عندما تبدت لنا المدينة ذكرت لسيدنا النقيب أنه كان يوصي بعض أكابر العلماء أعز أولاده إليه : أنه إذا قدم على بلدة وتبدت له عن بعد أن يؤذن في سره، ثم يقول :

السلام عليكم يا أولياء هذه البلدة الأحياء والأموات، جبهتي تحت أقدامكم، وإني في ضيافتكم وضيافة مولانا رسول الله، وضيافة خليفته القطب التجاني، حتى أظفر ببلوغ الأماني، وأستودع الله نفسي ومالي إلى أن أرجع بسلام، فإن من فعل ذلك يلحظ بالقبول بين أهلها، ولا يخشى من سوء يمسه، وينال ما يريده، فقال لي سيدنا الشريف المذكور :

قد أفادني العلامة الفاضل سيدي محمد الفاطمي الشرادي[1] حين تبدت لنا زرهون في مرافقته، أنه

---

(1) الفقيه العلامة سيدي محمد الفاطمي بن الشرادي، ولد بمدينة فاس عام 1285 هـ، و بها أخذ العلم عن جملة من علمائها. من بينهم قاسم الرايس.، و محمد بن العربي الصقلي، و محمد بن التهامي الوزاني، ومحمد بن محمد بن عبد السلام كنون، و أحمد بن الخياط، ومحمد بن قاسم القادري، ومحمد بن جعفر الكتاني، و غيرهم، و كانت له بالعلامة سكيرج محبة عميقة، وروابط أخوية عريقة، وقد وقفت على عدة قصائد للعلامة سكيرج في مدح صاحبه المذكور، منها قصيدة نونية قال في مطلعها :

هلا مررت على أبي غزوان * فهناك تلفي مرتع الغزلان

و مدحه كذلك بنونية أخرى قال في مطلعها:

ماذا ترى في عاشق ولهان * حكم القضاء عليه بالهجران

و مدحه كذلك بقصيدة فائية جميلة قال في مطلعها:

رعى الله دهرا كان بالوصل مسعفي * وأسعدني بالقرب دون تكلف

ومدحه كذلك بدالية من بحر البسيط قال في مطلعها :

إني لراض بما أحبتي فعلوا * ولا أبالي بمن في حبهم عذلوا

ومدحه كذلك بقافية من بحر الطويل قال في مطلعها:

خليلي حبلي في هواك وثيق * وعقلي ببحر الفكر فيك غريق

و من تآليفه: النسيم الصيفي و الروح اليوسفي، وهو حول رحلته للأعتاب الشريفة بمراكش. حيث عين قاضيا بمدينة تارودانت، ذكر فيه ما رآه وشاهده. و من اجتمع به أيام خطته ذهابا و إيابا، و منها حاشية على الشيخ التاودي على التحفة، و منها شرح لألفية ابن مالك، وتأليف في الذكاة، وغيرها. و هو رحمه الله من المقدمين لتلقين أوراد الطريقة التجانية، و سنده فيها عن العلامة سيدي الحاج محمد فتحا كنون، وكذلك البركة سيدي محمد بن العربي العلوي الزرهوني، و له سند آخر عن العلامة القاضي سيدي حميد بناني. توفي رحمه الله يوم الأربعاء 19 صفر الخير عام 1344 هـ و دفن مع شيخه سيدي أحمد بن الخياط في زاوية سيدي يحيى بالرميلة بفاس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها:

أفي كل يوم تعتريك نوائب * وأنت بها عما بك غائب

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 32. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه(مخطوط خاص). رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للمؤلف نفسه 122. النتائج اليومية في السوانح الفكرية، للمؤلف نفسه . رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 35. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 188_189. إتحاف المطالع، لابن سودة . سل النصال، للمؤلف نفسه . معلمة المغرب 16: 5324.موسوعة أعلام المغرب 8: 2947. زهر الآس في بيوتات أهل فاس 1: 540.

ينبغي لقادم على بلدة أن يقول إذا رآها عن بعد : "اللهم إني أسألك خير هذه البلدة وخير أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها"، فإنه يأمن من جميع المكروهات حتى يرجع بسلامة. وقد استحسنت هذه الفائدة عما قبلها، وهي التي ينبغي للمريد أن يفعلها، لأنها خالية عما يستنشق منه رائحة الميل للزيارة الممنوعة في الطريق، لأن ذلك فيه نوع ما من التعلق والإستمداد لمن لا يعرف كيفية التوجه بذلك.

ولما تلاقى الأحباب والإخوان مع سيدنا محمود كادوا أن يقتتلوا عليه، من شدة الزحام عليه، وقد كابد الصبر الجميل في مساعدتهم على زيارته، إلى أن ضاق صدره، فلم ينفع من ذلك الإزدحام إلا الإسراع بالذهاب لمحل النزول، فسرنا مسرعين ندافع بذلك عنه الوافدين عليه، حتى دخلنا من باب الحجر، وهو باب متقن البناء بالحجر المنجور، وفي وسط دائرة قوسه منقوش : "بركة محمد" على كتابة خصوصية، لها خاصية في حفظ المحل الذي تكون فيه، لما في هذا الإسم الشريف من البركة التامة.

وقد نزل سيدنا محمود مع أهله بدار الشريف مولاي أحمد بن علي العلوي بحومة المريح، ونزل الأصحاب بمصرية الشريف مولاي الكامل الأمراني[1]، ونزلنا في مصرية سيدنا النقيب معه بدرب أمجوط، وهو قريب من محل نزول سيدنا محمود، وكان أول دخولنا معه لدار المقدم البركة الجليل الشريف سيدي محمد بن العربي العلوي[2]، ومنها خرج سيدنا محمود لمحل نزوله، فبتنا أحسن مبيت.

[illegible][3] [illegible]

---

(1) الكامل بن عبد الله بن الطاهر العلوي الأمراني، فقيه، حافظ، متضلع في فنون مختلفة، أخذ عن جماعة من جهابذة العلماء، منهم العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، والعلامة الفقيه سيدي الحاج محمد بن المدني كنون، والفقيه أبو المواهب عبد الكبير بن المجذوب الفاسي، وغيرهم.

توفي رحمه الله عند غروب يوم السبت 20 جمادى الأولى عام 1321هـ، وصلي عليه بالضريح الإدريسي، ودفن برياض جوار محل سكناهم من حومة السياج قرب الزاوية الناصرية بفاس، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس ج 3 ص 119-125.

(2) انظر التعريف به في ص

(3) قصر فرعون : المراد به أطلال وليلي، وهو الإسم الذي كان المغاربة يطلقونه عليها قديما

وفي الساعة الثانية عشرة من يوم الإثنين ركبنا مصاحبين للشريف النقيب، وخرجنا لرؤية القصر المعروف هناك بقصر فرعون، وبينه وبين المدينة نحو الساعة ونصف، فذهبنا قاصدين إليه، وقد امتدت الأشجار من أول المدينة من الأسفل، والزيتون من أعلى الجبل إلى أن قرب من القصر، وعن يسارنا كذلك، ومع طرف الطريق واد يعرف بعين شانش.

وقد وصلنا إلى القصر المذكور، فرأينا من آثار الأقدمين ما أبهر عقلنا من الحجر المنجور، والقطع الملقاة على الأرض يتحير الناظر إليها، ما بين سواري من الحجر أطرافا وقيعان، وامتد ذلك مع الجبل. فأما القصر فقد انهدمت أركانه، ولم يبق منه إلا ثلاثة أسوار، فيها بابان، والأسوار إنما هي قطع من الحجر، غلظ الحجرة على الوسط ذراع.

وقد حسبت الحجر فوجدت ارتفاع ذلك سبعة عشر، فإحدى وعشرين، فخمسة عشر. وعلى الثالث برشلة من الحجر المنقوش، وقد تفرعت تلك الحجارة بتلك البقعة. ووجدت هناك حجارات منقوشة، وبعضها مكتوب عليه بالقلم الإفرنجي المنقوش فيه، منها لوحة نحو الثلاثة أذرع في غلظ شبرين مكتوبة،

وقد كان أحد الفرنسيين أيام المولى الحسن رام نشرها ليأخذ اللوحة ويترك غليظها، إلا أنه لم يتيسر له عمله لمانع طرأ. وقد ذكر لي الرفيق الأسعد سيدي الحاج محمد أن هذه الحجارة في بلاد الأجانب تباع بثمن له بال إذا عثروا عليها هناك، بنحو خمسين ألف فرنك. وقد أخبرنا أهل البلد أن هذا القصر لا يرى منه إلا الأعلى، وأما أسفله فإنه مغطى بالتراب والحجارة، وقد أوقفونا على درج مغطاة بالتراب هناك. ويوجد هناك من الذخائر أمور عجيبة لها بال.

وحكى بعض من كان معنا أنه قد عثروا على محل صندوق أخذه من عثر عليه. وقد حدثنا البركة الأشيب الشريف مولاي علي بن الحاج محمد بن المامون الإسماعيلي: أن الفرنسي الذي كان أيام المولى الحسن قد وجد بالحمام الذي هناك خاتما من ذهب، فصها نحو بيضة الحمام، إلا أنه لطول الأيام قد فسدت، ومبخرة من ذهب، وثلاث خوابي، إحداها نصفها كبير ونصفها بلور، معمرة بالببوش، ووجد صندوقا من حجر به غبرة، لونها لون الرملة، وبمجرد عثوره على هذا الصندوق رفعه وسافر به. وكم من آثار تحت تلك القصور التي لم يبق لها إلا الأطلال.

ثم نزلنا إلى طرف الوادي المسمى: خومان، حذاء مشرع قصر فرعون. وبجوار هذا المشرع حمام بقي طرف من سقفه المقوس عليه، إلا أنه لا يشبه بناء القصر إلا من الحجارة التي قوس عليها

قوسه. وبجواره في مسند الطريق كهف مفتوح مقوس عليه، قيل: إنه هو الوادي الخارج من تحت القصر المذكور،

وقد قيل لنا بأن تلك الحجارة محل نقلها من المحل المعروف بعين وليلي. ثم إننا رجعنا بعد نظر تلك الآثار الغريبة التي تدل على قوة مهارة الماضين، وحكمتهم الماضية، فكان في الرجوع عن يسارنا جبل القربوس، وبه كهف الحمام. ذكر لنا من دخله أنه عميق، وبه معدن يلمع ترابه في الظلام، وبداخله عين تقطر من جنبه، وبجنبه أيضا كهف يقال له: كيفان الغنم، وكلاهما يواجهان المدينة،

وفوق هذه الكيفان عين يقال لها: عوينة المنصور، وعلى الجبل بعدها خلوة يقال: إنها محل المولى إدريس، تسمى باب الفرجات. يحكى أنه جلس هناك يسأل الله الفرج مما حل به ورآه، فأجاب الله دعاءه. وفي ذهابنا ورجوعنا كنا في انبساط مع الرفيق الأسعد سيدي الحاج محمد دادي، فأنشدنا من حفظه في تفريج ما امتحننته به المقادير في فراق أمته زهوة[1]، التي كانت أنيسته في الخلوة

---

(1) زهوة : أمة لسيدي محمد دادي، كانت وقتئذ في السابعة عشر من عمرها، وقد وهبها الله جمالا فتانا، مع اعتدال القامة، ووسامة وبهاء، وحسن فائق النظير، لا يستطيع أحد أن يراها إلا افتتن بها وأطرق بعينيه إلى الأرض خجلا وحياء.

وكان مالكها المذكور قد أقدم على شرائها بإحدى أسواق النخاسة بمدينة فاس، وذلك بدافع أن يتسرى بها لدى وصوله لمدينة الرباط، غير أن الرياح تجري بما لا تشتهيه السفن، حيث أبى الشريف سيدي محمود التجاني حسب هذا التأليف [غاية المقصود] إلا أن يعطي أوامره بإبعاد هذه الأمة خارج موكب الرحلة وإعادتها للمكان الذي اشتريت منه، وهو سوق النخاسة بفاس.

وقد وقفت على وثيقة قديمة للعلامة سكيرج ذكر فيها أن هذه الأمة [زهوة] تمت إعادة النظر في شأنها من طرف الشريف سيدي محمود، بعدما اطلع على تفاصيل قصتها، بما فيه أنها من جهة صفرو [70 كلم جنوب مدينة فاس] وأن جماعة من اللصوص اختطفوها مع بعض أخواتها من منزل والديها بالجهة المذكورة، وأنه تم بعد ذلك بيعها بسوق للنخاسة بمدينة فاس.

فأشفق الشريف سيدي محمود لحالها غاية الإشفاق، فاشتراها وأعتقها وتبناها، لكنه لم يسمح لها بمتابعة الرحلة معه صوب الأقاليم الجنوبية من المغرب، بل دفعها لبعض أحبابه بمدينة فاس [لا داعي لذكر اسمه] وعقد له عليها، وتزوجها في السنة ذاتها، وأنجبت له ستة أبناء.

وذكر العلامة سكيرج في الوثيقة نفسها أنه التقى بهذه السيدة بعدما يقارب الثلاثين سنة من هذا التاريخ، وهي إذ ذاك في الخمسين أو ما يناهز الخمسين من عمرها، وذكر أنه استحيا من النظر إليها اعتبارا لما هي عليه من حسن فائق رغم تقادم سنها.

والجلوة، قول القائل :

إنَّ أَلْطَافَ إِلَاهِي * لَمْ تَدَعْ فِي الكَوْنِ ضَنْكَا[1]
مَا رُمْتُ أَخْتَارُ جَهْلًا * إِلَّا قَالَتْ خَلِّ عَنْكَا
لَا تُدَبِّرْ لَكَ أَمْرَا * إِنَّمَا التَّدْبِيرُ هَلْكَى
دَبِّرَنْ أَلَّا تُدَبِّرْ * إِنَّمَا التَّدْبِيرُ ضلكا
سَلِّمِ الأَمْرَ تَجِدْنَا * نَحْنُ أَوْلَى بِكَ مِنْكَا

ومما أنشده لنا من حفظه لبعضهم :

وَلِي فَرَسٌ فِي الخَيْرِ لِلخَيْرِ مُلْجَمٌ * وَلِي فَرَسٌ فِي الشَّرِّ بِالشَّرِّ مُسْرَجُ
وَمَنْ رَامَ تَقْوِيمِي فَإِنِّي مُقَوَّمٌ * وَمَنْ رَامَ تَعْوِيجِي فَإِنِّي مُعَوَّجُ

وأنشدهما الشريف النقيب لنا هكذا :

وَلِي فَرَسٌ فِي الخَيْرِ لِلخَيْرِ مُسْرَجُ * وَلِي فَرَسٌ فِي الشَّرِّ لِلشَّرِّ مُلْجَمُ
فَمَنْ رَامَ تَعْوِيجِي فَإِنِّي مُعَوَّجُ * وَمَنْ رَامَ تَقْوِيمِي فَإِنِّي مُقَوَّمُ
وَإِنَّ لِسَانِي شَهْدَةٌ يُشْتَفَى بِهَا * وَهُوَ عَلَى مَنْ صَبَّهُ اللَّهُ عَلْقَمُ

وقد أنشدنا الرفيق المذكور هذه الأبيات، فيمن تصدر من الجهال على غيره بحب الظهور :

خَلِيلِي كَمْ ثَوْبٍ وَكَمْ مِنْ عَمَامَةٍ * عَلَى جَسَدٍ مَا فِيهِ عِلْمٌ وَلَا عَقْلُ
وَكَمْ لِحْيَةٍ طَالَتْ عَلَى ذَقْنِ جَاهِلٍ * فَمَا تَحْتَهَا إِلَّا الغَبَاوَةُ وَالجَهْلُ
وَكَمْ رَاكِبٍ بَغْلًا لَهُ عَقْلُ بَغْلِهِ * تَأَمَّلْ تَرَى بَغْلًا عَلَى ظَهْرِهِ بَغْلُ

ولما رجعنا ذهبنا مع سيدنا محمود لدار المقدم البركة سيدي محمد بن العربي العلوي بقصد

---

(1) الضنك : الضيق في كل شيء

الغداء عنده بعد العصر، وخرجنا لمحل نزولنا عند سيدنا النقيب، فذهب بنا لمحل العلامة الفاضل الشريف سيدي محمد بن أحمد العلوي[1]، ولم يقصر في الإكرام، وتذاكرنا في مسائل نفيسة، منها الجواب عن الإشكال المتقدم الحاصل من كلام ابن مالك في قوله : والعادم النظير، إلخ .. بأن الحذا مسموع وليس بقياسي، لكونه لم يدخل تحت ما هو قياسي، لأنه يعتبر في المفرد الذي يمد أو يقصر أن يكون داخلا تحت ضابط، بأن يوافق المفرد الصحيح، لا في خصوص الوزن، كما يؤخذ من الصبان[2]، وقد نكت الرضي[3] على شافية ابن الحاجب[4] في تعبيره :

---

(1) انظر التعريف به ضمن ص

(2) محمد بن علي الصبان، عالم بالعربية والأدب، له مصنفات كثيرة منها : حاشية على شرح الأشموني على الألفية لابن مالك، والكافية الشافية في علمي العروض والقافية، وأرجوزة أخرى في علم العروض كذلك، وإتحاف أهل الإسلام بما يتعلق بالمصطفى وأهل بيته الكرام، وإسعاف الراغبين في السيرة النبوية، وحاشية على شرح الرسالة العضدية، وحاشية على شرح الملوي على السلم، وحاشية على شرح العصام على السمرقندية، وحاشية على السعد، في علمي المعاني والبيان، وتقرير على مقدمة جمع الجوامع، وتأليف في علم الهيئة، وغير ذلك من المصنفات الأخرى.

وكانت وفاته بالقاهرة عام 1206هـ، انظر ترجمته في الخطط التوفيقية لمبارك ج 2 ص 84، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1194، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 297.

(3) نجم الدين محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي، من خيرة علماء اللغة توفي عام 686هـ، من مصنفاته : الوافية في شرح الكافية، لابن الحاجب، في علم النحو، في جزءين، والشافية في علم الصرف، وهي شرحه لمقدمة ابن الحاجب، انظر ترجمته في كشف الظنون لحاجي خليفة 1021 و 1370 وفي معجم المطبوعات لسركيس 940 وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 248 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 86.

(4) أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، المشهور بابن الحاجب، من أكابر علماء اللغة، ولد في أسنا من صعيد مصر عام 570هـ، وهو من أصل كردي، وله مصنفات كثيرة منها : الكافية، في علم النحو، والشافية، في علم الصرف، والأمالي النحوية، ومختصر الفقه، استحرجه من ستين كتابا في فقه المالكية وسماه : جامع الأمهات، ومن كتبه كذلك : منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، وغير ذلك من المصنفات الأخرى.

وكانت وفاته بالإسكندرية عام 646هـ، انظر ترجمته في غاية النهاية للجزري ج 1 ص 508، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 314، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 211، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 8 ص 62، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 270 رقم الترجمة 605، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 167 رقم الترجمة 525.

بالنظير فقال ما معناه : الحق أن يقال : ما لا ضابط له إلخ ...

وقد اتضح بهذا جواب الإشكال، ومنشؤه التعبير بالنظير في كلام الناظم التي هي مثل عبارة ابن الحاجب، والله الموفق. وقد تذاكر سيدنا النقيب مع هذا الشريف الجليل في المسألة التي تدارج الخوض فيها بين بعض علماء مصر، وخاض فيها علماء فاس، حتى أدى الحال إلى استعمال التأليف ردا وجوابا في حلية ذبائح أهل الكتاب، هل تؤكل أم لا ؟

وقد أفتى العلامة المفتي محبنا وحبيبنا الشريف أبو عيسى سيدي المهدي الوزاني[1] رعاه الله في معياره الجديد بجواز أكلها على الإطلاق، منتصرا لقول الإمام ابن العربي المعافري، وبهذا أيضا أفتى العلامة الشيخ عبده[2] المصري، وتبعه أشياعه وأنصاره بما يؤدي إلى التطويل، بما ليس عليه

---

(1) محمد المهدي بن محمد بن خضر بن قاسم العمراني الوزاني الفاسي، ولد بوزان سنة 1266هـ أما وفاته فكانت بفاس في 30 محرم الحرام عام 1342هـ - 1923م، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدتين قال في مطلع الأولى

ماذا دهاك فصرت كالولهان * مشغول بال فاقد الوجدان

وقال في مطلع المرثية الثانية :

بماذا أسلي النفس والحزن زائد * وقلبي الصبور اليوم للصبر فاقد

وله رحمه الله عدة تصانيف علمية منها : المعيار الجديد وحاشية على شرح ميارة للدر الثمين، والمنح السامية في النوازل الفقهية، والكواكب النيارة، ورسالة في الرد على محمد عبده في مسألة التسول، وحاشية على شرح المكودي للألفية، وحاشية على شرح التاودي للامية الزقاق، وغيرهم، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 43 وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 114 وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 2 ص 48. وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 379 رقم الترجمة 824، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 1113 رقم الترجمة 626، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 435 رقم الترجمة 1715،

(2) محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني، ومن دعاة الإصلاح، ولد في شنزا من قرى الغربية بمصر عام 1266هـ، ودرس بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وخلال مقامه بباريس أصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى، ولما عاد لمصر تولى منصب القضاء، ثم عين بعده مستشارا في محكمة الإستئناف، ثم مفتيا للديار المصرية إلى أن توفي بالإسكندرية عام 1323هـ، ودفن بالقاهرة.

وله مصنفات منها : تفسير القرآن الكريم، لم يكمله، ورسالة الواردات، والرد على هانوتو، ورسالة التوحيد، وحاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية، وشرح مقامات بديع زمان الهمداني، وشرح نهج البلاغة، والإسلام والرد على منتقديه، وغير ذلك من الكتب الأخرى.

انظر ترجمته في الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 232 رقم الترجمة 548، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1677، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 252.

تعويل، فانفصلا على أن تحقيق المسألة هو التفصيل، فما وافق ذكاتنا من ذبائحهم فهو مباح، وما لا فلا، أما قوله تعالى : "اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب"[1] الآية. فقد خرج مما أباحه الله للناس من طعامهم مما حرمه بنص : "حرمت عليكم الميتة"[2] والقاعدة أن الخاص يقيد به العام، والمطلق يحمل على المقيد، وآية : وطعام، عام يقيد بالآية الأخرى.

أقول : وهذا هو الحق في المسألة إن شاء الله. وقد وقفنا على تأليف لطيف جامع لفتوى الشيخ عبده مع الرد عليها لبعض أكابر علماء مصر سماه : "التعاديل الإسلامية في تخطئة حزب الفتاوى الترنسفالية" وأجاد فيه للغاية.

كما وقفت على تأليف شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس في رد الفتوى المذكورة في المعيار الجديد. وسماه : "الرد الوفي الوافر، على من أباح منخنقة الكتابي الكافر" وقد ضمن ما اشتمل عليه أمنه الله في قصيدة عينية أذكرها هنا إتماما لمن يحب تحقيق هذه المسألة، ونصها :

الـحَمْدُ لِـلَّـهِ حَـمْدًا دَامَ وَاتَّـسَـعَا * عَـلَـى تَـمَـامِ أَيَـادِيـهِ بِـمَـا شَـرَعَا
ثُـمَّ الصَّـلَاةُ عَـلَى الهَـادِي وَشِيعَتِهِ * وَمَــنْ لِـنَـهْـجِ هُـدَاهُ انْـقَـادَ وَاتَّـبَـعَا
وَبَعْدُ فَـالسَّبَبُ الـشَّرْعِي الـمُبِيحُ لَـنَا * لَـحْـمَ الـمُـبَـاحِ إِذَا حُـلْـقُـومُهُ قُـطِـعَا
وَتَــمَّ بِـالـوَدَجَيْنِ[3] مِــنْ مُـقَـدَّمِـهِ * وَالـنَّـحْـرُ طَـعْـنٌ بِـلَـبَّـةٍ[4] كَـذَا شُـرِعَـا
مَعَ الـشُّرُوطِ الَّـتِي فِـي كُتْبِ مَذْهَبِنَا * كَـمَـا بِـمُـخْـتَـصَرٍ أَبُـو الـضِّـيَا جَـمَـعَا
وَقَــدْ أَبَــاحَ لَـنَـا الـمَـوْلَى بِـرَحْـمَـتِهِ * ذَبْـحَ الـكِـتَابِي مَـعْـنى لَا الَّـذِي ثُـلِعَا[5]
إِذْ حَــرَّمَ الـمَـيْتَ وَالـخِـنْزِيرَ مِـثْـلَ دَمٍ * وَمُـخْـنَقٍ وَالَّـذِي بِـالوَقْدِ[6] قَـدْ صُـرِعَا[7]

---

(1) سورة المائدة، الآية 3.

(2) سورة المائدة، الآية 5.

(3) الودجين : عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا تبقى معه للذبيحة حياة

(4) اللبة : موضع القلادة من الصدر

(5) ثلع رأسه : شدخه وكسره

(6) بالوقد : أي بالنار

(7) إشارة لما جاء في الآية الكريمة : حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، والمنخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكتيم، وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام، ذلكم فسق، سورة المائدة الآية 3.

وَلَـمْ يَخُـصَّ بِـذَا التَّحْرِيمِ مُسْلِمَنَا * وَلَا الكِتَابِيَ بَـلْ تَخْصِيصُهُ ارْتَفَعَا
وَالجَاهِلِيَّةُ كَـانُـوا يَقْتُلُونَ بَـلَـى * وَيَـأْكُلُونَ فَعَنْهُ الـذِّكْرُ قَـدْ رَدَعَـا[1]
وَقَـالَ إِلَّا الَّـذِي ذَكَّيْتُمُ[2] فَـمَنِ اكْتَفَ * ـى بِـــهِ فَـبِـسَبْقٍ مُـونَـقٍ رَجَـعَـا
هَـذَا الَّـذِي دَرَجُـوا عَـلَيْهِ وَانْتَهَجُوا * وَأَيَّـــدُوهُ بِـنَـصٍّ نُــورُهُ سَـطَـعَـا
وَالصَّيْدُ قَدْ خُصَّ فِي مَشْهُورِ مَذْهَبِنَا * بِـالمُسْلِمِينَ بِبَعْضِ الوَحْشِ مَا منعَا
أَمَّـا الكِتَابِي فَلَا عَـقْرَ[3] يَـسُـوغُ لَـهُ * بِـهِ فَـأَحْرَى لِغَيْرِ الوَحْشِ أَنْ يَدَعَا[4]
فَـإِنْ يَقُـولُوا بِـأَنَّ الخَنْقَ مَـشْـرَعُهُمْ * فَـالـذِّكْرُ كَذَّبَهُمْ بِـمَا بِـهِ صَـدَعَـا
وَلِلْمُعَافِرِي[5] فَتْوَى بِالإِبَاحَةِ فِـي * خَـنْقِ الدَّجَاجَةِ مِـنْ كِتَابِيٍّ خَنَعَا
يَقُـولُ مـن دِيـنـه قَـصْدُ الذَّكَاةِ بِـهِ * فَـيُسْتَبَاحُ بِـــهِ أَكْـــلٌ لَـنَـا تـبـعَـا
يَـقُـولُ إِنْ أكـلـوا فَـقَـدْ أُبِـيحَ لَـنَـا * وَأَكْــلُ رُهْبَانِـهِمْ كَـفَـاكَ منـتـجعَـا
وَذِي دَعَـاوِي لَـهُ لَا نَـصَّ يُعْضِدُهَا[6] * أَبْـنَـاؤُهَا أَدْعِـيَـا فِـيمَا إِلَـيْهِ دَعَـا
بَـلْ أَهْـلُ دِينِـهِمْ بِـالـمَنْعِ قَدْ نَـطَقُوا * وَأَطْـبَـقُوا أَنَّ مَــنْ أَبَـاحَـهُ ابْـتَـدَعَـا
كَـــمَـا خَـلِـيـلُ أَبَـاحَـهُ وَسَـلَّـمَـهُ * بِـشَـرْحِـهِ وَكَــذَا الَّــذِي لَـهُ اتَّبَعَا[7]

---

(1) ردع : كف ومنع

(2) ذكيتم : ذبحتم

(3) العقر : النحر

(4) يشير الناظم رحمه الله على أن المنخنقة والموقودة لا تحل سواء كانت من طعام الكتابي أو المسلم، والمعروف اليوم أن غالبية أهل الكتاب لا يذبحون الذبائح بل يقتلونها بطرق جاهلية مخلتفه تنهى عليها تعاليم الدين

(5) إشارة للإمام أبي بكر بن العربي المعافري

(6) يعضدها : يدعمها

(7) ذكر عبد الباقي الزرقاني في شرحه على مختصر خليل عند قول المصنف (وذبح لنفسه) جاز لنا أكل ذبيحة ذبيحة الكتابي بثلاثة شروط :

1- ما يملكه لا ما يملكه مسلم أو مشترك بينه وبين كتابي

2- الذي يحل للكتابي بشرعنا من ذي الضلف أما الذي لا يحل له فلا

3- أن لا يذبحه لصنم.

أنظر شرح الزرقاني على مختصر خليل ج 2 ص 5.

وَالفِعْلُ مِنْهُمْ وَهَبْهُ مِنْ أَسَاقِفَةٍ * يَكُونُ فِسْقًا فَلَا يَكُونُ مُتَّبَعَا
وَمَا طَعَامُهُمُ الَّذِي الكِتَابُ أَتَى * بِحِلِّهِ غَيْرَ مَا ذَكَوْا كَمَا شُرِعَا
مَعْهَا شُرُوطٌ حَوَاهَا نَصٌّ مُخْتَصَرٍ * وَفَاقِدُ الشَّرْطِ مِنْهَا أَكْلُهُ امْتُنِعَا
عُمُومُ مَا جَاءَ فِي الكِتَابِ خَصَّصَهُ * نَهْيٌ أَتَى مُفْصِحٌ بِمَا لَهُ مَنَعَا
وَمَا أَتَانَا بِهِ الشَّرْعُ القَوِيمُ كَفَى * وَلَا الْتِفَاتٌ لِمَا أَسُّوهُ منتزَعَا
هُمْ بَدَّلُوا كُتْبَهُمْ وَغَيَّرُوا وَبَغَوْا * فَلَا وُثُوقَ بِمَا مِنْ عِلْمِهِمْ سُمِعَا
فَانْبِذْهُمُ مِنْ وَرَاءِ الظَّهْرِ وَاقْلِهِمُ * وَكُنْ لِمَأْكَلِهِمْ مُسْتَقْذِرًا[1] وَرِعَا
وَدَعْ طَرِيقَتَهُمْ وَاتْرُكْ طَرِيقَتَهُمْ * مَهْمَا وَجَدْتَ مِنَ الأَقْوَاتِ مُتَّسَعَا
وَلَا يَغُرَّنَّكَ الحَفَّارُ[2] بَلْ وَكَذَا المِعْيَـ * ـارُ أَوْ مَنْ غَدَا لِرَأْيِهِمْ تَبِعَا
يَكْفِيكَ مَا فِي حَوَاشِي جِهْبَذٍ بَطَلٍ * ذَاكَ الرُّهُونِيُّ[3] مَوْلًى سَيْفُهُ قَطَعَا
فَقَدْ تَصَدَّى لِنَقْضِ مَا بَنَوْهُ بِمَا * أَبْدَى فَلِلَّهِ دَرُّهُ بِمَا صَنَعَا
كَذَاكَ صَاحِبُ الإِخْتِصَارِ سَيِّدُنَا * جُنُّونُ[4] لَيْثٌ عَلَى مَنْ زَاغَ وَابْتَدَعَا
وَلِي اقْتِدَا بِهِمُ فِي الرَّدِّ سِيمَتُهُ الـ * ـرَّدُّ الوَفِيّ بِضُعْفِي كُنْ بِهِ قَنِعَا
وَاسْأَلْ لِجُمْلَتِنَا غُفْرَانَ زَلَّتِنَا * وَالخَتْمَ بِالخَيْرِ إِنْ مَوْتًا لَنَا صرعَا

---

(1) مستقذرا : مستقبحا

(2) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأنصاري الغرناطي الشهير بالحفار، إمام غرناطة ومحدثها ومفتيها، الشيخ المعمر ملحق الأحفاد بالأجداد، توفي عام 811هـ، انظر ترجمة في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 247 رقم الترجمة 889، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 296 رقم الترجمة 661.

(3) أبو عبد الله محمد بن أحمد الرهوني، شيخ الجماعة، وخاتمة المحققين والعلماء العاملين، نشأ بفاس وبها أخذ العلم، ثم انتقل لمدينة وزان وبها توفي بعد فجر يوم السبت 13 رمضان عام 1230هـ، من مصنفاته : أوضح المسالك وأسهل المراقي، وهو حاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل، في الفقه، 8 أجزاء، وحاشية على شرح ميارة الكبير للمرشد المعين، لم يتمه، والتحصن والمنعة ممن اعتقد أن السنة بدعة.
انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 378 رقم الترجمة 1512، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 352 رقم الترجمة 783، وفي إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 4 ص 181-186، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 104، وفي معجم المطبوعات لسركيس 955، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 17. وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 295.

(4) المراد به العلامة سيدي محمد بن المدني بن علي بن عبد الله كنون

بِـجَـاهِ خَــاتِـمِ رُسْــلِ اللَّهِ قَـاطِبَـةٍ * مُـحَـمَّـدٍ فَـاتِـحِ الأَكْــوَانِ مُــذْ طَلَـعَا
وَآلِـــهِ وَصِـــحَــابٍ نَـهْـجَـهُ اتَّـبَـعُـوا * وَأَكْـرَمُـونَـا بِـدِيـنٍ شَـأْنُـهُ ارْتَـفَـعَـا
ثُــمَّ الـصَّـلَاةُ مَـعَ السَّـلَامُ تَـشْـمَلُهُمْ * وَالـمُـقْـتَدِينَ وَمَــنْ فِـي دِينِـهِ بَـرَعَـا
وَالـمُـسْلِمِينَ وَذَا الـعَبْدِ الـقَصِيرِ يَـدًا * عَــبْدِ الـكَرِيـمِ وَمَــنْ لَـهُ تَـلَا وَدَعَـا
وَالـحَـمْدُ لِـلَّـهِ فِــي بَـدْءٍ وَخَـاتِـمَـةٍ * وَالـحَـمْدُ لِـلَّـهِ حَـمْـدًا دَامَ وَاتَّـسَـعَـا

ولما رجعنا لمحل النزول، وجه سيدنا النقيب من ورائه من يؤنسنا في هذه الليلة ممن يحسن السماع، فلم يوجد بهذه المدينة إلا شخص واحد، ما عليه زائد، بتنا في نشاط من آلته التي لو يسمعها جماد لتحرك من أجل الضجر الذي يحصل له، ويتمنى سامعه أن يقصر من ترنمه الذي أنهك جسمه وأنحله،

ويزيد في الطنبور رنة بحديثه الفائق في البسالة، ولم يشعر بأنه غريق في الثقالة، فليته سكت وما غنى، وترك العنا عنا. ومن ألطف حديثه أنه شرع في محادثة تؤدي إلى طول، إلا أنه قال في أثنائه : هذا شيء لا أعرفه، فقال له سيدنا النقيب : وهل تعرف تدندن ؟ فقال : نعم، فقال له : اترك عنك هذا ودندن، فصار يدندن، فكتبت لسيدنا الشريف هذين البيتين :

وَمُـغَـنٍّ أَتَـــى إِلَـيْـكَ يُـغَـنِّـي * زَادَ لِي فِي الغِنَا أدندن دَنْدِنْ
قُـلْـتُ لَـمَّا لَـنَا أَطَـالَ حَدِيثًا * فَـلْـتَـكُنْ سَـاكِـتًا وَإِلَّا فَـدَنْـدِنْ

ثم تركناه يؤنس نفسه ونحن في ضجر، إلا أن السماع يسلي الخاطر وإن كان صاحبه على خطر، غير أننا لا نقبل العذل فيه، خصوصا إذا كان معه شيء لا ينافيه، وقد رام مساجلتنا في هذا الموضوع سيدنا النقيب، أمنه الله فقال :

يَا عَاذِلِي فِي السَّمَاعِ دَعْنِي * إِنَّ عَذُولِي مِنَ الجُنُونِ

فقلت :

لِأَنَّ لِي فِي السَّمَاعِ وَجْدًا * بِهِ انْجَلَتْ دَائِمًا شُجُونِي

فقال :

هَيَّجَ شَوْقِي إِلَى حَبِيبِي * وَصَدَّنِي عَنْ ذَوِي المُجُونِ

فقلت :

وَزَادَنِي لَوْعَةً أَرَاهَا * هِيَ مُنَايَ إِلَى المَنُونِ

فقال :

وَالنَّفْسُ مِنِّي بِهِ اطْمَأَنَّتْ * وَرَجَعَ القَلْبُ لِلْيَقِينِ

فقلت :

وَلِي فِي اللَّهِ حُسْنُ ظَنٍّ * عَلَى يَقِينٍ بِهِ يَقِينِي

ذكر خروجنا للموضع المسمى بخيبر وعين شانش

وفي زوال يوم الثلاثاء خرجنا للتفسح مع الشريف النقيب، وصعدنا لخيبر على طريق قصبة الشرفاء البلغيثيين، حتى مررنا على عين خيبر، وهي أعذب مياه هذه المدينة، ومنها يسقون، وذهبنا قاصدين عين شانش، فوجدنا السلوقية التي كان أجرى الماء عليها حتى التقت مع عين خيبر المولى عبد العزيز،

فكانت من مآثره التي كتبت حسناتها في ميزانه، قد حملت بين الجبلين على أربعة عشر قوسا من أعلى، وسبعة أقواس من أسفل، اتساع كل واحد منها عرضا وطولا نحو المتر ونصف، وقد مرت على الجبل حتى خرجت للطريق مقبوا عليها، ومتى انخفضت الطريق رفعت على أقواس. وقد رجعنا من فوق ظهر السلوقية وخرجنا من تحت أحد أقواسها للطريق.

ورأينا هناك معدن الصلصال بالمحل المعروف بالسريج، ورأينا بهذه العين من الصخور طبقة على طبقة، وامتدت مع الجبل والوادي وسارت منعطفة بين الجبلين حتى التقت مع عين وليلي، وقد رأينا هذه العين، ووجدنا النساء يغسلن ثيابهن هناك، وماؤها أصفى لونا من غيره، إلا أنه كريه الرائحة، كأنه مشوب بزرنيخ أو كبريت، ولعله يمر على معدن حديد.

وقد ذكر لنا الشريف العلامة سيدي محمد بن أحمد أن فوق هذه العين في محل منخفض بين الجبلين المذكورين عينا تسمى الحامة، ماؤها فيه حرارة مع رائحة كبريت، يقصدها الناس للغسل، وهي محل منجرة الحجر المنجور، وبماء هذه العين مع ما انضاف إليها تدار رحية دقيق.

وقد مررنا على حومة الحفرة المجاورة للضريح الإدريسي من وراء، فرأينا سطوح بعض الدور كادت أن تستوي مع الأرض، وبعضها يرى سطحه أسفل من الطريق، وبعض الدور لازقة بالجبل، وبعضها من أعلى الجبل.

والحاصل أن تلك الأبنية من أعجب المناظر، والسكنى في بعضها على خطر، فقد سقطت مرة قطعة من الجبل على أحد الدور فانهدمت، وهلك من كان بها من الناس، وفي طريقنا أورد علينا سيدنا النقيب إشكالا حصل له في قول المادح البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

وَيْحَ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيًّا بِأَرْضٍ * أَلِفَتْهُ ضِبَابُهَا وَالظِّبَاءُ

مع قوله (ﷺ) في قضية الضب : (لم يكن في أرض قومي فتجدني أعافه[1]) قائلا : إن كلام البوصيري يؤخذ منه أن الضباب موجودة بمكة، والنبي (ﷺ) يقول : لم يكن بأرض قومي، فلم أستحضر جوابا في تلك الساعة، فقال : قد كنت أفهم أن الخبر المتعلق به بأرض قومي يقدر مأكولا، حتى وقفت عليه، فيكون المعنى : لم يكن مأكولا بأرض قومي[2] إلخ ...

---

(1) رواه الإمام البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب الضب، رقم الحديث 5536، وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني ج 9 ص 827، ونصه : حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب، عن أبي أمامة بن سهل، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ميمونة، فأتي بضب محنود، فأهوى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فقال بعض النسوة : أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريد أن يأكل، فقالوا : هو ضب يا رسول الله، فرفع يديه، فقلت أحرام هو يا رسول الله ؟ فقال : لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه، قال خالد : فاجتررته فأكلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر.

(2) في هذا الشرح توفيق لطيف بين الحديث الصحيح والبيت المذكور في قصيدة البردة، ويعضد هذا كذلك ما بينه الحافظ ابن حجر العسقلاني عن شرح هذا الحديث، بعدما ذكر اختلاف العلماء في وجود الضباب أو عدم وجودها بالحجاز على عهده (ﷺ)، فقال : ولا يحتاج إلى شيء من هذا، بل المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (لم يكن بأرض قومي) قريشا فقط، فيختص النفي بمكة وما حولها، ولا يمنع ذلك أن تكون موجودة بسائر الحجاز، وقد وقع في رواية يزيد بن الأصم عند مسلم، قال : دعانا عروس بالمدينة، فقرب إلينا ثلاثة عشر ضبا، فآكل وتارك، الحديث، فبهذا يدل على كثرة وجدانها بتلك الديار،انظر فتح الباري لشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج 9 ص 829، وفي صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصيد والذبائح باب إباحة أكل ضب ج 13 ص97.

ذكر الذهاب لقصبة الشرفاء البلغيثيين هناك

وبعد صلاة العصر ذهبنا مع سيدنا محمود لقصبة الشرفاء البلغيثيين، وقد احتفلوا له احتفالا كبيرا بدار الشريف البركة الأسعد، المقدم الأرشد، أبي عبد الله سيدي محمد بن هاشم البلغيثي الضرير، وهو الآن بفاس، ولم يقصروا في الإكرام، ودخل عليهم السرور العظيم، وأظهروا الفرح التام بذلك الإحتفال. وجميع سكان هذه القصبة تجانيون نساء ورجالا، وصلينا هناك صلاة المغرب.

وهذه القصبة تجاور باب الجديد، ومن هذا الباب يذهب للعين المعروفة هناك بعين الرجال، وهي عين ماء يسقي بها غالب غراسي تلك الناحية، وماؤها مقصود للشفاء، ويشرب للدواء، وعليها بيوت للغسل بمائها، وماء العيون الدائرة بها.

ومما هو مجرب عند أهل هذه البلدة أن ماءها مقوي للباءة، مشهور بهذه الخاصية عندهم. ثم رجعنا لمحل النزول، وبتنا مع سيدنا النقيب أحسن مبيت، وسامرنا العلامة الشريف سيدي محمد بن أحمد العلوي أحسن مسامرة، وحاضرنا فيها أتم محاضرة، ما بين جد وهزل، بالمروءة غير مخل، وقد تعجب من انبساطه بجمعنا، مع أنه الإنقباض من نفسه، مع أبناء جنسه، ولسان حاله ينشد :

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا * رَأَوْا رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا[1]

وتذاكرنا في أن الفكر بالإنقباض يؤدي إلى جمود القريحة، وتجم بالإنبساط والمزح الذي به النفوس

---

(1) البيت من قصيدة للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، ونصها :

يقولون لي فيك انقباض وإنما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم * ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وما كل برق لاح لي يستفزني * ولا كل من لاقيت أرضاه منعما
وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبت * أقلب كفي إثره متندما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما * بدا طمع صيرته لي سلما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى * ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي * لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة * إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

مستريحة، وقد نص الفقهاء والصوفية على أنه يطلب في بعض الأوقات بمقتضى اختلاف المشارب، ومما هو محفوظ لدينا قول القائل :

أَرِحْ طَبْعَكَ المَكْدُودَ[1] بِالجِدِّ سَاعَةً * يـجمُّ[2] وَعَـلِّلْهُ بِـشَيْءٍ مِـنَ الـمَزْحِ[3]
وَلَـكِنْ إِذَا أَعْـطَيْتَهُ الـمَزْحَ فَلْيَكُنْ * بِمِقْدَارِ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ المِلْحِ

ثم انجر الكلام بنا في الجواب عن الإشكال الحاصل من كلام البوصيري مع الحديث الشريف المتقدم، وسنذكر نتيجة هذه المفاوضة في هذا الموضوع في ترجمة هذا الشريف الفاضل إن شاء الله.

زيارته للضريح الإدريسي

وفي يوم الأربعاء خرجت مع سيدنا النقيب بقصد التفسح في هذه البلدة، والنظر إلى أمكنتها المباركة، حتى لا يفوتنا مشاهدة آثار السلف، فدخلنا للضريح الإدريسي، مع أداء التعظيم اللائق بذلك المقام، المحوط بالإحترام، فرأينا منقوشا على باب الحفاء في الزليج والجبص ما أذكره في هذا المحل، إتحافا للمطالع، حتى يكون قارؤها كالمشاهد لها، بعد إصلاح خلل بعضها، فكان مكتوبا على الأعلى بالزليج الأسود هذه الأبيات :

هَذَا مَقَامُ الـحُسْنَى الَّذِي * وَصَـلَ أَهْلُ اللَّهِ مِـنْ بَـابِهِ
أَنْشَـأَهُ الـسُّلْطَانُ مُـحْتَسِباً * لِلَّـهِ فِـي مَـوْصُولِ أَسْبَابِهِ
عَلَى يَدِ الكَاتِبِ فِي أَيْقَشٍ[4] * نَـاظِرِ الأَحْبَاسِ مِـن أَحْبَابِهِ
بُشْرَى لِـمَنْ قَدْ جَاءَهُ زَائِراً * وَمَـــرَّغَ الـخَـدَّ بِـأَعْـتَـابِـهِ

---

(1) المكدود : من الكد وهو التعب

(2) يجم : بمعنى يستريح

(3) المزح : البسط

(4) أيقش : رمز حرفي لتاريخ بناء الضريح المذكور وهو 1111هـ وهو ما يسمى بحساب الجمل الكبير.

ومنقوشا في الأسفل في مواجهة الباب عن اليمين واليسار هذه الأبيات، بيت ونصف في الجهة :

يَا نَاظِرًا حُسْنِي بِعَيْنِ كَمَالِ * وَمُتَيَّمًا بِمَآثِرِي وَجَمَالِي
مَتِّعْ لِحَاظَكَ بِي وَيَكْفِي أَنَّنِي * بَابُ الوُصُولِ إِلَى رَفِيعِ مَعَالِ
وَإِذَا تُرِيدُ لِنَشْأَتِي وَقْتًا بِهَا * شَرَفِي يُرِيكَ بَهَاءَ حُسْنِ كَمَالِ

وفي خذ اليمين منقوشا هذه الأبيات :

بِأَبْوَابِنَا قِفْ عِنْدَ ضَيْقِ المَنَاهِجِ * تَفُزْ بِعُلَا الأَقْدَارِ مِنْ ذِي المَعَارِجِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَسْبَغَ نِعْمَةً * عَلَيْنَا وَأَوْلَانَا قَضَاءَ الحَوَائِجِ
فَهَذِي بُحُورُ الجُودِ يَمِّمْ فُرَاتَهَا * وَعَنْ نَيْلِهَا الفَيَّاضِ كُنْ خَيْرَ لَاهِجِ[1]
مَنَاهِلُهُ تَرْوِي العَفَاءَ بِأَسْرِهَا * وَتَحْظَى بِمَا تَرْجُو بِعَدِّ المَنَاهِجِ

وعن يسار هذه الأبيات :

فَهَذَا مَقَامُ الأَمْنِ إِنْ كُنْتَ خَائِفًا * وَهَذَا مَقَامُ الجَبْرِ إِنْ كُنْتَ ذَا كَسْرِ
وَإِنْ كُنْتَ ظَمْآنًا فَهَذِي مَنَاهِلٌ * صَفَتْ لَكَ عَلِّلْ قَدْ وَصَلْتَ إِلَى البَحْرِ
وَمَرِّغْ خُدُودًا عِنْدَ بَابِ ضَرِيحِهِ * فَهَذَا مَحَلُّ الخَيْرِ إِنْ كُنْتَ ذَا فَقْرِ
إِمَامِ الهُدَى إِدْرِيسَ مَنْ مَجْدُهُ عَلَا * وَآيَاتُهُ كَالشَّمْسِ لَاحَتْ وَكَالبَدْرِ

والمجدد لبناء هذا المقام الشريف مع زيادة فيه هو المولى إسماعيل - قدس سره - بتاريخ سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، وفي هذه السنة أيضا جدد بناء الضريح الإدريسي بفاس، كما ذكر ذلك أصحاب

---

(1) لهج بالأمر لهجا : أولع به فثابر عليه واعتاده

التاريخ، وأما التاريخ المذكور في الأبيات المتقدمة فلعله خطأ[1].

ولما دخلنا لهذا المقام الشريف رأينا الأنوار مشرقة فيه، يمتلئ قلب داخله سرورا بما يمنح فيه من الأسرار التي تشرح صدره وتشفيه، فأعظم به من مقام سما قدرا، وملأ الأرجاء نورا وسرا، بوجود ضريح هذا الإمام الذي أحيا الله به الدين في قطر المغرب، وأضحى في مدح جنابه كل فاضل يطنب، ومع ذلك لا يوفيه الشاكر لإسداء هذا الجميل، إن كان من هذا القطر، ولو استغرق جل أوقاته في المدح والشكر،

غير أنه يطلب من كل من حل هذا القطر المغربي أن يدعو لهذا الإمام مكافأة لما أسداه إليه، وإلى أجداده من الإكرام، بفتح هذا القطر الذي استقر فيه الإسلام، أداء للحق الذي أوجب له الشكر، بمقتضى : من أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له، حتى تروا أنكم قد كافيتموه،

---

(1) ذهب بعض المؤرخين على أن بناء الضريح المذكور كان عام 1132هـ، وهذا بطبيعة الحال مخالف لما هو مكتوب على جدران بعض أبواب ومرافق الضريح، وذهب العلامة ابن زيدان على أن المولى إسماعيل قام ببناء الضريح المذكور عام 1110هـ، واستدل على ذلك بما هو منقوش في الرخامة الأولى المثبتة في الجدار المواجه للداخل من باب قبة الضريح الإدريسي، ونصه :

هـذه روضــة بـهـا خـيـر هـاد * بضعة المصطفى وعين الرشاد
مـلـك طـهـر الإلاه بـه الـغـرب * مـن الـشـرك والـشـقا والـعناد
واسـتـقامت لـه الـحشود وقد * كـانت زمـانا بالغي في كل واد
فــإذا مــا نـسـبـتـه فـرسـول * الله فـي القرب رابع الأجداد
وتــأدب فــأنـت ضـيـف إمـام * فـــي حـماه عــلاج كـل فـؤاد
خـصـه خـالـق الـخلائق بـالفضـ * ـل وأحـيـا بـه أقـاصي الـبلاد
فـسل الله ما تـشاء من الفضـ * ـل فـلـيـس لـفـضـلـه مــن نـفـاد
وتوسل بالمولى إدريس واقصد * فـــي عـــلاه بـلـوغ كـل مـراد
وابـتـهل لـلإلاه فـي نصر مولى * شأنه السعي في صلاح العباد
شـاد هـذا الـمـقام والـفعل منه * خـالـص لـكـريـمـه الـجـواد
عـــام ألـف ومـيـة بـعـد عـشـر * مـن سـنين الـسرور والإسعاد

انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 175-197.

وبباب المعراض عن اليمين باب دار المخزن التي ينزل بها الأمير إذا قدم لزرهون، وعن اليسار باب دار الأضياف، وبعدها باب دار الوضوء، وبها بيوت خلاء متعددة، وصهريج ماء. ويواجه باب الحفاة باب المعراض، ومنه الدخول للمقام الشريف.

وقد اشتمل هذا المقام على جامع كبير عن يمين الداخل من باب الحفاة، وبها باب ينفد منه بالدرج إلى حومة المريح، يقابل باب الزاوية التجانية هناك، ويجاور باب ضريح الولي الصالح وصيف المولى إدريس السيد راشد[1] رحمه الله ورضي عنه، وتواجه داخل باب الحفاء مدرسة الطلبة الذين يقرؤون القرآن الحكيم بورش وغيره من القراءات، ويقرؤون بها الحزب صباحا ومساء.

وعن يمين ويسار هذا الباب سقايات ماء، وعن اليسار أيضا باب دار الوضوء، وباب المنار، والباب الذي ينزل منه لصحن القبة الإدريسية، وبصحن باب الضريح خصة رخام، بديعة الشكل تنبع ماء.

وأما قبة الضريح فقد ازدهت وازدهرت بالأنوار، وأنواع التحف المحتفة بها مما له بال، من زرابي وحسك مصطفة، وحياطي صمة مرصعة بالصقلي الغالي القيمة. والحاصل أن من نظر إليها فكأنما ينظر إلى قصر من الجنة، بما فيه من الأنوار، والإنارة التي تنتفي بها الأكدار.

---

(1) راشد بن منصة الأوربي، خديم آل بيت الرسول المخلص، مولانا الإمام إدريس الأكبر رحمه الله ورضي عنه، اختلف في أصله فقيل أنه من العرب المولدين، وقيل أنه حبشي، وقيل أنه بربري من قبيلة أوربة، وقد سبي مع والده منصة في غزوة موسى بن نصير، ونقل معه إلى المشرق.

وقد قال في حقه العلامة ابن زيدان، عند ترجمته له في كتابه إتحاف أعلام الناس : وقد صرح غير واحد من ثقات المؤرخين ومحققيهم بأنه كان له إلمام بالعلوم، ومعرفة تامة بالسياسة والأخبار، وأيام العرب ووقائعها، والفروسية والرماية ومكايد الحرب، ذا قوة وحزم ونجدة وإقدام، ودهاء ونباهة ودين متين، وثبات ورسوخ وأمانة، وصلاح وورع وزهد وتقى، وإخلاص وحب ونصيحة في آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، يوالي بموالاتهم ويعادي بمعاداتهم، إلخ ...

وهو الذي قام بأمر الدولة الإدريسية بعد وفاة مولاي إدريس الأول عام 177هـ، كما كفل ابنه الإمام مولاي إدريس الثاني إلى أن شب وترعرع، وكانت وفاته رحمه الله شهيدا عام 188هـ، ودفن قريبا من ضريح المولى إدريس الأول بجبل زرهون في الجهة الجنوبية على يمين الخارج للمزارة العليا من الجامع الكبير هناك.

انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 3 ص 64-66، وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ج 1 ص 16-26، وفي تاريخ ابن خلدون ج 4 ص 13، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 11.

زيارتنا للزاوية التجانية التي بزرهون

ثم خرجنا من هذا المقام، وصعدنا لزاويتنا التجانية المجاورة للباب ذي الدرج المذكور، وهي مرتفعة يصعد لها بتسعة عشر درجة، فيها بلاطان على خمس سواري، ومحرابها بين خزانتين وشباكان يقابلان ساحة ضريح سيدي راشد، مع مواجهة الجبل الذي لبس حلة خضراء دائما، وقد أتحفت هذه الزاوية بمواكن[1] سبعة، يرصد بها سوائع الوقت، وقد وجدت هذه الأبيات منقوشة في الزليج الأسود على خد الساريتين القريبتين من الدرج من أعلى :

بُشْرَى لِمَنْ أَمَّ فِي المِحْرَابِ بُشْرَاهُ * إِنْ كَـانَ مُحْتَسِبًا لِـلَّـهِ بُـشْـرَاهُ
أَقَـامَ وِجْـهَـتَـهُ لِـلَّـهِ خَـالِـصَـةً * وَكَـانَ فِـي سِـرِّهِ مَا يَرْتَضِي اللَّهُ
أَحْيَا طَرِيقَةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ وَمَنْ * تَـوَرَّمَتْ فِـي رِضَـى الإِلَـهِ رِجْلَاهُ
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَـهُ العَرْشِ مِنْهُ لَـهُ * وَالآلِ وَالـصَّـحْـبِ تَـنْـوِيـهًا لِعَلْيَاهُ[2]

وفي هذا اليوم كنا خارجين من زرهون، وكان الإخوان بالشراردة ومجاوريهم، تهيئوا لملاقتنا بعين الشكر، وجاء منهم من أخبرنا بذلك، غير أن الأمطار أرخت العنان، فكان العذر شتاء، وهو مقبول، فتأخرنا إلى أن يظهر الصحو، ولا زالت الأمطار هاطلة إلى يوم الجمعة، ولم نخرج من محل النزول يوم الخميس لكثرة الأمطار، التي نجعلها في عدم الخروج من الأعذار.

وقد اجتمعنا مع جماعة من الشرفاء والأدباء في هذا اليوم، وهو فاتح ذي الحجة الحرام، وحضر معنا الرفيق الأسعد سيدي الحاج محمد دادي، فكانت ساعة كلها في أنس وطرب، وإذا حضر وقت الصلاة قدمناها على كل مطلب.

وقد حدثنا الرفيق المذكور بكرامة حصلت له في الحجاز أيام ذهابه للحج بإذن سيدنا ومولانا محمد

---

(1) مواكن : ساعات الحائط.

(2) هذه الأبيات من نظم الأديب البركة سيدي أحمد بن الطيب السفياني، وقد ذكر العلامة سكيرج أنها من الأبيات المنقوشة خارج محراب الزاوية الأحمدية التجانية الكبرى بفاس، مع زيادة بيتين وهما :

إن الصلاة على النبي موجبة * لكل خير من الرحمان ترضاه
عمر بها الوقت لا تبغي بها بدلا * تعطى من الله ما ترجو وتهواه

انظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 32.

البشير رضي الله عنه، وضمانه له بأنه يرجع سالما، بعدما رام السفر معه للحج، وتأخر سيدنا محمد البشير لموجب باطني، ووقع الإذن منه للرفيق المذكور، فقال :

بينما هو في طريق الحجاز إذ أحاطت بالركب العرب المعروفون بهب الريح، وسلبوا جل القافلة من أمتعتهم، حتى أنهم قبضوا عليه وراموا الفتك به، ففتح الله له بابا سلك منه في وسطهم بسبب ضربة ضرب بها أحدهم برأسه كالناطح له، وهم يفرون من المغاربة بما شاع لديهم من أنهم يضربون برؤوسهم، فيقتلون المنطوح بها، وسار هو فارا بنفسه، والكل يعدو أمامه، ظنا منهم أنه يقفو أثرهم للفتك بهم، إلى أن بعدوا عنه، ونجاه الله منهم، وأعيد عليه بعير حمله. وقد أنشدنا أبياتا أنشأها في ذلك المقام الشريف، يقول فيها :

قِفْ بِبَابِ الكَرِيمِ وَقْفَةَ سَائِلْ * وَتَشَفَّعْ بِجَاهِ أَسْمَى الوَسَائِلْ
رَحْمَةِ العَالَمِينَ غَوْثٍ وَغَيْثٍ * أَشْفَعِ الشَّافِعِينَ إِنْ هَالَ هَائِلْ
وَبِــهِ فَلْتَسَلْ غَنِيًّا كَرِيمًا * فَالكَرِيمُ يُجِيبُ دَعْوَةَ سَائِلْ
لِيُدَارِكْ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَحِيمٍ * فَلَهُ الحَمْدُ بُكْرَةً وَأَصَائِلْ

وأنشدنا من حفظه لبعضهم يخاطب مليما :

يَا نَبِيَّ الجَمَالِ فِي أُمَّةِ العِشْقِ * فَــلَا تَجْعَلِ المَلَامَةَ مِلَّهْ
وَتَرَفَّقْ بِأُمَّةٍ جَعَلَتْ حُبَّكَ دِين * ـًا وَحُــسْنَ وَجْــهِكَ قِبْلَهْ
قَسَمًا لَا سَلَوْتُ عَنْكَ وَلَوْ صِرْ * تُ مِنَ العِشْقِ فِي البَرِيَّةِ مِثْلَهْ

وأنشدنا لبعضهم أيضا :

يَــا نَبِيَّ الجَمَالِ مِــمَّ خُلِقْتَ * أَمِنَ الشَّمْسِ فِي السَّمَاءِ صُوِّرْتَ
لَسْتَ مِنْ نَسْلِ آدَمٍ أَنْتَ لَكِنْ * كَــانَ رِضْــوَانُ غَافِلًا فَخَرَجْتَ

وأنشدنا من توشيح :

سَرَقَ الغُصْنُ قَدَّ مَحْبُوبِي * وَاخْـتَـفَـى فِـي الـوَرَق
قَـطع الغُصْنُ صَـاحَـتِ الـ * ـأَطْـيَـارُ ذَا جَـزَا مَـنْ سَـرَق

وأخذ معناه سيدنا النقيب فقال :

سَرَقَ الغُصْنُ قَدَّ مَنْ قَدْ سَبَانِي * وَبِسَـهْمِ الـجُفُونِ عَـهْدًا رَمَـانِي
وَاخْتَفَى فِـي الأَوْرَاقِ لَـمَّا أَرَدْنَا * قَطْعَهُ إِذْ غَدَا عَلَى الحُبِّ جَانِي

وفي يوم الجمعة أقمنا بمحل النزول، ولم نخرج حتى لصلاة الجمعة لكوننا مسافرين، ولا جمعة على مسافر، وبعد الزوال حضر بعض الإخوان، وكان مصابا بداء الباسور، فشكى داءه، عسى أن ينال بهمة صالحة شفاءه، وكان معنا الرفيق، محل الأخ الشفيق، سيدي الحاج محمد دادي فقال له :

إني أمنحك باستعمال دواء تجد معه بحول الله كمال الشفاء، إلا أنه تحصل منه برودة الهمة عن مباشرة الزوجة، إلا بعد مدة نحو الشهرين، ثم يرجع إلى قوته العصيبة، ويذهب الباسور، وذلك أن تؤخذ أوقية من الكافور، وأوقيتان من السمن الحار القديم العهد، يذاب السمن، ويجعل فيه الكافور بعد دقه، ثم يرفع لوقت الحاجة، ويطرف به بليفة صوف صاحب الداء المرة بعد المرة، فإنها تيبس، ويجد العافية بحول الله.

وفي يوم السبت ورد لمحل نزولنا العلامة الفاضل الشريف سيدي محمد بن أحمد العلوي مع حضرة سيدنا النقيب، وجرت المذاكرة في قول الإمام البوصيري :

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي * فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

فقال سيدنا النقيب : غاية ما يقال في هذا المقام، حذف جواب الشرط الأول لدلالة الثاني عليه، وتقرير ذلك أن قوله : "إن لم يكن في معادي آخذا بيد فضلا"، فيه صورتان بين منطوق ومفهوم : أما صورة المنطوق فهو أنه إن لم يأخذ بيده في المعاد فضلا فيازلة قدمه، ومفهوم الأخذ باليد لأجل

الفضل، الأخذ بها لأجل العدل، فيازلة القدم كذلك. وقوله : "وإلا فقل يا زلة القدم"، يعني : وإلا تأخذ بيدي أصلا فيا زلة القدم.

ومفهوم ما ذكر أنه إن أخذ بيده فضلا فيا ثبات قدمه، والحذف من الأوائل لدلالة الأواخر سائغ مطروق، وعليه فيكون في البيت ثلاث صور : الأخذ باليد فضلا، والأخذ باليد عدلا، وعدم الأخذ أصلا. ووافقه على هذا التقرير الشريف سيدي محمد المذكور. وقد ذكرت لهما أن بعض الشراح ذكر أن (إلا) بالتنوين بمعنى عهدا[1].ويدل على هذا أيضا البيت قبله المذكور فيه الذمة والعهد، وبهذا المعنى يزول الإيهام الحاصل بتقدير "وإلا بأن أخذت بيدي فضلا" إلخ ...

وهذا التقدير الأخير غير مقصود، ولا يليق تقديره، وقدره بعض الشراح "وإلا لم يأخذ بيدي" وهذا ظاهره. فاعترضنا هذا بأن الرواية لم ترد عن الناظم بالتنوين، ومع ذلك فإنه بدون تنوين أولى لشموله لثلاث صور إهـ.

فذكرت أن كلام الناظم، وإن لم يرد بالتنوين فالمعاني لا تتزاحم، ويصح استنباط هذا المعنى، وهو واضح من تلك التقادير، ولا بأس بهذا المعنى القريب للإدراك، وقد ينطق الشاعر ببيت ويقصد معنى، فيجد غيره فيه معاني لم يقصدها قائله، فيحسن كلامه بإجادة فهم ما معه، كما هو واضح، ثم أشرت "للإل" بمعنى العهد في هذه الأبيات على طريقة التغزل :

وَظَبْيٌ هَـوَاهُ بِـقَـلْبِيَ حَـلَّ * وَلَـمْ يَرَا غَيْرَ فُؤَادِي مَحَلَّا
أَتَـــاهُ عَـــدُوِّي لِـيـعـذلَـهُ * فَأَعْرَضَ عَنْ عَذْلِهِ وَتَوَلَّى
وَقَــالَ مَـحَـلِّيَ فِـي قَـلْبِهِ * وَلِي فِيهِ أَرْقُبُ عَهْدًا وَإِلَّا
فَــلَا تَـكُ مِـمَّـنْ يُـعَـنِّفُنِي * وَإِلَّا أُرَى بِـالـذِّمَـامِ مُـخِـلًّا
فَـدَعْنِي أُحِبُّ الْمُحِبَّ وَلَا * تَـلُمْنِي فِـيـهِ إِلَّا أَنْ يـمـلَّا

(1) هذا التقدير وارد، ولا يخرج البيت عن وزنه العروضي مع مناسبته للموضوع المذكور في البيت ما قبله وهو قوله :

فإن لي ذمة منه بتسميتي * محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

وإلا بالتنوين مذكورة في القرآن في سورة التوبة، قال تعالى : (كيف وإن يظهروا عليكم لا يقربوا فيكم إلا ولا ذمة). قال السدي : المراد بها العهد.

وقد ضمنت البيت المذكور في هذه الأبيات :

يَـا مَـنْ عَـلَيْهِ مَـدَى الأَيَّامِ مُعْتَمَدِي * فَـامْنُنْ عَـلَـيَّ بِـمَـنْـحِ الـفَـتْـحِ وَالـمَدَدِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ لِي فِي الحَالِ خَيْرُ لِقَا * بِـاللَّهِ كُـنْ فِـي مَعَـادِي آخِـذًا بِـيَـدِي
أَرَاكَ تَـمْـنَـحُ فَـضْـلًا مَـنْ يَؤُمُّكَ فِـي * مَــا يَـبْـتَـغِـيهِ وَإِلَّا عَــاشَ فِــي كَـمَـدِ
فَـقُلْ بِـفَضْلِكَ لِـي بُـشْرَاكَ نِلْتَ رِضَى * مِـنِّي وَلَا تَـخْـشَ طُـولَ الـدَّهْرِ مِـنْ أَحَدِ
عَـسَـى أَنَــالُ الـمُـنَى وَلَا أَقُـولُ غَـدًا * يَــا زَلَّــةَ الـقَـدَمِ الَّـتِـي شَـوَتْ كَـبِـدِي

بحث قيم فيما أشار إليه البوصيري في بردته

وقد جرت مذكرات بيننا وبين سيدنا النقيب وبين العلامة الفاضل الشريف المنيف سيدي محمد بن أحمد بن إدريس العلوي في مسائل من يوم دخولنا إلى افتراقنا معه ليلة الوداع. فمن ذلك ما أورده سيدنا النقيب من المعارضة الخالصة في قول البوصيري : "ويح قوم" إلخ ... مع قوله عليه السلام "لم يكن بأرض قومي" إلخ، فقلت في الجواب عنها :

إن في البيت شبه استخدام، فيكون الضمير من قوله "ضبابها" راجعا للأرض، لا باعتبار أنها أرض مكة، فيكون المعنى "ويح قوم جفوا نبيا ألفته ضباب الأرض وظباؤها" وهي لا عقل لها، وهم يزعمون أنهم عقلاء ولم يألفوه، لشاهد الإستخدام[1] الذي هو قول الشاعر :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ * رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا[2]

من قول المادح "ويح قوم" مع قوله "بأرض" وبيت الإستخدام فيه بأرض قوم. فإن قيل : المتبادر من الضمير هو عوده على أرض التي أريد بها خصوص مكة، لأنها هي التي أخرجوه منها، كما هو ظاهر، ونص عليه جميع الشراح، فكيف يعدل عنه إلى الإستخدام ؟ قلنا : موجب ذلك أمران :

---

(1) الإستخدام: وهو أن يكون للّفظ معنيان فيطلقه المتكلّم ويريد به أحد المعنيين، ثم يذكر ضميره ويريد به المعنى الآخر، نحو قوله تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه (2) (أراد بالشهر أوّلاً: الهلال، ثمّ أعاد الضمير عليه وهو يريد أيّام الشهر المبارك،

(2) البيت للشاعر العربي جرير، أراد بالسماء: المطر، وبضميره في [رعيناه] النبات

أما الأول فإن قضية الضب الذي شهد بالرسالة له (ﷺ) ظاهرها أنها كانت بغير مكة، والمادح أشار لها بلا شك لملاحظته لمثل هذا في كلامه المفروغ في قالب التحسينات البديعية، ومراعاة النكت الألمعية، فإن قيل : الضب واحد، والمادح جمع، قلنا : الجمع يدل على تشريف ذلك الضب المنزل منزلة الجماعة، لأن الضباب كلها لو حضرت لأقرت بما أقر به هذا الفرد من أفرادها، فلتحقق شهادة الضباب أتى بالجمع في موضع الفرد الشاهد، مع مراعاة نكتة الجناس البديعي.

والموجب الثاني للإستخدام إخبار النبي (ﷺ) بأن الضب ليس بأرض قومه، وهي مكة، فقد قال "لم يكن بأرض قومي" إلخ، ومن اللطائف المستنبطة من كلام المادح، ولا يبعد أن يكون مقصودا لديه، أن يقال : قد أشار إلى بيت الإستخدام، كما قدمنا، وهو قد اشتمل على قوله "بأرض قوم" والحديث فيه "بأرض قومي" كأن المادح يقول :

مما يشعرك أيها المتأمل في هذا البيت من كلامي بأني قصدت بالضمير غير أرض مكة التلميح إلى هذا الحديث المستدل به على أن أرض مكة لم يكن بها ضب في زمن النبي (ﷺ)، وإلا أدى الحال إلى تأويل الحديث، مع أنه لا داعي إلى التأويل، ومع أن قضية الضبب لم تكن بأرض مكة، كما أشرنا إليه، والعلم عند الله، وبحث سيدنا الشريف النقيب في هذا بما هو مذكور في ترجمة سيدي محمد بن أحمد المذكور.

بحث نفيس في مسألة رفع عيسى عليه السلام وغيره من المذاكرات القيمة

ومن المذكرات التي أبداها، وجرت المفاوضة فيها حول قوله تعالى في حق سيدنا عيسى عليه السلام : "إني متوفيك ورافعك إلي[1] " أنه يقتضي أن عيسى عليه السلام رفع بعد الموت، ثم ينزل بعد الإحياء، ثم يموت، فتجتمع عليه موتتان، فأجبت عن ذلك بأن الواو لمطلق الجمع، ولا تفيد ترتيبا.

وهذا الجواب بحث فيه سيدنا النقيب بأن الواو وإن كانت لمطلق الجمع فهناك من يقول بالترتيب بها، ويحتج بآية الوضوء وغيرها، فقلت : القول بعدم الترتيب هو المشهور، فقال : لا يرفع الإيراد من أصله بكونه مشهورا، فقلت : لك أن تجعل الجملة التي دخلت عليها الواو حالية، والتقدير : إني متوفيك في الإستقبال، والحالة هذه أني رافعك إلي في الحال، والله أعلم، فلم يقبله أيضا.

---

(1) سورة آل عمران، الآية 55

ثم كتب العلامة الأجل سيدي محمد بن أحمد العلوي هنا كالمتعقب لما ذكرناه بعد المراجعة ما نصه : الحمد لله. قوله تعالى : (إني متوفيك ورافعك إلي) قال أبو البقاء[1] : كلاهما للمستقبل، ولا يتعرفان بالإضافة، والتقدير : رافعك إلي ومتوفيك، كأنه رفع إلى السماء ثم توفي بعد ذلك. وقيل : الواو للجمع، فلا فرق بين التقدير والتأخير، وقيل : متوفيك من بينهم، ورافعك إلى السماء، فلا تقديم فيه ولا تأخير، صح من إعرابه.

وفي الأنموذج للرازي، فإن قيل : كيف قال : متوفيك ورافعك إلي، والله رفعه ولم يتوفاه ؟ قلنا : لما هدده اليهود بالقتل بشره الله بأنه إنما يقبض روحه بالوفاة، لا بالقتل، والواو لا تفيد الترتيب، فلا يلزم من الآية موته قبل رفعه. الثاني أن فيه تقديما وتأخيرا، أي إني رافعك ومتوفيك.

الثالث : أن معناه قابضك من الأرض تاما وافيا في أعضائك وجسدك : لم ينالوا منك شيئا من قولهم : توفيت حقي على فلان، إذا استوفيته تاما وافيا. الرابع : أن معناه إني متوفيك في نفسك بالنوم من قوله تعالى : "الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها"[2] ورافعك إلي وأنت نائم حتى لا تخاف، بل تستيقظ وأنت في السماء، صح منه. وفي الجلالين[3] : متوفيك قابضك، ورافعك إلي من الدنيا من غير موت[4]، صح منه.

---

(1) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، من خيرة فقهاء الأحناف بتركيا، توفي بإستانبول عام 1094هـ، من مصنفاته : الكليات، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 2 ص 38، وفي معجم المطبوعات لسركيس 293.

(2) سورة الزمر، الآية 42

(3) تفسير الجلالين للعلامة الحجة الحافظ جلال الدين السيوطي

(4) قال الإمام البغوي في تفسير هذه الآية : اختلفوا في معنى التوفي هاهنا، قال الحسن والكلبي وابن جريح : إني قابضك ورافعك من الدنيا إلي من غير موت، ويدل عليه قوله تعالى في سورة المائدة : فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، أي قبضتني إلى السماء وأنا حي، لأن قومه إنما تنصروا بعد رفعه لا بعد موته إلخ... وقال الربيع بن أنس : المراد بالتوفي النوم، وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائما إلى السماء، معناه إني منيمك ورافعك إلي كما قال الله تعالى : (وهو الذي يتوفاكم بالليل، أي ينيمكم بالليل، انظر تفسير البغوي ج 1 ص 356.

وللخازن في تفسير هذه الآية ستة أقوال، منها قوله في الوجه الرابع : إن الواو في قوله ورافعك إلي لا تفيد الترتيب، والآية تدل على أن الله تعالى يفعل به ما ذكر، فأما كيف يفعل ومتى يفعل فالأمر فيه موقوف على الدليل، وقد ثبت في الحديث أن عيسى سينزل ويقتل الدجال، انظر تفسير الخازن ج 1 ص 256.

ومنها استشكال سيدنا النقيب لما ذكره أهل اللغة في أنه لا يقال للكأس كأس إلا إذا كان ممتلئا، وعليه فما فائدة زيادة "دهاقا" في قوله تعالى : (دهاقا) قلنا : الكأس لا يسمى كأسا إذا كان فارغا، ويسمى كأسا إذا كان فيه الشراب، ولو لم تمتلئ، ودهاقا وصف به الكأس، ليعلم أن هذا الكأس ممتلئ جدا، حتى أنه يعطي لهم فائض الجوانب، ويمكن أن يرى فائضا بالحباب التي تتراكم على الشراب إذا صب من فم الإبريق عليها، وذلك كما قيل فيها :

كَأَنَّ كُبْرَى وَصُغْرَى مِنْ فَقَاقِعِهَا * حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ[1]

ولا يخفى أن رؤية الكأس المملوءة على هذه الهيئة مما يزيد نشاطا لتمتع العين بالنظر إليها على هذا النسق البديع، فيكمل السرور برؤيتها عند الطبع السليم، حتى أنه يستلذ بالسماع، كما طلب ذلك الشاعر في قوله :

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الخَمْرُ * وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمْكَنَ الجَهْرُ[2]

ومنها المذاكرة في إفراد الضمير وتأنيثه في قوله تعالى :"وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها[3] مع أن مقتضى العطف بأو عود الضمير على واحد لا بعينه، فأجبنا بأن التجارة لما كانت هي المقصودة بالذات، وأهم من غيرها عندهم، واللهو إنما هو من توابعها، وهي تقدم عليه أيضا، فلذلك كان الضمير راجعا إلى التجارة، واللهو في ضمنها بالعطف عليها، بخلاف ما إذا كان الضمير مذكرا، فربما يوهم انفضاضهم للهو دون التجارة.

وبهذا يدفع ما يقال من أن التذكير أولى، لأنه يكون في قوة ما ذكر، وهو يشمل التجارة واللهو. ثم إن النقيب رعاه اله قال بمثل الجواب الأول، من كون التجارة هي المقصودة، ذاكرا بأنهم نصوا على

---

(1) البيت للشاعر أبي نواس، يصف كأس خمر وقد علاها الحبب

(2) البيت للشاعر أبي نواس من قصيدة طويلة، يقول في مطلعها بعد البيت المذكور :

فما العيش إلا سكرة بعد سكرة * فإن طال هذا عنده قصر الدهر

وما الغبن إلا أن تراني صاحيا * وما الغنم إلا أن يتعتعني السكر

(3) سورة الجمعة، الآية 11

أن اللهو كان يضرب في العرب إعلاما بقدوم التجارة ووقتها ليحضرها الناس، فلهذا كان تأنيثها أولى من التذكير. وقد ذكر لنا جوابا آخر عن بعضهم أن الضمير يعود على الرؤية المأخوذة من رأوا.

وكتب لنا العلامة ابن أحمد -أمنه الله- ما نصه : قال الرازي[1] في سورة الجمعة من أنموذجه ما نصه : فإن قيل : كيف قال تعالى (انفضوا إليها) والمذكور شيئان : اللهو والتجارة ؟ قلنا : قد سبق جواب هذا في سورة التوبة في قوله تعالى (ولا ينفقونها في سبيل الله)، والذي يؤيده هنا ما قاله الزجاج[2] : معناه وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهوا انفضوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه. وقرأ ابن مسعود : إليهما بضمير التثينة، وعليه فلا حذف، صح منه، وقال في سورة التوبة : وليس قوله تعالى : (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) وقوله تعالى : ومن يكسب خطيئة أو إثما[3] إلخ ... من هذا القبيل، لأن الإضمار تم عن أخذهما لوجود لفظة : أو، وهي كإثبات أحد المذكورين، فمن جعله نظير هذا فقد سها، إلا أن يثبت أن (أو) في هاتين الآيتين بمعنى الواو.

وفي هاتين الآيتين لطيفة، وهي أن الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما أعاده في الآية الأولى على التجارة، وإن كانت أبعد ومؤنثة أيضا، لأنها أجذب لقلوب العباد عن طاعة الله من اللهو، لأن المشتغلين بها أكثر من المشتغلين باللهو، أو لأنها أكثر نفعا من اللهو، أو لأنها كانت أصلا واللهو تبعا، لأنه ضرب بالطبل لقدومها على ما عرف من تفسير الآية. وأعاده في الآية الثانية على الإثم رعاية لمرتبة القرب والتذكير، صح منه.

---

(1) زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مفسر، فقيه، أديب، لغوي، محدث، صوفي، من مصنفاته : الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز، ومختار الصحاح، في اللغة، وروضة الفصاحة، في علم البيان، وشرح المقامات الحريرية، وحدائق الحقائق، في علم التصوف، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل، وغير ذلك من المؤلفات الأخرى، توفي رحمه الله بعد عام 666هـ.

انظر ترجمته في معجم المطبوعات لسركيس 917، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 55.

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، عرف بالزجاج، عالم بالنحو واللغة، ولد ببغداد عام 241هـ، وبها توفي عام 311هـ، من مصنفاته : الإشتقاق، ومعاني القرآن، وخلق الإنسان، وفعلت وأفعلت، في تصريف الألفاظ، والأمالي، في الأدب واللغة، وإعراب القرآن، في ثلاثة أجزاء، والمثلث، في اللغة، وغير ذلك من المصنفات الأخرى.

انظر ترجمته في إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ج 1 ص 159، في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 6 ص 89، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 11، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 40.

(3) سورة النساء، الآية 112.

ذكر تراجم بعض من تلاقينا معهم بزرهون

فمنهم المقدم سيدي محمد بن العربي العلوي[1]

وقد تلاقينا بزرهون مع جملة من السادة الراقين مراقي السيادة، ممن اتصفوا بالأخلاق الكريمة، والشيم الفخيمة، فلنذكر منهم من تعين علينا ذكره هنا لكثرة تردده علينا، وتودده لنا. فمنهم سلطان المقدمين في هذه الطريقة، ذو الشيبة المنورة، والسريرة المطهرة، الشريف الأجل، سيدي محمد بن العربي العلوي، من دار سيدي لحسن،

قد تلقى التقديم عن أكابر الطريقة، مثل الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح، رضي الله عنه، وكان يلقبه بسلطان المقدمين. وقد كتب له سيدنا ومولانا محمود التقديم لإعطاء هذه الطريقة، زيادة على التقديم الذي بيده منذ زمان من حضرة الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح. ونص ما كتبه له، مطبوعا عليه بطابعه الشريف.

بعد البسملة وصلاة الفاتح لما أغلق إلخ. : نحمدك يا من فتح بصائر أهل حضرته، فأبصروا نور النبوة في أهل خصوصيته، وسلكوا على المنهج القويم، حتى ظفروا بالوصول إلى النعيم المقيم، ونصلي ونسلم على من رفع الله مقداره، وأشرق في الغياهب أنواره، سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه سادات الأولياء، وعلى كل من والاهم، لينال بذلك رضا مولاهم، ورضي الله عن

---

(1) الشريف البركة المقدم سيدي محمد بن العربي بن محمد بن المهدي بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن أحمد بن علي بن طاهر بن الحسن بن يوسف بن مولانا علي الشريف العلوي، مقدم الطريقة الأحمدية التجانية بزرهون، ولد بالمدينة المذكورة عام 1250هـ، وكان الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح يلقبه بسلطان المقدمين، وكان رحمه الله جديرا بهذا اللقب، وليا صالحا، ولا يفتر لسانه عن ذكر الله في كل حال، قياما وقعودا وعلى جنبه، حتى أنه إذا دخل بيت الخلاء عض على لسانه خوفا من أن يذكر الله فيه، وكان ورده اليومي من صلاة الفاتح لما أغلق يزيد على 12000 منها بين الليل والنهار، زيادة على الأوراد ونوافل الخيرات.

أخذ ورد الطريقة الأحمدية التجانية عن المقدم الشهير سيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي، ثم أجازه فيها بعد ذلك الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وآخر تقاديمه إجازته من طرف الشريف سيدي محمود التجاني عام 1329هـ، وكانت وفاته رحمه الله بداره بزرهون يوم الثلاثاء 21 شوال عام 1339هـ، انظر ترجمته في نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 2 ص 53-56، وفي نسمات القرب لنفس العلامة ص 29، وفي لوامع الأنوار لنفس العلامة كذلك ص 20.

القطب المكتوم، من فضله لدى الخاص والعام معلوم، كهف الأمان والأماني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني.

والسلام منا على حبيبنا وصفينا، ورفيع المكانة من قلوبنا، المقدم البركة، المحوط بحفظ الله في كل سكون وحركة، أبي عبد الله سيدي محمد بن العربي العلوي، ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته وزكواته عن مدد سيدنا قطب الأقطاب.

وبعد : السلام عليك أيها المحب الوفي : فإنا قد أذناك فيما لدينا من الإذن الصحيح، فيما أذن لنا فيه سيدنا الوالد، خليفة سيدنا القطب التجاني في هذه الطريقة المحمدية، وتلقينها لكل من طلبها منك، مع الإطلاق لك في جميع أسرارها وأذكارها، وما لها من الخصوصيات، زيادة على ما لديك من الإذن في التلقين بالتقديم، سائلا من المولى أن يؤيدك بروح القدس، وينفع بك، وعلى يدك، ويجعلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين، والشهداء والصالحين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله رب العالمين، من الداعي لكم بخير الدارين، المنقوش طابعه أعلاه. وقع بتاريخ ثلاثين ذي القعدة الحرام عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف. عن إذن صاحب الختم أعلاه مولانا محمود بن البشير بن مولانا الحبيب بن القطب المكتوم أبي العباس مولانا أحمد التجاني، رضي الله عنه وأرضاه آمين. إهـ.

وهذا المقدم الجليل، فاق غيره في حسن السمت، في حالتي النطق والصمت، ذو ورع وديانة، وصيانة وأمانة، يعترف له بالفضل كل من سمع به من الإخوان، ومن عوائده أنه يأتي لفاس في رمضان للإعتكاف بضريح سيدنا رضي الله عنه كل سنة، إلا أنه لكبر سنه وضعفه لم يقدم إليه في هذه السنة، وتأسف على عدم قدومه له الأفاضل من الإخوان، أمننا الله وإياه من أهوال هذا الزمان، آمين.

ترجمة سيدي الطيب بن علال بن العربي برادة

ومنهم ناظر زاوية زرهون، الشاب العفيف، المحب في الجناب الأحمدي، السيد الطيب بن السيد علال بن العربي برادة، بن أخي ناظر زاوية فاس، قام على ساق الجد في إدخال السرور على سيدنا محمود، مع ضعف حاله، وقلة ماله.

وقد كان قدم لمكناسة يستعطف سيدنا محمود رضي الله عنه في التوجه لزرهون، باسم النيابة عن الإخوان والأحباب القاطنين به، وخرج لمودعتنا يوم خروجنا من زرهون، وبات معنا بالمحطة الأولى

بعين تاسلالت، ورجع قرير العين بدعاء سيدنا محمود، وذلك عنده غاية المقصود، وقد أقره على نظارة الزاوية هناك.

ترجمة العلامة سيدي محمد بن أحمد العلوي[1]

ومنهم علامة الحضرة الزرهونية ومفتيها، حائز قصبة السبق في حلبة المسارعة لإحراز المكارم، أبو المواهب والمحامد، الفاضل الذي يشهد له بالفضل العام والخاص، وحاز المقام العالي بين الخواص، الشريف المنيف، العلامة النقاد الناسك العفيف، سيدي محمد بن أحمد بن إدريس العلوي الإسماعيلي،

وهو أول من دخلنا داره، فهش وبش، وقابلنا بغاية الإكـرام والإجلال والإعـظام. وقد لازمنا مـدة

(1) محمد بن أحمد بن إدريس بن الشريف بن المهدي العلوي الإسماعيلي، فقيه، محدث، أديب، ولد بمدينة زرهون في فاتح صفر الخير عام هـ، وتلقى العلم بزرهون أولا عن عم والده العلامة مولاي الحسن بن الشريف العلوي، والفقيه مولاي الفضيل بن الفاطمي الإدريسي الشبيهي، وأخذ كذلك عن مفتي مدينة زرهون العلامة سيدي محمد بن عبد الواحد الإدريسي الشبيهي، ثم انتقل لمدينة فاس قصد متابعة دراسته العلمية بها، فأخذ عن مجموعة من خيرة فقهائها، كالعلامة محمد بن التهامي الوزاني، وعبد المالك الضرير، وجعفر الكتاني، وأحمد بن خالد الناصري السلاوي، والحاج محمد بن محمد بن عبد السلام كنون وغيرهم.

عين رحمه الله قاضيا بمدينة زرهون، ثم قدم استقالته فأقيل، ثم عين بعد ذلك عضوا بمجلس الإستيناف الشرعي الأعلى بالرباط، ثم قاضيا بمدينة مكناس عام هـ، ثم قاضيا بمقصورة السماط بالقرويين بفاس عام 1346هـ، ثم قاضيا بمدينة وزان عام 1350هـ، ثم قاضيا بمدينة مكناس للمرة الثانية عام 1359هـ،

من مصنفاته : شرح بردة ابن زيدان، وإتحاف النبهاء الأكياس بتحرير فائدة مناقشة القضاة للأوصياء بفاس، وتوضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام للملك المكرم الموكل بقبض أرواح العباد، وتمهيد الحجة وتنظيف المحجة من دنس تمويه سياح الأفرنجة، وتقييد في حكم لبس السراويل، وغيرها من التآليف الكثيرة.

وكانت وفاته رحمه الله صبيحة يوم الجمعة 28 محرم الحرام عام 1367هـ ـ 11دجنبر 1947م، ودفن في قبة الضريح الإسماعيلي بمكناسة الزيتون، أنظر ترجمته في غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود للعلامة سكيرج بتحقيقنا عليه ضمن هذا المجموع 2 :147-154، وفي إسعاف الإخوان لابن الحاج ص 141، وفي مجلة دعوة الحق تحت عنوان القاضي محمد بن أحمد العلوي بقلم الأستاذ محمد [فتحا] بن عبد القادر العرائشي عدد 227 ص 238-250.

إقامتنا هناك. وهذا الشريف قد فاق غيره في التحقيق والتدقيق، وسار في سيره على أقوم طريق. وله تآليف عديدة، وتقاييد مفيدة، وقد أطلعت على أول شرحه النفيس لميمية سيدنا النقيب المسماة : ببغية المستهام، في مدح خير الأنام التي يقول في مطلعها :

إِنِّي بِدِينِ الغَرَامِ رَاسِخُ القَدَمِ * وَاللَّهُ قَدَّرَهُ عَلَيَّ فِي القِدَمِ

المسمى : تكميل المرام، في شرح بغية المستهام، وهو شرح يستحق أن يكتب بسواد العيون، وينفق في تحصيله الدر المصون، ومن تآليفه : تمهيد الحجة، إلى تنظيف المحجة، من دنس تمويه معتصبة الأفرنجة، يرد فيه على من زعم أن السد المذكور في القرآن غير موجود على الكرة الأرضية.

وقد أبدى العجب العجاب، فيما أتى به من التحقيقات في سد هذا الباب، بألذ خطاب، ومنها : مطية الأبطال، إلى صوب الصواب في مسألة السروال، جمع فيه ما افترق في غيره من الأحاديث والآثار، وسبق غيره في هذا المضمار، وحصل فيه بعد التطويل أن النبي (ﷺ) اشتراه ولم يلبسه، وأتى بما يعضد ذلك من أحكم الدليل.

ومن تحقيقاته ما كتبه لنا في تحقيق الجواب عن الإشكال الذي أوردناه على كلام ابن مالك في المقصور والممدود المتقدم الذكر، ونصه : الحمد لله : ورد علينا الفاضل الأريب، السياسي الأديب، صاحب الخلق الحسن، والطبع المستحسن، والنظم الرائق، والنثر الفائق، العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، فكان من شريف محاضراته أن قال :

أشكل عليه حكم ابن مالك في باب المقصور والممدود من خلاصته على الحذاء، بأن مده إنما هو سماعي، لكونه لا نظير له. وإشكاله من وجهين : أحدهما أنا وجدنا له نظيرا موازنا له، وهو "سلاح". ثانيهما أن (حذاء) يجمع على أحذية، وقد تقرر أن مما يطرد فيه المد مفرد أفعلة، قال : وقد أوردت بحثي هذا على بعض من اجتمعت به من علماء مكناسة، فأجاب بأن الذي يطرد جمعه على أفعلة ويكون مده مقيسا هو المذكر، والحذاء مؤنث إهـ.

فقلت للفاضل المذكور : بحثك تركب من شقين : كون حذاء له نظير في وزنه، وكونه مفردا لأفعلة، والجواب المذكور إنما نفع في الثاني، وأما الأول فلازال على حاله. ثم أجبته بأن الشراح أفادوا أنه ليس المعتبر في النظير مجرد الموافقة في الوزن، بل لا بد مع ذلك من اشتراك كل من النظيرين في

الإندراج تحت ضابط من الضوابط الآتية.

وهي أن يكون كل منهما مصدرا لفعل مبدوء بهمز وصل، أو بهمز قطع، أو "الفعل" بفتحتين حال كونه دالا على صوت أو مرض، أو (لفاعل)، أو مصدرين على (تفعال) بالفتح، أو صفتين على "فعال" بالفتح والتشديد، أو على (مفعال)، أو مفردين لأفعلة قياسا، والسلاح وإن وافق الحذاء الذي هو إسم للنعل في الوزن فلم يشاركه في شيء، أعني في الدخول تحت شيء من الضوابط السابقة.

فإن قلت : إن الإشتراك واقع بينهما في الإسمية أيضا، قلت : الجواب عن ذلك من وجهين : أحدهما أن الإشتراك في مجرد الإسمية ليس هو من الضوابط التي اعتبروها في الحكم، بأن هذا نظير لهذا. ثانيهما : أنه يكفي في الفرق كونه أي الحذاء مؤنثا لا غير، وذلك بخلاف السلاح، فإنه مذكر، وقد يؤنث كما في المصباح، ولوجود الفرق بينهما كان جمع سلاح على أفعلة مقيسا، بخلاف جمع أحذية عليه كما أشير إليه قبل. فإن قلت : رجع هذا الجواب حينئذ إلى الأول ولم يبق له فضل عليه، قلت :

فضل ما بين الجوابين أبين من أن يذكر، وأوضح من أن يسطر، فإن الأول قاصر على آخر الضوابط السالفة، وهو قياسية الجمع على أفعلة. وأن السلاح خالفه الحذاء فيها، من غير تعريج على شيء زائد على ذلك. وأما الثاني فقد قرر أولا ما يعتبر عندهم في الحكم على الشيء بأنه نظير لغيره في هذا الباب، وبين ثانيا أن شرط الحكم المذكور مفقود في السلاح، باعتبار كل ضابط من الضوابط السالفة، لا باعتبار خصوص قياسية الجمع على أفعلة.

فإن قلت : الأول وإن كان بالحال التي وصفته بها من القصر على ما ذكر لكنه كاف هنا في دفع إيراد أن سلاحا نظير لحذاء، قلت : لو كانت صورة البحث خصوص أن كلا منهما يجمع على أفعلة كان الأمر كما قلتم من كفايته، وأما حيث كانت صورته ما أسلفناه من جعل الباحث الفاضل الملحوظ في الحكم على سلاح بأنه نظير لحذاء مجرد الموافقة في الوزن، وأن اشتراكهما في الجمع على أفعلة شيء زائد على ذلك، فبالضرورة حينئذ لا يكون الجواب الأول كافيا في دفع الإيراد، بل لا غنى عن تتميمه بما أوضحناه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وكتب لنا أيضا في تحصيل الجواب الذي راج بيننا في قول البوصيري ويح قوم[1] إلخ، ما نصه : حمدا لمن ألهم البيان، وعلم التبيان، وجعل العلم ينمو ويزيد بمفاوضة الإخوان، من الخلان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، الآتي بالحجة والبرهان، وبعد : فيقول المفتقر لرحمة اللطيف، محمد ابن أحمد بن إدريس بن الشريف، كان الله تعالى له، فيما يكون وما قد كان.

إن مما اختطف من يد الدهر، واغتنمت فرصة اقتطافه من طيب الزهر، ليلة غاب منها الرقيب، واستبشر فيها الكتيب، وضرب المفلس من إسعادها بالسهم المصيب، ليلة اجتمعت فيها بالخلين الأكملين، والفرقدين النيرين، الرافلين في حلل المعارف، المتأثلين من مراكز المجد التالد والطارف، أبي زيد مولانا عبد الرحمان نجل مولانا محمد الحسني الإسماعيلي الزيداني، وأبي العباس سيدي أحمد نجل السيد الحاج العياشي الخزرجي الأنصاري سكيرج، لا زالت ألطاف المولى عليهما تعرج.

فكان مما أملى فيها من ضروب المعارف، وأفيض من سجال اللطائف، أن بادر المولى الأول وقال : إن قول مادح الأعتاب النبوية البوصيري : ويح قوم إلخ ... قد أشكل من وجهين.

أحدهما أن مقتضى الألفة التي عبر بها في هذا الموضوع، هو دوام الإتصال والملازمة، وعدم الإنفصال، مع أن الجزئيتين اللتين استشهد له شراحه بها في ألفة الضباب والظباء له (ﷺ) ليس فيهما ذلك، وحينئذ فكيف ساغ له التعبير بذلك، ولشارحيه بما أشير إليه هنالك.

ثانيهما : أنه كيف يقول ألفته ضبابها، يعني ضباب مكة، والنبي (ﷺ) يقول : لم يكن -يعني الضب- بأرض قومي، إلخ، ومعلوم أن قومه هم قريش، وأرضهم هي أم القرى، قال : وقد كان خطر لي في حل ثاني وجهي الإشكال أن يقدر المتعلق المنفي في قوله : لم يكن بأرض قومي، إلخ... بقولنا مأكولا، وحينئذ لا ينافي ذلك وجودها بها، قال : ثم وجدت هذا الجواب منصوصا، يعني عند

---

(1) هذا اللفظ من همزية الإمام البوصيري، وتمام بيته كالتالي :

ويح قوم جفوا نبيا بأرض * ألـفته ضـبابها والـظباء

وسلوه وحن جذع إليه * وقـلـوه وده الـغـرباء

شارحه بنيس[1]، والحمد لله على الموافقة.

قال : وأما أول وجهيه فلا زال على حاله عندي، فقلت أنا للمولى المذكور : الجواب عن هذا الوجه أن الألفة هنا إنما هي عبارة عن الإطمئنان والإستئناس، ويقابلها الوحشة التي هي عبارة عن بعد القلوب من المودات وانقطاعها، ولا شبهة أن الضب كالظبي ما أقاما بين يديه (ﷺ) وبالغا في الثناء، وشهدا بالرسالة إلا بعد أن أنسا به، واطمأنا إليه، وانتفت الوحشة عنهما، وهذا هو معنى الألفة كما سبق، وحينئذ فلا درك هنا لا على المادح في التعبير بذلك، ولا على شارحيه في الإستشهاد له بما هنالك.

فإن قلت : والواقع قي القضيتين المستشهد بهما إنما هو ألفة ضب واحد، وظبي واحد، فكيف ساغ للمادح الجمع فيهما ؟ قلت : كأنه ألحق في ذلك ما أعطله لسان الحال، بما أفصح عنه النطق والبيان، وقوى ذلك عنده كون الجحود والشقاق، والوحشة والنفاق، مع جانب خواص الله تعالى في أرضه لم تعهد من غير بني آدم والجن.

ثم إن كلا من الألفة والوحشة من قبيل المشكل الذي تختلف أفراده، ولا واسطة بينهما، أعني الألفة والوحشة، وما يتخيل واسطة هو راجع عند النظر الصائب، إما للرتبة السفلى من الوحشة، وإما للدنيا من الألفة.

ثم إن الفاضل الثاني أبدى جوابا عن الوجه الثاني أيضا فقال : يمكن أن يكون في كلام المادح شبه استخدام، بأن يكون أطلق الأرض أولا مريدا بها خصوص مكة، وأعاد عليها الضمير ثانيا مريدا بها خصوص الأرض التي هي محل الضباب، كأرض نجد على ما يأتي. ويؤيد ذلك أن بيته المذكور يمكن أن يكون فيه تلميح لبيت الإستخدام المشهور، وهو إذا نزل السماء بأرض قوم إلخ...

---

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد بنيس، فقيه، محدث، اختص بعلم الفرائض وبرع فيها، ولد بفاس ليلة الاثنين منتصف رجب سنة 1160هـ، وبها أخذ العلم عن جماعة من خيرة العلماء منهم : شيخ الجماعة أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم جسوس، ومن في طبقته، وله مصنفات منها : شرح دقيق على فرائض مختصر خليل سماه : بهجة البصر في شرح فرائض المختصر، وشرح على متن الهمزية سماه : لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية الإمام البوصيري، وحاشية على بغية الطلاب في شرح منية الحساب، لابن غازي، وتلخيص وتحصيل ما للأئمة الأعلام في مسائل الحيازة الدائرة بين الحكام. وكانت وفاته رحمه الله بالوباء عام 1214هـ، انظر ترجمته في سلوة الأنفاس للكتاني ج 1 ص 204، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 374 رقم الترجمة 1493،

فعارضه المولى المستشكل بأن المادح قد قال بعد هذا (أخرجوه منها) إلخ... فأعاد الضمير هنا على خصوص أرض مكة، فلو كان الأول لغيرها للزم عليه عدم جريان الضمائر على وتيرة واحدة. قال راقم هذه الأحرف هنا : هذا لا يؤثر خللا في الجواب المذكور، كما أفاده كلامهم في النوع الثاني من الإستخدام الممثل له بقوله :

فَسَقَى الغَضَا وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمُ * شَبُّوهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي

هذا وقصة الضب المشار إلى أن الشراح استشهدوا بها هي ما رواه البيهقي والدارقطني والطبراني والحاكم وابن عساكر وابن عدي، وأورده غير واحد من فحول الأئمة كالقاضي أبي الفضل في الشفاء، والقسطلاني[1] في المواهب، والقاضي أبي الحسن الماوردي[2] واللفظ له في كتاب أعلام النبوة إذ قال :

---

(1) أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد المالك القسطلاني القتيبي المصري، الإمام العالم العلامة الحجة المحدث المسند، ولد بالقاهرة عام 851هـ، وبها أخذ العلم عن جماعة من الأفاضل منهم : العلامة الحافظ الشاوري، والحافظ السخاوي، وغيرها من الأكابر، وله مصنفات منها : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، في عشرة أجزاء، والمواهب اللدنية في المنح المحمدية، في السيرة النبوية العطرة، ومنهاج الإبتهاج لشرح مسلم بن الحجاج، في ثمانية أجزاء، ونفائس الأنفاس في الصحبة واللباس، في علم التصوف، ولطائف الإشارات في علم القراءات، والكنز، في علم التجويد، واختصار الضوء اللامع لشيخه السخاوي، والروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر، وغير ذلك من الكتب والتقاييد الأخرى.

توفي رحمه الله بموطنه بالقاهرة عام 923هـ، انظر ترجمته في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 967-970، رقم الترجمة 546، الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 420 رقم الترجمة 913، الأعلام للزركلي ج 1 ص 232.

(2) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أقضى قضاة عصره، ولد بالبصرة عام 364هـ، ثم انتقل إلى بغداد، وكان واسع التبحر في العلوم، سيما الفقه والأصول والتاريخ والسياسة والأدب، وله تآليف كثيرة منها : الحاوي في فقه الشافعية، في عشر مجلدات، والأحكام السلطانية، وأعلام النبوة، وأدب الدنيا والدين، والنكت والعيون، في ثلاث مجلدات، ونصيحة الملوك، وغير ذلك من الكتب الأخرى.

توفي رحمه الله عام 450هـ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 3 ص 303، شذرات الذهب لابن العماد ج 3 ص 285، الأعلام للزركلي ج 4 ص 327، الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 387 رقم الترجمة 835.

ومن آياته (ﷺ) ما روى ابن عمر عن أبيه عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) كان في محفل من أصحابه، إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا، وجعله في كمه ليذهب به فيأكله، فلما رأى الجماعة قال : ما هذا ؟ قالوا : النبي (ﷺ)، فجاء يشق الناس فقال : واللات والعزى آمنت بك، أو يؤمن بك هذا الضب، وأخرج الضب من كمه، فطرحه بين يدي النبي (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ) : يا ضب، فأجابه الضب بلسان عربي سمعه القوم جميعا، لبيك وسعديك يا زين من يوافي القيامة، قال : من تعبد ؟ قال : الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه،

قال : فمن أنا يا ضب ؟ قال : رسول رب العالمين، وخاتم النبيئين، وقد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك. فرجع الأعرابي إلى قومه فأخبرهم بالقصة، وكان من بني سليم، فأتى رسول (ﷺ) ألف إنسان منهم، فأمرهم أن يكونوا تحت راية خالد بن الوليد، ولم يؤمن من العرب ألف في وقت واحد غيرهم، صح منه.

وهذا الحديث ادعى ابن دحية[1] أنه موضوع، لكن قال في المواهب : ليس فيه ما ينكر شرعا، خصوصا وقد رواه الأئمة، فمن أين أتاه الضعف إهـ. نقله في مطالع المسرات وأقره، ثم إن ظاهر سياق هذه القصة، وقوله فيها فلما رأى الجماعة قال : ما هذا ؟ مع قوله : فأمرهم أن يكونوا تحت راية خالد إلخ. أنها وقعت في بعض البلاد التي غزاها (ﷺ)، وأن ذلك إنما كان بعد غـزوة أحد، وذلك لأن خالدا إنما أسلم بعدها.

ومن المعلوم أن جميع مغازيه (ﷺ) إنما كانت بعد الهجرة، ولعل هذه الغزوة هي التي روى فيها أبو داود وابن ماجه، واللفظ للأول : كنا مع رسول الله (ﷺ) في جيش، فأصبنا ضبابا، قال : فشويت منها ضبا، فأتيت رسول الله (ﷺ) فوضعته بين يديه، قال : فأخذ عودا فعد به أصابعه، ثم قال : إن أمة من بني إسرائيل مسخت دوابا في الأرض، ولا أدري أي الدواب هي ؟ قال : فلم يأكل ولم ينه.

---

(1) أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد المشهور بابن دحية الكلبي، حافظ للحديث، أديب ومؤرخ، ولد ببلاد الأندلس عام 544هـ، وتوفي بالقاهرة عام 633هـ، من مصنفاته : المطرب من أشعار أهل المغرب، والنبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، والتنوير في مولد السراج المنير، وعلم النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، ونهاية السول في خصائص الرسول، وغير ذلك من المؤلفات الأخرى.

انظر ترجمته في شذرات الذهب لابن العماء ج 5 ص 160، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 292، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 381، وفي نفح الطيب للمقري ج 1 ص 368، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 44، وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 2 ص 252.

وفي رواية ابن ماجه : كنا مع النبي (ﷺ)، فأصاب الناس ضبابا، فاشتووها وأكلوا منها، فأصبت منها ضبا فشويته، الحديث. وهذا كله يؤيد نفي المعارضة بين الحديثين، ولو أبقينا حديث : "لم يكن بأرض" إلخ ... على ظاهره من كون التقدير : لم يكن موجودا إلخ ... إذ قد تبين أن قصة ألف الضب له (ﷺ) ظاهر سياقها، والقرائن الخارجية أنها في غير أرض قومه.

كما يؤيد أيضا جواب الفاضل الثاني، ويزيف جواب الشيخ بنيس المذكور سابقا، لأنه انبنى على تسليم أن القصة المذكورة وقعت بأرض قومه عليه السلام، وأن الضباب موجودون بها، وقد علمت أن ذلك لا دليل عليه، بل أفاد سياق القصة خلافه. ويعضد ذلك أيضا ما مر من قول صاحب المواهب : ليس فيه ما ينكر إلخ ... لأن صاحب المواهب هو أحد شراح البخاري، فهو لا يجهل ما تكرر فيه من حديث : لم يكن بأرض قومي.

فدل ذلك أنه إنما نفى ما ينكر عن حديث شهادة الضب، علما منه بأن قصته بأرض قومه. وأما كونه يقول بتقديره مأكولا في حديث : لم يكن إلخ ... فهذا شيء ما رأيناه عرج عليه في شرح البخاري.

وقد ساق ابن ماجه الحديث على ما في النسخ المطبوعة بلفظ : لم يكن بأرضي فأجدني إلخ. وأما أبو داود فرواه بلفظ البخاري السابق، وكذا مسلم في بعض رواياته، وعنده في رواية أخرى : هذا لحم لم آكله قط، وفي رواية له أخرى : ولكنه ليس من طعامي، والآتي بالضب الذي أبى أكله (ﷺ) هي أم حفيدة أخت أم المؤمنين ميمونة، أتت به من نجد كما في بعض روايات مسلم وغيره، ونجد ليس من الحجاز، بل هو ما ارتفع من تهامة من أرض العرب الموالية للعراق.

قلت : وتلخيص ما سبق وتقريب المقصود منه أن الكلام في مقامين : هل بين الحديثين معارضة ؟ فيحتاج للجواب عنها، وقد علمت أن الذي أفاده ظاهر القصة أنها لم تقع بمكة، فلا داعي لإخراج حديث : لم يكن بأرض قومي إلخ ... عن ظاهره. المقام الثاني أنه حيث لم يكن له صارف عن الظاهر، وأنه لا دليل على وجود الضباب بمكة، فكيف أثبت المادح وجودها فيها، وزاد أنها ألفته.

وقد بان لك مما سلف أن الأولى في الجواب هو تخريج كلامه على منحى الإستخدام، لما لزم على الجواب بتأويل حديث لم يكن إلخ...بأن يقدر فيه (مأكولا) من تسليم وجودها بها، وذلك مع كونه لا دليل عليه فيه مفسدة فتح باب المعارضة بين الحديثين، مع وجود المندوحة عن ذلك. فهذا ما أبرزه النظر القاصر، والفكر الفاتر، والسلام، فقال سيدنا النقيب عند تأمله وإمعان النظر فيه :

أما دفع إيراد تشتيت الضمائر الذي هو من المخلات بالفصاحة بالقياس على قول البحتري[1]:

فَسَقَى الغَضَا وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمُ * شَبُّوهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي

فذلك قياس مع الفارق، وبيانه أن الطريقة الثانية التي أوتي بالبيت شاهدا عليها هي طريقة الشيخ بدر الدين بن جمال الدين بن مالك[2] رحمه الله تعالى في المصباح، وهي أن الإستخدام إطلاق لفظ مشترك بين معنيين، ثم يأتي بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين، ومن الآخر المعنى الآخر، ثم إن اللفظين قد يكونا متأخرين عن اللفظ المشترك، وقد يكونا متقدمين، وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما، والطريقتان راجعتان إلى مقصود واحد، وهو استعمال المعنيين، وأين هذا مما كلامنا فيه؟ إهـ..

أما المعارضة فلا نقول أنها بين الحديثين، وإنما هي بين حديث لم يكن بأرض قومي إلخ... مع قول المادح : ألفته ضبابها والظباء، وهي لازالت قائمة على ساق لم يكد يدفعها ما سطر في هذه الأوراق، ونحن أيضا كالشيخ بنيس لا نبنيها على وقوع القضية المشار إليها بمكة حتى تزول المعارضة بما قررتم.

ومن الجلي الذي لا يرتاب فيه اثنان أنه لا يلزم من وقوعها بغير مكة كون الضباب ليست بمكة، ولولا أن الشيخ بنيس ثبت لديه وجود الضب بمكة ما احتاج إلى تقدير المتعلق مأكولا، وعليه فيكون حافظا، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، ولاشك أن رواية : هذا لحم لم آكله قط، ورواية : ولكنه

---

(1) الوليد بن عبيد بن يحي الطائي البحتري، من خيرة شعراء العرب، ولد عام 206 هـ، وتوفي عام 284 هـ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم، المتنبي، وأبو تمام، والبحتري، وقيل لأبي العلاء المعري : أي الثلاثة أشعر؟ فقال المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 2 ص 175، وفي الأعلام للزركلي ج8 ص121، وفي معاهد التنصيص للعباسي ج1 ص 234.

(2) بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، نحوي مشهور، وهو ابن ناظم الألفية، في علم النحو، ولد بدمشق، وبها توفي عام 686 هـ، من مصنفاته : المصباح، في علمي المعاني والبيان، وشرح ألفية والده المشهورة في علم النحو، وشرح لامية الأفعال، وروض الأذهان، في علم المعاني، وغير ذلك من التآليف الأخرى.

انظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج7 ص 383، وفي بغية الوعاة للسيوطي ص96، وفي شذرات الذهب لابن العماد ج5 ص398، وفي الأعلام للزركلي ج7 ص 31، وفي معجم المطبوعات لسركيس 234.

ليس من طعامي، كادتا أن تكونا صريحتين فيما أول به الشيخ بنيس، على أننا أخبرنا من الثقاة بوجود الضباب بمكة، وعليه فيتعين تأويل الحديث قطعا.

ثم كتب لنا بعد ذلك صاحب الترجمة رعاه الله ما نصه : قال الأبي[1] قال القرطبي : الضب جرذون كبير يكون بالصحراء، ثم قال: ولكنه لم يكن بأرض قومي: يعني بأرض قومه مكة، وقيل : إنه موجود بمكة، لكنه قليل ولا يأكلونه، ثم قال : دعانا عروس بالمدينة فقرب إلينا ثلاثة عشر ضبا إلخ.. عياض[2] : هذا دليل على أن أكله كان معروفا مشهورا عندهم، صح منه، وقد اقترح علي استعمال قصيدة في مدح الحضرة الإدريسية بزرهون، فأنشأت هذه الأبيات في مدح ذلك الطالع الميمون :

سِرْ بِـي لِأَهْلِ الفَضْلِ مِنْ زَرْهُونِ * وَاقْـصِـدْ مَـقَـامَ الـطَّالِعِ الـمَيْمُونِ
شَـمْسِ البِلَادِ وَفَاتِحِ الغَرْبِ الَّذِي * وَافَــى لَـهُـمْ بِـالجَوْهَرِ المَـكْنُـونِ
وَافَـى لَهُمْ بِالفَتْحِ فَانْكَشَفَتْ بِـهِ * غُـمَـمٌ وَوَفَّـى بِـالهُدَى الـمَسْنُونِ
مَـوْلَايَ إِدْرِيـسَ بْـنِ عَبْدِ اللَّهِ مَنْ * شَـهِدَتْ لَـهُ بِالفَضْلِ أَهْـلُ الدِّيـنِ
أَمَّـا الـعدَاةُ فَـقَدْ أُصِيبُوا كُلُّهُمْ * بِـسِـهَـامِ ذُلٍّ مِـنْـهُ بَـعْدَ جُـنُـونِ
فَـمُـحِبُّهُ وَعَــدُوُّهُ قَــدْ أَصْبَـحَا * كُــلٌّ بِــهِ فِــي دَهْشَـةِ المَفْتُونِ
أَمَّـا الـمُحِبُّ فَـقَدْ سَبَاهُ جَمَالُهُ * وَعَــدُوُّهُ قَــدْ صَـارَ رَهْـنَ الـهُونِ
فَـانْـظُرْ لِـذَاكَ فَـإِنَّهُ نَـالَ الـرِّضَى * وَانْـظُرْ لِـذَا فَـهَلَاكُهُ فِـي الحِيـنِ
إِنَّ الـرِّضَى إِدْرِيـسَ قَدْ فَاقَ السِّوَى * فِــي الـفَضْـلِ وَالعِرْفَانِ وَالـتَّمْكِينِ
مَــا أَمَّـــهُ ذُو حَـاجَـةٍ إِلَّا غَـــدَا * بِـمُـنَـاهُ فِــي الـمَحْيَا وَبَـعْدَ مَـنُونِ
لَمْ يَـخْشَ سُـوءًا مَـنْ يَـحُلُّ حِمَاهُ مِنْ * بَـيْـنِ الـوَرَى وَيُـرَى قَـرِيرَ عُـيُونِ
فَـمَقَامُهُ كَـمَـقَامِ إِبْـرَاهِـيمَ مَــنْ * قَــدْ حَـلَّـهُ يَـكْفِـيهِ كُـلَّ مَـئُـونِ
فَـاقْـصِدْهُ فِـيـمَا تَـبْتَغِـيهِ تَـنَـالُهُ * وَتَـصِـيـر مَـأْمُـونًا رَفِـيـعَ شُــؤُونِ

---

(1) محمد بن خلفة بن عمر الأبي الوشتاتي المالكي، من حفاظ الحديث، له مصنفات منها : إكمال إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم، في سبعة أجزاء، في شرح صحيح الإمام مسلم، جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنووي مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة، وكانت وفاته رحمه الله عام 827 هـ بتونس، أنظر ترجمته في البدر الطالع للشوكاني ج 2 ص 169، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 244 رقم الترجمة 874، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 296 رقم الترجمة 664، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 115.

(2) إشارة للعالم الجليل أبي الفيض عياض بن موسى اليحصبي،

وَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْمُصْطَفَى * فَبِجَاهِكَ العَالِي تَـزُولُ شُجُونِي
وَاللَّهَ أَسْأَلُ أَنْ يَحُفَّكَ بِالرِّضَى * وَبِفَضْلِهِ يَعْلُو مَنَارُ الدِّينِ

ترجمة مؤذن الضريح الإدريسي

ومنهم الشريف المنيف البركة، المنبسط بالمباسطة التي هي لكل قلب رقيق محركة، مؤذن الضريح الإدريسي، الفقيه الأجل سيدي محمد بن عبد الهادي العلوي، وهو من المحبين في الطريقة، وله بــاع عريض في علم التوقيت والحساب والفرائض.

وقد تذاكرنا في مسائل فقهية وحسابية، منها : هل الواحد عدد أولا ؟ وقد سلكت معه مسلك من يقول : إنه عدد لكون حد العدد يصدق عليه، وهو نصف مجموع حاشيتيه العليا والسفلى، مثل الثلاثة فهي نصف الستة التي هي مجموع الأربعة والإثنين، الذين هما الحاشيتان، وكذلك الواحد نصف مجموع حاشيتي كسره، مثل النصف فهو حاشية سفلى للواحد، والحاشية العليا واحد ونصف، ومجموعهما اثنان، ونصفهما واحد، وهو عدد بهذا الاعتبار.

وقد سألني عن بعض مسائل الخنثى، فأجبته بما هو منصوص لديهم في ذلك، وأوقفته على الأرجوزة التي نظمتها في الخنثى، ونصها :

يَا طَالِبًا أَقْسَامَ حُكْمِ الخُنْثَى * وَهْيَ بِفَرْجَيْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
فَاسْمَعْ لِمَا أُمْلِيهِ مِنْ أَقْسَامِ * وَمِنْ عَلَامَاتٍ وَمِنْ أَحْكَامِ
يَتَّضِحُ الخُنْثَى مِنَ الأَشْكَالِ * بِعَشْرِ أَشْيَاءٍ بِلَا إِشْكَالِ
بِبَوْلِهِ مِنْ أَحَدِ الفَرْجَيْنِ أَوْ * كَثْرَتِهِ أَوْ سَبْقِهِ فِيمَا حَكَوْا
وَالحِيضُ مَعْ وِلَادَةٍ مِنِّي * كَذَا نَبَاتُ لِحْيَةٍ أَوْ ثَدْيٍ
وَشَهْوَةٌ مِنْهُ عَلَى المُعْتَادِ * وَمِثْلُهُ الأَضْلَاعُ بِالتِّعْدَادِ
وَإِنْ يَبُلْ مِنْ جِهَتَيْنِ أُنْثَى * فَنِصْفُ حَظَّيْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَخمس أَقْسَامٍ أَتَتْ لِخُنْثَى * ذَاتِ الذُّكُورَةِ وَذَاتِ الأُنُْثَى
تَأْخُذُ نِصْفَ حَظ كِلْتَا الحَالَتَيْن * فِيمَا إِذَا اخْتَلَفَ إِرْثُ الجِهَتَيْن
وَإِنْ تَرِثْ مِنْ جِهَةٍ وَمُنِعَتْ * مِنْ جِهَةٍ بِنِصْفِ إِرْثٍ قَنِعَتْ
وَإِنْ تَسَاوَى الإِرْثُ فِي الحَالَيْنِ * فَإِرْثُهَا يَكْمُلُ دُونَ مَيْنِ

وَعِنْدَهُمْ مَا دَامَ خُنْثَى مُشْكَلَا * مَنْعُ مُنَاكَحَتِهِ بَيْنَ المَلَا
فَإِنْ يَلِدْ مِنْ بَطْنِهِ وَظَهْرِهِ * فَإِنَّهُ يَرِثُ مِثْلَ غَيْرِهِ
فَهْوَ يُرَى أَبًا لِنَسْلِ صُلْبِهِ * وَأُمّ مَنْ بِبَطْنِهِ فَانْتَبِهِ
وَإِنْ يَمُتْ فَالمَالُ لِلأَوْلَادِ * بِالإِرْثِ مُطْلَقًا عَلَى المُعْتَادِ
وَبَيْنَ مَنْ مِنْ بَطْنِهِ وَظَهْرِهِ * يَمْتَنِعُ المِيرَاثُ حَقًّا فَادْرِهِ
وَلَا نِكَاحَ بَيْنَهُمْ وَلَا وَلَا * وَعِتْقُهُ يُرَى عَلَيْهِمْ مُسجلَا
وَإِنْ بِوَطْئِهِ لِنَفْسِهِ وَلَدْ * فَحُكْمُ الأَوْلَادِ أَشِقًّا اطُّرِدْ
وَمُعْلِنٌ بِتَرْكِهِ التَّكَلُّمَا * مَعَ الذُّكُورِ وَالإِنَاثِ قُسِّمَا
بِحَيْثُ إِنْ كَلَّمَ خُنْثَى مُشْكَلَا * كَمَا عَلَيْهِ نَصَّ بَعْضُ الفُضَلَا
وَيَدْخُلُ الأُنْثَى عَلَى مَا ذَكَرَا * بَعْضُ الشُّيُوخِ لِلجِنَانِ ذَكَرَا
وَجَازَتِ الأَضْحَى بِخُنْثَى مُشْكَلِ * مِنْ غَنَمٍ وَبَقَرٍ وَإِبِلِ

وقد أنشدته لغز الشريف العلوي مولاي عبد السلام المحب[1] الأديب اللغوي:

يَا فَرْد فِي عِلْمِ الفَرَا * ئِضِ قَدْ غَدَا مِنْ دُونِ ثَانِ
مَا ذَا تَقُولُ حُفِظْتَ فِي * أَخَوَيْنِ لَا يَتَوَارَثَانِ
مَعْ أَنَّهُ لَا مَنْعَ مَوْ * جُود عَنِ التَّوْرِيثِ ثَانِ
فَأَجِبْ بِحَلِّ المُشكلَا * تِ أَلَذّ مِنْ نَغْمِ المَثَانِي

ومحصل اللغز : أخوان لا يتوارثان، مع أنهما لا مانع موجود من موانع الإرث بينهما، والجواب

---

(1) مولاي عبد السلام المحب العلوي، أديب، شاعر، فقيه جليل، ولد بمدينة فاس، وبها أخذ العلم عن جماعة من أعيان العلماء، فبرز نجمه في علوم وفنون كثيرة، وتولى الكتابة مدة على عهد السلطانين المولى عبد العزيز وأخيه المولى عبد الحفيظ، ومن مصنفاته : مقامتان على طريقة المقامات الحريرية، وكانت وفاته رحمه الله في أوائل شهر شوال عام 1331هـ، ورثاه الأديب الكاتب محمد غريط بقصيدة قال في مطلعها :

نغالط بالآمال والحكم واجب * ونستوهب الإمهال والعمر ذاهب
ولولا أمانينا وحجب نفوسنا * عن الغيب ما لذت لدينا مشارب

أنظر ترجمة في فواصل الجمان لمحمد غريط ص 224-306، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 7.

خنثى وطئ امرأة فأولدها، ووطئه ذكر فأولده، فالولدان أخوان لا يتوارثان، وفي ذلك قلت مجيبا :

يَـا حَـائِـزًا قَـصْبَ الـسِّبَا * قِ لِنَظْمِ يَاقُوتَ المَعَانِي
أَلْـغَزْتَ فِـي خُنْثَى لَـهُ * وَلَــــدَانِ لَا يَـتَـوَارَثَانِ
فَـلِـوَاحِدٍ أُمًّــا غَـــدَا * وَأَبًــا لِآخَــرَ بِـالـبَيَانِ
مَـنْ مَـاتَ مِـنْ هَذَيْنِ لَا * مِـيرَاثَ مِـنْهُ يُرَى لِثَانِ
هَـذَا جَـوَابِي وَهْـوَ مِـنْ * خَزَفٍ وَنَظْمُكَ مِنْ جُمَانِ
فَـاقْبَلْهُ يَـا بَـدْرَ الـعَلَا * لَازِلْـتَ تَـحْظَى بِـالأَمَانِ

ومما ذكره لنا أن الديك من الدجاج إذا رأى في المحل الذي هو به من يقوم في الفجر، فإنه إذا حضر الوقت ولم يقم يأتي إلى بابه ويصير يصوت، كأنه مؤذن، وقد جرب ذلك مرارا، كما أنه يراه في وقت الفجر يؤذن بصوته اثنى عشر مرة، وكذلك عند الزوال، وأما ما بينهما فلا يعدها عدا، بل يصوت من غير تتابع.

ترجمة سيدي محمد بن الوافي بن عمر الزعيمي

ومنهم البركة الأشيب، الشريف سيدي محمد بن الوافي بن عمر الزعيمي الحسيني الزرهوني، وهو من الفقراء التجانيين، أخبرني أن والده قد أخذ الطريقة مباشرة عن سيدنا رضي الله عنه، وقد كاد أن يطير فرحا برؤية سيدنا محمود، وحمد الله على ذلك. وأنشدني فيه متمثلا بهذه الأبيات في مدح سيدنا القطب التجاني، من إنشاء البركة الأفضل، الشريف سيدي أحمد السفياني[1] رحمه الله، تلقاها منه مشافهة، وهي وإن لم تكن على طريقة العروض، فلا بأس بذكرها، ونصها :

---

(1) أبو العباس سيدي أحمد بن المقدم الجليل سيدي الطيب السفياني، كان متفانيا في محبة الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه، وله في مدحه منظومات عديدة ما بين موزون وملحون، وهو من مواليد مدينة فاس عام 1217هـ، وبها كانت وفاته رحمه الله يوم الاثنين 2 صفر الخير عام 1286هـ، ودفن بجانب قبر والده بجبل زعفران خارج باب عجيسة إحدى أبواب مدينة فاس، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 185-188، وفي رفع النقاب لنفس العلامة ج 2 ص 249-254، وفي نخبة الإتحاف للفقيه الحجوجي رقم الترجمة 21.

وَجَـبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا * فِـــي مَـسَـاءٍ وَصَـبَاحِ
أَشْـرَقَـتْ شَـمْـسُه فِـينَا * كَالشُّمُوسِ فِي الضَّوَاحِ
يَـرَاهَا مَــنْ كَـانَ مِنَّا * سَـالِمَ الـعَـقْلِ وَصَـاحِ
لِلتِّجَانِي فَـضْلٌ عَلَيْنَا * دَلِـيــلٌ لِـلـخَـيْـرِ لَاحِ
قَـــالَ إِنْ تَـلْـزَمْ حِـمَانَا * تـقـطف زَهْـرَ الـبِطَاحِ
فَلْتَكُنْ تَـطْلُبْ رِضَانَا * فَـفِـيـهِ كُــلُّ الـنَّجَاحِ
فَـوْقَ مَــا تَـظُنُّ فِـينَا * مِنْ كَمَالِ الفَضْلِ صَاحِ
وَجَـبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا * فِـــي مَـسَـاءٍ وَصَـبَاحِ

وقد طلب مني أن أبين له كيفية عمل الكحل المنسوب لسيدنا رضي الله عنه، فأفدته بأنه يرمز عليه بأبيضين وأسودين وأحمرين وأزرقين، وتفسير ذلك : شب ونشادر، فإبزار وعود النوار، فحديدة حمراء، وزعفران، فحديدة زرقاء، وزنجار على وزن واحد، بعد الدق الجيد، ويوزن الجميع بالإثمد بعد دقه، ويلث الجميع بماء ليمون، يدق ويجعل في بيضة فارغة، تجعل في الكسكاس حتى يعلم بجفافه، ثم يدق ويستعمل، فإنه يزيل الماء النازل بالعين وغيره من أضراره.

وقد ذكر لي صاحب الترجمة أنه لما أخذ طريقة سيدنا رضي الله عنه فرح والده غاية الفرح، وقال له : الآن أنت ولدي حقا، فقد كنت طلبت من الله بجاه الشيخ أن ينعم علي بعشرة أولاد، كلهم يكونون من أصحاب الشيخ رضي الله عنه. قال : وقد استجاب الله دعائه، فقد أخذ إخوته العشرة هذه الطريقة المحمدية.

ترجمة مولاي عبد الرحمان العلوي[1]

ومنهم العدل الزكي، النزيه الذكي، الشريف المنيف، أبو زيد مولاي عبد الرحمان بن عمر العلوي،

(1) هو الفقيه العدل الشريف أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن عمر بن هاشم بن محمد بن محمد فتحا بن بوزكري بن يوسف بن الحسن بن مولانا علي الشريف العلوي المدغري نسبا، الزرهوني ولادة وقرارا ووفاة، وهو من خالص المنتمين للطريقة الأحمدية التجانية، وله فيها محبة كبيرة، وقد أخذها على يد العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح.

أخو شيخنا العلامة الأجل، القاضي الأفضل المبجل، مولاي عبد السلام بن عمر العلوي[1] نسبا، التجاني طريقة، قد استوطن بزرهون محل مسقط رأسه مع أخيه، إلا أن الثاني استوطن فاسا، تلقى الطريقة عن الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح، رضي الله عنه.

ومما أنشدني من حفظه لأديب مكناسة الفقيه الكاتب سيدي محمد بن المعطي المسطاري[2] رحمه الله قوله :

(1) العلامة الشريف مولاي عبد السلام بن عمر العلوي المدغري، فقيه، مدرس، صوفي جليل، من مواليد مدينة زرهون عام 1270هـ، أخذ العلم عن جماعة من علماء المدينة المذكورة منهم : سيدي محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي، والعلامة سيدي محمد الخياط الزرهوني، والفقيه سيدي محمد بن عبد الواحد الإدريسي، وأخذ بمدينة فاس عن ابن عمه وصهره الشريف العلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي، والعلامة القاضي مولاي محمد فتحا بن عبد الرحمان المدغري، والفقيه سيدي محمد بن المدني كنون. وأخذ رحمه الله الطريقة الأحمدية التجانية عن صهره العلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي،

من مصنفاته شرح حزب التضرع لصهره المذكور، وتولى خطة القضاء بطنجة مرتين، وبالدار البيضاء، وبمدينة أزمور، ثم عين بعد ذلك خليفة لرئيس المجلس العلمي بفاس. وكانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء 14 جمادى الثانية عام 1350هـ، **-27 أكتوبر 1931م**

أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سيدي أحمد سكيرج ص 51. وفي قدم الرسوخ لنفس العلامة رقم الترجمة 6. وفي دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 144 رقم الترجمة 838. وفي الأعلام للزركلي ج4 ص7. موسوعة أعلام المغرب 8: 3007 الجواهر الغالية في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 31. إتحاف الأعيان بأسانيد العرفان، للعلامة حسن مزور 39. اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التجاني وبطريقته وزاويته الأم التجانية للعلامة ادريس العراقي 92. فهارس الشيوخ لصاحب قدم الرسوخ، للعلامة أحمد سكيرج (مخطوط خاص) إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة الحجوجي 7: 261-264. فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام ، للعلامة الحجوجي أيضا رقم الترجمة 166. فهرس العلامة المؤرخ محمد (فتحا) سكيرج (مخطوط خاص). إتحاف المطالع لابن سودة 1: 458. سل النصال للمؤلف نفسه 65 رقم 74.

(2) محمد بن الأمين السيد المعطي المسطاري المكناسي، فقيه، عدل، موثق، ماهر، فرضي، جليل، أديب، أخذ عن جماعة من أعلام مدينة مكناس، وعمدته فيهم العلامة الشيخ عبد الرحمان بصري، وكانت وفاته رحمه الله في أواسط جمادى الأخيرة عام 1305هـ، ودفن بصحن روضة الولي الصالح مولاي عبد الله بن أحمد بمكناس، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 4 ص 268-271.

اسق بدر التَّمِّ جَمًّا * بِــهِ يَـزْدَادُ نَشَـاطَا
عَـلَّـهُ يَـرْنُـو إِذَا مَـا * زَادَهُ الوَصْلُ اغْتِبَاطَا
فَـبِـهِ رن الـمَـثَانِي * روقت هَذَا الـبِسَاطَا

وأنشدني لبعضهم أيضا :

سُبْحَانَ مَنْ قَسَّمَ الحُظُو * ظَ فَلَا عِتَابَ وَلَا مَلَامَهْ
أَعْـمَـى وَأَعْـشَـى ثُـمَّ ذُو * بَـصَـرٍ وَزَرْقَـاءُ الـيَـمَامَهْ

وأنشدني من حفظه ناقلا لها من العلوم الفاخرة :

أَسِـيـرُ الـخَـطَايَا عِـنْدَ بَابِكَ وَاقِـفُ * عَـلَى وَجَـلٍ مِـمَّا بِـهِ أَنْـتَ عَـارِفُ
يَـخَافُ ذُنُـوبًا لَـمْ يَـغِبْ عَـنْكَ غَـيْبُهَا * وَيَـرْجُـوكَ فِـيـهَا فَـهْـوَ رَاجٍ وَخَـائِفُ
وَمَـنْ ذَا الَّـذِي يَرْجُو سِـوَاكَ وَيَـتَّقِي * وَمَـا لَـكَ فِـي فَصْلِ القَضَاءِ مُخَالِفُ
فَـيَا مَالِكِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي * إِذَا نُـشِرَتْ يَـوْمَ الحِسَابِ الصَّحَائِفُ
وَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ القَبْرِ عِنْدَمَا * يَـصُدُّ ذَوُو الـدُّنْـيَا وَيَـجْـفُو الـمُوَالِفُ
لَئِنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الوَاسِعُ الَّذِي * أُرَجِّــي لِإِتْـلَافِـي فَـإِنِّـي لَـتَـالِفُ
وَحَـاشَـاكَ يَـا مَـوْلَايَ تَـقْـطَعُ رَاجِـيًا * عَـلَى بَـابِـكَ الـمَـأْمُولِ قَـبْلَهُ وَاقِـفُ

ترجمة مولاي العربي بن هاشم العلوي

ومنهم خليفة سيدنا النقيب بزرهون، الشريف الأصيل، مولاي العربي بن هاشم العلوي قد لازمنا مدة إقامتنا، ولم يقصر في البرور، وقد أثنى لي عليه سيدنا النقيب، بأنه رجل جد في مصارفته، مشتغل بما يعنيه. وقد تفرست فيه هذا أيضا، مع كونه لا يبالي بنفسه، من استعمال التؤدة والترفه في لباسه، ولا يمتاز بشيء عن أناسه، ولا شك أنه مستحق لما اختاره إليه سيدنا النقيب، من تقديمه على البعيد من أولاد أعمامه والقريب، وما ذاك إلا لحسن تصرفه ومعاملته ساداتنا الشرفاء بالرفق واللين.

ترجمة سيدي محمد بن المامون العلوي

ومنهم الشريف الأصيل، الفاضل الجليل، تحفة الشرفاء، وواسطة عقد الظرفاء، الأنيس المطرب، سيدي محمد بن المامون العلوي الإسماعيلي، من خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه، وكفاك فيه أنه يعمر جل أوقاته بالتلذذ بذكر مناقب سيدنا رضي الله عنه، مع ما رآه من الكرامات التي يشاهدها في جميع أموره، يقظة ومناما،

وقد ذكر لي أنه رأى رؤيا بعدما كان يتراخى عن القيام لصلاة الصبح في وقتها، فرأى قائلا يقول له : إذا أردت أن تكون من أهل (حي على الفلاح) فلازم القيام لصلاة الفجر، فمن ذلك الوقت لازم القيام للصلاة في ذلك الوقت. وهذا الشريف ذو انبساط تام، ما جالس أحدا إلا أدخل عليه السرور، بلطيف حديثه الممزوج بالجد والهزل، الدال على طيب الأعراق والأصل. وله همة عالية، وشيم غالية، زاد الله في معناه آمين.

الخرج من زرهون والتوجه إلى الشراردة

وفي يوم الأحد رابع ذي حجة، خرجنا من زرهون، وقبل ركوبنا استعملت هذين البيتين، بمحضر سيدنا النقيب وجماعة من أعيان ساداتنا الشرفاء العلويين بها، وهما :

أَسْـتَـوْدِعُ اللَّهَ زَرْهُـونًـا وَسَـاكِـنَـهَا * وَمَـنْ يُـجَـاوِرُهَا وَأَهْـلَ مَـكْـنَاسِ
وَالصَّحْبَ وَالأَهْلَ وَالإِخْوَانَ كُلَّهُمُ * وَمَـنْ أُحِـبُّـهُمُ مِـنْ سَـاكِـنِي فَـاسِ

وكان خروج سيدنا محمود في الساعة الخامسة صباحا، ونزل بقصر فرعون مع أهله، بعد ما ضربت له قبة صغيرة، ولما خرجنا في الساعة الثامنة من باب الحجر، ووصلنا للقصر المذكور، بقينا هناك إلى الساعة الحادية عشرة، فركب سيدنا محمود، وركبنا، بعدما استودعنا الفقيه الأديب السيد عمر الربعي ليرجع لفاس، لما حصل له من الضعف عن السفر، وليشتغل بقراءة العلم الشريف في الحضر. وكنت كتبت معه هذه الأبيات ليدفعها إلى أحبائنا من أهل فاس، ونصها :

بِـــأَيِّ لِـسَـانٍ عَـــنْ جَـــوَايَ[1] أُتَــرْجِـمُ * وَمِـــنْ وَلَــهِـي[2] أَصْـبَـحْـتُ لَا أَتَــكَـلَّمُ
فـيعذلـني مَــنْ صَــارَ يَجْـهَـلُ حَالَـتِي * ويـعـذرني مَــنْ صَــارَ لِـلـحَالِ يَعْـلَمُ
وَكَـمْ قَـدْ كَـتَـمْـتُ الـشَّوْقَ وَالـشَّوْقُ زَائِدٌ * وَمَــنْ كَــانَ مِـثْـلِـي كَـيْـفَ يقدر يـكـتم
فَأَشْـكُو إِلَـى الـمَوْلَى زَمَانًا أَضَـرَّ بِـي * بِـبُـعْـدِي عَــنِ الأَحْـبَـابِ وَاللَّهُ أَعْـلَـمُ
فَـكُـنْـتُ قَـرِيـرَ الـعَـيْنِ حِـيـنَ رَأَيْـتُـهُـمْ * فَـأَبْـعَـدَنِـي عَـنْـهُـمْ قَـضَــاءٌ مُـحَـتَّـمُ
وَلَـــمْ أَرَى إِلَّا أَنْ أُسَـــلِّـمَ لِـلـقَـضَـا * عَـسَـى بِـاجْـتِـمَاعِ الـشَّـمْلِ أَحْظَى وَأَغنم[3]
أَأَحْـبَـابَـنَا يَــا أَهْــلَ فَــاسٍ وَمَــنْ بِــهَا * أَقَــامَ اسْـأَلُوا لِــي اللَّهَ بِـالـقُرْبِ يَـرْحَمُ
فَـمَـا بِـاخْـتِـيَارِي فَــرَّقَ الـدَّهْـرُ بَـيْـنَـنَا * وَقَـلْـبِـي لَـدَيْـكُمْ طُــولَ عُـمْـرِي مُـخَـيَّمُ
أظــل نَـهَـارِي فِــي اضْـطِـرَابٍ مُـهَـيِّجٍ * لِـشَـوْقٍ شَــوَى قَـلْـبِي وَجِـسْـمِي مُـكَـلَّمُ
سَـلُـوا إِنْ سَـلَـوْتُـمْ[4] أَنْـتُـمُ عَـنْ مُـحِـبِّكُمْ * نُـجُـومًا بِــأُفْـقِـي فَـهْـيَ عَـنِّـي تُـتَـرْجِمُ
فَـتُـخْـبِركم أَنِّـــي أَبِـيــتُ مُـنَـاجِـيًا * لَهَا فِي الدُّجَى[5] وَالشَّوْقُ فِي القَلْبِ يضرمُ
وَفِــي كُــلِّ لَـيْـلٍ عِـنْـدَ نَـوْمِي يَـزِيدُنِي * سُـهَـادًا[6] شُـهُـودِي بَـاهِـرَ الـحُسْنِ مِـنْـكُمُ
فَأَشْـهَـدُ سَـاعَـاتٍ مَـضَـتْ فِـي مَـجَالِسٍ * بِـهَـا فِــي مَـجَـالِ الأُنْـسِ قَـلْـبِيَ مُـغْـرَمُ
فَـلَـسْتُ بِـنَـاسٍ بَـيْـنَ نَـاسِـيَ أُنْـسَـكُمْ * وَلَا أَتَـسَـلَّـى طُـــولَ بُـعْـدِيَ عَـنْـكُمُ
فَـــبِـاللَّهِ لَا تَـنْـسَـوْا مُـحِـبَّـكُمُ الَّــذِي * سَـلَامَـتُـهُ مَـهْـمَـا عَـلَـيْـهِ تُـسَـلِّـمُوا
وَدُومُــوا وَحِـفْـظُ اللَّهِ يَـشْـمَلُ جَـمْـعَـكُمْ * إِلَـــى أَنْ أَرَاكُـــمْ سَـالِـمِـينَ فَـأَسْـلَـمُ

ثم إننا سرنا قاصدين الشراردة، ومررنا على عين الشكور، وشاهدنا في طريقنا أثر بناءات قديمة بالحجر المنجور، تشبه أثر بناءات القصر المذكور، وقد تلقتنا بالطريق الأحباب والإخوان، جماعة فجماعة، راكبين على خيولهم المسومة، وكان اليوم خفيف المطر، وكادت الشراردة كلها أن تطير

---

(1) جواي : من الجوى وهو شدة الوجد والعشق
(2) ولهي : من الوله وهو التحير من شدة الوجد
(3) أغنم : أفوز بلا بدل
(4) سلوتم : من السلو بمعنى إن حاولتم نسيانه
(5) الدجى : مفرد دياجي وهو الليل المظلم
(6) سهادا : من السهد وهو الأرق

فرحا لقدومنا، إلى أن وصلنا لعين تاسلالت، وبها محل القائد الأسعد، الفاضل الأمجد، السيد المختار بن علي الشرادي الدليمي،

وهذه العين من أعذب العيون ماء، ومحلها أطيب هواء، ذكر لنا القائد المذكور أن جميع من مر من الأجانب على طريقها يسقي منها، ويثني عليها، ويصفها بأنه لا يوجد مثلها في العذوبة والخفة في قطر من الأقطار، ويوجهون من يسقى لهم من الأماكن البعيدة من نحو ساعتين.

وذكر لنا أيضا أن هذه العين كانت تسمى بعين الصلاة، لكون المولى إدريس رضي الله عنه صلى بها يوم قدومه للمغرب، والله أعلم. وقد تلقانا القائد المذكور مع قبيلته التي كانت تحت حكمه، وقدم هدية لسيدنا محمود فرسا سليمانيا، لطيف الروح، يعشقه الناظر، وقد قابله بالقبول، ودعا له ببلوغ غاية السول.

وقد تلقانا أيضا القائد الأجل، الفاضل المبجل، الفقيه السيد منصور بن البشير الشرادي الدليمي الشنكلي[1]، وهو القائد الآن على قبيلة الشراردة، مع وجهاء قبيلته التي يحكم عليها، ومعه كاتبه الفقيه الأجل، الفاضل المبجل، الشريف سيدي عبد السلام بن محمد بن العربي العمراني، وإيالة هذا القائد هي المعروفة بأولاد دليم، اشتملت على ثلاث عشرة فخذة، ويعبر عنها بالمائة، وهي فخذته الشناكلة، وأولاد شاكر، وأولاد فضيلة، والعناترة، والعطاطفة، وأولاد المرابط، وأولاد ذراع، وأولاد عمر بفخذاتهم الثلاث وهم : أولاد جبارة، وأولاد بوكير، وأولاد يخلف، وأولاد زيان، وأولاد مريم، وأولاد عمار، والسكارنة، ونصف عناترة خنيفرات.

وقد جاءت وجهاؤهم وأكابرهم وأقاموا ملاعب الخيل قدام سيدنا محمود، ووراءه حلبة مجلبة، والعيون شاخصة إليه، والكل يتمنى تقبيل يديه ورجليه، إلى أن حططنا الرحال، أمام هؤلاء الرجال، قرب العين المذكور.

ومن جملة من جاء لملاقاتنا، المحب الأسعد، القائد الأمجد، السيد المكي بن المبارك العمري الشرادي[2]، وكان أولا تلقى لسيدنا محمود بزرهون، ونال من دعائه الصالح ما تقر به العيون. وكان

---

(1) القائد السيد منصور بن البشير الشرادي الدليمي، ينمى لفخدة الشناكلة، فاضل جليل، عرف بين الناس باستقامته ونزاهته، توفي أواخر شهر محرم الحرام عام 1377هـ.

(2) القائد المكي بن المبارك العمري الشرادي، ينمى لفرقة أولاد عمر، إحدى فرق أولاد دليم بقبيلة الشراردة، كان تجاني الطريقة، كثير المحبة في جناب الشيخ رضي الله عنه وأحبابه ومريديه، توفي في عاشر ربيع الثاني عام 1381هـ

نزولنا في الساعة الثانية بعد الزوال، وجاء الإخوان من كل ناحية فرحين بقدوم سيدنا محمود، والمطر مسترسل السيلان منذ شرعنا في المسير إلى أن حططنا المطايا.

وبين العشائين ركبنا مع سيدنا محمود وذهبنا لبيت القائد المختار، بعد أن استدعى لديه القائدين المذكورين مع حاشيتهما. وقد أصلح سيدنا محمود ما كان بينهم من التفاقم، وانتفت أضغانهم، بعدما كانوا في تنافر زائد، فسكنت قلوبهم، واطمأنت صدورهم، وقاموا من بين يديه على قلب واحد، يشكر بعضهم بعضا، ويظهرون التسامح فيما مضى، أدام الله ألفتهم.

ثم رجعنا لمحل نزولنا، فبتنا ليلتنا في أمن وأمان، بعد أن فرق القائد منصور العسة على الطرق، للمحافظة لما عسى أن يطرق، ويتفقدها المرة بعد الأخرى بنفسه، وضرب قرب قباب نزولنا قبتين مشيدتين، فكانت العسة يناجي بعضهم بعضا للتيقظ، والأمطار هاطلة.

وقد أشفق لحالهم سيدنا محمود، إلا أنه تركهم على ما هم عليه، احتياطا لما يطرأ من الحوادث الليلية، داعيا لهم بأن يبقي المولى عليهم ستره الجميل، ويجازيهم بالثواب الجزيل. وقد أصبح في وجهنا يوم الإثنين، والأمطار هاطلة، والضباب ساتر للأفق، وستر جميع الطرق، وبات معنا سيدنا النقيب، فطابت تلك الليلة بإيناسه. ولما أصبح كتب هذين البيتين :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ فِي مُهْجَتِي ظَعَنُوا * لَكِنَّهُمْ فِي سَوَادِ القَلْبِ قَدْ قَطَنُوا
رَاحُوا بِرُوحِي وَلَكِنْ خَلَّفُوا شَبَحِي * يَصْلَى بِنَارِ الجَوَى وَلِلحَشَا طَعَنُوا

وكتب أيضا هذين البيتين :

أُوَدِّعُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي * عَلَى حُبِّكُمْ طُولَ الزَّمَانِ مُقِيمُ
وَأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ الكَرِيمَ جَمَالَكُمْ * وَأَسْأَلُ وَصْلًا بِالقُلُوبِ يَدُومُ

ورام موادعتنا بعد طلوع النهار ليرجع إلى مكناسة، وقد استعمل هذه الأبيات يخاطبنا بها، معربا عن صدق وداده ومحبته الصادقة في جانبنا، والفضل له على كل حال.

أَحْمَدَ الْمُرْتَضَى خَلِيفَ الْمَعَالِي * كَوْكَبَ الْعِلْمِ فِي سَرَاةِ الرِّجَالِ
حَالَ حَالِي بَعْدَ الْبِعَادِ وَمَالِي * مِنْ تَسَلٍّ إِذْ غَيْرُكُمْ مَا حَلَا لِي
بَانَ مِنْ بَيْنِكُمْ هُيَامِي وَوَجْدِي * فَبِحَقِّ الْوِدَادِ رِقُّوا لِحَالِي
مَا عَلَيْكُمْ إِذَا وَصَلْتُمْ وَصِلْتُمْ * قَلْبَ صَبٍّ مُتَيَّمٍ بِالْجَمَالِ
فِي هَوَاكُمْ هَوَى زَمَانَ التَّصَابِي * فَارْحَمُوهُ وَلَوْ بِطَيْفِ خَيَالِ
عِيلَ صَبْرًا وَعُلِّلَ الْقَلْبُ مِنْهُ * بِاشْتِيَاقٍ عَلَى مَمَرِّ اللَّيَالِي
قُرْبُكُمْ رَاحَةُ النُّفُوسِ فَجُودُوا * دُمْتُمُ فِي الْوَرَى بُدُورَ كَمَالِ

وقد يسر الله إقامته معنا في هذا اليوم الذي ازددنا فيه أنسا بوجوده، نظر الله إليه بعين عنايته، وبسط له موائد فضله وجوده، آمين. وقد كتبت له مجيبا عن أبياته اللطيفة، بهذه القطعة المفروغة في قالب التغزل الذي تستحليه نفسه الشريفة، ونصها :

مَا عَلَى مَنْ غَدَا أَسِيرَ الْجَمَالِ * أَنْ يُرَى يَقْظَانًا بِطُولِ اللَّيَالِي
فَيُنَاجِي النُّجُومَ وَهْيَ تُنَاجِيهِ * إِلَى أَنْ يَنَالَ طِيبَ وِصَالِ
فَيُوَافِيهِ مَنْ يُحِبُّ كَمَا شَاءَ * وَيَحْظَى بِسَائِرِ الْآمَالِ
وَإِذَا مَا ادَّعَى الْمَحَبَّةَ وَارْتَا * حَ إِلَى غَيْرِهِ غَدَا فِي ضَلَالِ
إِنَّمَا الْحُبُّ أَنْ تَدُومَ عَلَى الْعَهْـ * ـدِ وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى الْعُذَّالِ[1]
وَتُرَى دَائِمًا تُرَاعِي وِدَادًا * قَدْ عَهِدْنَاهُ مِنْكَ بَيْنَ الرِّجَالِ
أَيُّهَا السَّيِّدُ النَّقِيبُ وَمَنْ فِي * حُبِّهِ لَا أَزَالُ رَهْنَ خَبَالِ[2]
أَنْتَ عِنْدِي وَاللَّهِ سَاكِنُ قَلْبِي * فِي حُضُورِي بَيْنَ الْوَرَى وَارْتِحَالِي
وَمُرَادِي بِأَنْ تَدُومَ عَلَى صِدْقِ * وِدَادِي لَازِلْتَ بَدْرَ كَمَالِ

ولما استقر بنا المجلس بعد القيام، ونوينا المقام في هذا المقام، أخذ القلم بين أنامله، وخمس الأبيات التي أنشدها لنا الرفيق الأسعد، سيدي الحاج محمد دادي في بعض محافله، ونص الجميع:

---

(1) العذال : أهل الملامة

(2) الخبال : الجنون

لِـي فِـي هَوَاكَ عَلاَمَهْ * نَـفَـتْ عَـلَـيَّ الـمَلاَمَـهْ
فَـاسْقِي الـمُحِبَّ مُدَامَهْ * يَـــا ظَـاعِنًا[1] بِسَلاَمَـهْ
مَـصْـحُـوبَـةٍ بِـكَـرَامَـهْ
حَـرَّكْـتَ سَـاكِـنَ حُـبِّي * وَرُحْـــتَ مِـنِّـي بِـلُـبِّي
فَـاسْمَحْ إِلَــيَّ بِـقُرْبِ * جَـدَّدْتَ لَـوْعَـةَ قَـلْـبِ
تَـــرَكْــتَــهُ وَهُــيَــامَــهْ[2]
مَـتَـى بِـعَـوْدِكَ تَـشْـفِي * نُـحُولَ جِسْمِي بِـلُطْفِ
فَـمَا جَـرَى بِـهِ يَـكْـفِي * خَـلَّفْـتَ عَـبْـرَةَ طَـرْفِ
يَحْكِي الغَمَامَ انْسِجَامَهْ
أَجَّـجْـتَ[3] نِـيرَانَ كُـرْبِي * فَـهِمْتُ مِنْ بَيْنِ صَحْبِي
يَـا مـفـردا أَنْـتَ حَسْبِي * أَدْعُـــو عَـلَـيْكَ بِـقَلْبِي
يَـــا رَبِّ يَــسِّــرْ مَــرَامَــهْ

وقد اقترح علي أمنه الله تخميس هذين البيتين، وفيهما من لطيف الوداع ما أوجب جريان دموع العينين، ونصهما مع التخميس :

أَيُّهَا البَدْرُ الَّذِي قَلْبِي مَعَكْ * جَـلَّ مَـوْلَى فِـي كَـمَالٍ رَفَـعَكْ
رُدَّ لِـي عَـقْلِي الَّـذِي قَدْ تَبِعَكْ * وَدَّعَ الـصَّـبْـرُ مُـحِـبًّا وَدَّعَــكْ
شَائِعٍ مِـنْ سره مَـا اسْتَوْدَعَكْ
يَـا حَبِيبِي مِثْلَ مَـا كُنْتَ فَكُنْ * وَانْـظُـرِ الـحَـالَ وَبِـالعَـوْدِ فَـمُـنْ
سِـرْتَ وَالـعَبْدُ لِسِرٍّ لَـمْ يَصُنْ * يَـقْـرَعُ السِّنَّ عَـلَـى أَنْ لَـمْ يَكُنْ
زَادَ فِي تِلْكَ الخُطَى إِذْ شَيَّعَكْ

(1) ظاعنا : سائرا وراحلا
(2) هيامه : بمعنى حيره الحب
(3) أجّجت : أضرمت

ثم قام لوداعنا ليرجع إلى مكناسة، فركب مع أصحابه، فسار وعقلنا طائش معه، وكنا نتمنى أن لو سافر معنا فنجد به أنسا نتسلى به عن الوطن، وينجلي به عنا القنط والشجن.

وفي الساعة التاسعة من هذا اليوم، وهو يوم الثلاثاء سادس ذي الحجة، ركب سيدنا محمود بقصد السفر، وودعه جميع من حضر، ما بين رجال ونساء ونسوان، وشرعنا في المسير والخيل المسومة محتفة من حولنا، وركب لموادعتنا المحب الأجل، القائد سي منصور مع جماعة من وجهاء قبيلته، وسرنا ونساء الدشور يتعرضن لسيدنا محمود بأواني الحليب، مظهرين للفرح بنشر أعلامهم الملونة، إلى أن وصلنا لعين (سند) بتشديد النون، ومنها رجع بعد موادعة سيدنا محمود، ونال من دعائه غاية المقصود.

وبقي في رفقتنا القائد المكي العمري، وكنا نمر على طريق ذات انخفاض وصعود، يكاد رائيها أن يجزم بأنه لا يقدر أحد على السلوك بها، عند استرسال المطر، وانخمار طينتها التي صارت مزلقة للأقدام، من وراء وأمام، إلى أن وصلنا إلى الحجر المعروف بالصف، الذي كان يظهر لنا مثل المدينة المبيضة دورها.

ومن هذا المحل رجع القائد المكي المذكور، بعد موادعة سيدنا محمود، وطلبه تجديد الإذن له في الطريقة، فلقنها له مشافهة، مع من حضر معه من الإخوان، ومن هذا المحل دخلنا لباب التيوكة، وهو طريق بين جبلين، يمضي الذاهب إليه من جهتي كدية ساترة لمنفذه، وهو خرق ضيق بين الجبلين، إلى أن أفضى بنا إلى أرض متسعة في فضاء واسع، لا يقف النظر من جهة اليمين إلى جبل.

وعن يسار الطريق رأينا عن بعد ضريح الولي الصالح سيدي الحاج العربي العجلي، من إخوان سيدي الزوين المشهور[1]. وقد امتدت قبالتنا الجنات الممتدة على الوادي المعروف عند العامة بوادي رضم، وهناك رأينا المحلة الفرنسية ضاربة قبابها، ولما رأوا كثرة الخيل التي جاءت لملاقاة سيدنا محمود أرسلوا من يأتيهم بالخبر، حتى لا يصل من ذلك فتنة أو ضرر، وقد كانت الخيل في مضمار

---

(1) محمد بن محمد الشرادي العمري القحلي الشهير بسيدي الزوين، صاحب مدرسة سيدي الزوين، أسسها في منتصف القرن الثالث عشر الهجري بأمر من شيخه سيدي محمد الحاج الشريف الإدريسي الهواري، ومباركة شيخه محمد التهامي الأوبيري الحمري، وتقع هذه المدرسة غرب مدينة مراكش في الكيلومتر 36 على الطريق الرئيسية إلى أكادير،

حلبات رجالها تركض ركضا، وأعلام الأفراح في أيدي نسائهم ترفرف، ويزغردن لإظهار السرور الحاصل لهم.

وقد تلقانا القائد السي الجيلالي بن التهامي الزيداني الشرادي[1] أحد قواد أزغار مع وجهاء قبيلته التي يحكم عليها، وهو من جملة الإخوان، وقد كاد أن يطير فرحا مع إيالته لقدوم سيدنا محمود لأرضهم، والكل يحمد الله على أن من عليهم برؤية وجهه الشريف. وقد جاء بفرس إلى سيدنا محمود هدية، فتلقاه منه بالقبول. وإيالة هذا القائد من قبيلة الشراردة قبيلتان، وهما : زرارة وتكنة، وعليهما يحكم. وقد نزلنا قرب ضريح الولي الصالح سيدي محمد بن أحمد المشهور قرب المقبرة التي هناك، ومحل القائد قبالتنا في الجهة الأخرى من الوادي المذكور.

وقد بات معنا من الذين رافقونا من المحطة الأولى القائد الأسعد السي المختار المتقدم، توجه معنا إلى أن نصل للرباط بحول الله، والمقدم الأجل، الشريف المبجل، ذو الأخلاق المرضية، والنفس الزكية، أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله الوكيلي مقدم زاوية كرمت، وقد كان كتب له سيدنا محمود ونحن بمكناسة ليقدم لزرهون، بقصد أن يذهب معنا للرباط، فجاء لزرهون مع جماعة من الإخوان، وصحب معه البهائم التي تحمل الرامة إلى الرباط، ونال من إقبال سيدنا محمود عليه ما حصل له كمال الإنبساط.

وقد سألني عن المسافر هل يسوغ له أن يقتدي بالمقيم أولا ؟ فأجبته بقول المختصر (وإن اقتدى مقيم به)[2] أي بالمسافر، فكل على سنته (وكره كعكسه وتأكد وتبعه) إلخ، فحينئذ أنشدني لبعضهم

إِنِ اقْتَدَى مُسَافِرٌ بِحَاضِرِ * أَتَمَّ حَتْمًا مَعَهُ فِي الأَشْهَرِ
وَلِابْـنِ مَـالِكٍ إِذَا مَا تَمَّمَا * مَـعَ الإِمَـامِ رَكْعَتَيْنِ سَلَّمَا

ورافقنا أيضا المقدم الأمجد، مفتاح الأقفال المغلقة، والمستضيء في هذه الطريقة بالأنوار المشرقة، السيد إبراهيم بن عمر الشرادي الشاكري الملقب بالطويل،

---

(1)القائد السي الجيلالي بن التهامي الزيداني الشرادي، قائد قبيلتي زرارة وتكنة، وكلاهما من قبيلة الشراردة، كان تجاني الطريقة، شديد المحبة في جناب الشيخ رضي الله عنه وأصحابه وأحبابه ومريديه، توفي فجر يوم الخميس 17 صفر عام 1375هـ

(2) أنظر مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي ص 44.

وقد كان العارف بالله سيدي العربي العلمي الموساوي[1] إذا كاتبه يطول له طاء الطويل، إشارة لما كان يقوله له من أنه طويل في الدنيا والآخرة.

---

(1) الولي الصالح العلامة الشهير سيدي العربي بن إدريس بن محمد بن العربي بن عمر العلمي اللحياني، من ذرية القطب الشهير مولانا عبد السلام بن مشيش، ولد بمدينة فاس، ومنها انتقل لقبيلة زرهون، فاستقر بقرية موساوة، وبها لقي الله تعالى في ليلة السبت 15 جمادى الثانية عام 1320هـ، وشيوخه في العلم كثيرون منهم : أبو عبد الله سيدي محمد بدر الدين الحمومي، وسيدي محمد الأمين الزيزي الحسني العلوي، وأبو الحسن سيدي علي التسولي، وسيدي علي المريني، وسيدي محمد بن عبد الرحمان الفيلالي الحجرتي، وسيدي محمد الطالب بن حمدون بن الحاج، وسيدي أبو بكر بن كيران، وسيدي الحاج الطالب بن عبد الرحمان السراج، وسيدي إدريس بن عبد الله الحسني الودغيري الملقب بالبكراوي، وغيرهم.

وهو رحمه الله من أكابر المقدمين في الطريقة الأحمدية التجانية، أخذها عن البركة المقدم سيدي بوعزة بن الخليفة المعظم الحاج علي حرازم برادة الفاسي، كما أجازه فيها آخرون، وانتفع كثيرا بصحبة الولي الصالح أبي المواهب سيدي محمد العربي بن السائح رضي الله تعالى عنه، فنال منه فوائد وفرائد وأسرارا عالية.

وله عدة مصنفات أشهرها : رسالة الترغيب والترهيب، في جزءين، حول الطريقة التجانية، ومنها كذلك أرجوزة في نفس الموضوع سماها : منحة الإخوان، مشتملة على 1913 بيتا، ومنها قصيدة عينية جميلة في نفس الموضوع، وتقييد في آل البيت سماه : العتب والزجر لمن واجه بعض أهل البيت بالسب والبجر، وتقييد في الرد على المنكرين للطريقة التجانية، ومن أهم كتبه تصنيف نفيس في علم القراءات، في بيان مخرج الضاد المعجمة والتاء الفوقية سماه : القول النافع والجواب القامع، وغير ذلك من الرسائل والتقاييد المهمة.

انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 45، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 5، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف كذلك رقم الترجمة 139 وفي نيل المراد لنفس المؤلف ج 1 ص 86، وفي الصفحتين الأخيرتين من كتابه الترغيب والترهيب حيث عرف به فيهما تلميذه الفقيه العلامة سيدي محمد الحسن بن عمر مزور.

ومما أنشدنيه من حفظه هذه الأبيات لسيدي أحمد محمود[1] في شروط هذه الطريقة الأحمدية، حسبما تلقاها منه، ونصها :

شُـرُوطُ وِرْدِ مَـدَدِ الأَكْـوَانِ * عَيْنِ الفُيُوضِ أَحْمَدَ التِّجَانِي
تَـرْكُ الـزِّيَـارَةِ لِـلْأَوْلِـيَـاءِ * بَـعْـدَ مَـمَـاتِـهِمْ مَـعَ الأَحْـيَـاءِ
إِتْقَانُكَ الصَّلَاةَ فِي الجَمَاعَهْ * إِنْ أَمْكَنَتْ وَنِعْمَت البِضَاعَهْ
جَمْعُكَ لِلغَيْرِ مَـعَ الأَوْرَادِ * وَعَـدَمُ التَّرْكِ إِلَـى المَعَادِ
لَا بُـدَّ أَنْ يُحَافِظَ المُرِيدُ * عَـلَيْـهِ أَوْ يَلْزَمُهُ التَّجْدِيدُ
لِأَنَّـهُ خَـرَجَ عَـنْ طَـرِيـقِ * تَاجِ العُلَا وَالجُودِ وَالتَّحْقِيقِ
يَـا وَيْحَهُ مِـنْ هَذِهِ الجَسَارَهْ * مَـا أَطْوَلَ البُكَاءَ وَالخَسَارَهْ
فَـكُنْ أُخَـيَّ رَجُـلًا مُـجِدًّا * لِـرَعْـيِهَا كَيْمَا تَـنَالَ رُشْـدَا
لِأَنَّـهَـا طَـرِيـقَـةُ الـوِلَايَـهْ * لِـمَنْ لَـهُ لِوَصْلِهَا العِنَايَهْ
نَـاظِـمُهَا يَرْجُـو مِـنَ الإِخْـوَانِ * يَـدْعُـونَ بِـالعَفْوِ وَبِالغُفْرَانِ

---

(1) المقدم البركة الفقيه العلامة أبو عبد الله سيدي أحمد محمود بن محمد احنيني بن أحمد بن الفضيل، من ذرية سيدي موسى بن مولانا إدريس الأزهر باني مدينة فاس، ولد في ضحوة يوم الأحد 2 جمادى الأولى عام 1247هـ، وكانت وفاته رحمه الله في شهر ذي القعدة الحرام عام 1319هـ، ودفن بموطنه بالبحيرة من قبيلة الرحامنة، إحدى القبائل المجاورة لمدينة مراكش، وله في مدح الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه عدة قصائد منها بائية قال في مطلعها :

لقد فاز التجاني بكل فخر * منابع فيضه لبن حليب

ومنها القصيدة الإستغاثية ويقول في مطلعها :

يا شيخنا يا شيخنا التجاني * يا شيخنا يا واضح البرهان

وهو من المقدمين البارزين في الطريقة الأحمدية التجانية، أخذها أولا عن العلامة العارف بالله سيدي محمد بن محمد الصغير العلوي الشنجيطي المعروف بابن انبوجة، ثم أجازه فيها بعد ذلك جماعة من أكابر فرسان هذا الشان، منهم لسان الطريقة العلامة سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، والولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، وآخرون.

انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 115، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 341.

وقد كنت تلاقيت مع هذا المقدم أول مرة بتطوان أيام إقامتنا بها، جاء لملاقاة الإخوان وصلته رحم الأخوة في الله معهم. وقد تلقى التقديم عن جماعة من المقدمين على ما حدثني بذلك عن نفسه.

وفي قرب طلوع فجر يوم الأربعاء قدم لمحل نزولنا قاضي الشبانات، المقدم الأسعد، البركة الأمجد، سيدي العربي بن علي بن الكايسي الشباني، الساكن بالشبانات على طرف وادي رضم، من أولاد بوغدو.

وقد كان قدم أولا مع جماعة من الإخوان لزرهون، وزار سيدنا محمودا، ثم رجع لمحله، ولما سمع بقدومه لرضم جاء لملاقاتنا ليذهب معنا إلى المحطة، وجاء بهدية برسم النيابة في الزيارة عن قائد الشبانات القائد إدريس بن الطاهر الشباني[1]. وهذا المقدم من خاصة المقدمين الذين يثني الناس عليهم خيرا، ويصفونه بالخيارة التامة، وذلك يلوح على وجهه المنور، مع السكينة والوقار، الرافل في حللهما، زيادة على ما يعتريه من الخجل والحياء عندما يخاطبه الغير، فتراه ساكتا، والنور يلوح عليه، وتراه ساكنا، والسبحة من كثير الأذكار تدور بين يديه.

وقد ظل يوم الأربعاء مقيما معنا في هذه المحطة، حيث أننا أقمنا ننتظر استراحة سيدنا محمود من التعب الحاصل له من شدة ازدحام الأحباب والإخوان لزيارته، مع المشقة التي اعترته من بغلته الميمونة التي يركبها من سرعة سيرها، وطول المسافة، وقد أضر به الإعياء حتى أحس بنزول أمعائه، وهاجت عليه الصفراء، فتقيأ المرة بعد المرة، فاستراح بعد ذلك من ثقل معدته، فنرجو من الله دوام شفائه، وزوال علته، ثم إننا أقمنا هذا اليوم بهذا البساط الفسيح، الذي يحصل به الإنبساط الذي به النفوس تستريح.

وقد ذكروا لنا أن زرع هذه القبيلة المعروفة بأزغار يباع في الأسواق قبل بيع غيره لجودته، وأرضها يحصل فيها للمارين التلف والذهول، ولا يعرفون الخروج منها بعد الدخول، إلا لمن عرف الطريق معرفة تامة، حتى أن منهم من يبيت سائرا فإذا أصبح وجد نفسه رجع إلى المحل الذي سار منه.

وقد بتنا في أمان الله وحفظه نتذاكر في آداب الطريقة، وما ينبغي للمقدمين الإتصاف به، وما يتعين على المريدين مراعاته في حق المقدمين، بأن ينظروا إليهم بعين التعظيم والإحترام، وأن لا يخالفونهم في الأمور التي يعود عليهم نفعها في العاجل والآجل، إلا ما كان يرجع لمصلحة نفس

---

(1) القائد إدريس بن الطاهر الشباني، من مشاهير القواد بمنطقة الغرب، يذكر عنه أنه كان كثير الكرم، دائم المعروف، لا يخاف في الله لومة لائم، توفي أواخر شهر ذي القعدة الحرام عام 1378هـ

المقدم الآمر بذلك، مما يستبد به من مالهم، ويكون فيه كلفة أو مشقة للمريد في امتثاله، فلا لوم حينئذ إلا على المقدم الذي هو في هذا المحل مؤخر بسبب طمعه، وتشوفه لما في يد إخوانه.

وما كان من حقه إلا أن يكون كأحد المريدين، من غير أن ينظر لنفسه بخصوصية، وهي مما يوجب نفور الإخوان عنه، خصوصا إذا كان يترأس عليهم، ويريد أن يكون كالحاكم عليهم، ويظهر الغلظة في قوله، والتعنت في فعله، كما يفعل ذلك غالب الجهلة من المقدمين الذين حقهم التأخير.

والحاصل أن المقدم لا يطمع فيما في يد الإخوان، ولا يترأس على أحد أيا كان، ولا يلزمهم ما هو خارج عن الطريقة، وإلا لزمه أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويتوب إلى الله مما صدر منه، لكونه ارتفع عنه الإذن، كما نص عليه الشيخ وورد عنه.

وكانت هذه المذاكرة بحضور بعض الإخوان، والمقدم ابن الكايسي، والمقدم ابن عبد الله، والمقدم السيد إبراهيم الطويل، لما رأيناه في أحوال البعض مع البعض من التفاقم، أصلح الله الأحوال.

وفي هذه الليلة سألني المقدم ابن عبد الله عن الضب، هل صحيح ما يقال بأنه يبول قطرة في السنة ؟ فأجبته بأننا نسمع هذا لكونه لا يشرب، ولذلك يقال : فلان بينه وبين فلان ما بين الضب والنون، والضب حيوان يصطاد في الصحاري، قيل : إنه مكروه الأكل. لقوله (ﷺ) "لم يكن بأرض قومي فتجدني أعافه" فمقتضى قوله "أعافه" أنه لا يؤكل، ومقتضى سكوته (ﷺ) وهم يأكلونه جواز أكله.

ثم ذكرت له بأني استنبطت من هذا الحديث أشياء، ويقبل الزيادة عليها لمن يريد تتبعها : أولها جواز أكل الضب. ثانيها جواز الأكل بحضور الرئيس. ثالثها جواز أكل الجماعة بمحضر من لا يأكل معهم. ورابعها جواز جلوس من لا يأكل مع الآكلين. خامسها جواز سؤالهم عن سبب عدم الأكل. سادسها جواز تصريحه لهم بأنه يعاف شيئا وهم يأكلونه، لكن إذا سئل عن السبب. سابعها جواز صيد الحيوان البري. وهذه وإن كانت ظاهرة، لكن لا بأس بذكرها في هذا المحل.

ثم إننا أقمنا يوم الخميس بهذه المحطة، زيادة في استراحة سيدنا محمود. وفي القرب منا أقيم سوق الخميس الذي تجعل عمارته بسوق قصبة سيدي قاسم، وهاتان القصبتان بهما مباني عديدة، ويسكن إحداهما البخارى، والقصبة الثانية بها تقام الجمعة في جامع ضريح الولي الصالح سيدي قاسم أبو

عسرية[1] الذي تشد الرحال لزيارته، خصوصا الطائفة القاسمية المشهورة بفاس، فإنهم يشدون إليه الرحلة منها، ومن كل ناحية في العيد النبوي من كل سنة.

وفي هذا اليوم أنشدني الرفيق الأسعد سيدي الحاج محمد دادي من حفظه عندما رأى هذه الأبيات المتوجة بحروف أمته زهوة التي شغف بها، وكنت استعملتها مباسطا له بها :

زَهَوْتُ لَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَكِ الحَسَنِ * زُهُـوَّ مَـنْ زَهْـوَةٌ سَبَتْهُ فِي عَلَنِ
هَوَيْتُهَا وَهْيَ فِي حِجَابِهَا فَغَدَتْ * هُمُومُ نَفْسِي بِهَا تَزْدَادُ بِالشَّجَنِ
وَلَا شَفِيقَ عَلَيَّ مِنْ هَوَايَ بِهَا * وَلَا أَرَاهَا وَلَوْ فِي النَّوْمِ تَرْحَمُنِي
هِلَاكُ نَفْسِي بِهَا مِنْ وَقْتِ نَظْرَتِهَا * تَـبَّـتْ يَـدَا عَـاذِلٍ فِيهَا يُعَنِّفُنِي

فتنهد لفرقتها، وأخذ القلم في يده وكتب :

يَـا مَـنْ تَعَاظَمَ حَتَّى رَقَّ مَعْنَاهُ * وَلَا تَـرَدَّى رِدَاءَ الـكِبْرِ إِلَّا هُـو
تَاهَتْ بِحُبِّكَ أَقْـوَامٌ وَأَنْـتَ لَـهُمْ * نِعْمَ الحَبِيبِ وَإِنْ صَامُوا وَإِنْ تَاهُوا

وأنشدني أيضا أمنه الله :

أَيَـا مَـنْ زَكَـا أَصْـلًا وَأَنْقَى وِلَادَةً * وَأَثْـمَـرَ غُـصْنًا يَانِعًا وَزَكَـا جِنْسَا
أُذَكِّـرُكَ الـوَعْدَ الَّـذِي سَمَحْتَ بِـهِ * مَحَاسِنُكَ الحُسْنَى وَحَاشَاكَ أَنْ تَنْسَى

وقد كان بزهوته زاهيا، وبإيناسه بها عن غيرها ساليا، ومن يوم خروجنا من فاس، إلى أن وصلنا

---

(1) الولي الصالح سيدي أبي قاسم بن أحمد بن عيسى بن عبد الكريم السفياني، يلقب عند أصحابه وغيرهم بأبي عسرية، لأنه كان يعمل بشماله، وهو من تلامذة السيد الغزواني بن العارف بالله القطب الشهير سيدي محمد الشرقي وكانت وفاته رحمه الله بأحروش عند طلوع فجر يوم الإثنين 28 رجب الفرد الحرام عام 1077هـ، ولم يتزوج ولم يكن له عقب، ثم نقلوه خفية إلى وادي ارضم، ودفنوه هناك وبنوا عليه قبة، وقبره بها إلى الآن مزارة عظيمة، وله موسم عظيم في كل سنة تفد إليه الوفود والركاب من كل ناحية، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 189.

لمكناس، وهو مشغوف بها، فاتفق من المقادير أن مرضت مرضا خفيفا، فكتبت له هذين البيتين :

يَا حَبِيبِي فِي خَلْوَتِي وَبِجَلْوَهْ * زَادَكَ اللَّهُ بَهْجَةً وَفُتُوَّهْ
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَزِيدَكَ عِزًّا * وَيُدَاوِي عَزِيزَةَ النَّفْسِ زَهْوَهْ

ثم إنه رام شراء أمة بمكناسه، يستحلي بها أضراسه، فكتبت له هذه الأبيات :

بِاللَّهِ بِاللَّهِ لَا تُغَيِّرَنْ زَهْوَهْ * لِفَرْطِ غِيرَتِهَا عَلَيْكَ فِي النِّسْوَهْ
فَإِنْ رَأَتْكَ أَتَيْتَ بِالسِّوَى مَرِضَتْ * مِنْ أَجْلِ مَا يَعْتَرِيهَا مِنْكَ بِالصَّبْوَهْ
أَمَا تَرَاهَا مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ فِي * مَا رُمْتَهُ دَائِمًا وَلَوْ بِلَا دَعْوَهْ
تُرْضِيكَ فِي كُلِّ مَا تَرْضَاهُ دُونَ عَنَا * فِي جَلْوَةٍ فِي جَمِيعِ النَّاسِ أَوْ خَلْوَهْ
وَمِثْلُهَا لَا تَرَاهُ فِي الإِمَاءِ وَلَا * بَيْنَ النِّسَا فَلْتَكُنْ تَحْذَرْ مِنَ الجَفْوَهْ
وَهَا أَنَا لَكَ قَدْ أَشْفَقْتُ فَاسْعَ لَهَا * بِجَبْرِ خَاطِرِهَا وَبِي اتَّخِذْ أُسْوَهْ
وَمَتِّعِ النَّفْسَ فِي جَمَالِ طَلْعَتِهَا * وَاتْرُكْ سِوَاهَا وَكُنْ عَبْدًا لَدَى زَهْوهْ

وكان وجه أخاه سيدي محمدا لفاس لقضاء بعض أغراض سيدنا محمود رضي الله عنه، فقدم ليلة استعمالي للآبيات المذكورة، وجاء معه بأمة، فبمجرد دخوله لمحل النزول أمره سيدنا محمود رضي الله عنه بإخراجها مع زهوة، ولم يفده إلا امتثال أمره الذي لا يقدر على مخالفته بحال، مع أنه لو وجد إبقاءها معه بدون تغيير خاطر سيدنا محمود لأنفق في ذلك ما يكسبه من المال، لشدة شغفه بها، ولم يقبل سيدنا محمود منه إلا إخراجها في الحين، وتوجيهها لفاس لتباع هناك، ففارقها، وعقله معها، وعلم أن الخير في ذلك، وأنشد فيها هذه الأبيات المتقدمة :

يَا ظَاعِنًا[1] بِسَلَامَهْ * مَصْحُوبَةٍ بِكَرَامَهْ
جَدَّدْتَ لَوْعَةَ قَلْبٍ * تَرَكْتَهُ وَهُيَامَهْ[2]

---

(1) ظاعنا : بمعنى سار ورحل

(2) هيامه : تحيره من شدة العشق

خَـلَّفْتَ عَـبْرَةً[1] طَـرْفٍ * يَحْكِي الغَمَامُ انْسِجَامَهْ[2]
أَدْعُــو عَـلَيْكَ بِقَلْبِي * يَــا رَبِّ يَـسِّـرْ مَـرَامَهْ

فقلت في هذه الحالة :

آهٍ لِـفُـرْقَـةِ زَهْــــوَةٍ * ذَاتِ الـجَـمَالِ الـبَاهِرِ
فَـارَقْتَـهَا كَـرْهًا وَلَـمْ * تَــكُ بَعْدَهَا بِالصَّـائِرِ
لِـلَّهِ مَــا أَعْـطَى وَمَـا * هُـوَ آخِـذٌ فِــي الغَـابِرِ
فَعَسَى يَكُونُ الخَيْرُ فِي * تَـغْيِّيرِ ذَاكَ الـخَـاطِرِ
لَا شَـكَّ أَنَّ الـخَـيْرَ فِي * هَــذَا لِأَفْـضَـلِ شَـاكِرِ

وقد رزقه الله الصبر الجميل من فراقها، وتحققت بامتثاله لأمر سيدنا محمود أنه صادق الحب في الجناب الأحمدي، ولاشك في ذلك، فإنه المحب الذي لا يملك شيئا مع هذا الجانب الأسعد، ويسعى بقدر الإمكان في رضاء صاحب هذا المقام، ولا يخشى في إنفاق نفسه وماله بين الأحباب أحدا. وناهيك بهذا الصهر المبارك، وما اتصف به من مكارم الأخلاق، مع المحبة الصادقة.

ويكفي فيما قلناه رسالة سيدنا ومولانا محمد البشير التي وجهها لفقراء زاوية فاس في إعلامهم بتوجهه مع سيدنا محمود رضي الله عنه، ويذلك أيضا على صدق محبته تركه لجميع أموره من تجارة وغيرها، وارتحاله عن أهله، مع خدمته التي لا يقدر عليها إلا مثله ممن شربوا المحبة من ثدي أمهاتهم في هذا الجناب، وأراد المولى بهم السعادة بلا شك ولا ارتياب.

وقد انجر بنا في هذا المحل الكلام على طرف من ترجمة هذا الرفيق الأسعد، لما رأيناه فيه من صدق الخدمة التي شاهدناها بالمخالطة معه في هذه الرحلة المحمودية، بحيث لم يبق لنا شك في كونه من المريدين الصادقين الذين لا تأخذهم لومة لائم في صدق الخدمة، وهنيئا له بذلك.

وقد قدمنا طرفا من ترجمته، ونقلنا عنه في غير محل بعض الأدبيات، ولازلنا ننقل عنه إلى أن نرجع بحول الله بسلامة، سائلا من المولى أن يحفظ جمعنا ذهابا وإيابا، وأن يوفقنا لما فيه رضا

---

(1) عبرة : مفرد عبرات وهي الدموع

(2) انسجامه : انصبابه

المولى آمين. وقد كنت استعملت أبياتا لما كنا بالمهدومة، وأظهر لي أمته زهوة، فقلت فيها مداعبا له على نوع من التشبيت فيها :

خَلِيلِيَ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ الهَوَى دَهْرَا * وَأَعْرَضْتُ عَنْ أَهْلِ الهَوَى زَمَنًا مُرَّا
وَأَصْبَحْتُ خَالِي البَالِ لَا يَسْتَفِزُّنِي[1] * إِلَى صَبْوَةٍ[2] شَوْقٌ لِبِكْرٍ وَلَا عَذْرَا
فَمَا لِيَ هَذَا اليَوْم قَدْ هَزَّنِي الهَوَى * أَمِنْ زَهْوَةٍ هَذَا الجَوَى جَاءَنِي قَهْرَا
نَعَمْ إِنَّهَا وَاللَّهِ شَمْسُ زَمَانِهَا * بِهَا فِتْنَةُ العُشَّاقِ حَيْثُ بَدَتْ حَوْرَا
تُرِيكَ إِذَا أَبْصَرْتَهَا الشَّمْسَ فِي الدُّجَى * تَبَدَّتْ وَلَكِنْ أَسْبَلَتْ[3] عِفَّةً سِتْرَا
فَلَسْتَ تَرَى مِنْهَا مِنْ أَجْلِ جَلَالِهَا * بِسَيِّدِهَا دَادِي مُحَيًّا بَدَا بَدْرَا
عَلَيْهَا جَلَالٌ مِنْهُ قَدْ حَفَّهَا بِهِ * فَأَضْحَتْ بِهِ فِي رُتْبَةٍ فَاقَتِ البَدْرَا
يُبَاهِي بِهَا مِمَّا حَوَتْهُ مِنَ البَهَا * وَأَضْحَتْ بِهِ أَيْضًا تُبَاهِي الوَرَى شُكْرَا
وَأَضْحَى بِهَا بَيْنَ الرِّجَالِ مُتَيَّمًا * وَكَانَ لَهَا مَوْلَى بِهَا لَمْ يَجِدْ صَبْرَا
فَعُذْرًا لَهُ مِمَّا رَآهُ لِأَنَّهَا * فَرِيدَةُ حُسْنٍ لَا تَزَالُ لَهُ أَسْرَا
بَلَانِي بِهَا لَمَّا أَمَاطَ خِمَارَهَا * وَقَالَ لَهَا أَعْطِيهِ مِنْ خَمْرِكَ السُّكْرَا
فَقَامَتْ إِلَيَّ كَيْ تُسَلِّمَ وَهْيَ فِي * تَدَلُّلِهَا وَالجَفْنُ مِنْهَا قَدِ افْتَرَّا
فَكِدْتُ بِهَا عَنِّي أَغِيبُ بِنَظْرَةٍ * عَلَى النَّفْسِ مِنِّي صِرْتُ أُشْفِقُ مِنْ أُخْرَى
فَقُلْتُ لَهُ وَالقَلْبُ يَخْفَقُ بِالجَوَى * جَلَبْتَ الرَّدَى لِي مِنْ حَبِيبَتِكَ الغَرَّا
فَمَالَكَ قَدْ عَذَّبْتَنِي فِي الوَرَى بِهَا * وَمِنْ قَبْلِهَا قَدْ كُنْتُ فِي رَاحَةٍ كُبْرَى
تَمَتَّعْ بِهَا وَاللَّهُ يَرْعَاكَ فِي العُلَا * وَيَحْفَظُهَا حَتَّى تُسَرَّ بِهَا دَهْرَا

وقد زاحمني في التغزل فيها سيدنا النقيب، فقال على طريق التتويج :

---

(1) يستفزني : يزعجني ويستخف بي
(2) الصبوة : الولع والعشق
(3) أسبلت : أرخت

زُرْ مُـحِبًّا يَرْجُو دَوَامَ رِضَاكَ * زَادَكَ الـلَّـهُ رِفْـعَـةً وَوَقَـاكَ
هَـانَ فِـي حُبِّكُمْ هَـوَانُهُ[1] لَـمَا * هَامَ وَجْدًا بِكُمْ وَزَادَ انْهِمَاكَا[2]
وَارْتَدَى مُرْضِعًا رِدَاءَ هَوَاكُمْ * وَمِنَ الحُبِّ لَا يُرِيدُ انْفِكَاكَا
هَذِهِ حَالَتِي فَجُدْ لِي بِوَصْلٍ * هَاجَ شَوْقِي إِلَى بَدِيعِ سَنَاك

وقال أمنه الله :

زِدْتُ وَجْـــدًا وَلَـــوْعَـــةً وَغَـــرَامَـا * وَهُـيَـــامًـا بِـــزَهْـــوَةٍ وَاضْـــطِـرَامَـا
هَاجَ شَوْقِي لَدَى اسْتِمَاعِ بَدِيعِ الوَصْـ * ـفِ مِـــنْ حُسْـنِـهَا وَذُقْتُ الـحِـمَامَا[3]
وَهَـوَى فِـي الـهَـوَى فُـؤَادِي وَمَالِي * مِـــنْ تَـسَـلٍّ وَلَــوْ أَطَـلْتَ الـمَلَامَا
تَـلَـفُ النَّـفْـسِ فِـي سُـلُوِّيَ عَـنْـهَا * فَـعَـلَامَ الـمَـلَامُ قُـلْ لِـي عَـلَـى مَـا

النزول بالدوار المعروف بتجينة

وفي الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة تاسع ذي الحجة الحرام ارتحلنا من هذه المحطة قاصدين النزول بالدوار المعروف بتجينة، فسرنا مع الوادي على بساط بسيط يعجب الناظر، ويشفي الخاطر، بما اكتسى به من الحلة الخضراء، وكلما مررنا بمحل تلقانا أهله بأعلام الفرح لمرور سيدنا محمود على أماكنهم، والكل يعتقد أن الآمان قد حل بأراضيهم بحلوله بها.

وقد مررنا على ضريح الولي الصالح المعروف بسيدي كدار، وبقربه بناءات من مقدار الطين، مهدومة السقف، ذكروا لنا أن المحلة الفرنسية كانت هناك مقيمة إلى أن انتقلت قرب سيدي قاسم، ويقال أن سبب قيامهم انتشار الكوليرة بهم من فساد الهواء، حتى أدى الحال إلى اتخاذ مقبرة، وجعلوا عليها علامة، وأحاطوها بأوتاد، وهذا المحل الذي به مدفن هذا الولي الصالح هو حد الشراردة، وبني حسن، وقد دخلنا لحدهم فرأيناها أرضا بسيطة، لا نرى أمامنا إلا السراب من غير حد يمينا وشمالا.

---

(1) هوانه : ضعفه

(2) انهماك : بمعنى جد فيه ولج

(3) الحمام : الموت والهلاك

ولا زلنا ذاهبين على ذلك البساط المخضر، حتى وصلنا لتجينة في الساعة الرابعة، فتلقانا مقدم الزاوية بها البركة الخير، السيد إدريس بن المقدم البركة سيدي محمد بن الجيلالي الحسناوي التجيني[1]، بعدما كان قدم لملاقاة سيدنا محمود، ونحن بالشراردة، وتقدم أمامنا لمحل النزول، وما قصر من الفرح والسرور، ومعه جميع الإخوان القاطنين بتجينة. وقد تلقى التقديم عن المقدم سلطان المقدمين سيدي محمد بن العلوي.

وقد ارتدى المقدم المذكور برداء الحياء، فلا يرفع رأسه عند مخاطبته لما فيه من الحياء، الذي كساه نورا، فهو لين الجناب، خافض الجناح لكل من اجتمع به من الإخوان، وهو تجيني الأصل، تجاني الطريقة، ذو وجد واجتهاد. وتجينة المذكورة موقعها في بساط متسع جدا، وأرضها دائما ناعمة صيفا وشتاء، لمجاورتها للمرجة المشهورة بمرجة ابني حسن،

وهذه المرجة اتسعت جدا بانتشار وادي رضم بها، وفيها وحوش برية متوحشة من خنازير وغيرها.

وفي صباح يوم السبت، وهو يوم عيد الأضحى، أصبح البارود يسمع من نواحي تجينة إعلاما بالعيد السعيد، وزادهم فرحا نزول سيدنا محمود بين ظهرانيهم في هذه الليلة السعيدة، التي ازدهرت بالأنوار، وانجلت عنا فيها الأكدار، بكمال السرور بعافية سيدنا محمود مما كان ألم به، وقد قلت في تهنئته بهذا العيد، وتهنئة صهره السعيد :

نُهَنِّيكَ يَا مَوْلَايَ مَحْمُود بِالعِيدِ * فَلَازِلْتَ فِي حِفْظِ الإِلَهِ بِتَأْيِيدِ
فَقَدْ أَسْعَدَ الرَّحْمَانُ أَيَّامَكَ الَّتِي * بِهَا الدَّهْرُ أَضْحَى فِي الهَنَا دُونَ تَرْدِيدِ
فَنَحْمَدُ مَوْلَانَا الَّذِي بِشِفَاكَ قَدْ * شَفَانَا بِهِ مِنْ بَعْدِ خَوْفٍ وَتَنْكِيدِ
فَأَنْتَ لَنَا كَالرُّوحِ فِي الجِسْمِ قَدْ سَرَتْ * سَلَامَتُنَا مَا دَامَ دَهْرُكَ كَالعِيدِ
وَإِنَّا نُهَنِّي صِهْرَكَ المُرْتَضَى بِهِ * مَحَلَّ الرِّضَا دَادِي المَحُوطَ بِتَسْدِيدِ

---

(1) السيد إدريس بن محمد بن الجيلالي الحسناوي التجيني، مقدم الزاوية التجانية بدوار تجينة من قبيلة بني حسن، وقفت على رسالة له بعثها للعلامة سيدي أحمد سكيرج بفاس عام 1332هـ ختمها بطابعه واسمه، وهو : إدريس بن محمد التجاني التجيني، تلقى التقديم في الطريقة بزرهون عن الشريف البركة سيدي محمد بن العربي العلوي الزرهوني، المعروف بسلطان المقدمين، وذلك عقب وفاة والده المقدم الحاج محمد بن الجيلالي، وكانت تحت يد والده المذكور إجازات كثيرة من طرف بعض أعلام الطريقة التجانية بفاس، كالعلامة سيدي محمد [فتحا] كنون ومن في طبقته.

فَـإِنَّـا عَـهِـدْنَـا فِـيـهِ صِـدْقَ مَـوَدَّةٍ * بِـهَـا نَـالَ مِـنْ مَـوْلَاهُ خَـيْـرًا بِتَأْيِيدِ
فَـلَا زَالَ يَرْقَى فِـي الـمَعَالِي مُؤَيَّدًا * بِـتَوْفِيقِ مَـنْ أَوْلَاكَ أَكْـمَـلَ تَـمْـجِيدِ

وكتب لنا الرفيق الأسعد، سيدي الحاج محمد دادي هذين البيتين من حفظه :

الـعِيدُ وَافَـى بِـابْتِسَامِ * يُهْدِي التَّهَانِي لِلإِمَامِ
فَـاهْنَأْ بِـهِ وَاسْعَدْ وَدُمْ * لِـنَظِيرِهِ فِـي كُلِّ عَامِ

فكتبت له :

الـعِيدُ جَاءَكَ بِالأَمَانِي * وَالعَبْدُ جَاءَكَ لِلتَّهَانِي
فَـاسْعَدْ بِهِ بَيْنَ الوَرَى * مَلْحُوظَ قَدْرٍ فِي أَمَانِ

وكتبت له أيضا هذه الآبيات :

أُهَـنِّـيـكَ يَـا دَادِي بِـنَـيْـلِ الـمُـرَادِ * عَـلَى رَغْمِ أَنْفِ المُعْتَدِي وَالأَعَادِي
نَـرَى لَـكَ فَـضْلًا قَدْ عَلَوْتَ بِهِ عَلَى * سِـوَاكَ بِـمَـا أَسْدَيْتَهُ مِـنْ أَيَـادِ
فَـقَدْ نِـلْتَ فِـي حُـبِّ الـتِّجَانِي مَحَبَّةً * صَـفَتْ مِـنْ جَمِيعِ الغَشِّ بَيْنَ العِبَادِ
فَمَنْ لَمْ يَسِرْ فِي الحُبِّ سَيْرَكَ دَائِمًا * فَـقَدْ ضَـلَّ عَنْ نَهْجِ الهُدَى وَالرَّشَادِ
وَمَـنْ لَـمْ يُشَاهِدْ فِيكَ مَا قَدْ شَهِدْتُهُ * يَـظَـلُّ مَـدَى أَيَّـامِـهِ فِـي نَـكَـادِ
وَقَـدْ جَـاءَنَـا الـعِيدُ الـمُبَارَكُ مُعْلِنًا * بِـتَـهْـنِـيَـةٍ فَـاهْـنَأْ بِـهِ فِـي رَشَـادِ

الخروج لرؤية المرجة التي في دوار تجينة

وفي الساعة التاسعة ركب سيدنا محمود وركبنا بقصد رؤية المرجة[1] المذكورة، فلماقربنا منها رأينا عن بعد اثني عشر فرسا بها متوحشة، ففرت هاربة أمامنا، وتقف تارة ثم تنفر أخرى، وتجتمع ثم

(1) المراد بها مرجة وادي الردوم، إحدى المرجات الخمس الواقعة بمنطقة الغرب، تبلغ هذه المرجة 9000 هكتار، وهناك بهذه الناحية مرجات آخرى، منها ما يزيد عليها طولا وعرضا ومساحة، ومنها ما يصغرها، وأكبرها على الإطلاق مرجة بهت، ومرجة رأس الدورة، ومرجة بوخرجة، ومرجة مركتان وغيرها

تفترق ثم تجتمع، وهكذا إلى أن وصلنا لطرفها من جهة وادي الردوم المنبسط على وجه أرضها، وقد افترقت ضاياتها، وامتدت مساحتها، حتى تكون في الشتاء ضاية واحدة، وتزداد اتساعا حتى أن طولها يبلغ مسيرة نحو اثني عشرة ساعة، وعرضها يقرب من ذلك.

ولا يقدر أحد أن يقطعها لما فيها من المقاطع والخنادق البالغة. وقد ذكروا لنا أن بعض محلات المولى الحسن رحمه الله حصل لها الغرق بها بعدتها وعددها من خيل ورجال ومدافع، ولم يجدوا من ينقذهم من ذلك ولا من عنهم يدافع، حين أحاطت بهم قبيلة بني حسن في بعض حركاته لهم في أول نصره.

وهذه الضاية بها وحوش كثيرة، ودواب متوحشة، من خيل وبغال وبقر، من أيام المولى عبد الرحمان، وإذا احتاج المخزن إلى فرس من تلك الخيل نصبوا لها الحبال، وأحاطت بها الرجال، إلى أن يقبضوا إحدى تلك الخيول، وتجعل وسط الإنسية أياما، ثم توجه للأعتاب المخزنية.

ثم رجعنا لمحل النزول إلى قرب الساعة الثانية عشرة، فارتحلنا عن هذه المحطة. وقطعنا وادي رضم، وسرنا على بساط أراضي بني حسن التي انبسطت انبساطا يملأ العيون، ويسلي القلب المحزون، إلا أنه لا حرث بتلك الأراضي ولا غرس، إلا فيما قل منها، ويا للآسف على ضياع مثل هذه الأراضي الناعمة، فلو وجدت من يقوم بعمارتها حرثا وغرسا فإنها تكون جنة الدنيا بالنعم التي تخرج منها للفلاحين، وتكون متجرة يتسارع إليها جميع الغراسين والحراثين.

وكأني انظر للمستقبل وقد امتدت السكك الحديدية بها، والأرض مخضرة بالدوالي المنبسطة، والأشجار المصطفة، على الطريق يمينا وشمالا، حتى تصبح الأرض يانعة، تجبي إليها الخيرات وتقتنى منها، ويضرب بها المثل بين الأراضي فيما يخرج منها، خصوصا إذا انتشر الآمن فيها على الأموال والأنفس من اللصوص.

ولا شك أنه إذا لم يسارع أهل هذا القطر المغربي إلى استعمال مثل هذا فإنه يسبقهم إليه من يقوم بذلك، ويروا حسناتهم في ميزان الغير، ويفوتهم إبان استعمار أراضيهم بمثل هذا الخير. ثم إننا سرنا، والوادي عن يميننا إلى أن بعدنا عنه بمقدار ساعة زمانية، فدخلنا بين دوارين انعطف من ورائهما الوادي المعروف بوادي بهت انعطافا رجع به إلى أمام مسيرتنا، فلوينا العنان وسرنا، وهو عن يسارنا،

وذلك المحل يعرف (بالمريفق) لشبهه لمرفق اليد في الإنعطاف، ولا زلنا مجدين في السير، وكلما تراءينا لمحل سكنى سارع أهله لملاقاتنا، وأعلام الأفراح في أيدي نسوانهم منشورة، ومن لم تجد

منهن ما تجعله علما أخذت سبنية[1] رأسها وجعلتها على قصبة، وتأتي مع رفقتها، ويزدحمن على المحفة وبغلة سيدنا رضي الله عنه للتبرك بها.

الوصول للمحل المعروف بالدهس

وهكذا إلى أن وصلنا للمحل المعروف بالدهس، فتلقانا الشاب الظريف السيد محمد بن القائد الأمجد السيد محمد الكداري[2]، مع جماعة من إخوانه، وأقاموا ملاعب الخيل أمام سيدنا محمود، ولا زالوا كذلك حتى تلقانا أيضا القائد الكداري[3] المذكور، وهو من أكبر القياد الذين تصلح القبيلة بصلاحه، وتفسد بإشارته، وتنقاد إليه انقياد البهيمة لمن يسوقها بالزمام، وهو في قبيلته كالأمير في رعيته، له العزوة التامة، والصولة العامة،

وإيالته التي يحكم عليها اشتملت على فخذات قبيلة كدارة، وقبيلة أكرام المشهورين بأولاد احميد من أعلى قبيلة مختار المشهورين في الطائفة العيساوية بالتجرد عن الثياب في وقت حضرتهم، مع اختلاط النساء بالرجال، ومع ذلك يظهرون خرق العوائد من إطلاق المقعدين المزمنين، مثل ما اشتهرت بذلك قبيلة سحيم المجاورين لهم.

ومن إيالته قبيلة أولاد حساين، وأولاد غياث، وأولاد موسى حساين، والشرفاء أولاد ابن حمادي، والكبارثة، والعثامنة، وزوايا قبيلة مختار، من جملتهم زاوية المخاشيم القاطنين بالجوطة هناك قرب

---

(1) سبنية : تعبير باللهجة الدارجة المغربية وهو غطاء تضعه المرأة فوق رأسها وتعقد عليه بعقدة أو عقدتين تحت ذقنها.

(2) السيد محمد بن القائد سيدي محمد الكداري، من جلة مريدي الطريقة التجانية، تأخرت وفاته إلى ما بعد عهد الأستقلال، ولم أقف على تاريخ وفاته، مع العلم أنه كان يتمتع بسيرة حسنة وسلوك حميد، وقد وقفت على رسالة له بعثها للعلامة سكيرج إبان سكناه بمدينة سلا، حيث كان يعمل حينئذ بالمحكمة العليا بالأعتاب الشريفة بالرباط، ذكر له فيها أنه بعث إليه أحدا من أقاربه بغية الإسراع ببعض مطالبه الإدارية التي توقف عليه القيام بها بالمدينة المذكورة، كما طلب منه تقديم يد العون في إنجاز تلك المطالب.

(3) القائد سيدي محمد الكداري، أشهر من أن يعرف، شمس على علم، كان له صيت كبير بمنطقة الغرب إذاك، وهو من مريدي الطريقة التجانية، بل من أخلص مريديها بالجهة المذكورة، وقد أثنى عليه جماعة من أعلام الطريقة الكبار، كسيدي محمد كنون وسيدي العربي المحب وسيدي الطيب السفياني وآخرين، وكثيرا ما كان يثني عليه العلامة الشريف سيدي محمد بن الحسني الرباطي، وينعته بالصلاح والكرم، ويقول في حقه : من أراد أن يكون قائدا فليكن مثل القائد الكداري وإلا فلا

وادي سبو، وبها مدفن سيدي حسون من أولاد المولى إدريس رضي الله عنه، وفيها آثار بناءات قديمة.

ومنها فرقة الأعشاش من مختار القاطنين بشاطئ سبو بجوار الغرب، وعندهم بناءات قديمة من رخام وحجر منجور منقوش عليها نقوش كتابات عجيبة. وهناك دفائن يعثر عليها في بعض الأحيان، حتى حدثونا بأنه وجدوا هناك دفينة نحو المدين من السكة الفضية من سكة البردقيز[1]، عليها صور أفيال وطيور ووحوش، مما يتعجب الناظر إليها.

وهذا القائد له محبة في الجناب الأحمدي التجاني، وقد فرح غاية الفرح لقدوم سيدنا محمود، وحمد الله على أن متع طرفه بالنظر إلى وجهه قبل الوفاة، وذلك شأن المحبين الداخلين في الضمان النبوي للشيخ رضي الله عنه، لكونه (ﷺ) ضمن له آخذ الطريقة ووالديه وأولاده والمحب له.

ولهذا القائد ولدان باران آخذان للطريقة، مشغوفان بها، ويكرمان الإكرام التام لكل من انتسب إليها إذا حل بكنفهم، أحدهما خليفة والده السي محمد المتقدم الذكر، وثانيهما ذو الأدب الفائق، والتؤدة المرونقة، والسمت الحسن، السي قاسم[2]، جاء من محله بقرب سبو لما سمع بسيدنا محمود وصل إلى المحل النازل به والده القائد الكداري المذكور، وشد الرحلة ليلا ليحظى بزيارته قبل أن يفوته ذلك. وقد بتنا ليلتنا في أمن وأمان، وإكرام زائد في هذا المكان، وحصل لأهل هذه المحطة فرحان كبيران، فرح بعيد الأضحى، وفرح بقدوم سيدنا محمود.

فهذا اليوم بلا شك اجتمع فيه عيدان، والعيد الثالث عندنا شفاء سيدنا محمود مما كان ألم به. وقد أصبح في وجهنا يوم الأحد ثاني عيد الأضحى، والناس في انبساط تام، في هذا البساط، المنوط بالإنعام :

بِسَاطٌ يَمْلَأُ الأَبْصَارَ حُسْنَا * وَيُسْبِي[3] عَقْلَ كُلِّ النَّاظِرِينَ

---

(1) البردقيز : بمعنى دولة البرتغال

(2) السي قاسم بن القائد سيدي محمد الكداري، هو الآخر من مريدي الطريقة التجانية، وقد أثنى عليه العلامة سيدي حسن بن عمر مزور في إحدى رسائله التي بعثها للشريف سيدي محمد الغالي السفياني، ووصفه بالرجل الجواد، صاحب المروءة والفضل، وحثه على الترحيب به وإكرام وفادته، وذلك لدى مقدمه لزيارة الشيخ رضي الله عنه بفاس في شهر رجب عام 1344هـ حسب تاريخ تلك الرسالة

(3) يسبي : يأسر

أصبح والجو مظلل علينا بمظلة السحاب، ونحن في وسط هذا البساط الذي لا نرى من حوالينا فيه إلا السراب، حتى كأننا في فضاء، والبحر محيط بنا، وفي الحقيقة لا بحر إلا ما ينحصر البصر عنه من اتساع هذه المساحة المستوية أرضها، فسبحان من دحاها.

وقد طلب القائد المذكور وأولاده من سيدنا محمود الإقامة عندهم في هذا اليوم، وأقيمت ملاعب الخيل هناك، وكان يوما مشهودا، من كثير الأفراح القائمة على ساق، والخيل المسومة في مضمارها تركض ركضا أمام قبة سيدنا محمود، والبارود يضرب فرحا بقدومه، حتى ملأ الفضاء دخانا، والناس في فرح وسرور.

وبعد الزوال ودعنا المقدم البركة سيدي العربي بن الكايسي، وواعدناه بأن نوجه له التقديم من سيدنا محمود مع المقدم سيدي محمد بن عبد الله أمنهما الله عندما يرجع من الرباط، فكتب في هذا المحل بالنيابة عن سيدنا محمود ما نصه :

نص الإجازة المذكورة

بعد البسملة والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ﷺ) : نحمدك اللهم حمد من اعترف بعجزه عن أداء الشكر، ونشكرك شكر من اغترف من بحر كرمك الذي من لم يشكرك عليه تعرض للمكر، ومن شكرك نال منك المزيد، وأنك تحكم ما تشاء وتفعل ما تريد. ونصلي ونسلم على من أقمته برزخا رحمانيا في إيصال النعم للمخلوقات، وأجريتها على يده في سائر الأوقات، سيدنا ومولانا.

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْـــنِ[1]وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ *

عليه منك أتم سلام، وعلى آله وأصحابه مدى الدوام، ورضي الله عن القطب المكتوم، والختم المعلوم، من نشرت بين يديه ألوية الولاية، ونال في البداية ما لم يدركه غيره في النهاية، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقانا الله وجميع المحبين منه بأعظم الأواني. وبعد :

فإن سيدنا ومولانا محمود بن سيدنا ومولانا البشير بن سيدنا ومولانا الحبيب بن سيدنا وسندنا العارف الرباني، القطب التجاني، قدس سره، قد أذن في إعطاء الطريقة التجانية، ذات المواهب الربانية، للبركة السيد العربي بن الكايسي، ليلقنها لكل من طلبها منه، ورام أخذها عنه، وذلك بعد

(1) الثقلان : الإنس والجن

التزام شروط أذكارها، ونيل أورادها بأسرارها، إذنا تاما، مطلقا عاما، وإجازة في جميع ما اشتمل عليه كتاب جواهر المعاني من الأذكار والأوراد اللازمة وغيرها، وأن يأذن في ذلك لمن شاء كيف شاء، لكن مع الأهلية التي يجب مراعاتها، إذنا تاما، وإجازة عامة، سائلا من المولى أن ينفع به وعلى يديه، وأن يأخذ بيديه في جميع الأمور، في الورود والصدور، إنه رب ذلك، والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين. بتاريخ حادي عشر ذي الحجة الحرام عام 1329هـ، من إذن سيدنا المذكور أعلاه.

ومما سألني عنه هذا المقدم من فقه الطريقة التجانية، ماذا يفعل المسبوق في الوظيفة، هل يختم مع الجماعة بقراءة آخر سورة اليقطين ؟ ثم يشرع في إتمام وظيفته ؟ أو بمجرد ختمهم للجوهرة الثانية عشرة يشرع في الإتيان بما فاته قبل قراءتهم لآخر سورة اليقطين ؟ فأجبته بأن الذي جرى به العمل عندنا بالزاوية التجانية بفاس، وهو الذي يفعله الخاصة منهم، هو أنه بمجرد إكمالهم لجوهرة الكمال الثانية عشرة يشرع في قضاء ما فاته من وظيفته، ثم يختم لنفسه.

ولا شك أن قراءة آخر السورة المذكورة إنما هو من شروط الكمال، وقضاء ما فاته من الإستغفار وغيره قبل الإفتتاح بالفاتحة هو من الأركان، والركن يقدم على غيره، لكونه أهم، فلذلك ينبغي قبل الشروع معهم أن يبتدئ لنفسه بالفاتحة، ثم يشرع معهم، حتى إذا فرغوا من الجوهرة الأخيرة يشرع في الإستغفار، فإذا وقع ونزل وابتدأ معهم من غير أن يقرأ الفاتحة قبل شروعه، ثم ختم الجوهرة الأخيرة معهم وشرع في قضاء ما فاته، وابتدأ بالفاتحة قبل أن يختموا بآخر سورة اليقطين أو بعد قراءته لها معهم فإنه يجزئه ذلك.

فلما قررت له هذا الجواب ذكر لي أنه سمع من الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح، رضي الله عنه، أن المسبوق يقرأ مع الجماعة آخر السورة المذكورة، ثم يقضي ما فاته، هكذا سمعه منه لما سأله بعض الإخوان عن هذا بمحضره، فأجبته بأن العمل الجاري بفاس هو ما ذكرته.

ويخطر على بالي بأني سألت عن هذا سيدنا العارف بالله مولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه فأجابني بما ذكرته. نعم ما سمعته من الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح، مستحسن من جهتين : الأولى أنه لا يتشوش المسبوق إذا ختم سورة اليقطين معهم حين شروعه في قضاء ما فاته بقراءتهم. ثانيهما : إدراكه للختم معهم، والختم بنفسه، وذلك فيه زيادة ثواب ذكر، ويعد من شروط كمال الوظيفة. وقد ذكرنا أنه يسوغ له الختم معهم، إلا أن الوقوف مع ما جرى به عمل أهل الزاوية

فيما رأيناه يطلب من المريد المحافظة عليه[1]، لما عسى أن يكون هو الوارد عن الشيخ رضي الله عنه، والله الموفق.

وقبل وصولنا إلى هذه المحطة سألني ونحن بالطريق المقدم الجليل، سيدي إبراهيم الطويل عن مسألتين من فقه الطريقة، الأولى : هل يصح تقديم ورد الصباح بعد صلاة عشاء ليلته بساعة زمانية، وقبل صلاة الوتر ؟ فأجبته بأنه يصح الورد إذا قدم على الوتر، ولا يشترط في صحته أن يقرأ بعد صلاة الوتر، وإنما تشترط قراءته بعد صلاة العشاء بقدر ما يسكن فيه الناس بنحو مقدار ساعة بعدها[2].

الثانية : عمن صلى صلاة العصر فذا، وقرأ ورده، ثم حضرت جماعة فأعاد معهم صلاته لفضل الجماعة، فهل يعيد ورده أم لا ؟ فأجبته : إن نوى بالإعادة التفويض فينبغي له أن يعيد ورده، لأنه لا يدري أي الصلاتين كانت فريضة، فلم يتحقق وقوع الورد بعد صلاة العصر، وأما إذا نوى بها الصلاة المفروضة من دون تفويض فلا شك أن الورد وقع في غير محله، فلا بد من إعادته ليكون في وقته.

الوصول إلى بعض الأضرحة التي في الطريق

وفي الساعة 12 من يوم الإثنين ارتحلنا من هذه المحطة، ورافقنا للموادعة القائد الكداري نحو ساعة زمانية، ثم رجع مع بعض الأصحاب، وبقي في رفقتنا أولاده وجماعة من الأصحاب، والخيل تلعب أمام سيدنا محمود إلى أن وصلنا بعد ساعتين ونصف لضريح الولية الصالحة للا يطو[3]، وبها محل سكنى المريد التجاني المحب الصادق السيد العربي بن عبد العالي الثوري، من سكان هذه البقعة.

---

(1) لهذه المسألة أشار العلامة الأديب التجاني ابن بابا العلوي في منية المريد حيث قال :

ومن يفته بعضها ويأتي * يفعل كما يفعل في الصلاة

(2) لهذه المسألة أشار العلامة الأديب التجاني ابن بابا العلوي في منية المريد بقوله :

وورد صبح إن تقدمه على * مختاره بعد العشاء نقلا

بقدر ما يتلى من القرآن * خمسة أحزاب بلا توان

(3) ضريح الولية الصالحة للا يطو، يقع ضمن جماعة قصيبية، شمال مدينة القنيطرة

وهو رجل مغرم بحب الشيخ رضي الله عنه، هو وأولاده وعياله، وقد كان قدم لزيارة سيدنا محمود، ونحن عند الكداري، وطلب من سيدنا محمود المبيت عنده، فلم يتيسر له ذلك لقرب محله من هذه المحطة. وقد أنشدنا من حفظه هذه الأبيات المشهورة عند غالب الإخوان، ونصها :

يَـا رَبَّـنَا بِـجَاهِ تَـاجِ العَارِفِينْ * وَجَـاهِ حَـامِلِ لِـوَاءِ الـوَاصِلِينْ
قـدْوَتِـنَا وَشَـيْـخِـنَا الـتِّجَانِي * قَـائِـدِنَا لِـمَـنْـهَـجِ العَـدْنَانِـي
نَـسْـأَلُـكَ الـتَّوْبَـةَ وَالـتَّوْفِـيقَ * وَالعِـلْمَ وَالـعَـمَـلَ وَالـتَّحْـقِيقَ
وَالصَّبْرَ وَالنَّصْرَ عَلَى الأَعْدَاءِ * وَالـجَمْعَ بِـالذِّكْرِ عَـلَى الـولَاءِ
وَالـفَـوْزَ بِـالـنَّـعِيمِ وَالـجِـنَانِ * مَـعَ الـنَّـبِي وَشَـيْخِنَا الـتِّجَانِي
نَـسْـأَلُـكَ الـتَّوْبَـةَ وَالـغُـفْـرَانَ * وَالـسِّـتْـرَ وَالـنَّـجَاةَ وَالأَمَـانَا
وَاغْـفِرْ لِـعَبْدٍ مُـذْنِبٍ دَعَـاكَ * وَتُـــبْ عَـلَـيْـهِ مَـالَـهُ سِـوَاكَـا
وَلَا تُـخَيِّبْ يَـا إِلَـهِي مَقْصِدِي * وَصَـــلِّ دَائِـــمًا عَـلَـى مُـحَـمَّدِ

وقد ذكر لي أن الفقيه العلامة شيخنا الحاج محمد فتحا كنون[1]، كان أوصاه بالمحافظة على ذكر هذه الأبيات المذكورة سرا بعد قراءة كل ورد ووظيفة حين أنشدها بين يديه، أقول : لا بأس بذلك إذا كان

---

(1) العلامة سيدي محمد (فتحا) بن محمد بن عبد السلام كنون من مواليد مدينة فاس عام 1270هـ، من كبار علماء المغرب في عصره، تقلد بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد أكابر أعلامها، في مقدمتهم: الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، والعلامة البركة سيدي أحمد محمود، دفين البحيرة بقبيلة الرحامنة، والعلامة الفقيه سيدي أحمد بناني كلا، وآخرون غيرهم

وله مصنفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون، وقد ذكرت منها 46 مصنفا عند تحقيقي لكتابه : الصواعق المرسلة إلى من أنكر الجهر في الفريضة بالبسملة .

وفي حقه قال العلامة سيدي محمد الحجوي : كانت العلوم اندرست أو ضعفت فأحياها، ونفخ روحا جديدة في طلابها ، فابتهج محياها، درس علم التجويد بعدما درس، وأحيا قراءة التلخيص بمطول السعد بعدما بعد عهد هذه الديار، بتهاطل تلك الأمطار، وذلك كله عطل بموته، وأحيا قراءة التفسير بالبيضاوي، لكن القاصرين لم يرق ذلك في أعينهم، فزعموا أنه يتسبب عنه موت السلطان، فشغلوه بولاية قضاء آسفي، ويا آسفي على العلم قضى عليه الحسد، وأذهب الروح وترك الجسد، لكن لم يلبث إلا نحو سنة، ثم استعفى فأعفى، مشوقا إلى ما تعود من نشر العلم، طاهر الذيل، قائما بحقوق العدل، فرجع لدروسه، تاركا التفسير في دروسه، إلخ ...

وتوفي رحمه الله بعد عصر يوم الجمعة 28 شعبان الأبرك عام 1326هـ ــ 24 شتنبر 1908م، وصلي عليه بعد صلاة المغرب بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، ودفن بفاس بضريح الولي الصالح أبي غالب، عن يسار الداخل للقبه، وقبره متصل برجل الولي المذكور، ورثي بقصائد كثيرة منها مرثية للعلامة سكيرج قال في مطلعها

رزء أصيب به الطلاب للدين * بموت عالمنا ذي الفتح كنون

إلى أن قال :

يا قوم من بعد كنون يمد يدا * إلي تنقذني من مورط الهون

قد كان خير ولي ولي كرامته * بدت وقد طار صيته إلى الصين

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة أحمد سكيرج رقم الترجمة 8 .وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية، للفقيه الحجوجي ج 7 ص 1- 39. نيل المراد، لنفس العلامة ج 1 ص 46. فتح الملك العلام، لنفس العلامة بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 125 .. وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 77 .وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 ص 44-46 رقم 13 .دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة 1 : 143 إتحاف المطالع، لابن سودة أيضا 1 : 378 . موسوعة أعلام المغرب 8 : 2853 . معلمة المغرب 20 : 6833. نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 163 . نسمات القرب والإفضال المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للعلامة الحجوجي أيضا 52 . الجواهر الغالية في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة ادريس العراقي 32

سرا، وأما بعض الإخوان فيذكرونها جهرا بعد الوظيفة، ولا ينبغي ذلك لما فيه من الزيادة في الطريق.

وفي الطريق ونحن مجدون في السير، تلاقى مع زوجته وبناته قادمين لزيارة سيدنا محمود من شدة الحب الحاصل لها في هذا الجناب، فردها إلى محلها، قريرة العين بالنظر إلى سيدنا محمود مع نساء حيها، لكون سيدنا محمود رضي الله عنه لا يحب أن تقابله النساء، ويغض الطرف إذا أقبلن عليه، ويعطيهن بالإدبار، فيزرنه من ورائه، كل ذلك منه محافظة على نفسه لتمسكه بالحبل المتين من الدين، ويحصل له القبض من ذلك، لأنه :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ * فَمَا يكلم إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

ثم واصلنا المسير حتى وصلنا لمشرع الرملة[1]، بعدما تراءت لنا قبالتنا غابة بني حسن الممتدة من باب سلا إلى قبيلة كروان، وعرضها نحو ثلاث سوائع، ومن ورائها قبيلة زمور ومن جاورهم.

وقد وصلنا لهذا المشرع قرب الساعة الخامسة، وكان مسيرنا على أرض منبسطة من أول ابتدائنا للمسير وقطعنا لوادي بهت، ولكنها قليلة الحرث، لكونها رملة تحتاج إلى تغبير، وعمارة وتدبير، إلا أن أرضها ناعمة بمرعى الأنعام، حتى وصلنا لوادي هذا المشرع، ويعرف بوادي تيفلت، وماؤه عذب، ومن ورائها الوادي المسمى بأسمنطو، افترق ضايات، وتلاقى مع الوادي المذكور قرب ضريح الولي الصالح سيدي عيسى بحر العلم المدفون بين الوادين هناك.

وفي قرب الساعة الحادية عشرة من يوم الثلاثاء ارتحلنا من هذه المحطة، وقطعنا المشرع المذكور، ثم سرنا في أرض ذات انخفاض وصعود، وكلها رملة لم ينبت بها إلا العشب، وإذا انبسطت كانت مأوى الضايات، وقد مررنا والغابة عن يسارنا، وتراءى لنا عن بعد يسارنا بجنب

---

(1) مشرع الرملة : يقع قرب مدينة سيدي يحيى الغرب، ضمن قبيلة بني حسن، ارتبط اسمه في الذاكرة التاريخية المغربية بالمعسكر الذي أنشأه به السلطان المولى إسماعيل لتجميع وإيواء العبيد الذين جمعهم بطرق شتى، وعلى مراحل متدرجة منذ السنوات الأولى لحكمه من مختلف مناطق التراب الوطني، تحت إشراف الباشا عليليش، وذلك لتكوين جيش احترافي منظم، يكون بعيدا كل البعد عن انتماءات المجتمع القبلي وتكتلاته العصبية، ومرتبطا في ذات الآن بشخص السلطان بعلاقات ولاء أشد وثاقا وإخلاصا

الغابة ضريح الولي الصالح سيدي يشو، وبعده ضريح الولية الصالحة للا شحواطة، وعن يميننا كذلك ضريح الولي الصالح سيدي عياش[1]، وضريح الولي الصالح سيدي العربي الصحراوي.

وقد مررنا بالطريق على دوار من أولاد بورحمة[2]، فوجدنا جماعة من النساء قد اجتمعن يكفكفن، ثم يضربن وجوههن ويندبن، فسألنا عما يفعلن بعدما ظننا أن اجتماعهن لفرح، نظرا لقيامهن وفي وسطهن من يغني لهن، فإذا هن اجتمعن لجنازة، والمنشدة في وسطهن تذكر محاسن الهالك، التي هي في الحقيقة مساوئ، وفي حالة ذكرها يكفكفن، فإذا أشارت لهن بعلامة يضربن وجوههن، وذلك من عوائدهن الخبيثة، فسرنا ونحن نسخط بفعلهن الذي أغراهن الشيطان عليه، وهن من حزبه.

المبيت بقصبة الوادي المعروف بالفوارات

ولا زلنا سائرين إلى أن انعطفنا عن يمين كدية رمل، فمررنا بجنب دوار القائد بوعزة بالحسن[3]، وهو دوار محتف بشجر الهندية، وأحاطت به حتى أنها ترى من بعد كأنها من الغابة، وبعده بنحو ربع ساعة سرنا في حجر الطين الموصل لقنطرة علي وعدي[4] المشهورة، وهي الموضوعة على الوادي المعروف بالفوارات[5]، وهو واد داخل في وادي سبو المتصل بها، وسرنا فوق طينها نحو نصف ساعة.

وقد وصلنا لقصبة هذه القنطرة، فوجدناها محكمة الوضع، يقرب منها وادي سبو، بعد أن اجتمعت فيه غالب أودية المغرب، وهو هنا في غاية الإتساع، وعلى حاشيته نزلنا وحططنا الرحال بين

---

(1) دوار سيدي عياش : يوجد حاليا ضمن جماعة أولاد سلامة على بعد 15 كيلومترا شمال مدينة القنيطرة

(2) دوار أولاد بورحمة : يقع في جماعة عامر السفلية، على بعد كيلومترات قليلة شمال مدينة القنيطرة

(3) دوار القائد بوعزة : يوجد حاليا على بعد كيلومترات قليلة شمال مدينة القنيطرة،

(4) المراد بها القصبة التي هي نواة مدينة القنيطرة، أما القائد المخزني علي وعدي فهو مؤسس القنطرة المذكورة، التي سيتم هدمها بعد هذا التاريخ بسبعة عشر سنة، وذلك من طرف المقيم العام الفرنسي الجنرال ليوطي، أما القصبة فقد تم تأسيسها أوائل عهد السلطان المولى عبد العزيز[1312هـ ـ 1895م]

ولمزيد من التوضيح فإن مدينة القنيطرة لم تعرف انطلاقتها الحقيقية إلا بعد تأسيس مينائها الكبير عام 1330هـ ـ 1912م، أي بعد سنة واحدة من تاريخ مرور الشريف سيدي محمود التجاني بها

(5) وادي الفوارات : يبلغ طوله 35 كيلومترا، ينطلق من سطح هضبة المعمورة، عند مركز العرجات حاليا، ويتجه نحو الشمال إلى حدود مدينة القنيطرة، لينعرج بعدها غربا صوب وادي سبو

العشائين، بعد أن دخلنا لهذه القصبة، فوجدناها ساحة متسعة، قد اصطفت بها قبالة الباب خمس وعشرون بيتا، وعن اليسار كذلك، وعن اليمين بيوت، وفي وسطهن الجامع الموضوع هناك بصومعته، وفي صف الباب أيضا بيوت.

وقد وجدناها منظفة مهيأة لنزول المحلة القادمة على طريق مهدية، وقد بتنا ليلتنا والأمطار هاطلة، والأرياح عاصفة، تجل عن الصفة، حتى أنها قد قلعت أوتاد قبة سيدنا محمود، وكادت أن تطير بها للجو لولا مساعدة الخدام والأصحاب، إلى الأخذ بكل سبب ممدود، حتى ضربت أوتادها ضربا محكما، أما قبابنا فلا تسأل عن اضطرابها بالأرياح، إلا أنها في تلك الحالة مثل اضطراب أرواحنا في الأشباح، جزعا من سقوط القبة على الحريم الشريف، ولكن الله سلم، والحمد لله على ذلك.

وقد أصبح في وجهنا يوم الأربعاء، والجو عابس، وعاصف الرياح غير ناعس، فتهيأنا للرحيل، وقام لوداعنا المقدم البركة السيد إدريس التجيني بعدما كان رافقنا من محله، وما قصر في البرور كثر الله من أمثاله بفضله، وقد كتب له سيدنا محمود رضي الله عنه التقديم لإعطاء الطريقة.

نص الإجازة المذكورة

بعد البسملة والصلاة والسلام على النبي (ﷺ) : الحمد لله الذي أنعم على هذه الأمة المحمدية بأن جعلها خير الأمم، وأسبغ عليها في الظاهر والباطن من فضله ما لا يحصى من النعم، والصلاة والسلام على الواسطة فيها سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه وخليفته خاتم الأولياء،

أما بعد : فإن سيدنا ومولانا محمود بن سيدنا ومولانا محمد البشير بن سيدنا ومولانا محمد الحبيب بن سيدنا وسندنا القطب الرباني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، رضي الله عنه، قد أذن في تلقين الطريقة التجانية، ذات الفتوحات الربانية، للمقدم البركة السيد إدريس بن المقدم السيد محمد بن الجيلالي التجيني أصلا، التجاني طريقة، وأجازه في إعطائها لكل من طلبها منه، بالتزام شروطها المقررة، وأركانها المعتبرة، موصيا له بتقوى الله في السر والعلانية، وأن يأخذ بين إخوانه بالرفق واللين. والله أسأل أن ينفع به وعلى يديه آمين. وكتبه بتاريخ 13 ذي الحجة 1329هـ، عن إذن سيدنا المذكور اسمه أعلاه.

وفي قرب الساعة العاشرة من هذا اليوم ارتحلنا من هذه المحطة التي دوختنا بأرياحها القاصفة، وكادت أن تطير بقبابنا للجو بزفاتها المترادفة. وقد أنشدت في الطريق هذين البيتين في هذه الصدمة :

وَقَـائِلَةٍ مَا بَالُ ذَا الرِّيحِ قَدْ غَدَا * عَصِيفًا إِلَى أَنْ رَامَ حَمْلَ قِبَابِي
فَـقُلْتُ لَـهَا لِـلجَوِّ شَوْقٌ لِحَمْلِهَا * لِـمَا حَلَّ فِـيهَا مِـنْ كَـرِيمِ جَنَابِ

وقد جاء عند ارتحالنا لزيارة سيدنا محمود القائد ابن الحسن من دواره المتقدم، وجاء معه بعض حاشيته، وعاد قرير العين بدعاء سيدنا محمود، وهو رجل من المحبين، ولكنه غير مقيد بحبل طريقتنا التجانية، فجزاه الله عن نفسه خيرا في محبته هذا الجناب الأحمدي، وجزى أمثاله من المحبين، وقد استودعنا أيضا القائد المعطي بن المدني السرغيني الحال مع العسكر المقيم بقصبة علي وعدي، بعد أن كان تلاقانا وكاد أن يطير فرحا بقدوم سيدنا محمود، وما قصر في الإكرام على قدر طاقته.

ثم إننا سرنا، والجو يبدي البشاشة بعد العبوس، ونحن بمرافقة سيدنا محمود طيبو النفوس، وأرواحنا ترتاح لقرب الإجتماع بأحبابنا بالرباط وسلا، الذين بهم كل غريب عن أوطانه سلا، فمررنا على أرض غير منبسطة في ارتفاع تارة، وانخفاض أخرى، وعلى طريقها آبار مياه للسقي، منها القريب العمق، ومنها العميق.

وعن يسارنا في المسير قبل الوصول للغابة بئر تعرف ببئر الرامي[1]، وبه كنا أردنا النزول قبل، إلا أنه لما كان أدركنا الليل، والجو يرشنا بمراشه، حططنا الرحال في المنزلة المتقدمة. وعن يسار هذا البئر على رأس الكدية ضريح الولي الصالح سيدي البخاري.

وقد مررنا على طرف الغابة التي أشرنا لها، وغالب أشجارها من حطب البلوط، وسرنا به نحو ثلث ساعة، وبعدها مررنا على بئرين توضأنا من مائهما وصلينا الظهر، وبعدهما أيضا بئران يقابلان حوش الولي الصالح سيدي الشامي. وقد وجدنا هناك بعض سكان تلك الجهة يسقون ويغسلون ثيابهم على صفحات حجر معدة لذلك، فاستعرنا من أحدهم الدلو لأخذ الماء للوضوء، فامتنع من نيل الحسنة التي تكتب للمعير، ولكن صدق فيه المثل (أبخل من مادر على غدير)

ولعل هذا النحس من الطائفة التي تتطير بالآذان وبالصلاة، فإن في هذه القبيلة التي هي بني حسن دوارا يقال له : القساطلة، يتطيرون بذلك طيرة كبيرة، فلا ترى منهم من يصلي ولا من يؤذن، وهناك في هذه القبيلة من هو ناهج منهج المظلم.

---

(1) بئر الرامي : أصبح حاليا من أحياء مدينة القنيطرة الحديثة

ومن عجيب تطيرهم أنه إذا حصلت مشاجرة بينهم يقول بعضهم لبعض : إما أن تسكت وإلا صليت في محلك، يعتقدون أن المحل إذا وقعت الصلاة فيه خلا واجتاح أهله، على ما حدثونا بذلك عنهم، عفا الله عنا وعنهم.

ذكر الوصول للمحل المعروف بعامر ومن تعرض لنا من الأحباب

ولا زلنا مجدين في السير حتى وصلنا للمحل المعروف بعامر[1]، فوجدنا الأحباب والإخوان قد خرجوا بقصد انتظار قدومنا، وضربوا قبابهم هناك عند جنان بئر الحنشة[2] قبالة حوش الولي الصالح سيدي محمد بن الفاطمي، ويقال لذلك المحل أيضا : بودبزة.

ولما أقبلنا عليهم سارعوا لملاقاتنا، وأقبلوا علينا بوجوه تغشاها الأنوار، وصدور صافية من الأغيار، بما حصل لهم من الفرح بقدوم هذا السيد الجليل، وتسارعوا لتقبيل يديه، للتبرك به وبما لديه، فكانت ملاقاتهم ترتاح بها الأرواح، وظفروا بما ظفروا به من القبول الذي تنشرح به الصدور أكمل انشراح، فحططنا الرحال هناك قرب الساعة الرابعة، بعدما طلبوا منا الإستراحة هناك، حتى لا يقع الدخول ليلا، وليعلموا بقية إخوانهم من أهل الرباط وسلا، فلا يفوتهم الفرح بالخروج للملاقاة، الذي كانوا ينتظرونه طول الأوقات،

فبتنا معهم بذلك المحل الذي بينه وبين سلا نحو الساعتين أحسن مبيت. وواسطة عقدهم في ذلك المحفل المنيف، الشاب العفيف، الفقيه الأمجد، الموقت بالجامع الكبير بسلا، المقدم الأسعد،

---

(1) عامر : فرقة من قبيلة بني احسن، يرجع نسبهم لعامر بن زغبة الهلالي، يمتد المجال الجغرافي لهذه الفرقة من الضفة اليسرى لنهر بهت قرب قرية المكرن، إلى مشارف مدينة سلا، مرورا بمدينتي القنيطرة والمهدية عبر الشريط الشاطئي على المحيط الأطلسي، أما الحدود الشرقية لهذه الفرقة فتصل إلى قبيلة أولاد نعيم، بينما تحدها قبيلة الصفافعة من جهة الشمال، وغابة المعمورة وفرقة السهول من جهتي الجنوب والشرق، وتنقسم فرقة عامر إلى ثلاثة أقسام، عامر السفلى، وعامر الوسطى، وعامر الحوزية، وهذه الأخيرة هي الموالية منها لمدينة سلا

(2) بئر الحنشة : هو الآن أحد الدواوير القصديرية المتواجدة خارج المدار الحضري لمدينة القنيطرة، وبها التقى الشريف سيدي محمود التجاني بجماعة من أعلام مدينة سلا وتجارها وبعض أعيانها الكبار، وكان وصول الشريف المذكور لهذه المحل قبيل الغروب بساعة أو ساعتين، وبات الجميع هناك إلى غاية اليوم الموالي، ثم تابعوا بعد ذلك مسيرهم نحو مدينتي الرباط وسلا

سيدي محمد بن المقدم البركة سيدي المكي[1] الزواوي السلاوي أصلا، مع بعض منشدي الزاوية، وجماعة من فقهائها وتجارها من شيوخ وشبان، وأصحاب وأعوان، والكل يرفل في لباس القبول، ولم يقصروا في الفرح، بما يذهب عن كل محزون الترح، وباتوا في نشاط زائد ينشدون الأمداح النبوية، وأمداح الحضرة الأحمدية، فأنشدونا قصيدة الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح، رضي الله عنه، في الإستغاثة بسيد الوجود (ﷺ) مطلعها :

يَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَخَيْرَ مَنْ * تُجْلَى بِهِ عَنَّا المَصَائِبُ وَالكُرَبْ

وأنشدوا أيضا قصيدته التي قالها على لسان الزاوية المباركة :

لَكَ البُشْرَى فَقَدْ نِلْتَ الأَمَانِي * وَحَفَّتْكَ المَسَرَّةُ بِالأَمَانِ[2]

وهذه القصيدة عند غالب إخواننا السلاويين محفوظة ينشدونها عن ظهر قلب، وكذلك القصيدة الغيلانية[3] في مدح سيدنا رضي الله عنه التي مطلعها :

---

(1) المقدم سيدي المكي بن أحمد بن المكي بن أحمد الزواوي السلاوي، من خاصة أهل الله المقربين، قدمه لتلقين أوراد الطريقة الأحمدية التجانية الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، وسبب ذلك أن فقراء مدينة سلا جاؤوا مرة زائرين للولي المذكور، وقالوا له : اجعل لنا مقدما علينا، ولم يكن صاحب الترجمة معهم، فلم يساعدهم على ذلك، ثم عاودوه في الطلب مرة آخرى، فلم يساعفهم، ثم أتوا عنده مرة ثالثة، وكان معهم في هذه المرة صاحب الترجمة سيدي المكي الزواوي، فقدمه عليهم مع كونه وقتذاك أصغرهم سنا، فصار بعضهم ينظر إلى بعض، فالتفت إليهم الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح وقال لهم، وما فعلته عن أمري.

توفي رحمه الله بمقر سكناه بمدينة سلا في صبيحة يوم السبت متم شعبان الأبرك عام 1326هـ، وذلك بعدما أخبر بموته قبل ذلك بأيام قلائل، انظر ترجمته في إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي ج 7، وفي نخبة الإتحاف لنفس العلامة رقم الترجمة 326، وفي نيل المراد لنفس العلامة كذلك ج 1 ص 98.

(2) أنظر هذه القصيدة بتمامها في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 27، وفي الجزء الخاص بالقصائد من كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب مولانا العربي بن السائح.

(3) نسبة للفقيه العلامة الأديب الفاضل سيدي محمد غيلان الوزاني

إِنْ تَرُمْ نَيْلَ الأَمَانِي * فَالْزَمْ القُطْبَ التِّجَانِي

ومنها :

لَمْ يَنَلْ قَطُّ وَلِيٌّ * مَا حَوَى القُطْبُ التِّجَانِي[1]

وقد كنت خللت هذه القصيدة بما صارت به وافية، على نوع من التشريع، وضرب غريب من التضمين المعروف عند علماء البديع، فقلت في المطلع :

إِنْ تَرُمْ نَيْلَ الأَمَانِي أَبَدَا * فَالْزَمِ القُطْبَ التِّجَانِي أَحْمَدَا

حتى قلت في البيت المذكور بعده :

مَا حَوَى قَطُّ وَلِيٌّ فِي انْتِهَا * مَا حَوَى القُطْبُ التِّجَانِي فِي ابْتِدَا[2]

ذكر الدخول لسلا وما جرى أثناء ذلك

ثم إننا بتنا في هذه الليلة الزاهية الزاهرة، في نعمة باطنة وظاهرة، إلى أن أصبح في وجهنا يوم الخميس، وقد أقبل الإخوان والأحباب من أهل سلا ورباط الفتح مقبلين على الطريق لملاقاة سيدنا محمود كالخميس[3]، حيث انتشروا على البسيطة رجالا وركبانا، فركبنا، وارتحلنا من هذه المحطة في الساعة الحادية عشرة، وسرنا والأعين شاخصة إلى التمتع بالنظر في طلعة سيدنا محمود، والتشرف بتقبيل يده الشريفة، ونيل دعائه الصالح الذي ينالون به غاية المقصود.

وقد تراءت لنا أمامنا عن بعد صومعة جامع حسان بشالة القديمة، من بناءات المنصور خارج الرباط، فرأيناها قبل أن يتطلع علينا شيء من البناءات السلاوية والرباطية، ولازلنا نسير مع الأحباب في احتفال كبير، إلى أن رأينا بناءات سلا عن اليمين، وبجانبها عن اليسار رباط الفتح.

---

(1) انظر هذه القصيدة بتمامها في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 29.

(2) انظر هذه القصيدة بتمامها في النفحات الربانية في الأمداح التجانية للعلامة سكيرج ص 46-47.

(3) الخميس : الجيش

وصولنا للمحل المعروف بالأقواس وهو ثلاثة أقواس مصطفة[1]

ولما وصلنا للمحل المعروف بالأقواس، وهو ثلاثة أقواس، وجدنا الأحباب والإخوان ينتظرون قدومنا، وهم فرحون مستبشرون، وقد تسابقوا إلى تقبيل ركاب سيدنا محمود وازدحموا عليه، وكادوا أن يحملوه مظهرين للسرور لقدومه ما يشكرون عليه عند الله والرسول، لاعتنائهم بسيدنا رضي الله عنه بفرحهم بسبطه، فأكرم بهم من أناس، جعلوا موطئ قدم هذه البضعة المحمودة منهم فوق الرأس، ثم أقبلوا علينا، وأدوا ما يدخل به السرور علينا، من كمال المبرة، وحسن الشكر على هذه الرحلة الميمونة.

---

(1) هي الأقواس الثلاثة المقابلة لباب سبتة بمدينة سلا، وبها التقى أهل العدوتين [الرباط وسلا] الشريف سيدي محمود التجاني، ولا زال محل لقائهم به معروفا لدى بعض الإخوان إلى يومنا هذا، واستعملوا في لقائهم به شتى أنواع الترحيب من غيطة وطبل وأناشيد مختلفة، وذلك طبقا للطقوس المعروفة لدى أهل هذين المدينتين،

وذكر العلامة سيدي أحمد سكيرج أن عدد المستقبلين لهم في باب الأقواس بسلا كان يفوق الثلاثمائة شخص، بين رجال ونساء وأطفال ، وكان ذلك اليوم يوم عيد وسرور، وبهجة وحبور، وكان أول من تقدم منهم للسلام على الشريف سيدي محمود هو الفقيه البركة سيدي محمد بن يحيى بلامينو ، ثم العلامة سيدي الطيب عواد، والعلامة سيدي أحمد بن قاسم جسوس، وسيدي محمد المدني بن الحسني، وسيدي عبد الله التادلي، وسيدي عبد القادر لوبريس، وسيدي عبد الله الرحالي، وسيدي محمد النور، وسيدي علي بن عبد الله، وسيدي محمد البارودي، والفقيه أطوبي، وغيرهم

فممن تلقانا من أهل رباط الفتح العلامة الفاضل سيدي الحاج أحمد بن قاسم جسوس[1]، والعلامة

---

(1) أبو العباس أحمد بن قاسم جسوس الرباطي، فقيه، أديب، محدث، من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية بالرباط، أخذ العلم عن مجموعة من الشيوخ الآفاضل في مقدمتهم : العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وشيخ الجماعة العلامة أبو إسحاق إبراهيم التادلي، والفقيه أبو حفص الحاج عمر عاشور، وأخذ بمدينة فاس عن العلامة سيدي أحمد بناني كلا، والعلامة سيدي محمد بن المدني كنون، وسيدي محمد بن عبد الواحد بن سودة، وسيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، وغيرهم من الأعلام الآخرين.

ومن مصنفاته : تعليق على موطأ مالك، والإغراء بمسائل الإستبراء، وزهر الخمائل من دوحة الشمائل، وجلاء الغين عن قرة العين، وهي حاشية على شرح الحطاب لورقات إمام الحرمين، وعقرب تحت طوبه، وهو تقييد في مسألة فرضية، ومنسك، وفهرسة جمع فيها تراجم من لقيهم في سفره للمشرق، وغير ذلك من الرسائل والتقاييد والأدبيات.

وكان العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح يسميه بعروس العلماء، وكان مهما دخل عليه قال له : مرحبا بعروس العلماء، ويفسح له، وذات يوم جعل ينظر ويمعن فيه كثيرا، والعلامة أحمد جسوس مطرق ببصره إلى الآرض، وأخيرا رفع إليه رأسه، فقال له الولي المذكور : السلحفاة لا تؤثر إلا بالنظر، وحتى بيضها لا يفقس إلا بالنظر إليه، وإنما أريد أن أهذبك بالنظر.

وله رحمه الله ديوان مليء بالقصائد النبوية الشريفة منها قوله في مطلع إحداها :

لطيبة فاركب ناقة الشوق أو طرفا * وغض عن الأحباب كلهم الطرفا

وله في نفس الموضوع قصيدة طائية بديعة قال في مطلعها :

خليلي هذا البين في الخد قد خط * خطوط دموع تشبه الخد والشرط

جفاني بـه نومي وعيل تصبري * وساورني هم كما الحية الرقطا

وكانت وفاته رحمه الله في 13 ذي القعدة الحرام عام 1331هـ، عن 61 سنة، ودفن بالزاوية الناصرية بالرباط، أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 149، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 7، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج 2 ص 39، وفي الإغتباط لبوجندار ص 62، وفي الإعلام بمن حل مراكش لابن إبراهيم ج 2 ص 281-289، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 199.

الفاضل سيدي الحاج عبد الله التادلي[1]، والعلامة سيدي محمد بن الحسني[2]، والبركــة الفاضل

(1) الولي الصالح المقدم البركة العلامة سيدي عبد الله بن محمد التادلي الرباطي، فقيه، أديب، صوفي جليل، أحد تلامذة العارف بربه سيدي محمد العربي بن السائح، وهو الذي أجازه في تلقين أوراد الطريقة الأحمدية التجانية لمن طلبها منه، وله في مقدمه الولي الصالح المذكور أشعار رقيقة، ومن مصنفاته : أرجوزة في علم البديع نظم فيها أنواع المحسنات التي استقرأها صفي الدين وأوصلها إلى مائة ونيف وخمسين، يقول في مطلعها

علم البديع حصرت أقسامه * ونـشرت بـين الورى أعلامه

أوصلها الحلى صفي الدين * لـعدد فـي الـرمز ذي تمكين

وكان مولده بمدينة الرباط في 12 ربيع الثاني عام 1266هـ، أما وفاته فكانت بتاريخ 10 جمادى الثانية عام 1336هـ، عن 70 سنة، ودفن بضريح سيدي أبي الأنوار بمدينة الرباط، أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي الإغتباط لبوجندار ص 390، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج 2 ص 324-326.

(2) العلامة الأديب المقدم الفاضل البركة سيدي محمد بن الحسني العلمي الرباطي، من خيرة علماء الطريقة الأحمدية التجانية بمدينة الرباط، ولد بالمدينة المذكورة في 9 رمضان عام 1266هـ، وبها أخذ العلم والمعرفة، وتمسك بالطريقة التجانية عن الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، ثم أجازه فيها جماعة من الأفاضل منهم سيدي الغالي بن موسى بن معزوز السلماني الحسني، وخطيب الحرم المدني الشريف المقدم البركة العلامة سيدي إبراهيم بالي.

وكان له ولوع كبير بمطالعة الكتب والمذاكرة فيها، وخصوصا كتب الحديث والتصوف، وكان إذا تكلم يود سامعه أن لا يسكت، وفي حقه قال العلامة العارف بالله سيدي محمد العربي بن السائح يوما لجماعة من الحاضرين : من أراد أن ينظر إلى شريف محقق نسبه فلينظر إلى هذا، ومن أراد أن ينظر إلى أحد وجوه الجنة فلينظر إليه.

وكانت وفاته رحمه الله في الساعة 11 من ليلة الأربعاء 28 رجب الفرد الحرام عام 1341 هـ، ودفن بالعلو بضريح سيدي المريني المقابل لضريح الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وجعلت على قبره قبة جليلة، أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 147، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 7، وفي كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح.

الأديب سيدي الحاج محمد الأمين بن يحيى بلامينو[1]، وجماعة آخرون لا يحصون كثرة، وأما أهل

---

(1) الولي الصالح البركة، المقدم الجليل، أديب الزمان، سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي، وهو أقرب الرفاق للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وكانت تربطهما صداقة متينة، وعهود مواثيق أمينة، بحيث كانا لا يتفارقان إلا نادرا قليلا، فيقضيان الوقت في الذكر والمذاكرة الجادة نهارا وليلا،

وقد تطايرت الأخبار عن استقامة هذا الرجل ونزاهته وعدله، ومروءته وفضله، مع ما عرف به من خصوصية وفتح خارق، ومن شعره في هذا الصدد قوله :

نشرت هوى المحبوب بزا يمانيا * وقد كان في ظل الضلوع شاميا
وما بحت بالسر الذي سكن الحشا * صبيحة نلت من رضاه الأمانيا
فجاد بمفتاح الكنوز لعبده * وزاده تقريبا لـــه وتدانيا
فحزت من السر المصون كنوزه * ونلت من الفتح المبين المعاليا
فقل لملوك الأرض تجهد جهدها * فتنزع ملكا في الصدور سماويا

وله في مدح أستاذه الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح عدة قصائد منها حائية قال في مطلعها :

جُبْتُ بِلاَدَ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ عَلَى * مِثْلِ الإمام العربي بن السائح
نجم الهدى القطب العلا أستاذنا * مـــدد كـــل جامد وصـــادح

وله في رثائه قصيدة قال في مطلعها :

سكب الدموع على الأطلال أضناكا * أو حر نار الأسى والبين أفناكا

إلى أن يقول في ختامها :

بالله ربك يا سعد الوجود أفق * من سكرة الوجد إن الصحو ينهاكا
بكاك قطع أكباد الورى أسفا * والأرض قد أظلمت من فقد مولاك
ومن يلمك على طول البكاء فلم * يشهد بسرك من تبكي ونجواك
فاسكب دموعك من دم الفؤاد على * فقد الهمام ولو عدت محياكا
محمد العربي بن السائح العمري * خليفة الغوث من بالورد أحياكا

وكانت وفاته رحمه الله في 4 جمادى الأولى عام 1333هـ، ودفن بمسجد سيدي محمد الضاوي بالرباط، أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي أعلام الفكر المعاصر للجراري ج 2 ص 231-233، وقد خصصه العلامة سكيرج بتأليف سماه : الدر الثمين من فوائد الأديب بلامينو الأمين.

سلا فقد خرج كل من بلغه قدومنا لملاقاتنا، ولم يتأخر عن الخروج إلا من لم يبلغه الخبر. ثم دخلنا لسلا، وفيها قلبنا عن جميع المهمات سلا، وكأننا دخلنا لجنات النعيم،

وبعد الإقامة بها أياما تعد من مواسم الخيرات، قطعنا الوادي لرباط الفتح، وفيه انشرح صدرنا بما نلناه من كمال النجاح. وشغلتنا ملاقاة الأحباب، عن إخراج مبيضة ما نكتبه من هذه الرحلة في الكتاب، إلى أن طرأ ما أوجب علي الرجوع لفاس، فاستودعت سيدنا محمودا رضي الله عنه بالجسم، وتركت القلب عنده.

وَلَوْ نُعْطَى الخِيَارَ لَمَا افْتَرَقْنَا * وَلَكِنْ لَا خيَارَ مَعَ الزَّمَانِ[1]

وقد تركت جل ما بيضته من تراجم السادة الذين اجتمعنا بهم بسلا والرباط بيد الرفيق، والله الهادي إلى سواء الطريق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) حول هذا البيت قال المؤلف العلامة سيدي أحمد سكيرج في كتابه شبه رحلة إلى الجزائر لدى توديعه من طرف جماعة من كبار أعلام البلد المذكور، قال : فقلت لهم : لو كان عندنا خيار [أي نوع من الخضر] لأعطيناكموه، وقد كان فَعَلَ ذلك بَعْضُ الأدبَاءِ، فإنه عَلِمَ من المُوَدِّعِينَ لَهُ أنهم سينشدُونَهُ هذا البيت، فاستصحب معه خِيَارَةً واحدةً، وهو نوع من القثاء المعروف، فلما أنشدوه البيت المذكور أخرجها لهم وقال : خذوا الخيار ولا تفارقونا، فاستحسنوا مستملحته.

تقريظ العلامة السيد محمد بن المدني الحسني[1]
لكتاب غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود

أَعْجِبْ لِهَذَا الدَّفْتَرِ * وَمَا حَوَى مِنْ خَبَرِ
أَفَادَنَا مِنْ هِمَّةٍ * دُونَ عُلَاهَا المُشْتَرِي
كَأَنَّهُ نَجْمٌ سَنَا * أَضَاءَ فِي ذِي الأَعْصُرِ
وَكَيْفَ لَا وَهُوَ جَمْـ * ـعُ العَالِمِ المُعْتَبَرِ

---

(1) محمد المدني بن محمد الغازي ابن الحسني الرباطي. فقيه محدث أديب. من مواليد مدينة الرباط بتاريخ 12 ربيع الأول عام 1307هـ. وبها نشأ وتعلم. فأخذ عن جماعة من خيرة علمائها. نذكر منهم : أحمد بن قاسم جسوس. والمكي البطاوري. ومحمد بن عبد السلام الرندة. وأحمد بن موسى السلاوي. وعمه محمد ابن الحسني وغيرهم.

ولمترجمنا مؤلفات منها : الإرتشاف من أسباب الخلاف. وأهلة المسترشد لأدلة المرشد. ومنار السبيل إلى مختصر خليل بالحجة والدليل. وأريج الزهر وتفريج البصر بتخريج أحاديث وآثار المختصر. وإتحاف الخاصة بختم الخلاصة. وفتح الهادي بختم لامية المجرادي. وإتحاف الملاحظ ببيان الجاحظ. والهزار المطرب بأخبار المغرب. إلى غير ذلك من تصانيف كثيرة أخرى.

أما عن وظائفه فقد عين عضوا بمجلس الإستيناف الشرعي الأعلى بالرباط سنة 1348هـ. ثم عضوا مستشارا بالمجلس المذكور. ثم نائبا لرئيسه في شهر جمادى الثانية سنة 1361هـ. ثم رئيسا في شهر صفر الخير سنة 1363هـ. إلى أن انسحب من هذه الوظيفة عقب نفي جلالة الملك محمد الخامس عن عرشه عام 1372هـ.

ومن شعر مترجمنا قوله من قصيدة في وصف مدينة مكناس وإبراز بعض محاسنها :

لله مكناس في حسن وإحسان * يرنو لها كل انسان بإنسان
حديقة تدع الأحداق محدقة * بمنظر يزدري بشعب بوان
بها يصح ضعيف الجسم من علل * يرتد من حسنها صحيح أبدان
لقد تجلت محاسن البديع بها * على منصة ديوان وإيوان
فمن مناخ بها صارت نسائمه * بين الأماثل من أمثال ميداني

توفي بموطنه بالرباط قبيل عصر يوم الإثنين 25 شوال عام 1378هـ - 4 ماي 1959م. ودفن بزاوية سيدي الشيخ بن أحمد الدرعي قرب مدرسة الأوداية. أنظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب 9 : 3341 - 3342. إسعاف الإخوان الراغبيين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين. لمحمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج 319 - 331.

أُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ سُو * بِالبَارِئِ المُصَوِّرِ
ضَمَّنَهَا رِحْلَةَ مَنْ * بِالمَجْدِ وَالفَضْلِ حَرِي
سَيِّدِنَا مَحْمُودَ بَدْرِ * التَّمِّ بَادِي المَفْخَرِ
مِنْ مَعْشَرٍ قَدْ شُرِّفُوا * أَكْرِمْ بِهِمْ مِنْ مَعْشَرِ
أَدَامَهُ رَبُّ العُلَا * وَزَادَهُ فِي العُمُرِ
كَتَبَهُ مُرْتَجِيًا * قَبُولَ هَذَا الحَصَرِ
مُحَمَّدُ المَدَنِي مَنْ * يُدْعَى الحُسْنِيِّ النَّجَرِ
فَلْتَنْظُرَنْ عَيْنُ الرِّضَى * مِنْكُمْ لِهَذِي الفِقَرِ
وَلْتَسْأَلُوا خَيْرَ الدُّعَا * لَهُ مِنْ مَادِّ الأَبْحُرِ
نَجْلِ رَسُولِ اللَّهِ ذِي * الأَصْلِ السَّنِيِّ الجَوْهَرِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا * أَضَاءَ نَجْمُ القَمَرِ

في 26 ذي حجة الحرام عام 1329هـ.

فهرسة كتاب : غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود